

حاشیہ

العَارِثُ بِاللَّهِ ثُمَّ إِلَى الْفَقْرِ رَهْ

أَجْمَلُ بَرْحَةٍ فِي الصَّادِي الْمَالِي كُنْ الْخَائِلُ

45 1781 - 11Y02

علی

قصیدہ الجلالین

بين العظمين الحبال المحلى والحبال السيوطي

محمد بن عبد الله بن علي

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

کتابخانه



المبحث الثالث

شركه ملكيه و مطبعه مصطفى البيايى ايجيوى واولاد، مصر
محمد عبد الحميد - شمس - شمس

حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمد الصاوي المالكي الحنفي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين إمام الحنابلة وإمام المالكية

مهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضمون بالشكل الكامل

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمد الضباع

شيخ القراء والمقاري بالديار المصرية

مكتبة ومطبعة مطبوعات البائلي المطبوعات

١٣٦٠ / ١٩٤١ م / ٨٧٦

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الحمد لله الأول الآخر
الباطن الظاهر ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد
الطاهر الفاخر ، وعلى
آله وأصحابه ذوى العلا
والفاخرين .

وبعد : فلما انتهى
الكلام على تكملة
الجلال السيوطي فلنشرع
الآن في الكلام على
تأليف شيخه الجلال محمد
ابن أحمد الحلبي نفعنا الله
بهما وعلومهما في الدنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة الكهف)

مكية إلا : واصبر نفسك الآية ، مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) هو الوصف بالجميل ثابت (لِلَّهِ) تعالى ، وهل المراد
الإعلام بذلك الإيمان به ، أو الثناء به ، أوهما ؟ احتمالات أفيدتها الثالث (الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ)
محمد (الْكِتَابَ) القرآن (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ) أى فيه (عَوَجًا) اختلافا وتناقضا والجملة حال
من الكتاب ،

والآخرة ونسأل الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الإيمان والاسلام . قال نفعنا الله به : (قيا)

[سورة الكهف مكية] سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه ، وسورة
مبتدأ ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور في لله متعلق بمحذوف خبر المبتدأ
والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلا وأبدا فصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكلمات أزلى مستمر
وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) أى الاخبار بأن وصفه الكمالى أزلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، والمقصود
منها كونها عقيدة للعباد وشرطا في إيمانهم والخبر بالحمد حامد (قوله أو الثناء به) أى إنشاء الثناء بضمون تلك الجملة لانشاء
المضمون فانه ثابت أزلا يستحيل إنشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا إنشائية معنى كأنه قال أجدد وأنشىء حمدا لنفسى بنفسى
لعجز خلقى عن كنهه حمدي ، ولذا حكى عن أبي العباس الرضى أنه سأل ابن النحاس النحوى عن آل في الحمد لله هل هي
جنسية أو عهدية فقال يقولون إنها جنسية فقال لا بل هي عهدية لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنهه حمده حمد نفسه بنفسه
وأبقاه لهم يحمودونه به (قوله أوهما) أى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة في الخبر والانشاء على سبيل الجمع
بين الحقيقة والمجاز فاستعمالها في الخبر حقيقة واستعمالها في الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين الاعلام
للإيمان والتصديق وإنشاء الثناء (قوله أفيدتها الثالث) أى أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالدات .
إن قات إن إنشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم إنشاء الثناء . قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل
غير المقصود فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلًا غير مقصود وإن جعلت إنشائية فقط كان الإيمان
بها حاصلًا غير مقصود وإن استعملت فيهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى أزل) تعليق الحكم بالمشتق يؤذن
بالعالية كأنه قال الحمد لله لأجل إنزاله الخ وإنما جعل الانزال سببا في الحمد لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى إذ به تنال
سعادة الدارين إذ فيه صلاح العباد والمعاش ، قال تعالى : وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ (قوله على عبده)
الاضافة لتشريف المضاف ، ولذا قال القاضى عياض :

ومما زادنى شرفا وثبها وكنت بأخصى أطا الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة إما معطوفة على قوله أنزل فتكون من جملة الحمود عليه أو حال كما قال المفسر (قوله اختلافا)
أى في اللفظ والمعنى ، والموج بالكسر الفساد في المعانى وبالفتح في الأجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف
أى ذاتناقص .

(قوله قيا) إن أريد به الاستقامة في المعنى كان حالا مؤكدة كما قال المفسرون إن أريد به الاستقامة مطلقا كان حالا مؤسسة (قوله مستقيا) أي معتدلا قائما بمصالح العباد دنيا وأخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث إنه يؤنس في قبره ويتلقى عنه السؤال ويكون نورا على الصراط ويوضع في الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى أنه يكون حجة عليه ، أو المعنى قيا حسن الألفاظ والمعاني لكونه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة . فان قلت ما فائدة التأكيد ؟ قلنا دفع توهم أن نفي العوج عن غالبه لأن الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بأنزل وهو ينصب مفعولين قدر المفسر الأول بقوله الكافرين والثاني هو قوله بأسا وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الأول وحذف مفعوله الثاني لدلالة ما هنا عليه وذكر مفعوله الأول في الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر ، وفي بعض النسخ الكتاب وحينئذ يكون فاعل الإنذار إما ضمير عائذ على الله أو على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمؤمنين وقوله : أن لهم أي بأن لهم وإنما ذكر المفعولين معا لعدم التمييز بينهما بخلاف أهل الإنذار فأنواعهم مختلفة (قوله ما كثرين) أي مقيمين فيه (قوله هو الجنة) أي الأجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله وينذر معطوف على ينذر الأول عطف خاص على عام والنسبة التثنية والتوبيخ عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى : تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله الدين

يتخذ ولدا) قالوا اتخذ الله ولدا أي مولودا ذكرا أو أنثى فيشعل النصارى واليهود ومشركي العرب (قوله ما لهم به من علم) أي لاستحالته عليه عقلا (قوله بهذا القول) هذا أحد أوجه في مرجع الضمير ، والثاني أنه راجع للولد أي أنهم نسبوا له الولد مع عدم علمهم به

(قَيًّا) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لِيُنْذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بَأْسًا) عذابا (شَدِيدًا) من لَدُنْهُ) من قِبَلِ اللَّهِ (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَا كَثِيرٌ فِيهِ أُبْدَاءُ) هو الجنة (وَيُنْذِرَ) من جملة الكافرين (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِيَأْخُذَهُمْ) من قبلهم القائلين له (كِبُورٌ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تميز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أي مقاتلهم المذكورة (إِنْ) ما (يَقُولُونَ) في ذلك (إِلَّا) مقولا (كَذِبًا . فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) مهلك (نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ) بعدم أي بعد توليهم عنك (إِنْ لَمْ يَوْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَسَفًا) غيظا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم ونصبه على المفعول له (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار ،

لاستحالته وعدم وجوده . وإثالث أنه راجع لله أي ليس لهم علم بالله إذ لو علموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح اليم بدل من آباءهم أي فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموما ، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التأنيث والفاعل مستتر تقديره هي وكلمة تميز له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله مقاتلهم ، وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى : كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قوله تخرج من أفواههم) أي من غير تأمل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله في ذلك) أي في هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله إلا كذبا) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولا (قوله فاعلك باخع الخ) لعل تأتي للترجي وللإشفاق وكل ليس مقصودا هنا بل المراد هنا النهي ، والمعنى لا تبغ نفسك أي لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم (قوله بعدم) تفسير لآثارهم أي فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله إن لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير فلا تهلك ، والمقصود منه تسليية النبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم حزنا يؤذي لأهلك نفسك ، وأما أصل الحزن والغم فهو شرط في الإيمان لا ينهي عنه لأن الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر (قوله لحرصك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) أي والعامل فيه باخع (قوله إنا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسليية صلى الله عليه وسلم وجعل إن كانت بمعنى صبر فزينة مفعول ثان وإن كانت بمعنى خلق فزينة حال أو مفعول لأجله وعلى كل فقوله : ما على الأرض مفعول .

(قوله وغير ذلك) أى من بالى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) أى يتزين بها ويتنعم ، قال تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) أى نعلمهم معاملتهم المختبر (قوله ناظرين إلى ذلك) حال من الناس أى لنختبر الناس فى حال نظرهم إلى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وهملا تمييز والجملة فى محل نصب سدت مسد مفعولى نبأ (قوله أى أزهدله) تفسيرا لقوله : أحسن عملا ، والمعنى تميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة فمن زهدا كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاعلون) أى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أى ترابا (قوله جرزا) نعت لصعيدا ، والمعنى إنا لنعيد ما على وجه الأرض من الزينة ترابا مستويا بالأرض كصعيد أملس لانبثا به . إن قلت إن قوله ما عليها صريح فى أن الأرض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الأخرى : يوم تبدل الأرض غير الأرض . أجيب بأنه خص ما على الأرض من الزينة لأنه الذى به الغرور والفتنة (قوله أم حسبت) أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب : مذهب الجمهور تفسر بيل والهمزة ، وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسر ، وعند طائفة أخرى تفسر بيل وحدها (قوله أى ظننت) الاستفهام إنكارى أى لا تظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والأرض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الغار فى الجبل) أى و إن لم يكن متسعا وهو قول ، وقيل إن الكهف الغار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) أى وكان من (٤) رصاص ، وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذى عليه ،

وقيل إن الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف ، وقيل اسم للقرية ، وقيل اسم للجبل ، وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى ، وقيل دراهمهم التى كانت معهم ، وقيل كلهم (قوله فيه أسماؤهم) أى فقيه فلان ابن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الأمر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله إذ أوى الفتية إلى الكهف) أى نزله وسكنوه . وحاصل قصتهم كما قال محمد ابن إسحق : لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقي فيهم من هو على دين عيسى متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فمر بمدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الإيمان فصار يرسل أعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل من يخالفه ، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنا شديدا وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى ، فأخبر الملك بهم وبعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه فيكون فقال مامنعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة فاخترأوا إما أن تكونوا على ديننا وإما أن تقتلكم فقال له أكبرهم إن لنا إلها عظمتته مل السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها أبدا صنع ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلاما مرذا حسنا جدا وقال سأفرغ لكم وأعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم إلا أتى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلكم وإنى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أمركم وترجعون إلى عقولكم ، ثم إنه سافر لغرض من أغراضه ظافرا أنه إذا رجع من سفره يعاقبهم أو يقتلهم فاشتوروا فيما بينهم ، وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي ، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجالوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكاب فتبعهم فطارده فعدا ففعلوا ذلك مرارا

جمع
من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الأمر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله إذ أوى الفتية إلى الكهف) أى نزله وسكنوه . وحاصل قصتهم كما قال محمد ابن إسحق : لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقي فيهم من هو على دين عيسى متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فمر بمدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الإيمان فصار يرسل أعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل من يخالفه ، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنا شديدا وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى ، فأخبر الملك بهم وبعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه فيكون فقال مامنعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة فاخترأوا إما أن تكونوا على ديننا وإما أن تقتلكم فقال له أكبرهم إن لنا إلها عظمتته مل السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها أبدا صنع ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلاما مرذا حسنا جدا وقال سأفرغ لكم وأعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم إلا أتى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلكم وإنى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أمركم وترجعون إلى عقولكم ، ثم إنه سافر لغرض من أغراضه ظافرا أنه إذا رجع من سفره يعاقبهم أو يقتلهم فاشتوروا فيما بينهم ، وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي ، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجالوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكاب فتبعهم فطارده فعدا ففعلوا ذلك مرارا

فقال لهم الكلب أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمهم تملیخا كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام مرة ويتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك الغار ما شاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة وكان تملیخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاما فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل ويتضرعون إليه في دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس ، فقال لهم تملیخا يا إخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون فيبنام كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف وألقاه أيضا على كلهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتعجب فيما يصنع بهم فالتقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب الغار وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وأن يبين لهم أن الساعة آتية وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال دعوهم في كهفهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفي الله أرواحهم وفاة نوم ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهم شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبتا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وعن فروا في لوحين من رصاص وجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلتا التابوت في البنيان وقالوا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومصر بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون لأحياء لا حياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد فجعل يتضرع ويقول رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فالتقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية

جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ) من قبلك (رَحْمَةً وَهَيِّئْ) أصلح (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هداية (فَضَرْبَنَا عَلَى أَذْنِهِمْ) أى أغمناهم (فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) :

رجل من أهل تلك الناحية أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف ويبنى بجارته حظيرة لغنمه

فهدمه وبنى به حظيرة لغنمه ، فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجماهم وهيئتهم فلم يتغير منها شيء فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقت أن رقدوا ثم أرسلوا تملیخا إلى المدينة يشتري لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها وقد أخذ أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن فأخبره تملیخا بقصته وقصة أصحابه ، فقال بعض الحاضرين يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفق فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم ، فلما قرءوها عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل بالحضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فان فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلاثمائة سنة وأكثر فلما جاء الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والأرض تفضلت على ورحمتي ولم تطفىء النور الذي جعلته لأبائي فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيمك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مصجعهم فناموا وتوفي الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما مشى ونام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة أهملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أى كصب وصبية (قوله أصالح) أى أويسر (قوله هداية) أى تثبيتا على الإيمان وتوفيقا للأعمال الصالحة (قوله فضرربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو

الغنى الحقيقي وليس مراداً بل المراد أنهم في الكلام نجوا حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبهة للشبهة واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أننا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أن عدداً مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسيأتي عدها في الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شيء أنزلاً فأجاب بقوله علم مشاهدة، والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أنزلاً من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لا افتراقهم فرقين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افرقوا فرقين في قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أي ماض وليس اسم تفضيل لأنه لا يبنى من غير الثلاثي (قوله لبثهم) أشار بذلك إلى أن ماصدريه مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله متعلق بما بعده أي حال منه وأما مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أي فصل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للملابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله إنهم فتية) أي شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيراً للملك (قوله آمنوا برهم) أي صدقوا به وانقادوا لأحكامه (قوله قويناهما على قول الحق) أي حيث خافوا الملك (٦) ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله إذ قاموا) ظرفاً لبطنا أي ربطنا

على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدي ملكهم) أي واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) أي خطاباً للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله ان ندعو) أي نعبد (قوله أي قولا ذات شطط) أشار بذلك إلى أن شططا منصوب على المصدرية صفة لمحذوف على حذف مضاف أي إفراط في الكفر أي مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله

معدودة) (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِنَعْلَمَ) علم مشاهدة (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أَحْصَى) فعل بمعنى أضبط (لِمَا لَبِثُوا) لبثهم متعلق بما بعده (أَمَدًا) غاية (نَحْنُ نَقُصُّ) نقرأ (عَلَيْكَ نَبَأُهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قويناهما على قول الحق (إِذْ قَامُوا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ نَدْعُوًا مِنْ دُونِهِ) أي غيره (إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا) أي قولا ذات شطط : أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً (هَؤُلَاءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا) هلا (يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ) على عبادتهم (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة (فَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أظلم (مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه تعالى . قال بعض الفتية لبعض (وَإِذْ أَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس : ما تترفقون به من غداء وعشاء (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ) بالتشديد والتخفيف : تميل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) ناحيته (وَإِذَا غَرَبَتِ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) تتركهم وتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة ،

عطف بيان) أي أو بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدأ (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والمقصود (وهم من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه) (قوله على عبادتهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف منصوب بمحذوف أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون إلا الله) ما موصولة أو مصدرية، والمعنى وإذا اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله أو معبوداتهم غير الله (قوله ينشركم) أي ييسط ويوسع (قوله وبالعكس) أي فهما قراءتان سبعيتان ، وأما الجارحة فكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) أي وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي أو لكل أحد ، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس إذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) أي فأصله تزاوَر قابت التاء زايًا وأدغمت في الزاي (قوله والتخفيف) أي بحذف إحدى التائين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) أشار بذلك إلى أن ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد بين الداخل للكهف وشماله وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش فتعيل عنهم الشمس طالعة وغاربة لثلاث توديعهم بحرهما ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة أنه سيد

جبیر عن ابن عباس قال :
غزونا مع معاوية نحو
الروم فمررنا بالكهف
الذي فيه أصحاب الكهف
فقال معاوية لو كشف
لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم
فقال ابن عباس قد منع
من ذلك من هو خير
منك لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا فبعث
معاوية أناسا فقال اذهبوا
فانظروا فلما دخلوا
الكهف بعث الله عليهم
ريحا فأخرجتهم (قوله
بسكون العين وضعها)
ظاهره أن القراءات أربع

Marfat.com

(قوله الآن) أى فى الاسلام وأما فى الجاهلية فكانت تسمى أفسوس وقيل أفسوس من أهمال طرسوس (قوله أحل) أى أحل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلف) أى يترقى فى ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولا يشعروا بكم أحدا) أى لا يفعل ما يؤدى إلى شعور أحدكم (قوله إنهم) أى أهل المدينة (قوله إن يظهروا عليكم) أى يغلبوكم ويطلعوا عليكم (قوله أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يصيروكم إليها (قوله ولن تفلحوا إذا أبدا) أى لن تظفروا بطلو بكم لو وقع منكم ذلك ولو كررها . إن قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود فى ملتهم مع الإكراه المستفاد من قوله إنهم إن يظهروا عليكم الخ مع أن السكره غير مؤاخذ بها أكره عليه . أجيب بأن هذا مخصوص بشريعتنا ، وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالإكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (٨) (قوله وكذلك) أى كما أنعمناهم وبعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك

الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أى أى أطعمة المدينة أحل (فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يقتلوكم بالرجم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا) أى إن عدتم فى ملتهم (أَبَدًا وَكَذَلِكَ) كما بعثناهم (أَعَثَرْنَا) أطلعنا (عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَعْلَمُوا) أى قومهم (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) بطريق أن القادر على إنعامهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا إِذْ) معمول لأعثرنا (يَتَنَازَعُونَ) أى المؤمنون والكفار (بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ) أمر الفتية فى البناء حولهم (فَقَالُوا) أى الكفار (أَبْنُوا عَلَيْهِمْ) أى حولهم (بُنْيَانًا) يستمرهم (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ (أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ) حولهم (مَسْجِدًا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سَيَقُولُونَ) أى المتنازعون فى عدد الفتية فى زمن النبى (أى يقول بعضهم : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) أى بعضهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أى ظنا فى الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً ونصبه على المفعول له أى لظنهم ذلك (وَيَقُولُونَ) أى المؤمنون (سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيذاً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مريض وصحيح (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس : أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلَا تَحْزَنْ) تجادل (فِيهِمْ

إشارة إلى أن مفعول أعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أى ذرية قومهم لأن قومهم قد انقرضوا (قوله بلاغذاء) أى قوت (قوله وأن الساعة) أى القيامة (قوله معمول لأعثرنا) المناسب جعله ظرفاً لمحذوف تقديره اذكر أو لقوله : قال الذين غلبوا (قوله أى المؤمنون والكفار) أى فقال المؤمنون نبى عليهم مسجداً يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا وقال الكفار نبى عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا (قوله ربهم أعلم بهم) يحتمل أن يكون من كلام الله أو من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) أى الذين كانوا

فى زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) أى

وبقى ظهر الكهف مفتوحاً كما تقدم (قوله أى المتنازعون) أى وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة لثلاثة وكذا يقال فى قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجماً بالغيب) أى ظنا من غير دليل ولا برهان (قوله أى المؤمنون) أى قالوا ذلك بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) أى من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تأكيذاً) أى زائدة لأكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الإشارة إلى تصحيح هذا القول دون ما قبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) العطف للتفسير على ما قبله فهما قولان فقط (قوله قل ربى أعلم بعديهم) أى من خبره (قوله ما يعلمهم إلا قليل) أى من خبره (قوله وذكرهم سبعة) أى وهم مكسعيناً وتعليقاً ومرطونى ونيشوس وساريولس وذونوانس

وفاستطونس وهو الراعي واسم كاهنهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولإطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تطفأ باذن الله ، وللبكاء الإطفال والحى المثلثة وللصداع تشد على العضد الأيمن ولأم الصبيان وللركوب في البر والبحر والحفظ للمال ولنماء العقل ونجاة الآمين اه (قوله إلا مرآة ظاهراً) أى غير متعمق فيه بل تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما أنزل إليك) أى وهو القرآن (قوله ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أى لا تسأل أحداً عن قصتهم فان فيما أوحى إليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيّد بالنصارى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وسأله أهل مكة) أى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سألوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسألوه عنها فقال أبقوني غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً أو أربعين حتى شق عليه وتمارت قريش في ذلك (قوله فنزل) أى بعد انقضاء تلك المدة تعالماً لأمتيه الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى فان الإنسان لا يدري ما يفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله أى لأجل شئ) أى مهم به وتريد القدوم عليه (قوله إني فاعل ذلك) المراد بالفعل ما يشمل القول (قوله) (٩) أى فيما يستقبل من الزمان

أشار بذلك إلى أن المراد بالبعد ما يستقبل كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير لا خصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال لا تقولن لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تابسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الح)

إِلَّا مِرْآةً ظَاهِرًا) بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ (وَلَا تَسْتَنَتِ فِيهِمْ) تَطَالِبُ الْفَتْيَا (مِنْهُمْ) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ (أَحَدًا) وَسَأَلَهُ أَهْلُ مَكَّةَ عَنْ خَيْرِ أَهْلِ الْكُهْفِ فَقَالَ أَخْبِرْكُمْ بِهِ غَدًا وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَنَزَلَ (وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي شَيْءٌ) (إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا) أَيْ فِيمَا يَسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أَيْ إِلَّا مَلْتَبَسًا بِمَشِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ تَقُولَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ) أَيْ مَشِئَتَهُ مُعَلِّقًا بِهَا (إِذَا نَسِيتَ) التَّعْلِيقُ بِهَا وَيَكُونُ ذِكْرُهَا بَعْدَ النِّسْيَانِ كَذِكْرِهَا مَعَ الْقَوْلِ قَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ مَا دَامَ فِي الْمَجْلِسِ (وَقُلْ يَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا) مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْكُهْفِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّتِي (رَشَدًا) هِدَايَةِ وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ) بِالتَّنْوِينِ (سِنِينَ) عَظُفَ بَيَانٍ لثَلَاثَةِ مِائَةٍ ، وَهَذِهِ السَّنُونَ الثَّلَاثَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ شَمْسِيَّةٌ ، وَتَزِيدُ الْقُمْرِيَّةُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعَرَبِ ،

أى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال إن شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام في المجلس) أى ولو انفصل عن الكلام السابق . وقال ابن عباس يجوز انفصاله إلى شهر وقيل إلى سنة وقيل أبداً وقيل إلى أربعة أشهر وقيل إلى سنتين ، وقيل ما لم يأخذ في كلام آخر وقيل يجوز بشرط أن ينوى في الكلام وقيل يجوز انفصاله في كلام الله تعالى لأنه أعلم بمراده لا في كلام غيره وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تتصل وأن يقصد بها حل اليمين ولا يضر الانفصال بنفس أو سمع أو عطاس ولا يجوز تقايد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر (قوله وقل) أى لأهل مكة (قوله أن يهديني) أى يداني (قوله في الدلالة) متعلق بأقرب (قوله رشداً) إما مفعول مطلق ليهديني لموافقته له في المعنى وإليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييزاً لأقرب أى لأقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداه لما هو أعجب وأطاعه على ما هو أغرب حيث شاهدنا شاهد في ليلة الاسراء وأعطاه علوم الأولين والآخرين وفاق علمهم بعالم لم يطاع عليها أحمد سواء وأشار المفسر بذلك إلى أن الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق (قوله ولابثوا في كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا في مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لأن تمييز المائة في الكثير مفرد مجرور وفي قراءة بالاضافة وعابها فتكون من القليل . قال ابن مالك :

ومائة والألف لله دأضف ومائة بالجمع نورا قد روى

(قوله تسع سنين) أى لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلاث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك إلى أن حذف المميز من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله قل الله أعلم بما لبثوا) إن قلت مافائدة الاخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك أجيب بأوجه أحدها أن المعنى قل الله أعلم بأن الالفائة سنة والتسع قمرية لشمسية خلافاً لزعم بعض الكفار أنها شمسية . ثانياً أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته . ثالثاً أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده . وأعلم أنه اختلف في أصحاب الكهف هل ماتوا ودفنوا أو هم نيام وأجسامهم محفوظة ، والصحيح أنهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حين تأتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة ، وفي رواية «مكتوب في التوراة والانجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجاً ومعتماً ويجمع الله له ذلك فيجعل الله حوار به أصحاب الكهف والرقم فيمرون حاجاً فانهم لم يحجوا ولم يموتوا» اه (قوله أى علمه) أى علم السموات والأرض وما غاب فيهما (قوله على جهة المجاز) أى لأن التعجب استعظام أمر خفى سببه ، وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى فاحاطته بالوجودات سمعاً وبصراً وعلماً أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورى ، وإنما المقصود ذكر العظمة لاحقية التعجب (١٠) (قوله من ولى) إمام مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) أى قضائه

(قوله وأتل ما أوحى إليك) أى ولا تعتبر بهم (قونه لا مبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد أن يغير شيئاً من القرآن فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة (قوله ملجأ) أى تلجئ إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر نفسك) فى هذه الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بمراعاة فقراء المسلمين والجالوس معهم وهى أبلغ من آية الأنعام لأن تلك إنما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجالوس معهم كأن الله يقول له احبس نفسك على ما يكرهه غيرك من رثاة ثياب الفقراء وراحتهم الكريمة ، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم فإن حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع . قال الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر الهوس

(قوله مع الذين يدعون ربهم) أى يعبدونه (قوله بالغداة والعشي) المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل والعشي أوائل الليل وأواخر النهار وحيث قد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوم يريدون وجهه) أى يقصدون بعبادتهم ذات ربه ورضاه عليهم (قوله لاشئنا من أعراض الدنيا) أى ولا شيئاً من نعيم الجنة وهذا مقام السكمل والصحابة به أخرى (قوله تنصرف عيناك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لا تعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينيك بالنصب لأنه فعل متعد مع أن التلاوة بالرفع لا غير فاجاب المفسر بأنها وإن كانت بالرفع إلا أنها ترجع لمعنى النصب لأن الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة مسند لاصحابها ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى عيناك والشرط موجود وهو كون المضاف جزءاً من المضاف إليه والمعنى لا تنصرف عيناك عنهم حال كونك ملأ زينة الدنيا بمجالسة

الأغنام وصحبة أهل الدنيا والخطاب للنبي والراد هو وغيره ، وإنما نوطب النبي وإن كان معصوماً من ذلك تسلياً للفقراء وتطميناً لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) أى الفزارى أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم لحيان وعليه ثملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه ، فقال عيينة للنبي أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرفنا إن أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحنك حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاها النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بغير وكذلك أعطى الأقرع بن حابس وأعطى للعباس بن مرداس أربعين بغيراً ، وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى ، فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذى جعل فى أمى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » (قوله فرطاً) مصدر فرط ضاعى أى متجاوزاً فيه الحد (قوله وقل له) أى لعيينة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) أى تخويف وردع لا تخيير وإباحة لذكره الوعد الحسن على الإيمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله إنا أعتدنا) راجع لقوله - ومن (١١) شاء فليكفر - وقوله - إن الذين آمنوا - راجع لقوله

وهو عيينة بن حصن وأصحابه (وَأَتَّبَعَ هَوِيَّ) فى الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافاً (وَقُلْ) له ولأصحابه هذا القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (تهديد لهم) (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) أى الكافرين (نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ مُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يَقَاتُوا بِمَاءٍ كَالْهَلِ) كعكر الزيت (يَشْوَى الْوُجُوهُ) من حره إذا قرب إليها (بِئْسَ الشَّرَابُ) هو (وَسَاءَتْ) أى النار (مُرْتَفَقًا) تمييز منقول عن الفاعل أى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفقاً وإلا فأى ارتفاق فى النار (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام الضمر والمعنى أجرهم أى ثيبهم بما تضمنه (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) قيل من زائدة ، وقيل للتبويض وهى جمع أسورة كأهرة جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ،

يناثوا) فيه مشاكلة لقوله - وإن يستغيثوا - وترجم بهم إذا لا غائث فيه لأنه لا ينقذ من المهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحيتين هو اسم لما يبقى فى إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه وهو تشبيه فى الصورة وإلا فهو نار كما وصفه بقوله - يشوى الوجوه - (قوله أى قبح مرتفقها) أى خول الاسناد إلى النار ونصب مرتفقاً على التمييز لأن ذكر الشئ مبهم ثم مفسراً أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) أى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتى فى الجنة (قوله وإلا) أى لا نقل إنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها إقامة الظاهر مقام الضمر) أى وهو الرابط لأنه بمعنى الموصول الذى هو اسم إن على حد سعاد الذى أضناك حب سعاداً (قوله أى ثيبهم) تفسير لقوله لا نضيع (قوله بما تضمنه) أى بثواب تضمنه أولئك إلى قوله - وحسنت مرتفقاً - وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب الأول - جنات عدن - الثانى - تجرى من تحتهم الأنهار - الثالث - يحلون فيها - الرابع - ويلبسون ثياباً - الخامس - متكئين - الخ (قوله تجرى من تحتهم) أى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) أى بدليل آية هل أتى وحاولوا أساور (قوله وهى جمع أسورة) أى فأساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية أخرى من فضة وفى أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الأساور الثلاثة لما ورد « أنه يسور المؤمن فى الجنة بثلاث أسورة من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الصحيح « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

(قوله من سندس وإستبرق) جمع سندسة وإستبرقة ، وقيل ليسا سبعين (قوله من الديباج) أى الحرير (قوله بطائنها) أى الفرش (قوله متكئين فيها) حال عامها محذوف : أى يجلسون متكئين (قوله جمع أريكة) أى كسفية ولا يقال له أريكة إلا إذا كان فى داخل الحجلة وبدونها سرير وتقدم أن السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله فى الحجلة) بفتحين فى محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل فى الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره إشارة إلى أن الخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتقفا) أى منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمنا وأخوه الأسود ابن عبد الأسود وكان كافرا فشبههما الله برجلين من بنى إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تلميذا والآخر كافر واسمه قبطوس وهما اللذان وصفهما الله فى سورة الصافات بقوله - قال قائل منهم إني كان لى قرين - الآيات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال : كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار ، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسماها فاشتري أحدهما أرضا بألف دينار ، فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار ، فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإنى أشتري منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا : اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار (١٢) فتصدق بها ، ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا : اللهم

إني أشتري منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أنبت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم . قال ما شأنك ؟ قال أصابتنى حاجة بعد فأنتك لتعيننى بخير . قال فما فعل بك ؟ قال وقد اقسمتا مالا وأخذت بشره نقص عليه قصته ، فقال وإنك لمن الصديقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فزل فيهما - فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - الخ ، وليس هذا مخصوصا ببنى سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله يدل) أى ويصح أن يكون مفعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنيين (قوله وحفناهما بنخل) أى جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زراعا) أى ليكون جامعا للأقوات والنواكه (قوله مفرد) أى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فتثنى (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضممة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنيتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالثنى فيعرب بالحروف (قوله أنت آكلهما الخ) هذا كناية عن ثمرها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وجفرتا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) أى يسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أى لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التى هى من غير الجنيتين كالنقد والواشى وصلى ثمر لأنه ثمر : أى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعة (قوله وهو جمع ثمرة) أى بفتحين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وإنما الاختلاف فى الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

إني أشتري منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أنبت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم . قال ما شأنك ؟ قال أصابتنى حاجة بعد فأنتك لتعيننى بخير . قال فما فعل بك ؟ قال وقد اقسمتا مالا وأخذت بشره نقص عليه قصته ، فقال وإنك لمن الصديقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فزل فيهما - فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - الخ ، وليس هذا مخصوصا ببنى سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله يدل) أى ويصح أن يكون مفعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنيين (قوله وحفناهما بنخل) أى جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زراعا) أى ليكون جامعا للأقوات والنواكه (قوله مفرد) أى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فتثنى (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضممة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنيتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالثنى فيعرب بالحروف (قوله أنت آكلهما الخ) هذا كناية عن ثمرها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وجفرتا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) أى يسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أى لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التى هى من غير الجنيتين كالنقد والواشى وصلى ثمر لأنه ثمر : أى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعة (قوله وهو جمع ثمرة) أى بفتحين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وإنما الاختلاف فى الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

كشجرة

فأنتك لتعيننى بخير . قال فما فعل بك ؟ قال وقد اقسمتا مالا وأخذت بشره نقص عليه قصته ، فقال وإنك لمن الصديقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فزل فيهما - فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - الخ ، وليس هذا مخصوصا ببنى سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله يدل) أى ويصح أن يكون مفعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنيين (قوله وحفناهما بنخل) أى جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زراعا) أى ليكون جامعا للأقوات والنواكه (قوله مفرد) أى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فتثنى (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضممة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنيتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالثنى فيعرب بالحروف (قوله أنت آكلهما الخ) هذا كناية عن ثمرها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وجفرتا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) أى يسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أى لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التى هى من غير الجنيتين كالنقد والواشى وصلى ثمر لأنه ثمر : أى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعة (قوله وهو جمع ثمرة) أى بفتحين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وإنما الاختلاف فى الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

(قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شذیعة . الأولى أنا أكثر منك الخ . والثانية ودخل جنته الخ . الثالثة وما أظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أى برأيه بالكلام الذى فيه الافتخار (قوله أنا أكثر منك مالا الخ) أنا مبتدأ وأكثر خبره ومنك متعلق بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدأ والأصل مالى أكثر منك بخذف للمبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فأنفصل وجعل المبتدأ فى الأصل تمييزاً ويقال فى قوله وأحرز نفراً ما قيل هنا (قوله ويريه آثارها) أى برهنتها وحسنها ، وفى نسخة آثارها وهى ظاهرة (قوله وهو ظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) أى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا ما يقال إنه ينكر البعث فكيف يقول ذلك ؟ فأجاب بأنه مجازاة له فى زعمه (قوله مرجعاً) أشار بذلك إلى أن منقلباً تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل (قوله قال له صاحبه) أى وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق (١٣) الف والنشر المشوش (قوله

أ كفرت) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى لا ينبغي ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للآلة الأخيرة (قوله رجلاً) مفعول ثان لسواك لأنه بمعنى صبرك كما قال المفسر (قوله لكنا) استدراك على قوله أ كفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن . واختلف القراء فى وصل لكنا فبعضهم يثبت ألفا بعد النون وبعضهم يحذفها وفى الوقف تثبت قولاً واحداً الثبوتها فى الرسم (قوله أو حذفت الهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم أدغمت النون أى بعد نسيكها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة

كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) المؤمن (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يفاخره (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) عشيرة (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) بصاحبه يطوف به فيها ويريه آثارها ، ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالكفر (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ) تنعدم (هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي) فى الآخرة على زعمك (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْتَلَبًا) مرجعاً (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يجاوبه (أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) لأن آدم خلق منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ سَوَّكَ) عدلك وصبرك (رَجُلًا . لَكِنَّا) أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون فى مثلها (هُوَ) ضمير الشأن تفسره الجملة بعده ، والمعنى أنا أقول (اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَوْلَا) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ثُلُثًا) عند إعجابك بها هذا (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) وفى « من أعطى خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يرفيه مكروها » (إِنْ تَرَنْ أَنَا) ضمير فصل بين المفعولين (أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ) جواب الشرط (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) جمع حسبانة أى صواعق (مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم (أَوْ يُصْبِحُ مَآوِهَا غَوْرًا) بمعنى غائراً عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) حيلة تدركه بها ،

فتدعم حالا (قوله ضمير الشأن) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرباط لأنها عينه فى المعنى وهو معها خبر عن أنا والرباط الياء من ربى (قوله ولا أشرك بربى أحداً) مراده لا أكفر به لأن إنكار البعث كفر (قوله ولولا إذ دخلت جنتك) هذا رد للآلة الثانية ولولا تحضيضية داخلية على قلت وإذ ظرف لقات مقدم عليه وجملة ما شاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم يرفيه مكروها) أى لم يصب فيه بصيبة (قوله إن ترن) هذا رد للآلة الأولى (قوله ضمير فصل) أى وأقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبراً عن أنا ومالا وولداً تمييزان وقوله فعسى الخ جواب الشرط (قوله أن يؤتين) يحتمل أن يكون فى الدنيا أو الآخرة (قوله جمع حسبانة) أى فهو اسم جنس جمى يفرق بينه وبين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائراً) أى ذاهباً فى الأرض (قوله لأن غور الماء الخ) أى أو يقال إنه يفسر الحسبان بالقضاء الإلهى وهو عام يتسبب عنه إما إصباح الجنة صعيداً زلقاً أو مأوها غوراً وعلى هذا فيكون معطوفاً على يصبح .

(قوله وأُحيط بثمره) أى أهواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله بأوجه الضبط) أى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائها) جمع دعاة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليمتد الكرم عليه (قوله ويقول يا ليتنى) أى تحسرا وندما على تلف ماله لا توبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) أى يدفعون عنه الهلاك (قوله وما كان منتصرا) أى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح أن يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخر أو تكون هذه الجملة مستقلة أو معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) أى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرهما وكذا قوله وبالجر فالقراءات أربع سبعيات (قوله خير ثوابا) أى إثابة (قوله لو كان يثيب) أى قاسم التفضيل على بابه على فرض أن غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) أى أن عاقبة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صبر) أى شبه (قوله) (١٤) مثل الحياة الدنيا) أى صفتها وحالها وهيئتها (قوله كماء) أى كصفة وحال وهيئة

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلاك (فَأَصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَّيْهِ) ندما وتحسرا (عَلَى مَا أَتَقَقَّ فِيهَا) فى عمارة جنته (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) دعائها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (وَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (لَهُ فِئَةٌ) جماعة (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) عند هلاكها (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) عند هلاكها بنفسه (هُنَالِكَ) أى يوم القيامة (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو النصرة وبكسرهما الملك (لِلَّهِ الْحَقُّ) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وَخَيْرُ عُقْبًا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبتها على التمييز (وَأَضْرِبْ) صير (لَهُمْ) لقومك (مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مفعول أول (كماء) مفعول ثان (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) تكاثف بسبب نزول الماء (نَبَاتُ الْأَرْضِ) أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فَأَصْبَحَ) صار النبات (هَشِيمًا) يابساً متفرقة أجزاؤه (تَذَرُوهُ) تنثره وتفرقه (الرِّيحُ) فتذهب به ، المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح وفى قراءة الريح (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) قادراً (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتجمل بهما فيها (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، زاد بعضهم : ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى - كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يبيح فتراهم مصفرا ثم يكون حطاما - (قوله تكاثف) أى غاظ والتف بعضه على بعض (قوله أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لاختلاط ومن العلوم أن الامتزاج من الجانبين فصح نسبته إلى النبات وإن كان فى عرف اللغة والاستعمال أن الباء تدخل على الكثير غير الطارى وقد دخلت هنا على الكثير الطارى مبالغة فى كثرة الماء حتى كأنه الأصل (قوله فروى)

بفتح الراء وكسر الواو أى ارتوى (قوله هشيما) أى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل أمر وفاعله مستتر عائذ على النبي صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وكان الله) أى ولم يزل (قوله قادرا) المناسب أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) أى وهو الذهب والفضة والحيل السومة والأنعام والحراث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ، ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) أى وتسمى غراس الجنة أى أن بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس له شجرة فى الجنة فيها ما تشتهى الأنفس وتلك الأعين . وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقيل أركان الاسلام وقيل كل ما يثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الأتم وإنما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ، ولذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بصلاة التسابيح ولو فى العمر مرة ، وأوصى الحليل رسول الله بأن يأمر أمته أن يكثرُوا من غراس الجنة كما فى حديث الاسراء

(قوله خير عند ربك) التاضيل ليس على بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا أن السعى على العيال من الخير لأنه من خير الباقيات الصالحات لا من خير الزينة ، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله ويرجوه) عطف تفسير (قوله ويوم تسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) أى غباراً وقوله منبثاً أى مفرقاً كما في سورة الواقعة (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضاً (قوله وترى الأرض) أى تبصرها (قوله ولا غيره) أى من بناء وشجر وبحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أى به ماضياً إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبدل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم نقادر) عطف على قوله حشرناهم والمغادرة من جانب ولذا فسرنا بقوله نترك (قوله حال) أى من الواو في عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع ، فالمعنى جميعاً ونظيره قوله تعالى - ثم اتوا صفاء - أى جميعاً أو المراد صفوفاً لما ورد «أهل الجنة مائة وعشرون أتم منها ثمانون» ، وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأمرع الخاسبين (١٥) يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فانكم مسئولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب» (قوله ويقال لهم) أى توبيخاً وتقريعاً (قوله أى فرادى) أى منفردين عن المال والبنين (قوله غرلاً) جمع أغرل أى غير محتونين (قوله بل زعمتم) أى قلتم قولاً كذباً (قوله أى أنه) أى الحال والشأن (قوله موعداً) أى مكاناً تبعثون فيه (قوله ووضع الكتاب) هو بالبناء للمفعول في قراءة

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً) أى ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى (وَ) اذكر (يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثاً وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره (وَحَشَرْنَاهُمْ) المؤمنين والكافرين (فَلَمْ تُغَادِرْ) تترك (مِنْهُمْ أَحَدًا) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا) حال أى مصطفىين كل أمة صف ويقال لهم (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى فرادى حفاة عراة غرلاً ، ويقال لمنكرى البعث (بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ) مخففة من الثقيلة أى أنه (لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) للبعث (وَوَضِعَ الْكِتَابُ) كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (مُشْفِقِينَ) خائفين (يَمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ) عند معاينتهم ما فيه من السيئات (يَا) للتنبيه (وَيَلْتَنَّا) هلكتنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) من ذنوبنا (إِلَّا أَحْصَاهَا) عدّها وأثبتها تعجبوا منه في ذلك (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتاً في كتابهم (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (وَإِذْ) منصوب باذكر (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود الخناء لا وضع جهة تحية له ،

العامة وقرئ شذوداً بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله في يمينه) أى حين يقرؤه يبيض وجهه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه إلى آخر ما في سورة الحاقة (قوله وفي شماله من الكافرين) أى حين يقرؤه يسود وجهه ويقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) أى هلاكنا والقصود التحسر والتندم ، وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلاً لها منزلة العاقل فكأنه يقول يا هلاكى احضرى فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) أى الويل وقوله لافعل له من لفظه أى بل من معناه وهو هلاك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره : أى أى شيء ثبت لهذا الكتاب (قوله لا يفادر) الجملة حالمة من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله في ذلك) أى الإحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك أحداً) أى لا يعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذا ظرف لذلك المقدر ، والمعنى اذكر يا محمد أقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت في القرآن مراراً لأن معصية إبليس أول معصية ظهرت في الخلق (قوله سجود الخناء) جواب عما يقال إن السجود لغير الله كفر ، وتقدم الجواب بأن السجود لله وآدم كالقبلة أو أن محل كون السجود لغير الله كفراً إن لم يكن هو الأمر به وإلا فالكفر في المخالفة

(قوله فسجدوا) أى جميعا (قوله قبل هم نوع من الملائكة) أى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتوالدون ويصون (قوله وإبليس أبو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعاً وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه أباً إذ الأب يستلزم ابناً (قوله ففسق عن أمر ربه) أى تكبرا وحسدا (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخي، والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير في تتخذونه، قال مجاهد: من ذرية إبليس لاقس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزانمور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح الساع وثر وهو صاحب الصائب يزين خدش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسم (١٦) ولم يذكر الله دخل معه اه قال القرطبي: واختلاف هل لإبليس أولاد

من صلبه فقال الشعبي سألني رجل فقل هل لإبليس زوجة؟ فقلت إن ذلك عرس لم أشهده ثم ذكرت قوله تعالى: أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني، فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم. وقال مجاهد إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذريته، وقيل إن الله خاق له في فخذه الجنى ذكرى وفي فخذه اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج

(فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل، وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الخطاب لآدم وذريته والماء في الموضعين لإبليس (أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) تطيعونهم (وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أى أعداء حال (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) إبليس وذريته في طاعتهم بدل إطاعة الله (مَا أَشْهَدُهُمْ) أى إبليس وذريته (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) أى لم أحضر بعضهم بعض (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ) الشياطين (عَضْدًا) أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم (وَيَوْمَ) منصوب باذكر (يَقُولُ) بالياء والنون (نَادُوا شُرَكَائِيَ) الأوثان (الَّذِينَ زَعَّمْتُمْ) ليشفعوا لكم بزعمكم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لم يجيبوهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْأَوْثَانِ) وعابديها (مَوْبِقًا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) أى أيقنوا (أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) أى واقعون فيها (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَكْثَرَ شَيْءًا جَدَلًا):

من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانه فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عند أيهم منزلة أعظمهم في بنى آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) أى بدل طاعتي (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببديلا الواقع تمييزا للفاعل المستتر وقوله إبليس وذريته بيان للخصوص بالدم المحذوف والأصل بئس البديل لإبليس وذريته (قوله أى إبليس وذريته) تفسير للضمير في أشهدتهم فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السموات والأرض ولا حين خلقت أنفسهم فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم (قوله وما كنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع الضمر (قوله عضدا) هو في الأصل العضو الذى هو من المرفق إلى الكتف ثم أطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم في مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) أى زعمتموهم شركاء فالفعولان محذوفان (قوله ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) أى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار) أى عابثوها من مسيرة أربعين عاما (قوله مصرفا) أى مكانا يحلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) أى معنى غريب بديع بشبه

المثل في غرائبه (قوله خصومة في الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كغير الجدل في الباطل بل هو شديد الخصومة في الحق (قوله ويستغفروا) عطف على أن يؤمنوا (قوله إلا أن تأتيهم سنة الأولين) الكلام على حذف مضاف أي إلا انتصارهم وطلبهم إتيان مثل سنة الأولين بقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهي الإهلاك) أي الذي يستأصاهم (قوله المقدر) أي في الأزل وقوله عليهم أي الأولين (قوله أو يأتيهم) أي الناس (قوله ملة وعيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله أي أنواعا) تفسير لقبلا بضمين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب أن يقول أي جميع ما جاءت به الرسل (قوله آياتي) المناسب تفسيرها بجزات الرسل لخصوص القرآن لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيره (قوله وما أنذروا) ماموصولة والعائد محذوف أي الذي أنذروا به أو مصدرية أي إنذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة الواو سبعين (قوله أعرض عنها) أي لم يتدبرها وقت تذكره (١٧) بها (قوله إنا جعلنا) بمنزلة التعليل

قوله فأعرض (قوله لا يسمعونه) أي سماع نفهم وارتفاع (قوله لعجل لهم العذاب) أي المستأصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعود الزمان المعد لهم ويصح أن يراد به المكان (قوله لن يجسدوا من دونه) أي العذاب (قوله موثلا) الموثل المرجع من وال يسأل أي رجوع ويقال للرجاء أيضا ، يقال وال لان إلى فلان إذا لجأ إليه ، والمعنى لن يجسدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه كناية عن عدم خلوصهم منه (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن

خصومة في الباطل ، وهو تمييز منقول من اسم كان . المعنى وكان جدل الانسان أكثر شيء فيه (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) أي كفار مكة (أَنْ يُؤْمِنُوا) مفعول ثان (إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى) القرآن (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) فاعل : أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قَبْلًا) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر ، وفي قراءة بضمين جمع قبيل أي أنواعا (وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) للمؤمنين (وَمُنْذِرِينَ) للكافرين (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُدْحِضُوا بِهِ) ليطلوا بجدهم (الْحَقَّ) القرآن (وَأَخْذُوا آيَاتِي) أي القرآن (وَمَا أَنْذِرُوا) به من النار (هَزُوا) سخرية (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما عمل من الكفر والمعاصي (إِنَّا جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفقهوا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا) أي بالجميل المذكور (أَبَدًا . وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُهُمْ فِي الدُّنْيَا) بما كتبوا أمجل لهم العذاب فيها (لَنْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا) ملجأ (وَتِلْكَ الْقُرَى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرها (أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وَجَعَلْنَا لِمُلُوكِهِمْ) لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي هلاكهم (مَوْعِدًا . وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِقَتِيهِ) ،

الكلام على حذف مضاف (قوله أهلكناهم) أي في الدنيا كما قال تعالى : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لمهلكهم) أي هلاكهم المذكور وقتا معيننازل بهم فيه وكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراءات السبعة ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف المحذوف ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ ، ويراد اذكرهم قصته وما وقع له مع الحضرة عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أي رسول بني إسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الحضرة لأن الكامل يقبل الكمال سواء قلنا إن الحضرة نبى أو ولي فاستفادته منه لا تقدح في كونه أفضل منه لأن تلك منزلة وهي لا تقتضى الأفضلية ، يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه أهل الناس أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله - وقل رب زدنى علما - خلافا لمن زعم أنه موسى بن ميشان بن يوسف بن يعقوب وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران [٣ - صامى - ثالث]

لنحنا بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكله بلا واسطة ، أعطاه المعجزات العظيمة الباهرة وبعد أن يستفيد من مطلق نبى أو ولي ، وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن إفرايم بن يوسف أرسله الله بعد موسى فقاتل الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته في سورة المائدة (قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى وكان ابن أخته ، وقيل كان عبدا له وهو بعيد لأن شرط النبى الحرية (قوله لا أبرح) هى من أخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله أسير أى لا أبرح سائرا (قوله ملتي بحر الروم الخ) أى وملتقاها عند البحر المحيط (قوله مما إلى المشرق) أى وذلك بأفريقية (قوله دهرًا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة ، وقيل سنة واحدة بلغة قريش ، وقيل سبعون ويجمع على أحقاب كعنق وأعناق (قوله إن بعد) أى إن لم أدركه ، والمعنى لا بد من سيرى إلى أن أبلغ مجمع البحرين أو أسير زمنا طويلا حتى أياس من الوصول (قوله بين البحرين) أشار بذلك إلى أن بين ظرف وهو الموضع الذى وعد موسى أن يجتمع فيه بالحضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا ، وقيل كان مملحا وقد أكل منه زمنا طويلا قبل أن يدركا الصخرة (قوله نسي يوشع حملة) (١٨) هذا يقتضى أنه كان موجودا على البر حين نسيه يوشع ، ولكن

الموجود في القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التى عندها عين الحياة فلما ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فاتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء فهذا يتمضى أنه نسي إخبار موسى بما رأى فالمناسب للمفسر أن يقول نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب . إن قلت إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه . أجيب بأنه أدهش من

يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم (لَا أَبْرَحُ) لا أزال أسير (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) ملتي بحر الروم وبحر فارس مما إلى المشرق أى المكان الجامع لذلك (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) دهرًا طويلا فى بلوغه إن بعد (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا) بين البحرين (نَسِيَا حُوتَهُمَا) نسي يوشع حملة عند الرحيل ونسي موسى تذكيره (فَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ) أى جعله بجمل الله (سَرَبًا) أى مثل السرب ، وهو الشق الطويل لا تقاذله . وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جرى الماء فانجاب عنه فبقى كالكوكة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فَلَمَّا جَاوَزَا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثانى يوم (قَالَ) موسى (لِفَتِيهِ أَتَيْنَا غَدَاءَنَا) هو ما يؤكل أول النهار (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) تعبًا وحصوله بعد المجاوزة (قَالَ أَرَأَيْتَ) أى تنبه (إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ) بذلك المكان (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) يبدل من الماء (أَنْ أَذْكُرَهُ) بدل اشتغال أى أنساني ذكره (وَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) مفعول ثان أى يتمعجب منه موسى وفتاه ،

عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التى ترتبت على ذلك

(قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون في الآية تقديم وتأخير ، والأصل فأدركته الحياة فخرج من المكمل وسقط في البحر فاتخذ سبيله (قوله سرى) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) أى سبب ذلك (قوله فانجاب) أى انقطع الماء وانكشف (قوله فبقى) أى صار (قوله كالكوكة) هى بالفتح نقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) أى يلتصق حتى يرجع إليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ما تحته) أى جعل الحوت لا يمس شيئا في البحر إلا يمس (قوله ذلك المكان) أى مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) أى الذى وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبًا) مفعول بلقينا (قوله وحصوله بعد المجاوزة) إنما كان حصول النصب بعد المجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والقشوق ، وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله أى تنبه) أى تذكر واستمع لما ألقىه إليك من شأن الحوت (قوله فإني نسيت الحوت) أى نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما أنسانيه إلا الشيطان) . إن قلت إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء . أجيب بأنه أضاف النسيان إليه هضمًا لنفسه (قوله أى يتمعجب منه موسى وفتاه) أى حيث أكل من الحوت شقه الأيسر ثم حيى بعد ذلك .

(قوله لما تقدم في بيانه) أى وهو قوله وذلك أن الله أمسك عن الحوت جرى الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدوا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة في البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجله فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال له موسى ومن أخبرك أنى نبي بني إسرائيل، فقال الذى أدراك بى وذلك على ثم قال لقد كان لك فى بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربى أرسلنى إليك لأتبعك وأنعم منك (قوله من عبادنا) الإضافة لقشريف المضاف : أى من عبيدى الخصوصيين (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها وبكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة ومعناه بالعربية أحمد بن ملسكان وكنيته أبو العباس. قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك (قوله نبوة فى قول) أى وقد صححه جماعة والجمهور على أنه حتى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء (١٤) ويأخذون عنه. قال العارف

السيد البكرى صاحب
ورد السحر فى توسلاته :

بنقيهم فى كل عصر
الخضر أبى الـ

عباس من أحياءه وصاله
حتى وحقت لم يقل بوفاته
إلا الذى لم ياق نور جماله
فعليه منى كلام الصبا
أزكى سلام طاب فى إرساله
وقد اجتمع برسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخذ
عنه فهو صحابى (قوله من
لدا) أى مما يختص بنا
ولا يعلم بواسطة معلم من
أهل الظاهر (قوله
خطيبا) أى واعظا يذكرك
الناس حتى فاضت العيون

لما تقدم في بيانه (قال) موسى (ذلك) أى فقدنا الحوت (ما) أى الذى (كنا نبع) نطلبه فإنه علامة لما على وجود من نطلبه (فارتدّا) رجعا (على آثارهما) يقصانها (قصصا) فأتيا الصخرة (فوجدّا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) نبوة فى قول، وولاية فى آخر وعليه أكثر العلماء (وعلمناه من لدنا) من قبلنا (علما) مفعول ثان أى معلوما من الغيبات، روى البخارى حديث «إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لى عبدا بجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكمل فحينما فقدت الحوت فهو ثم تأخذ حوتا فجعله فى مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعوا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكمل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر صربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال وكان للحوت صربا ولموسى ولفته عجبا الخ (قال له موسى هل أتبعك،

ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر (قوله إذ لم يرد العلم إليه) أى فكان عليه أن يقول مثلا الله أعلم، وهذا من باب عتاب الأجباب تأديبا لموسى وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر (قوله هو أعلم منك) أى فى خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذى أوحاه الله إلى موسى قليل فلذلك رغب موسى فى حيازته لعله (قوله فكيف لى به) أى فلما سمع موسى هذا نشوت نفسه الزكية وهمته العلمية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تأخذ معك حوتا) لعل الحكمة فى تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله فى البحر (قوله فتجعله فى مكمل) هو الزنبيل بكسر الزاى من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) أى هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء المقوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) أى بما حصل من أمره (قوله قال موسى) أى بعد أن صليا الظهر من اليوم الثانى (قوله قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن تفسير الآية (قوله قال له موسى) أى بعد أن تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل أتبعك) استفهام تعطف رعاية للأدب فى حق المعلم وبذلك الأدب يحصل النفع والسودد.

(قوله على أن تعلمنى) أى ليس لى قصد فى اتباعك إلا لتعلمك إياى لاشيئا من الأغراض غير التعليم (قوله رشدا) مأخوذ من قولهم رشداً أى لتعلمنى : أى لتعلمنى صواباً من الذى علمك الله (قوله وفى قراءة) أى وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الأولى فيكون من باب طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال إن موسى من أولى العزم ونبي ورسول جزماً وأسمعه الله كلامه وأعطاه التوراة وهو أفضل من الخضر فكيف يسمى إليه ويتعلم منه ، فأجاب بأن الزيادة فى العلم مطلوبة على أن علم الخضر لا يحتاج إليه موسى فى شرعه وإنما هى مزية خص بها الخضر وأمر الله موسى أن يأخذها عن الخضر ويكتملها لتكمله جميع المزايا ولا يقتضى أن الخضر أعلم منه لأن موسى كامل فى علمه لا يحتاج شريعته إلى شيء من علم الخضر وإنما علمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها (قوله قال إنك لن تستطيع معى صبرا) أى لما ترى من مخالفة شرعك ظاهراً لأن المتعلم قسمان : متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما ألقى إليه ، ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم غير أنه يريد أن يزداد علماً على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً عرضه على ما عنده (٢٠) فان وافقه وإلا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام تعجبي (قوله إني على

علم) أى وهو علم الكشف
(قوله وأنت على علم)
أى وهو علم ظاهر
الشريعة (قوله مصدر)
أى مفعول مطلق مؤكّد
لعامله فى المعنى لأن لم تحط
بمضى لم تخبر والخبر بالضم
معناه العلم والأوضح أنه
تمييز نسبة : أى لم تحط به
من جهة العلم (قوله أى
وغير عاص) أشار بذلك
إلى أن قوله ولا أعصى
معطوف على صابرا ولا
بمعنى غير (قوله لأنه لم
يكن على ثقة من نفسه)
أى فكأنه قال ستجدنى

صابرا إن وافق شرعی أو أوحى الله إلى في شأنه فأنا لا أدري ما يفعله الله

ولم يقل الخضر إن شاء الله لأن الله أطامه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبرا (قوله أن لا يثقلوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعدها بالي (قوله فلا تسألني) أي لا تبادرنني بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أي مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة (قوله في علمك) أي بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره إشارة إلى أنه المغيث بحق (قوله بعلمته) أي حكمته وسببه (قوله فانطلقا) أي ومعهما يوشع وإسماعيل يذكر في الآية لأنه تابع والقصود ذكر موسى والخضر ، وقبل لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) أي يطاiban سفينة فوجدوا سفينة فركبها فقال أهلها هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع ، فقال صاحب السفينة ما هم بأصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء ، وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما روا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة حملوهم بغير نول : أي عوض (قوله بفأس) بالهمزة وجمعه فؤوس : أي القدوم (قوله لما بلغت اللجج) اللج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان .

(قوله روى أن الماء لم يدخلها) وقيل إن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله في الحرق (قوله بما نسبت) أى بالأمر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع به ، وقيل أراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة الجين ، والمراد لم يبلغ حد التكليف من باب إطلاق المألوم وإرادة اللزوم (قوله مع الصبيان) أى وكانوا عشرة (قوله أو اقتلع رأسه بيده) أى بعد أن لوى عنقه (قوله لأن القتل عقب اللقي) أى بخلاف السفينة فإن الحرق لم يكن عقب ركوبها لهذا لم يأت بالفاء (قوله وفى قراءة) وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) أى من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعاق بقتلت (قوله لقد جئت) أى فعلت (قوله نكرا) هو أعظم من الإسر لأن فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه ، وقيل بالعكس لأن الأمر (٢١) قتل أنفس متعددة بسبب

الحرق فهو أعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لأنه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان والنون للوقاية أتى بها لتقى الفعل من الكسر كما أتى بها فى من وعن محافظة على نسكين النون (قوله حتى إذا أتيا أهل قرية) أى وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هى إنطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما فأطعمتهم امرأة من أهل بزريرة فدعوا للنساءهم ولعنا

روى أن الماء لم يدخلها (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (وَلَا تُرْهِقْنِي) تكلفنى (مِنْ أَمْرِى عُسْرًا) مشقة فى صحبتى إياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فَانْطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة يمشان (حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال ، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقي ، وجواب إذا (قَالَ) له موسى (أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً) أى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى لم تقتل نفساً (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضما أى منكراً (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) أى بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركنى أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قبلى (عُذْرًا) فى مفارقتك لى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هى انطاكية (أَسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتدعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكُ) أى يقرب أن يسقط لميلاته (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ) وفى قراءات لا تتخذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جُعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أى وقت فراق (بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سَأُنبِّئُكَ) قبل فراقك (بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

رجالهم ، وعن قتادة شمر القرى من لانضيف الضيف (قوله مائة ذراع) أى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع (قوله فأقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام ، وقيل أقامه بعمود ، وقيل نقضه وبناء (قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى كان ينبغي لك أخذ جعل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير أهله (قوله وفى قراءة) أى باظهار الدال وإدغامها فى التاء على كل فتكون القراءات أربعة سبعيات (قوله بتأويل) أى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر ، وحكمة تخصيص الخضر لموسى تلك الثلاثة ماورد أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أين كان تدبيرك هذا وانت فى التابوت مطروحا فى اليم ، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكرك القبطى وقضائك عليه ، فلما أنكر إقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنى شعيب دون أجر .

(قوله أما السفينة) شروع في وفاة ما وعد الحضر به موسى على سبيل ألف والنشر المرتب. والسفينة تجمع على سفين وسفان ويجمع السفين على سفن بضمين مأخوذة من السفن كأنها تسفن الماء : أي تقشره وصاحبها سفان (قوله لمسا كين عشرة) أي وكانوا إخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر ، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر ، فأما العمال منهم فأحدهم مجذوم ، والثاني أعور ، والثالث أعرج ، والرابع أدر ، والخامس محموم لانتقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعّد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس إلى الروم (قوله فأردت أن أعيبها) أي فإذا رآها الملك معيبة تركها فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على إضمار قد (قوله إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال توجعهم أمامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده ، وقد يجاب بأن قوله : وكان وراءهم : أي في حال توجعهم لكنهم في حال رجوعهم يبرون عليه وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن ، وقوله أو أمامهم الآن : أي ووراء بمعنى أمام. قال تعالى - من ورأه جهنم - (قوله ملك كافر) أي وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) أي صحيحة (قوله نخشينا) أي أن الله أعلم الحضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله (قوله أن يرهقهما) أي يكافهما ويوقعهما في الكفر (قوله طبع كافرا) أي خلق مجبولا على الكفر وحينئذ فيكون مستثنى من حديث « كل مولود يولد على فطرة الاسلام » (قوله لمحبتهما له) علة لابقاعه لهما في الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قرأتان سبعيتان (قوله خيرا) (٢٢) منه اسم التفضيل ليس على بابة إذ لم يكن في الغلام خير أو على بابة باعتبار

أما السفينة فكانت لمسا كين عشرة (يعملون في البحر) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فأردت أن أعيبها وكان وراءهم) إذا رجعوا ، أو أمامهم الآن (ملك) كافر (يأخذ كل سفينة) صالحة (غصبا) نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فإنه كما في حديث مسلم : طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك (فأردنا أن يبدل لهما) بالتشديد والتخفيف (ربهما خيرا منه زكاة) أي صلاحا وتقى (وأقرب) منه (رحما) بسكوى الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدل لهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز) مال مدفون من ذهب وفضة (لهما وكان أبوهما صالحا) لحفظا بصلاحه

زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) أي بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثني عشر نبيا ، وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الحضر من قتل الغلام إنما هو جار على شرعه لا على شرعنا فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يقانوا بالسلاح

في الحرب ولو اطلع شمس على ما اطاع عليه الحضر فلا يجوز له قتل الغلمان ، وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الحضر الغلام الصغير وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين ، فكتب إليه على سبيل المجازاة والتسليم لدعواه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم ، وروى أن موسى لما قال للحضر أقتلت نفسا زكية الآية غضب الحضر واقتلع كتف الصبي الأسير وقشر اللحم عنه وإذافيه مكتوب كافرا لا يؤمن بالله أبدا (قوله فكان لغلامين) اسم أحدهما أصرم والآخر صريم (قوله في المدينة) هي المعبر عنها أولا بالقرية تحقيرا لها لكون أهلها لم يضيفوها وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتغالها على هذين الغلامين وعلى أيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز ، وقيل كان علما في صحف مدفونة ، وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب في أحد جانبيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبت لمن يعرف الدنيا ونقلها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي الجانب الآخر مكتوب : أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه ، والويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل إنه أبوهما مباشرة ، وقيل هو الأب السابع ، وقيل العاشر ، وكان يسمى كاشعا واسم أمهما دنيا ، وفيه دليل على أن نقوى الأصول تنفع الفروع .

(قوله أي إنسان رشدها) أي حق يبلغنا أن يعلم إنسان أشدها : أي قوتها وكاملها (قوله ويستخرجها كنزها) أي من تحت الجدار ولولا فعل ذلك لضاع (قوله بل بأمر إلهام من الله) لم يقل بوحى لعدم الجزم بنبوته (قوله ذلك) أي ما ذكر من الأجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أي أن هذا التغير تنوع في العبارة و بعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير وهي أن الأولى لما كان ظاهرها إفساد محض أضافه لنفسه حيث قال فأردت أدبا مع الله وإن كان الكل منه ، والثاني لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد عبر فيه بقوله فأردنا ، والثالث لما كان إصلاحا محضا أضافه لله بقوله : فأراد ربك ، قيل إن الحضرة لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصني . قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع الالباجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخاطئين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويستأونك) أي الشركون بأمر اليهود فاليهود سبب في السؤال وإن لم تقع منهم للباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذي القرنين) لقب بذلك لما قيل إن له قرنين صغيرين في رأسه ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أي وهو الذي بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أي على الصحيح وإنما كان وليا فقط وما يأتي مما يؤم نبوته فمؤول ومحمول على الإلهام واللقاء في القلب وذلك غير مخصوص بالأنبياء واسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة إبراهيم الخليل فإنه أسلم على يديه ودعاه وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الحضرة وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه ، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلاثمائة سنة ، وفي القرطبي قال وهب بن منبه : كان ذي القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم

في أنفسهما ومالهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أي إنسان رشدهما (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَعَلْتُهُ) أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِي) أي اختياري بل بأمر إلهام من الله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقال استطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك (وَيَسْأَلُونَكَ) أي اليهود (عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قُلْ سَأَتْلُوا) سأقص (عَلَيْكُمْ مِنْهُ) من حاله (ذِكْرًا) خبرا

ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما باع كان عبدا صالحا . قال الله تعالى أي على لسان نبي كان موجودا أو بالهام إذا القرنين إني باعتك : أي سلطانا إلى أم الأرض وهم أم مختلفة السنهم وهم

جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها وأمتان بينهما عرض الأرض كلها وامم في وسط الأرض منهم الجن والإنس وبأجوج ومأجوج ، فأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل ، وأمة في قطر الأرض الأيسر ويقال لها تاويل ، وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطامع الشمس يقال لها منسك ، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، فقال ذو القرنين إلهي لقد ندبني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة أكاثرم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم ، وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة ، فقال الله تعالى سأظفرك بما حمائك أشرح لك صدرا فتسمع كل شيء ، وأثبت لك فهما فتفقه كل شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك ، فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم منه وهي ناسك ، فوجد جنودا لا يحصيها إلا الله وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى والسنة مختلفة وأهواء مشتتة فكاثرم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، فأدخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان اندخلت في أفواههم وأنوفهم وأعيونهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتعجبوا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فعجوا إلى الله بصوت واحد إنا آمننا ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوتهم ، فوجد من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض الجنى بريد هاويل ، وسخر الله له يده وقابه وعقله ونظره فلا يخطئ . إذا عمل عملا ، فاذا أتوا محاضرة أو محاربا نرى سقفا من ألواح صفار أمثال النعال فيضعها في ساعة ثم يحمل عليها جميع من

سنة من تلك الأمم فاذا قطع البحار والأنهار فتقها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكثر بحمله فاتهي إلى هاويل ففعل بهم كبناسك فآمنوا فأخذ جيوشا منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، ففعل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ، ثم عطف على الأمم التي في وسط الأرض من الانس والجن وبأجور الجبلين خلقا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرصها السباع ويأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض وليس له خلق ينحى نساءهم في العام الواحد ، فاذا طالت المدة سيملئون الأرض ويخرجون أهالها منها - فهل نجعل لك خرجا على أن ملكوا الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان بن داود والأسكندر ، والكافران عمرو ذو بختنصر وسيملكهما من هذه الأمة خامس وهو المهدي » (٢٤) (قوله إنا مكناله في الأرض) أي بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقا)

أي كآلات السير وكثرة الجنود (قوله إلى مراده) أي وهو جميع الأرض (قوله فأتبع سببا) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) أي فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تقرب فيه وسماه الله عينا لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله كالعين وإن كان عظيما في نفسه

(قوله حمئة) بالهمزة بدون ألف وبالف بعدها

يا قراءتان سبعيتان ، فأما الأولى فهي من الحمأة وهي الطين الأسود ، وأما الثانية فهي اسم فاعل من حمى بحمى ، والغنى في عين حارة ولا تنافي بين القراءتين لأن العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها في العين الخ) جواب عما يقال إن الشمس في السماء الرابعة وهي قدر كرة الأرض مائة وستين مرة فكيف نسميها عين في الأرض أي وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يافظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) أي بالهام (قوله بالأسر) أي وسمى إحصاءا بالنسبة للقتل (قوله أما من ظلم) أي استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) أي في الآخرة (قوله يسكون الكاف وضما) أي فهما سبعيتان (قوله أي لجهة النسبة) أي نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسن والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) أي لمن آمن (قوله موضع طلوعها) أي الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولا ، قيل بلغه في اثني عشرة سنة ، وقيل أقل لأنه سخره السحاب وطويت له الأرض .

(قوله هم الزنج) بفتح الزاي وكسرها (قوله سترأ) هو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وهو في الآية بالكسر (قوله ولا سقف) أي ولا أشجار لأن أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها فتמיד بأهلها ولا تستقر (قوله ويظهرون عند ارتفاعها) أي مفيها يسعون في تحصيل مهمات معاشهم فالحمل بالضد من أحوال الخاق فسادات الشمس طاعة فهم في السرايب وإذا غربت خرجوا لتكسبانهم (قوله أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر المحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وفائدة الاخبار بذلك الاعتناء بشأن ذي القرنين وأن الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم أتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) أي طريقا آخر توصله لجهة الشمال لأن يأجوج ومأجوج وإن كانوا في وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال لأن أرضهم واسعة جدا تنتهي إلى البحر المحيط . قال بعضهم : مسافة الأرض تمامها خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخاق غيرهم (قوله ها وبعدها) أي في هذه الآية ، وفي قوله الآتي : على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، وفي يس : وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، فهذه الواضع تقرأ بالفتح والضم سبعينان (قوله جبلان) أي عاليتان جدا أملسان (قوله بمنة قطع) بفتح الطاء أي آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) أي الفتحة التي بين الجبلين (٢٥) وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرس ساعة ونصف فتكون مسيرة مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله أي أمامهما) أي بقر بهما (قوله قوما) أي وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولنا) أي لغرابة لغتهم وبطء فهمهم (قوله وفي القراءة) أي وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق (قوله قالوا) أي قال مترجمهم لأنهم من أولاد يافت بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وإنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين ، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم أن الله جعل له فهما يفقه به كل شيء وهو الأقرب . قال أهل التواريخ : أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث ، فسام أبو العجم والعرب والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج . قال ابن عباس : هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله إن يأجوج ومأجوج) روى أن كلا من الجيلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم : أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم ملوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وركه) أي فهما قراءتا سبعيتان (قوله أعجميان) أي لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعجمية والعجمية (قوله بالنهب والبني) أي فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابس إلا احتماوه وأدخاوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أي من هذه الفتحة (قوله وفي قراءة خراجا) أي وهي سبعة أيضا [٤ - صاوي - ثالث]

هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) أي الشمس (سترأ) من لباس ولا سقف ؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يفيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها (كذلك) أي الأمر كما قلنا (وقد أحطنا بما لدبر) أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرها (خبرأ) علما (ثم أتبع سببا) حتى إذا بلغ بين السدين بفتح السين وضما هنا وبعدها ، ها جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتي (وجد من دونهما) أي أمامهما (قوما لا يكادون يفقهون قولنا) أي لا يفهمونه إلا بعد بطاء وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج بالهمز وتركه ها اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مفسدون في الأرض) بالنهب والبني عند خروجهم إلينا (فهل نجعل لك خراجا) جفلا من المال وفي قراءة خراجا (على أن نجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا فلا يصلون إلينا (قال ما مكنتي) ،

مغلق (قوله قالوا) أي قال مترجمهم لأنهم من أولاد يافت بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وإنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين ، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم أن الله جعل له فهما يفقه به كل شيء وهو الأقرب . قال أهل التواريخ : أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث ، فسام أبو العجم والعرب والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج . قال ابن عباس : هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله إن يأجوج ومأجوج) روى أن كلا من الجيلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم : أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم ملوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وركه) أي فهما قراءتا سبعيتان (قوله أعجميان) أي لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعجمية والعجمية (قوله بالنهب والبني) أي فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابس إلا احتماوه وأدخاوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أي من هذه الفتحة (قوله وفي قراءة خراجا) أي وهي سبعة أيضا [٤ - صاوي - ثالث]

(قوله وفي قراءة بنونين) أى وهى سبعية أيضا (قوله وغيره) أى كالكلمة (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روى أنه قال لهم أعدوا إلى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل الربوع منا، لهم مخالب وأضراس كالسباع، ولهم شعر يوارى أجسادهم ويتقنون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمنتان يفترش إحداها ويلتحف بالأخرى يصيف فى واحدة ويشقى فى الأخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذو القرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب، فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكّل هذا على ما تقدم من أنهم أصناف لأنه رأى صنفا من الأصناف (قوله آتوني) بفتح الهمزة وكسرها مع اللّ فيهما قراءتان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بزعر الحافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة (٢٦) كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) أى فالقراءات السبعية ثلاث

(قوله بالبناء) متعلق

بساوى (قوله ووضع

المنافخ) جمع منفخ كمنبر

ويقال منافخ كمناح

ويجمع على منافخ (قوله

فنفخوا) أى وهذه

كرامة لدى القرنين

حيث منع الله حرارة

النار عن العملة الذين

ينفخون ويفرغون

النحاس مع أنه أصعب

من النار مع قربهم من

ذلك (قوله وحذف من

الأول) أى هو وضميره

لأنه فضلة والأصل آتوني

قطرا أفرغ عليه قطرا

(قوله بين زبره) أى

مكان الحطب والفحم

الذى كان بينهما فلما

أكانه النار بقي ما بينهما

وفى قراءة بنونين من غير إدغام (فيه ربّي) من المال وغيره (خير) من خَرَجكم الذى يجعلونه لى فلا حاجة بى إليه وأجعل لكم السد تبرعا (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) لما أطلبه منكم (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزا حصينا (آتوني زبر الحديد) قطعه على قدر الحجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حتى إذا ساوى بين الصدفتين) بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثانى أى جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قَالَ أَنْفِخُوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أى الحديد (نارا) أى كالنار (قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لأعمال الثانى فأفرغ النحاس المذاب على الحديد الحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا (فَمَا اسْتَطَاعُوا) أى يأجوج ومأجوج (أَنْ يَظْهَرُوهُ) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) خرقا لصلابته وسمكه (قَالَ) ذو القرنين (هَذَا) أى السد أى الإقدار عليه (رَحْمَةً مِنْ رَبِّي) نعمة لأنه مانع من خروجهم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم القريب من البعث (جَعَلَهُ دَكَاةً) مذكوكا مبسوطا (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم وغيره (حقا) كائنا، قال تعالى (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) يختلط به ،

لسكرتهم

خاليا فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) أى فكان

ارتفاعه مائى ذراع (قوله وملاسته) أى فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) أى خرقا بالفعل كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحضرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستحرقونه عدا قال فيعيد الله ككأشد مما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحرقونه عدا إن شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه إلى الناس فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فإذا جاء وعد ربى) أى وقت وعده (قوله بخروجهم) أى فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع محضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الأرض ومن فى السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذى القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أى لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور

فلما منهم ثم يسلط الله عليهم دودا في آتوهم فيموتون به فتنتن الأرض منهم قتاتى طيور رمية في البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر (قوله لكثرتهم) أى وضيق الأرض فان أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ في الصور) أى النفخة الثانية بدليل التعقيب في قوله فجعلناهم وأما النفخة الأولى فنفسها تخرج روح كل ذى روح واختلف في القدر الذى بين النفختين والصحيح أنه أربعون عاما (قوله أى القرن) وهو بيد إسرافيل عليه السلام (قوله قربنا) أى أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) إن كان المراد به يوم الموقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والظهار وإن كان المراد بعد انفضاضه ، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وفائدة التأكيد على الأول الإشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب (قوله أعينهم) أى بصائرهم (قوله لا يهتدون به) أى لا يمتظنون ولا يؤثر في قلوبهم (قوله لا يستطيعون سمعا) أى سماع قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أحسب الدين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا أحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أى ملائكتى) (٢٧) وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى

تنوعهم في الكفر فالشركون يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون عيسى واليهود يعبدون العزيز (قوله وعزيرا) هذا لقبه واسمه قطفير أو إطفير (قوله من دونى) أى غيرى وهو صادق بكونهم يشركونهم معه في العبادة أو خصوصهم بالعبادة دونه (قوله مفعول ثان ليتخذوا) أى والأول قوله عبادى فمفعولا اتخذ مذكوران (قوله والمفعول الثانى لحسب محذوف) أى والأول قوله أن يتخذوا

لكنهم (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) أى القرن للبعث (فَجَعَلْنَاهُمْ) أى الخلائق في مكان واحد يوم القيامة (جَمَاعًا وَعَرَضْنَا) قربنا (جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بدل من الكافرين (فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي) أى القرآن فهم عى لا يهتدون به (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أى لا يقدر أن يسموا من النبى ما يتلو عليهم بغضاله فلا يؤمنون به (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي) أى ملائكتى وعيسى وعزيرا (مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف ، المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه ؟ كلا (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ) هؤلاء وغيرهم (نُزُلًا) أى هى معدة لهم كالنزل المعد للضيف (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) تمييز طابق الميز وبيئتهم بقوله (الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بطل عملهم (وَهُمْ يَحْسَبُونَ) يظنون (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا يجازون عليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (وَلِقَائِهِ) أى وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ،

الخ والتقدير أظن الكافرون اتخذهم عبادى من دونى أربابا لا يغضبني ، بل هو مغضب لى وأعاقبهم عليه ، وب تفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فسلم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من الهالك ومورث للفوز بصحبته ومراقبتهم في دار السلام لما ورد «المرء مع من أحب» (قوله كلا) هى كلمة ردع وزجر (قوله إنا أعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله هؤلاء) أى الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أى من بقية الكفار (قوله كالنزل المعد للضيف) أى فهو استهزاء وسخرية بهم حيث سمى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيا له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرا أو بمعنى خاسر (قوله طابق الميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع أن أصله الافراد ولم جمع المصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لما كلة مبهمة (قوله الذين ضل سبيلهم) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أى لأن شرط الثواب الاسلام والكفر لا تنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أى وبالبعث) أى فالمراد بلقاء الله بعنه وحسابه الخ

(قوله فحبطت) أى فبسبب ذلك (قوله أى لانجعل لهم قدراً) أى منزلة وإعما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم وبعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا نافعا (قوله ذلك أى الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمخدوف (قوله الذى ذكرت) تفسير لاسم الإشارة (قوله وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنزة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهنم خبرا وبالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية ومصدرية أى بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله فى علم الله) أى قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها فى المستقبل فلم عبر بالماضى ؟ فأجاب بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى - إن الدين سبقت لهم منا الحسنى - الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها . قال كعب : ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والفردوس الجنة من الكرم خاصة أو ما غالبها كرم ، واختلف فيه فقيل هو عربى ، وقيل أعجمى ، وقيل (٢٨) هو رومى ، وقيل فارسى ، وقيل مريانى (قوله منزلا) أى وقيل

(فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) أى لانجعل لهم قدراً (ذَلِكَ) أى الأمر الذى ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وابتدأ (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا) أى مهزوا بهما (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) فى علم الله (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأعلاها والاضافة إليه للبيان (نُزُلًا) منزلا (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ) يطلبون (عَنْهَا حِوَلًا) نحولاً إلى غيرها (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) أى ماؤه (مِدَادًا) هو ما يكتب به (لِكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به (لَنَفَذَ الْبَحْرُ) فى كتابتها (قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أى البحر (مَدَدًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هى ونصبه على التمييز (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمى (مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها ، والمعنى يوحى إلى وحدانية الإله (قُلْ قَدْ كَانَ رَبُّكَ يُرِيدُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَا يَشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أى فيها بأن يرأى (أَحَدًا) .

هو ما يهياً للضيف (قوله خالدين) حال مقدره (قوله لا يبتغون) حال أخرى (قوله تحولا) أى انتقالا عنها إلى غيرها لأن فيها ما تشبهه الأتس ونلد الأعين (قوله لو كان البحر مداداً) سبب نزولها أن اليهود قالت يا محمد إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف نقول : وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا ، وقصدهم بذلك الإنكار عليه وإثبات الفضل لهم

(قوله أى ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كلمات ربى) أى النفسية القائمة بذاته ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تنهاها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أى فرغ (قوله قبل أن تنفذ) إن قلت إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لأن مقتضى قوله - قبل أن تنفذ كلمات ربى - أنها تفرغ بعد فراغ المداد . وأجيب بأن قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره إشارة إلى أن لو شرطية جوابها مخدوف ، ويوضح هذه الآية قوله تعالى فى سورة لقمان : ولأن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أى مداداً وقوله على التمييز أى مثل (قوله باقية على مصدريتها) أى لها وإن كفتها عن العمل لاتخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أى المأخوذ من التركيب (قوله عملاً صالحاً) أى بشروطه وأركانه (قوله بأن يرأى) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحيفتذ فيكون بياناً للإيمان الكامل الذى يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى خاص وإلا فالمراتب ثلاث : من أراد بعمله الحظ الفانى فهو فى أدنى المراتب ، ومن أراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ، ومن أراد وجه الله فهو فى أعلى المراتب .

سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفي بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها وإن كان المقصود ذكر اسم السورة لا العلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن إلا مريم فذكرت فيه في ثلاثين موضعاً ، وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار أنها زوجة الله لأن العظيم بأنفس من ذكر زوجته باسمها فكان الله يقول لهم لو كان ما زعمون حقاً ما صرفت باسمها (قوله أو إلا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل أن الأقوال ثلاثة : قيل مكية بتمامها ، وقيل المدني منها آية السجدة فيها ، وقيل المدني منها آيتان قوله : فخلف من بعدهم خلف إلى قوله : شيئاً (قوله كهيص) اعلم أن الكاف والصاد يمتدان لازماً باتفاق السبعة وهو قدر ثلاث ألفات والهاء والياء يمتدان مداً طبيعياً باتفاقهم وهو قدر ألف ويجوز في العين المد اللازم المذكور والنصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنيتها وفتح العين ويجوز في الدال الإظهار والادغام في ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق ، ونسلف أقوال آخر منها ما قاله ابن عباس أنه اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن ، وقيل هو اسم الله الأعظم ولذا يذكره العارفون في أحزابهم كالسيد إبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي ، وقيل هو اسم السورة ، وقيل قسم أقسم الله به (٢٩) وعن الديلمي هو ثناء أثني الله به على نفسه ، وقيل معناه كاف لخلق هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم يريته صادق في وعده ، فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعاني ، وقيل غير ذلك (قوله هذا) قدره إشارة إلى أن ذكر خبر المحذوف (قوله ذكر رحمت) هو مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي ذكر الله رحمة عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أي ورحمة

(سورة مريم)

مكية ، أو إلا سجدتها فمدنية ، أو إلا : فخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كَهَيْصَلِ) الله أعلم بمراده بذلك هذا (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ) مفعول رحمة (زَكْرِيَّا) بيان له (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) مشتملاً على دعاء (خَفِيًّا) سرّاً جوف الليل لأنه أسرع للإجابة (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ) ضعف (الْعَظْمُ) جميعه (مِنِّي وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ) مني (شَيْبًا) تمييز محوّل عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) أي بدعائي إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أي خائباً فيما مضى فلا تخيبنني فيما يأتي (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) أي الذين يلوني في النسب ،

من إضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر لأنها من بنية الكلمة لا للوحدة ، ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها لعبده زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لا بالغضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لأنه مستحيل (قوله متعلق برحمة) أي على أنه ظرف له أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه (قوله مشتملاً على دعاء) أي وهو قوله : ربّ إني وهن العظم إلى قوله : واجعله ربّ رضا ، جملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله : فهب لي من لدنك الخ (قوله جوف الليل) أي في جوفه (قوله لأنه أسرع للإجابة) أي ما ذكر من كونه خفياً حاصل في جوف الليل فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الإجابة سيما إذا كان في جوف الليل (قوله قال ربّ) أي يامالكي ومربي (قوله وهن) من باب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرهما (قوله جميعه) أشار بذلك إلى أن أُل في العظم للاستغراق (قوله أي انتشر) أشار بذلك إلى أن في اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع أن كلا يصف منازل به وأعاد الضمير على الرأس مذكراً لأنها تذكر لا غير (قوله وإني أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله أي بدعائي إياك) أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) أي أنت قد أجبتني في الزمان الماضي حال شيويتي وعودتني منك الإحسان والإجابة فلا تخيبنني فيما يأتي في حال شيخوختي (قوله وإني خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب .

(قوله كفى العم) أى لأنهم كانوا شرار بنى إسرائيل يخاف أن يبدلوا دينهم (قوله من ورأى) متعلق بمحذوف أى جور الموالى من ورأى (قوله على الدين) متعلق بنحفت (قوله من تبدل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى إشاع أخت حنة كاتانها بنت فاقود فولد لإشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لانتلد) أى لم تلد أصلاً لافى صفرها ولا فى كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعية أيضاً وهى أظهر معنى لأنها تفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) أى لا المال لأن الأنبياء لا يورثون سرهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله ولا ينافيه ما تقدم فى سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعمت لابن (قوله إنا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) إماماً سماه بذلك ، لأن رحم أمه حي به بعد موته بالمعم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعامة والعجمة وتقول فى ثنيتيه يحييان رفعا ويحيين نصبا وجرا (٣٠) وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا ويحيين نصبا وجرا (قوله أى مسمى

كفى العم (مِنْ وَرَأَى) أى بعد موتى على الدين أن يضعوه كما شاهدته فى بنى إسرائيل من تبدل الدين (وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا) لانتلد (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) ابناً (يَرِثُنِي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (وَيَرِثْ) بالوجهين (مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) جدى العلم والنبوة (وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أى مرضياً عندك ، قال تعالى فى إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ) يرث كما سألت (أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) أى مسمى يحيى (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) من عتاً: يس ، أى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة ، وأصل عتى عتوو كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منكما (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلق (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تأقت نفسه إلى سرعة للبشر به (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَنْ) (لَأَنُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثَلَاثَ لَيَالٍ) أى بأيامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سَوِيًّا) .

يحيى (أى لم يسم يحيى قبله) (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الإلهية أو استفهام تعجب وسرور فى هذا الأمر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) أى ولم تزل (قوله يس) بالياء المثناة بعدها ياء موحدة من اليس يقال عتوا العود بمعنى يس وجف ومعناه هنا يس العظام والعصب والجلد (قوله عتوو) هو بضم تين وواو ين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على أربع إعمال فى

الكلمة كسر التاء وقاب الواو الأولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق إحداهما بالسكون وإدغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص وأما على قراءته من كسر العين انبعاثاً للتاء فيه خمس إعمال (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) أى على لسان ملك أو إلقاء فى القلب وأما الخطاب جهراً مشافهة فلم يكن لغیر موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وأفتق) من باب نصر أى أشق (قوله للعلق) بفتح العين أى إلى ويصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تأقت نفسه) أى تطلعت ونشوقت وأشار بذلك إلى أن قوله قال رب اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله إلى سرعة للبشر به) أى بعلامة تدل على حصوله بالفعل وليس عند ذكر يا شك فى إجابة الله دعاء بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحاً وشكراً (قوله أى تمنع) أى قهراً بلا آفة (قوله أى بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا أن الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكي مقدم على المدني وآل عمران مدنية فأعطى السابق للسابق والتأخر للتأخر .

(قوله حال من فاعل تكلم) أى بنعم من الكلام حال كونك سليماً لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ، وضح أن يكون صفة ثلاث أى ثلاثاً كاملات لانقص فيهن (قوله فخرج على قومه) أى متغير اللون عاجزاً عن الكلام فأنكروا ذلك عليه وقالوا له «الك فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا» (قوله من المخراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمخراب المعروف الآن بوافق اللغة قديماً (قوله أى المسجد) أى موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) أى فكان هو مقبلاً به ولا يفتحه إلا وقت الصلاة ولا يدخلونه إلا بأذنه (قوله أشار إليهم) أى بأصبعه وقيل كتب لهم (قوله أوائل النهار وأواخره) أى فالمراد بالصلاة في هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلواتكم على عادتكم ولا تنتظروني أكلمكم بل دعوني وحالي (قوله فعلم) أى زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله يا يحيى الخ مراتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أى على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) أى اعمل بأحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه في المكتب مثلاً لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) أى بجدة واجتهاد وإنما أمر بذلك لأن كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغي لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه ولا يتراخى في طلبه فانك إن أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه وإن أعطيت بعضك لم يعطك شيئاً منه ، ولذا قال الامام الشافعى رضى الله عنه :
أخى لن تنال العلم إلا بيسة (٣١) سأنبيك عنها مخبراً يبيان

ذكاء وحرص واجتهاد
وبلغة

نصيحة أستاذ وطول
زمان

ولم يأمر الله سيدنا محمداً
بطلب ما أوحى إليه بقوة

لأن الله أعطاه عزماً وقوة
عظيمة فلم يحتاج للأمر

بذلك بل قيل له : إنا
سنلقى عابك قولاً ثقيلاً

(قوله ابن ثلاث سنين) أى
فأحكم الله عقله وقوى فهمه

حال من فاعل تكلم أى بلا علة (فخرج على قومه من المخراب) أى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة (فأوحى) أشار (إليهم أن سبّحوا) صلوا (بكرة وعشيا) أوائل النهار وأواخره على العادة ، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى ، وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) بجدة (وآتيناه الحكم) النبوة (صبيّاً) ابن ثلاث سنين (وحناناً) رحمة للناس (من لدنا) من عندنا (وزكوة) صدقة عليهم (وكان تقيّاً) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمل بها (وبرّاً بالدينه) أى محسناً إليهما (ولم يكن جباراً) متكبراً (عصياً) عاصياً لربه (وسلاماً) منا (عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أى في هذه الأيام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها (وأذكر في الكتاب) القرآن (مریم) أى خبرها ،

وقولهم النبوة على رأس الأربعين محله فى غير يحيى وعيسى على ما يأتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها وأما النبوة فتأخرت للأربعين كغيره (قوله وحناناً) أى رحمة ورقة فى قلبه وتعطفنا على الناس (قوله صدقة عليهم) أى توفيقاً للتصديق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ أو طهارته من اتبعه أو المراد أن الله تصدق به على والديه (قوله وكان تقياً) أى مجبولاً على التقوى ومن جملة تقواه أنه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لسمعته مجار على خذه (قوله ولم يهمل بها) أى لم تخطر بباله ولا خصوصية له بذلك بل جميع الأنبياء كذلك (قوله عاصياً لربه) أشار بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة بل المنى أصل العصيان للمبالغة فيه (قوله وسلام عليه) أى أمان له من المخاوف ونكر هنا وعرف فى قصة عيسى لأن ما هنا حاصل من الله والقليل منه كثير وما ذكر فى قصة عيسى آل فيه للعهد أى السلام للمهود وهو السكان من الله (قوله يوم ولد) أى من أن يناله الشيطان بمكره (قوله ويوم يموت) أى من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حياً) أى من هول الموقف ولا ينافى هذا ماورد «أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون رب سلم سلم» لأن جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيئته وجلاله لامن عذابه وعقابه لصدق وعد الله فى تأمينهم فلا يخاف وعده . بقى شيء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل فى حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولداً برته وإجابة الله له بقوله كذلك هو على هين . أجيب بأن هذه الرواية ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر فى الكتاب مريم) أى قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى ونقدم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك إلى أن آل فى الكتاب للعهد .

(قوله إذ أنبذت) ظرف لحدوف ندره المفسر بقوله أي خبرها وهو بدل اشتمال وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانبذ بل هو وما بعده إلى آخر القصة (قوله أي اعتزلت في مكان) أشار بذلك إلى أن مكانا منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انبذت أنت مكانا (قوله من الدار) أي دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها ، وفي بعض النسخ أو شرق بيت المقدس أي فقوله في الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أو تغتسل من حيضها) أي لأنها كانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (قوله روحنا) سمي بذلك لأن الله أحيا به القلوب والأديان كما أن الروح به حياة الأجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسار لمن يحبه : أنت روحي (قوله فتمثل لها) اختلف في كيفية تمثيل الملك في غير صورته الأصلية هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لاتنفصل وإنما تخفى عن الراي وهو الذي ندين الله به لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال إن الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهي تغتسل . فأجاب المفسر بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أي بصورة شاب أصمد معتدل الحلقة لتانس بكلامه وله بهيج شهوتها فتعذر نطقها إلى رحمتها ، ولا يقال إن النظر (٣١)

(إذ) حين (أنبذت من أهلها مكانا شرقيا) أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار (فأخذت من دونهم حجابا) أرسلت سترا تستتر به لتغلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها (فأرسلنا إليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) تام الخلق (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) ففتنهي عنى بتعوذى (قال إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) بالنبوة (قالت أئني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) بتزوج (ولم أك بغيا) زانية (قال) الأمر (كذلك) من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو علي هين) أي بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه (ولنجمله آية للناس) على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلقه (أمرا مقضيا) به في على فنفع جبريل في جيب ،

فلا يؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر لبرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم الغيث لها من الخلق (قوله إن كنت تقيا) أي (قوله لم يمسسني بشر) عاملا بمقتضى تقواك وإيمانك (قوله فتنهي عنى) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارع مقرونا بالفاء فهو على تقدير المتبدي ليكون الجواب

درعها

جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالهاء أي فأنت تذهبي عنى

(قوله رسول ربك) أي جبريل وقولهم إن الوحي لم يزل على امرأة قط أي رسالة وأما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءة ثان سبعيتان فعلى الأولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الأول لأنه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به ما يقال إن قولها لم يمسسني بشر يدخل تحته ولم أك بغيا فأجاب بأن المس عبارة عن النكاح في الحلال والزنا لبس كذلك بل يقال فجر بها وما أشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لأن بغيا غالب في النساء فأجروه إجراء حائض وطامث وعافر أو يقال إن أصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فلبت الـ او ياء ، أدغمت في الياء وكسرت الفين لتصبح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك : ولا تلى فارقة فمولا أصلا ولا المفعول والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وإنما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لحدوف (قوله قال ربك) بنزله العلة كأنه قيل الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجملة الخ (قوله على قدرتنا) أي كمال قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى (قوله أمرا مقضيا) أي لا يتغير ولا يتبدل (قوله فنفع جبريل) أي نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها ، وليس المراد أنه نفخ في فرجها مباشرة .

(قوله درعها) أى لبيصها (قوله مكانا نصيا) أى بعيدا من أهلها وهو بيت لحم فرارا من تعبير قومها بولادتها من غير زوج (قوله فأجاءها المخاض) أى ألجأها (قوله لتعتمد عليه) أى فاعتمدت عليه وقبل حاضته وكان يابسا فاخضر وأمر لوقته (قوله فولدت) أى بيت لحم غفقت عليه فجاءت به إلى بيت المقدس فوضعت على صخرة فالتفتت الصخرة له وصارت كاللمهد وهو الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذه النصارى بعيدا ويسمون يوم الفطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقდست لذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعت فى ساعة، وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها إذ ذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) إنما تمت الموت لثلاثين المصيبة بمن تكلم فى شأنها بسوء وإلا فهو راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان وقوا نفسيا نأ كيد لنسيا (قوله فنادها) أى لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تهم ولا بد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها. قيل أول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها بخدما المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهادا منها فبقى منحيها فى أمرها، ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانك فقلبنى ذلك فرأيت أن أنكأ به أشقى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرنى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الشجر بالقدر من غير بذر ولا غيث أو نقول إن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء وأولا

(٣٣)

يوسف لا أقول هذا ولكن أقول إن الله يقدر على ما يشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نفاصها (قوله من تحتها) بفتح الميم

درعها فأحست بالحمل فى بطنها مصورا (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ) تنحت (بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) بعيدا من أهلها (فَأَجَاءَهَا) جاء بها (الْمَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتعتمد عليه فولدت، والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قَالَتْ يَا) للتنبيه (لِيَتَنَبَّهَ) ليتنبه (مُتُّ قَبْلَ هَذَا) الأمر (وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) أى جبريل وكان أسفل منها (أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نهر ماء كان انقطع (وَهَزَى إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ) كانت يابسة والباء زائدة (تَسَاقَطَ) أصله بقاء من قلبت الثانية سينا وأدغمت فى السين وفى قراءة تركها (عَلَيْكِ رُطْبًا) تميز (جَنِيًّا) صفته (فَكُلِي) من الرطب (وَأَشْرَبِي) من السرى (وَقَرَّرِي عَيْنًا) بالولد تميز محول من الفاعل أى لتقر عينك به :

وكسرهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجاء والمجرور متعلق بنادى (قوله أى جبريل) تفسير لمن على القتح والضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل النادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لا تحزنى إلى قوله فلن أكلم اليوم إنسيا أول كلام عيسى (قوله وكان أسفل منها) أى كان جبريل فى مكان أسفل من مريم (قوله أن لا تحزنى) يحتمل أن تكون أن مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ما هو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهر ماء) أى وجهه مريان كرهيف ورغمان و يطلق السرى على الشريف الرئيس وأصله سرىو اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى ومامشى عليه المفسر أظهر لمناسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) أى ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) أى ويصح أن تكون أصلية والمفعول محذوف والجاء والمجرور متعلق بمحذوف صفة لربطها والتقدير وهزى إليك رطبا كأننا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة بتركها) أى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعة أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط رطبا مفعول به (قوله تميز) أى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لأعلى الثالثة (قوله جنيا) أى تاما نضجه صالحا للاجتماع (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قرير بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرى شذوذا بكسر القاف وهى لغة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرهما

فى المضارع من باب ضرب

[٥ - صاوى - ثالث]

(قوله أي تسكن) أي فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح أن يكون من القر وهو البرد لأن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها باردا وإذا حزن كان دمعها حارا كأنه قال اترك الحزن وافرح بما أعطاك ربك (قوله حذفته منه لام الفعل) أي وأصله ترأين بهمزة هي عين الكلمة وياء مكسورة هي لامها وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذف لالتقائهما ثم أكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست إعمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء ألفا وحذفها وتأكيد النون وتحريكه بالكسر وإن نظرت لحذف نون الرفع لا جازم كانت سبعة أفاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل (قوله فيسألك عن ولدك) جواب عما يقال إن قولها فلن أكلم اليوم إنسيا كلام فقد حصل التناقض . فأجاب بأن المراد إذا رأيت أحدا من البشر وسألك عن أمرك فقولي الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فإنه أغبط لهم (قوله مع الأناسي) أي لامع الله كالكروالامع الملائكة لما ورد أنها كانت تكلم الملائكة ولأنكم الانس والأناسي بفتح الهمزة جمع إنسي (٣٤) أو إنسان وأصله على هذا أناسين قلبت النون ياء وأدغمت في الياء (قوله

أي تسكن فلا تطمح إلى غيره (فإما) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (ترين) حذفته منه لام الفعل وعينه وألقت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر أحدا) فيسألك عن ولدك (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) أي إمساك عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل (فلن أكلم اليوم إنسيا) أي بعد ذلك (فأتت به قومها تحمله) حال فراؤه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما حيث أتيت بولد من غير أب (يا أخت هارون) هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة (ما كان أبوك أمرا سوا) أي زانيا (وما كانت أمك بغيا) زانية فمن أين لك هذا الولد ؟ (فأشارت إليه) أن كلموه (قالوا كيف نكلم من كان) أي وجد (في المهد صبيا) قال إني عبد الله آتيني الكتاب أي الإنجيل (وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت) أي نفاعا للناس إخبار بما كتب له (وأوصيني بالصلاة والزكاة) أمرني بهما (ما دمت حيا . وبرا بوالدي) منصوب بجعلني مقدرآ (ولم يجعلني جبارا) متعظما (شقيئا) عاصيا لربه ،

أي بعد ذلك) أي بعد قولها إني نذرت للرحمن صوما (قوله فأتت به) أي في يوم وضعه وقيل بعد أربعين يوما لما طهرت من نفاسها (قوله فراؤه) أي أبصروه (قوله قالوا) أي أهلها وكانوا أهل بيت صالحين بمصدق قوله تعالى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض - (قوله لقد جئت) أي فعات وأتيت (قوله فريا) من فريت

الجلد قطعته أي شيئا قاطعا وخارقا للمادة ومقطعا للعرض له (قوله هو رجل صالح) أي في بني إسرائيل (والسلام) شبهت به في عفتها وصلاحتها . قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني إسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان أبوك) أي عمران وقوله وما كانت أمك أي حنة (قوله فأشارت إليه) أي وحينئذ غضب القوم وقالوا أنسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (قوله وجد) أشار المفسر إلى أن كان نامة وحينئذ فصبيا حال ويصح أن تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله في المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه ، ورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع وانسكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشرب لبنه وقال إني عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ لها وكل هذه الأوصاف تقتضي براءة أمه لأن هذه أوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس (قوله وجعلني نبيا) أي في الحال وقيل المراد سيجعني بعد الأربعين قولان للعلماء والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أي نفاعا للناس) أي لأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويهدي من ضل (قوله إخبار بما كتب له) أي فالماضي بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله أمرني بهما) أي بفعالهما (قوله وبرا) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرهما إما على حذف مضاف أي ذابرا أو مبالغة (قوله متعظما) أي بل جعلني متواضعا ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا .

(قوله والسلام) آل فيه للعهد أى السلام الحاصل ليحيى حاصل لى فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه وعيسى سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم أبعث حيا) هذا آخر كلامه ، ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الأطفال (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى وأما كلام عيسى فقد انتهى إلى قوله حيا (قوله ذلك) أى المذكور تلك الأوصاف واسم الإشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدأ محذوف أى قول ابن مريم قول الحق وهو من إضافة الموصوف للصفة : أى القول الحق ، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق أى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) أى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) أى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر لمحذوف أى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتجبرون (قوله قالوا إن عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما باتى فى قوله فاختلف الأحزاب من بينهم ، وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التى يتضح إبطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لا يمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله أن يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان ، والمعنى ما كان اتخذ الولد من صفته بل هو (٣٥) محال قال تعالى - تسكاد السموات

تفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولما وما يتبني للرحمن أن يتخذ ولدا - (قوله عن ذلك) أى اتخذ الولد (قوله إذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال إن اتخذ الولد والسعى فى أسبابه شأن العاجز الضعيف المحتاج الذى لا يقدر على شئ وأما القادر الفنى الذى يقول للشيء كن فيكون

(وَالسَّلَامُ) من الله (عَلَى يَوْمٍ وَلِدَتْ وَيَوْمٍ أُمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا) يقال فيه ما تقدم فى السيد يحيى . قال تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر أى قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت ، والمعنى القول الحق (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المرية أى يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله ، كذبوا (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قُضِيَ أَمْرًا) أى أراد أن يحدثه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسر ها بتقدير قل بدليل : ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (هَذَا) المذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) مؤدٍ إلى الجنة (فَاخْتَفَتِ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ).

فلا يحتاج فى اتخاذ الولد إلى إحبال الأثني وحيث أوجده بقول كن لا يسمى ابنا له بل هو عبده ومحذوفه فهو تبيكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) أى بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر (قوله وإن الله ربى وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر إن أو فتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) أى اذكر يا عيسى أن الله الخ (قوله بتقدير قل) أى وإن تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى أيضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلف الأحزاب) أى أن النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق اليعتوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية ، لما روى أنه اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر من كل قوم علمهم فامتروا فى شأن عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أمات وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعتوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وكلته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون أجرهم مرتين كالتجاشي وأتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم - ولنجدن أفرهم مودة للذين آمنوا الآيات - .

(قوله فشدّة عذاب) وقيل المراد بالويل واد في جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وسمى بذلك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - (قوله أسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الأمر ومعناه التعجب ، وإعرابه أسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وأبصر مثله وحذف بهم من الثاني لدلالة الأول عليه ، وليس المراد التعجب من التكلم وهو الله لاستحالته عليه بل المراد التعجب وهو حمل المخاطب على التعجب أي اعجبوا يا عبادي من شدّة سمعهم وبصرهم في ذلك اليوم (قوله من إقامة الظاهر مقام المضمر) أي إشارة إلى أن من انصف بصفاتهم يسمى ظالماً (قوله في ضلال) أي خطأ وعدم اهتداء للحق (قوله به صموا) أي بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ في الدنيا فالتعجب منهم في الحاتين شدّة الاسماع والابصار في الآخرة وضدّها في الدنيا (قوله هو يوم القيامة) أي وله أسماء كثيرة منها يوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحساب والحاكمة والقارعة واليوم الموعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه السيء الخ) أي والمحسن على ترك الزيادة في الاحسان كما في الحديث (قوله إذ قضى الأمر) أي أحكم وأمضى ، وذلك أنه ورد «إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلاموت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة (٣٦) على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم» (قوله وهم في غفلة) الجملة حالية

فشدّة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي حضور يوم القيامة وأحواله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يَأْتُونَنَا) في الآخرة (لَكِنَّ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمر (الْيَوْمَ) أي في الدنيا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أي بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أي اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صامعيّاً (وَأَنْذِرْهُمْ) خوف يا محمد كفار مكة (يَوْمَ الْحُسْرَةِ) هو يوم القيامة يتحسر فيه السيء على ترك الاحسان في الدنيا (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وَهُمْ) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ) عنه (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم بالعلاكمهم (وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ) فيه للجزاء (وَأَذْكُرْ) لهم (فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أي خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا في الصدق (نَبِيًّا) ويبدل من خبره (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) آزر (يَأْتِ بِتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة

وكذا قوله وهم لا يؤمنون وهذا الانذار لكل مكلف وإما خصه المتسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكمهم) أي فلا يبقى حق سوى الله تعالى لما ورد «إن الله تعالى ينادي بعد انقراض الدنيا بأهلها لمن الملك اليوم ؟ فيجيب نفسه بقوله : لله الواحد القهار» (قوله وإلينا

يرجعون) أي يردون فيجازي كل أحد بما قدمه من خير وشر (قوله واذكر في الكتاب إبراهيم) يحتمل أنه معطوف على قوله وأنذرهم يوم الحسرة ، والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم لعالمهم يعتبرون فيؤمنوا ويحتمل أنه معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الأقرب (قوله مبالغا في الصدق) أي في أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لأن كل نبي صديق ولا عكس وبين الولاية والصدقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولي ولا عكس لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله ويبدل منه) أي بدل اشتمال وحينئذ فقوله إنه كان صديقا نبيا معترض بين البدل والمبدل منه (قوله لأبيه) قيل حقيقة وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة الأنعام تبعا للفسر هنا ولا يضرك كفر أصول الأنبياء فإن الله يخرج الحي من الميت ولا ينفيه قوله صلى الله عليه وسلم «ما رأت أُنْتُقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة» لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية وإن كانوا كفارا أو يقال إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بمئة إبراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور الحمدي إلى ولده وهو في حالة الفترة وقيل هو عمه واسم أبيه تارخ وسمى أبا على عادة الأكابر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث المتقدم وهما قولان للفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الإضافة) أي فأصله أبي فيقال في إعرابه يا حرف نداء وأب منادي منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة التاء عوض عن ياء

(قوله ولا يجمع بينهما) أى فلا يقال يا أبى لأن فيه الجمع بين العوض والمعوّض ويقال يا أبنا لأن الألف فيه عوض عن الياء أيضا ففيه جمع بين عوضين (قوله لم تعبد ما لا يسمع) أى لأى سبب تعبد ما لا يسمع فيه ولا يصر (قوله أو ضر) أى أو دفع ضر (قوله من العلم) أى العلم بالتوحيد والشرع (قوله فأتبعني) أى امتثل أمرى فيما أمرك به (قوله مستقيما) أى لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك إياه) أى فالمراد بعبادته امتثال أمره في عبادة الأصنام حيث حسنها له بوسوسته (قوله عصيا) أى وطاعة العاصي عصيان (قوله إني أخاف أن يمسك عذاب) أى في المستقبل إن لم ترجع وإنما عبر بالخوف لأنه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان ترجيا لإيمانه ، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرنا وقرينا) المناسب للاقتصار على تفسيره بالقرين لأنه بعد الدخول في العذاب لا يتأتى معاونة ولا مناصرة (قوله أراغب) مبتدأ وأنت فاعل سد مسد الخبر وسوغه اعتياده على الاستفهام وهو أولى من جعله خبرا مقدما وأنت مبتدأ مؤخر لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو أراغب والمعمول وهو عن آلهي بأجنى وهو (٣٧) أنت لأن المبتدأ غير معمول

للخبر (قوله لأن لم تنته) (الح) قابل التعطف والاطافة في الخطاب بالفظاظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لأن تنته لأرجنك .

وكل إناء بالذى فيه ينضح (قوله بالحجارة) أى حتى تموت أو تخلى سبيلي (قوله أو بالكلام القبيح) أى الشتم والذم (قوله فاحذرنى) قدره إشارة إلى أن قوله واهجرني معطوف على محذوفما ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرني إنشائية

ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ) لا يكفيك (شَيْئًا) من نفع أو ضر (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ قَاتِبِي أَهْدِكَ صِرَاطًا) طريقًا (سَوِيًّا) مستقيما (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه في عبادة الأصنام (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) كثير العصيان (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ) إن لم تنب (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ناصرًا وقرينا في النار (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) فتعيها (لَنْ لَمْ تَنْتَه) عن التعرض لها (لَأَرْجُنَّكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرنى (وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا) دهرًا طويلًا (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ) منى أى لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) من حفى أى بارا فيجيب دعائى وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء : واغفر لأبى ، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة (وَأَعْتَرُكُمُ وَمَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ وَادْعُوا) أعبد (رَبِّي عَسَى أَنْ) (لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي) بعبادته (شَقِيًّا) كما شقيتم بعبادة الأصنام (فَلَمَّا اعْتَرَكُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وَهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمُ) للثلاثة (مِنْ رَحْمَتِنَا) المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) رفيعا هو الثناء الحسن ،

وجملة لأن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) إما منصوب على الظرفية وإليه يشير المفسر بقوله دهرًا طويلًا أو على الحال من فاعل اهجرني أى اعتزاني سالما لا يصيبك منى مضرة (قوله أى لا أصيبك بمكروه) أى فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله سأستغفر لك ربى) أى أطاب غفرانه لك الترتب على هدايتك وإسلامك (قوله حفيا) أى مبالغا في الكرامى واللفظ بى والاعتناء بشأني ويطلق الحفى على المستقصى في السؤال ومنه قوله تعالى - كأنك حفى عنها - (قوله وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار ، فأجاب بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه ، وبهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر إن قصد بها هدايته وإسلامه ، فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله واعتزلكم) أى أرتحل من أرضكم وبلادكم وقد فعل ذلك (قوله بأن ذهب) أى من بابل العراق إلى الأرض المقدسة (قوله يأنس بهما) استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم أنه بشر بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب وقد عاش إبراهيم مائة وخمسة وسبعين سنة وبينه وبين آدم ألفا سنة وبينه وبين نوح ألف سنة (قوله إسحق ويعقوب) خصهما لأنه سيذكر إسماعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) أى إبراهيم وولديه (قوله المال والولد) أى فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الأرزاق

وأكثر لهم الأولاد لجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده من ذريته (قوله في جميع أهل الأديان) أي من كل أهل دين يرضون عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويذكرونهم بخير إلى يوم القيامة (قوله واذكر في الكتاب موسى) معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة . والحاصل أن الله تعالى ذكر في هذه السور أسماء عشرة من الأنبياء زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل وموسى وهرون وإدريس ، وذكر لكل أوصافا ومناقب يجب الإيمان بها تفهيمها على عظيم شأنها وتعليلها للأمة المحمدية ليقنعوا بهم ، وكذا يقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من أخلص في عبادته) أي لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله وأخلصه الله) أي صفاء ونقاء وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لفاوئسرا مرئيا ، فموسى عليه السلام صفاء مولاه واختاره لخدمته ومحبهه فتسبب عن ذلك إخلاصه في عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) أي ثبت واستقر أزلا في علمنا نبوته ورسالته وإلا فرسالته الخارج حين النداء (قوله بقول يا موسى) أي في سورة القصص في قوله تعالى - فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله - الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذي يلي يمين موسى) هذا صريح في أن المراد به الطور الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس لأنه على يسار التوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد والأيمن صفة للجانب بدليل تبعيته له في الاعراب في قوله (٣٨) تعالى - وواعدناكم جانب الطور الأيمن - والمعنى أنه سمع النداء في ذلك المكان

في جميع أهل الأديان (وَأُذْكِرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وأخلصه الله من الدنس (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ) بقول : يا موسى إني أنا الله (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (الْأَيْمَنِ) أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) نعمتنا (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًّا) حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه ، وكان أسن منه (وَأُذْكِرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) لم يعد شيئا إلا وفي به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرم (نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أي قومه (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) أصله مرضو وقلبت الواو ان ياءين والضممة كسرة (وَأُذْكِرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ) ،

بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقرَّبناه) أي تقريب شرف ومكانة لا مكان (قوله من كل جهة) أي بكل جراحة (قوله بدل أو عطف بيان) أي وأخاه ، ففعول به وقوله من رحمنا أي من أجل رحمنا (قوله هي المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معنى هبته له مع كونه أسن منه والموهوب

يكون متأخرا عن الموهوب له . فأجاب بأن المراد جعله نبيا يعينه ويشد عضده (قوله إجابة لسؤاله) تعاليل لقوله وهبنا حيث قال - واجعل لي وزيرا من أهلي - (قوله وكان أسن منه) أي بسنة وقيل بأربع سنين (قوله إسماعيل) أي ابن إبراهيم وكان من هاجر جارية سارة التي وهبها له فلما ولدت له إسماعيل نقاهها إلى الحجاز قبل بناء البيت ، فترى إسماعيل بين جرمهم عرب من البن فزوجوه منهم ، فلما كبر أرسله الله إليهم كما قال المفسر تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بهذا غفرا ، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم أفرد بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء لأنه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده) أي شخصا وعده إسماعيل وكان عليه إبراز الضمير لأن الصلة جرت على غير من هي له ، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصا أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل ويأتي له فيسكت ثلاثة أيام أو حولا (قوله وكان رسولا) أي بشريعة أبيه (قوله قلبت الواو ان ياءين والضممة كسرة) هذا لقيه واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم ، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب ، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها ، وهو أول من خم بالقلم وخط الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر في علم النجوم والحساب

(قوله هو جد أبي نوح) لأن نوحاً بن ملك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشاخ بن إدريس (قوله ورفعه . مكاناً علياً)
 اختلف المفسرون في المكان العلي ، ف قيل المراد به المكان المعنوي وهو الرفعة وعلاق المنزلة ، وقيل المراد به المكان الحسي ، وعليه
 ف قيل هو السماء الرابعة ، وقيل الجنة . واختلفوا في سبب رفعه ، ف قيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع
 لجميع أهل الأرض في زمانه فمجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة
 بن آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ثلاث ليال فأنكره إدريس
 وقال له في الليلة الثالثة إنني أريد أن أعلم من أنت ؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال إدريس لي إليك حاجة
 قال ما هي ؟ قال تقبض روحي ، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبضها وردّها إليه في ساعة ، فقال له ملك الموت ما الفائدة
 في سؤالك قبض الروح ؟ قال لأذوق الموت وغمته فأكون أشد استعداداً ، ثم قال له إدريس إن لي إليك حاجة قال وما هي ؟
 قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما تريد ؟ قال
 تسأل مالكا حتى يفتح أبوابها ففعل ، فقال له كما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله
 الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرّك فتعاق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك
 مالك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال : كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال : وإن منكم إلا ولردّها وقد وردتها وقال : وما هم
 منها بمخرجين ولست أخرج ، فأوحى الله إلى ملك الموت بأذني دخل (٣٩) الجنة وبأمرى لا يخرج منها فهو حي

هناك . وقيل سببه أنه
 نام ذات يوم فاشتد عليه
 حرّ الشمس فقال اللهم
 خفف عن ملك الشمس
 وأعنه فإنه يمارس ناراً
 حامية فأصبح ملك الشمس
 وقد نصب له كرسي من نور
 عنده سبعون ألف ملك
 عن يمينه ومثلها عن
 يساره يخدمونه ويتولون

هو جد أبي نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو حي في السماء الرابعة
 أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى ولم يخرج منها (أُولَئِكَ)
 مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) صفة له (مِنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده
 إلى جملة الشرط صفة للنبيين ، فقوله (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أي إدريس (وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)
 في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أي إسماعيل وإسحق ويعقوب
 (وَ) من ذرية (إِسْرَائِيلَ) وهو يعقوب ، أي موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ،

عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لي هذا ؟ قال دعالك رجل من بني آدم يقال له إدريس فقال يارب اجعل
 بيني وبينه خلة فأذن له في ذلك فصار يتردد على إدريس ، فقال له إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لي عنده ليؤخر أجلي
 فأزدد عبادة وشكراً ، فقال الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، فرفعه في مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لي صديق من
 من بني آدم يشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إليّ ولكن إن أحييت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه ، قال نعم فنظر
 في ديوانه فقال إنك كلنتني في إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال إني أتيتك وتركته هناك فانطلق فرجده قد مات
 ثم أحياه الله فهو يرفع في الجنة تارة ويعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة تارة أخرى . قال العلماء : أربعة من الأنبياء أحياء
 اثنتان في الأرض وهما الخضر وإلياس واثنتان في السماء وهما عيسى وإدريس (قوله أولئك) اسم الإشارة عائد على الأنبياء
 المذكورين في هذه السورة وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم إدريس كما تقدم (قوله صفة له) أي لاسم الإشارة أي أولئك
 الموصوفون بانعام الله عليهم ، وذلك أن الله لما وصف كلا من الأنبياء بأوصاف تخصه أولاً ذكر ثانياً لهم صفة نعمهم (قوله بيان
 لهم) أي للنعم عليهم (قوله أي إدريس) تفسير للذرية أي إن إدريس من ذرية آدم لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم (قوله
 ومن حملنا) أي ومن ذرية من حملنا (قوله أي إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لأن من حمل معه أولاده الثلاثة
 وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام لكن بوساطة فان بين إبراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أي فأولاد البنات
 من الذرية . والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس ومن ذرية نوح بوساطة إبراهيم ومن ذرية إسماعيل وإسحق
 ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى .

(قوله أكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل كأنه قال له إن شوق إليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر
(قوله وما تنزل إلا بأمر ربك) هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله
للكور والنزل والنزل شيئا فشيئا (قوله من أمور الآخرة) بيان لما ويصح أن يحمل قوله ما بين أيدينا على ما يأتي ، وقوله
وما خلفنا على ما سبق ، وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) أي تفصيلا ، وأما علم بعضه إجمالا فيكون
لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكنمونونه ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه ، إذا علمت ذلك
فالتدقيق بالتجرو على الغيبات من الضلال المبين لأنه لو استند لقواعد فهي كاذبة ولو صادفت الحق بمصادق قوله صلى الله عليه
وسلم « كذب المنجمون ولو صدقوا » وإن استند لكشف فصاحبه لا يطاع إلا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مأمور بكتبتها
لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل - له ما بين أيدينا وما خلفنا ذلك - فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله أي تاركاً لك)
أي إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركاً لك وهجراناً وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - ما ودعك ربك وما قلى - (قوله هو)
قدره إشارة إلى أن ربك خبر محذوف (قوله فاعبدوه) أي دم على عبادته ولا تحزن (٤١) - بإبطاء الوحي واستهزاء

الكفرة (قوله أي مسمى
بذلك) أي بافظ الجلالة
أورب السموات والأرض
وقيل معنى سمياً مثلاً
يستحق أن يسمى إلهاً
واحداً يسمى بالله فإن
الشركين وإن سمو الصنم
إلهاً لم يسموه الله قط
لظهور أحديته وأنه رب
السموات والأرض وما
بينهما. قال تعالى - ونحن
سألهم من خلقهم ليقولن
الله - وقد ورد أن امرأة
سمت ولدها الله فنزلت
عليه ناراً فحرقته - (قوله
المنكر للبعث) أشار بذلك
إلى أن المراد بالإنسان

أكثر مما تزورنا (وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْ أَيْدِينَا) أي أماننا من أمور الآخرة
(وَمَا خَلَقْنَا) من أمور الدنيا (وَمَا يَنْ ذَلِكَ) أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة
أي له علم ذلك جميعه (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسياً أي تاركاً لك بتأخير الوحي عنك ، هو
(رَبُّ) مالك (السموات والأرض وما بينهما) فاعبده وأصطبر لعبادته (أي اصبر عليها
(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أي مسمى بذلك ؟ لا (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) المنكر للبعث أبي بن خلف
أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (آذًا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها
بوجهها وبين الأخرى (مَا مَتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فلا استفهام بمعنى
النفي أي لا أحياء بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى (أَوَلَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَانُ) أصله يتذكر أبداً التاء ذالا وأدغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم
الكاف (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الإعادة (فَوَرَبُّكَ
لَنَخْشُرَنَّهَمْ) أي المنكرين للبعث (وَالشَّيَاطِينِ) أي نجسهم كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثُمَّ
لَنُخْضِرَّنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جُثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جثو
أو جثوى من جثا يجثو أو يجثى لثتان (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أَيُّهُمْ

خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله أو الوليد) أو لتوزيع الخلاف في المراد بالإنسان الذي قال تلك المقالة وفي الحقيقة كل من
الشخصين قد قالها (قوله آذًا) منصوبة بقوله أخرج حياً ، ولا يقال إن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لأن ذاك في لام الابتداء
وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر (قوله وإدخال ألف بينها) أي الثانية وقوله وبين الأخرى : أي الأولى ، وكان المناسب أن
يقول وتركه فتكون القراءات أربعة وهي سبعيات (قوله أو لا يذكروا) الاستفهام للتوبيخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً
(قوله من قبل) أي من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الإعادة) أي لأنها أهون . قال تعالى - وهو الذي يبدأ الخلق ثم
يعيده وهو أهون عليه - (قوله فوربك) أضاف اسمه تعالى إليه صلى الله عليه وسلم تشريفاً وتعظيماً (قوله لنخضرنهم حول
جهنم جثياً) أي وهو الواقف (قوله وأصله جثو) أي بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو
ياء وأدغمت في الياء (قوله أو جنوى) أي يباء بعد الواو قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وعلى كل كسرت التاء تصح الياء (قوله
ثم لنزعين من كل شيعه) أي من كل أمة (قوله أبهم) موصولة بمعنى الذي بنيت على الضم لضافتها وحذف صدر صلتها وقوله
أشد خبر محذوف والجملة صلتها وهي وصلتها في محل نصب مفعول لنزعين وعتياً تمييز محوّل

عن المبتدأ المحذوف : أى عتوه أشد ، والمعنى أنه يميز طوائف الكفار فيطرح الأعق فالأعق على الترتيب لأن عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره وليس عذاب من يهتد ويتجبر كعذاب المقلد (قوله صلياً) بضم الصاد وكسرهما قراءتان سبعيتان جمع صال كتحيا جمع جاث (قوله فنبداً بهم) أى بالدين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) أى كرضى ، وقوله وفتحها : أى كرمى (قوله وإن منكم إلا واردها) أى مسلماً أو كافراً . والحاصل أنه اختلف المفسرون في المراد بالورود فقيل الدخول ، وقيل الحضور معها في الموقف والذي عول عليه الأشياخ أن المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها أحد من السيف وأرق من السحرة ، ينفع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لحي وهم في المرور مختلفون لما في الحديث « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلح البصر ثم كالريح ثم كمدوا الفرس ثم كالراكب المجتهد ثم كشد الرجل في مشيه » (قوله أى داخل جهنم) أى وتكون على المؤمنين ولوماتوا عصاة غير من تحقق فيهم الوعيد برداً وسلاماً لدخولهم فيها وهي خامدة فلا يشعرون بها (قوله كان) أى الورود (قوله حتماً مقضياً) أى بمقتضى حكمته لا بإيجاب عليه (قوله ثم تنجى الذين اتقوا) أى نخرجهم (٤٢) منها من غير أن يمسه عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد أو بعد العذاب وهم من

أشد على الرحمن عتياً) جراءة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صلياً) دخولا واحتراقاً فنبداً بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وإن) أى ما (منكم) أحد (إلا واردها) أى داخل جهنم (كان على ربك حتماً مقضياً) حتمه وقضى به لا يتركه (ثم ننجى) مشدداً ومخففاً (الذين اتقوا) الشرك والكفر منهما (ونذر الظالمين) بالشرك والكفر (فيها جثياً) على الركب (وإذا تتلى عليهم) أى المؤمنين والكافرين (آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات حال (قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين) نحن وأنتم (خيرٌ مقاماً) منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام (وأحسن ندياً) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم قال تعالى (وكم) أى كثيراً (أهلكنا قبلهم من قرن) أى أمة من الأمم الماضية (هم أحسن أثاثاً) مالا ومتاعاً (ورئياً) منظراً من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قل من كان في الضلالة) شرط جوابه (فليمدد) بمعنى الخبر أى يمد (له الرحمن مدداً) في الدنيا يستدرجه (حتى إذا رآوا ما يوعدون إما العذاب) كالقتل والأسر (وإما الساعة) المشتعلة على جهنم فيدخلونها ،

نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) أى نتركهم فيها على سبيل الخلود ، وقوله جثياً حال من الظالمين (قوله وإذا تتلى عليهم الخ) أى حين نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وهمزوا عن معارضتها أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء المؤمنين بمالهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم ، إلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم

(فسيعلمون)

نجلس في صدر المجلس وتجلسون في طرفه الحقيق ، فإذا كان ذلك لنا في الدنيا

فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لا كرمكم كما أكرمنا وقصدهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا . قال تعالى - وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين - (قوله قال الذين كفروا) أى أغنياؤهم (قوله للذين آمنوا) أى الفقراء منهم (قوله نحن وأنتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على أنه من قام ثلاثياً والضم على أنه من أقام رباعياً وكل يحتمل أن يكون اسم مكان أو اسم مصدر (قوله قال تعالى) أى رداً عليهم (قوله هم أحسن) مبتدأ وخبره والجملة صفة لقرن وأثاناً ورئياً تمييزان (قوله ورئياً) أى مرئياً كالدهج بمعنى المذبح ، وقوله منظراً : أى هيئة وصورة (قوله قل) أى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله في الضلالة) أى الكفر والغفلة عن عواقب الأمور (قوله بمعنى الخبر) أى وآتى به على صورة الأمر إعلاماً بأنه يحصل ولا بد بمقتضى حكمته كأنه ألزم نفسه بذلك (قوله أى يمد له الرحمن) إغماً ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) أى بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية في قوله - فليمدد له الرحمن - (قوله وإما الساعة) إما حرف تفصيل وهي مانعة خلو تجوز الجمع

والعذاب والساعة بدلان من ماء والمعنى يستمرون في الطغيان إلى أن يسلّموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هوشر مكانا وأضعف جندا (قوله فيعلمون) جواب إذا ، وقوله - من هوشر مكانا - راجع لقوله - وأضعف جندا - راجع لقوله - وأحسن نديا - على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أم المؤمنين) أشار بذلك إلى أن من استفهامية وبصح كونها موصولة مفعول يعلمون (قوله عليهم) متعلق بجندا لتضمنه معنى العارفين وذلك كما وقع لهم في بدر فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه جاءوا إليهم ليعينوهم ثم اتخذوا عنهم ، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التي قامت معهم كما تقدم في الأنفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستأنفة أو عطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كأنه قال قل لهم من كان في الضلالة الخ وقل لهم يزيد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أي فكما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وإيمانا . قال تعالى - وإذا نزلت عليهم آياته زادتهم إيمانا - (قوله هي الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير في الباقيات الصالحات وهو الأحسن (قوله خير عند ربك) أي من زينة الدنيا التي ينتم بها الكفار (قوله بخلاف أعمال الكفار) أي فأنها شر مردا لكونهم يردون إلى جهنم ، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فيقتضون بها في الجنة والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيعذبون بها في النار فالعاقل يختار لنفسه أي العاملين يبقى له (قوله (٤٣) والخبرة الخ) أي فأفعل التفضيل

ذكر على سبيل المشاكسة
الكلام السابق فاندفع
ما يقال إن أعمال الكفار
لا خير فيها أصلا فكيف
صح المفاضلة (قوله أفرأيت
الذي كفر بآياتنا)
الاستفهام تعجبي : أي
تعجب يا محمد من مقالة
هذا الكافر الشنيعة (قوله
العاص بن وائل) هو
أبوسيدنا عمرو الذي قتمح
مصر في خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنهما
وهو والد عبد الله أحد

(فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أعوانا أم المؤمنين وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان (هُدًى) بما ينزل عليهم من الآيات (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هي الطاعات تبقى لأصحابها (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) أي ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار ، والخبرة هنا في مقابلة قولهم : أي الفريقين خير مقاما (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) العاصي بن وائل (وَقَالَ) لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال (لَأُوتِينَ) على تقدير البعث (مَالًا وَوَلَدًا) فأقضيك قال تعالى (أَطْلَعِ الْغَيْبِ) أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغنى بهزمة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت (أَمْ أَتَّخِذُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) بأن يؤتى ما قاله (كَلَّا) أي لا يؤتى ذلك (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (وَنَزِّنُهُ مَا يَقُولُ) من المال والولد (وَيَبَيِّنُنَا) يوم القيامة ،

العبادة المشهورة (قوله لخباب بن الأرت) هو بدرى من فقراء الصحابة ، وذلك أن خبابا كان صائغا فصاغ للعاصي حليا ثم طالبه بأجره ، فقال له لن أقضيك حق تكفر بمحمد ، فقال خباب لن أكفر به حق تموت ثم تبعث . قال وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيكم إذا رجعت إلى مال وولد (قوله واستغنى بهزمة الاستفهام الخ) أي فأصله أطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلاً) ذكر النحويون في هذه اللفظة ستة مذاهب : أحسنها أنها حرف ردع وزجر ، والثاني أنها حرف تصديق بمعنى نعم . الثالث أنها بمعنى حقا . الرابع أنها رد لما قبلها . الخامس أنها صلة في الكلام بمعنى أي . السادس أنها حرف استفتاح ، وذكر في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً وكلها في النصف الثاني منه في خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع إلى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها وذلك في خمسة مواضع اللتان في هذه السورة واللتان في الشعراء وواحدة في سبأ ، وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها ، وذلك في تسعة مواضع واحدة في المؤمنون واثنان في سائل سائل الأولى والثالثة في اللد والأولى في سورة القيامة والثانية في سورة ويل للطففين والأولى في سورة الفجر والتي في سورة ويل لكل ، وقسم لا يجوز الوقف عليها بانفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب ما يقول) أي نظهره له ونعلمه أنا كتبناه فاندفع ما يقال إن الكتابة لا تأخر عن القول . قال تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قوله نزيده بذلك عذابا الخ) أي لما تقدم أن كل من كان أشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله ونزئه ما يقول) أي نسلبه ونأخذه منه بأن يخرج من الدنيا خاليا من ذلك .

(قوله فردا) أى منقطعا عن ماله وولده بالسكينة فلا يلقى مالا ولا ولدا أصلا لاني البعث ولا في النار لا تقطاع الأسباب بينهم وبين أولادهم بل وبين ما يشتهون كما قال تعالى : وحيل بينهم وبين ما يشتهون . وأما المؤمنون وإن كانوا يعيشون فرادى إلا أنهم يلاقون أحبائهم وأولادهم وما يشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الأوثان) هو مفعول أول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) في معنى التعليل (قوله ضدا) أى أضدادا وإنما أفردته إما لكونه مصدرا في الأصل أو لأنه مفرد في معنى الجمع (قوله على الكافرين) أى وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم إلى المعاصي) أى تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله أزا) مفعول مطلق لتؤزهم ، والأز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والإزعاج وهو المراد هنا (قوله فلا تعجل عليهم) أى لتسترعج أنت والمؤمنون من شرهم وتظهر الأرض من فسادهم لأن لهم أياما محصورة وأنفاسا معدودة يعيشونها ثم يردون إلى عذاب النار (قوله إنما نعد لهم عدا) أى نضبط ما يقع منهم ولا نهمل منه شيئا ليؤاخذوا به (قوله أو الأنفاس) تفسير ثان (قوله إلى وقت عذابهم) أى وهو موتهم لأن موتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها إلى قيام الساعة فيقذفون في النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمخدوف قدره المفسر بقوله اذ كر أى اذ كر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى (٤٤) ليس مأخوذا من معنى الوفد لأن الوفد في اللغة الجماعة الذين يقدمون

على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقين لما ورد : أنهم يحشرون ركبا على نجائب مرجها من ياقوت وعلى فوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد . واختلف في وقت ركوبهم ف قيل من أول خروجهم من القبور ، وقيل من منصرفهم من الوقف

(فردا) لا مال له ولا ولد (واتخذوا) أى كفار مكة (من دون الله) الأوثان (آلهة) يعبدونهم (ليكونوا لهم عزا) شفعا عند الله بأن لا يعذبوا (كلأ) أى لآمانع من عذابهم (سيكفرون) أى الآلهة (بعبادتهم) أى ينفونها كما في آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون (ويكونون عليهم ضدا) أعوانا وأعداء (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين) سلطانهم (على الكافرين تؤزهم) تهيجهم إلى المعاصي (أزا) فلا تعجل عليهم (بطلب العذاب) إنما نعد لهم (الأيام والليالي أو الأنفاس) (عدا) إلى وقت عذابهم ، اذ كر (يوم نحشر المتقين) بإيمانهم (إلى الرحمن وفدا) جمع وافد بمعنى راكب (ونسوق المجرمين) بكفرهم (إلى جهنم وزدا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لا يملكون) أى الناس (الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أى شهادة أن لا إله إلا الله ،

وعلى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة ، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم ولا

من القبور حتى يأتوا الموقف ثم بعد انقضاء الوقف يركبون حتى يدخلوا الجنة . وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول لجلها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الدر الأبيض ومرجها السندس والاستبرق ، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ، ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الفرق وأمنوا الأهوال . وورد أيضا : يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم لما ورد : أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفني ؟ فيقول لا فيقول أنا عمالك الصالح طالما ركبتك وأنعمت بك في الدنيا اركبني اليوم ، وأن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتها ريجا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمالك السيئ طالما ركبتني وأنعمتني في الدنيا وأنا اليوم اركبك قال تعالى : وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله لا يملكون) أى الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة أى كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه (قوله إلا من اتخذ) مستثنى من العموم المتقدم وهو متصل (قوله عند الرحمن) كرر لفظ الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى شهادة أن لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله) في رواية : والتبرى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أي وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) أي تقر بها وتوبيخها (قوله منكرا عظيما) أي فظيلا شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشيء منكرا عظيما (قوله ينظرون) أي يفتنون ويقطعون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وظاهره أن القراءات أربع وليس كذلك بل هي ثلاث فقط لأن في قراءة التاء من نكاد وجهين التاء والنون من ينظرون وفي قراءة الياء وجهها واحدا وهو التاء من ينظرون واثلاث سبقيات (قوله وتنشق الأرض) أي تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى أن هذه المقالة منهم موجبة للفضب عليهم الذي ينشأ عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الأرض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته ، أو المعنى أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفرع منها السموات والأرض والجبال وتمنى أنها لو أهلكت من تفوق بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم (قوله وما ينبغي (٤٥) للرحمن) أي لا يليق به ذلك

ولا يتأتى لاستحالة عليه عقلا ونقلا لأن الولد علامة الضعف والحدوث (قوله لقد أحصاهم) أي أحاط بهم علمه (قوله وعدهم عدا) أي عدا أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله وأحصاهم فكأنه قال أحاط بهم علمه جمعا وفرادى (قوله فردا) أي منفردا (قوله سيجمل لهم الرحمن ودا) أي في الدنيا والآخرة

ولا حول ولا قوة إلا بالله (وَقَالُوا) أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) أي منكرا عظيما (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ) بالنون وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالُ هَدًّا) أي تنطبق عليهم من أجل (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) قال تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أي ما يليق به ذلك (إِنْ) أي ما (كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزيز وعيسى (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فَأَنَّمَا يُسْرِنَا) أي القرآن (بِلِسَانِكَ) العربي (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الفائزين بالإيمان (وَتُنذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لَّدَا) جمع الد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة (وَكَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هَلْ تُحِسُّ) تعجب (مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا؟ لا ، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء .

والتنوين للتعظيم أي ودا عظيما فكما عظمت طاعتهم عظم ودّهم لربهم ولأحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فإن المحبة رأس الإيمان وأساسه لما في الحديث «ألا لإيمان لمن لا محبة له» فمن أعطى المحبة لله ولأحبابه فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لأن المحبة حكمة إيجاد الخلق لما في الحديث القدسي «فأحببت أن أعرف خلقت الخلق في عرفوني» وبالجملة فالمحبة لأمرها عظيم ولذا كان تنافس العارفين فيها كبيرا ، فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا ، وعبر بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة في مبدأ الإسلام مفرقين فوعد الله رسوله بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين ويضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت في مبدأ الإسلام نسائية له صلى الله عليه وسلم ، وودا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرهما فهو مثاث (قوله فأنما يسرناه) أي أنزلناه مبسرا (قوله العربي) أي فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع الد) أي شديد الخصومة (قوله وكما أهلكنا الخ) تخويف لهم ونسائية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحس رباعيا والاستفهام إنكارى كما أشار إليه بقوله لا وقرئ شدوذا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرهما (قوله منهم) حال من أحد لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) أي والمعنى استأصلاصهم بالهلاك جميعا حتى لا يرى منهم أحد ولا يسمع لهم صوت خفي

[سورة طه مكية] أى كلها وقيل إلا فاصبر على ما يقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل إسلام هجر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت سببا فيه (قوله أو أر بعون الخ) أى فالحلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك إلى أن طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها ، وقيل إن طه اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء ، وقيل إنه فعل أص وأصله طأها ، والمعنى طأ الأرض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه فى تهجده حيث كان يقوم الليل كله ويقف على إحدى رجليه ويرجى الأخرى من شدة التعب فأمره الله بالتخفيف على نفسه ، فكان يصلى وينام ويقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما ، وقيل إن معنى لتشقى لتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر ، قائما عليك البلاغ فأرح نفسك من هذا التعب فانا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى ، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لأجله ولتشقى كذلك وإنما نصب الثانى دون الأول لأن فاعل الذ كرى والانزال هو الله (٤٦) بخلاف الأول (قوله لمن يخشى) أى لمن فى قلبه رقة يتأثر بالمواعظ

(قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والأصل نزله تنزيلا حذف الفعل وجوباً لنيابة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن الرحمن خبر المحذوف وحيث قد يكون نعنا مقطوعاً قصد به المدح (قوله سرير الملك) أى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس: قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة الساف الدين

(سورة طه مكية)

مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون أو اثنتان

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طه) الله أعلم بمراده بذلك (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) يا محمد (لَتَشْقَى) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل ، أى خفف عن نفسك (إِلَّا) لكن أنزلناه (تَذْكِرَةً) به (لِمَن يَخْشَى) يخاف الله (تَنزِيلًا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (يَمَنُ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر ، هو (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك (اسْتَوَى) استواء يليق به (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (وَمَا تَحْتِ الثَّرَى) هو التراب الندى ، والمراد الأرضون السبع لأنها تحتها (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَالٍ) فى ذكر أو دعاء فالله غنى عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) منه ، أى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به ،

فلا

يقوضون علم التشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضى الله عنه

عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل: الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمن به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عن هذا المبتدع ، وأما الخاف وهم من بعد الحسمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون إن المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرسي بمعنى جلس واستوى على الأقطار بمعنى ملك وقهر ، ومن الثانى قول الشاعر: قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq وحيث قد المتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو التراب الندى) أى الذى فيه نداوة فإن لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وإن تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير أمر شرعى كأنه يقول إن الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالدكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى إما جهل أو كفر وأما لغرض آخر كإرشاد العباد وحضور القاب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فإنه يعلم السر الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله وأخفى) هو أفعال تفضيل أى والذى هو أخفى من السر (قوله أى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد أقوال فى تفسير السر وأخفى ، وقال ابن عباس: السر ما أسر به ابن آدم

لنفسه وأخى ما أخى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فأنه يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد
وجميع الخلق في علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء والهاء أو ضم التاء وكسر الهمزة من جهد واجهد : أى
لا تعب نفسك بالجهد بقصد إسماع الله تعالى ، وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسن مؤث لأحسن)
أى فهى اسم تفضيل بوصف بها الواحد من المؤث والجمع من المؤث (قوله وهل أناك حديث موسى) الاستفهام
للتشويق والتقرير في ذهن السامع والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له إنا أرسلناك بالتوحيد
ولا غرابة في ذلك فإنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كإبراهيم عن كابر ، وقد خطب به موسى حيث قيل له : إني أنا الله لا إله إلا أنا
فاعبدني ، وبه ختم موسى مقالته حيث قال : إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو فالقصد من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ما ذكر
بتطوع والتفات وحضور قلب لاحقيةته فإنه مستحيل عليه تعالى أو أن هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله إذا رأى نارا) ظرف
لحديث (قوله امرأته) أى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفورة واسم أختها ليا ، وقيل شرفا وقيل عبدا
واختلف فى التى تزوجها فقيل هى الصغرى ، وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكثوا) إنما أتى بجمع الذكور وإن كان
الخطاب لامرأته تعظيما أو مراعاة لمن معها من الخدم والأولاد (قوله وذلك فى مسيره الخ) روى أنه عليه السلام استأذن شعبيا
عليه السلام فى الخروج إلى أمه وأخيه بمصر فخرج بأهله وأخذ على (٤٧) غير الطريق مخافة من ملوك الشام

فلما وافى وادى طوى
وهو بالجانب الغربى من
الطور الذى هو بفلسطين
لأنه هو الذى على يمين
المتوجه من مدين وقيل
هو الذى بين مصر وأيلة
وردة بأنه على يسار المتوجه
من مدين إلى مصر كما
هو مشاهد وقد قال تعالى
وناديناه من جانب الطور
الأيمن ولد له ولد فى ليلة
مظلمة شاتية باردة
وكانت ليلة الجمعة وقد

فلا تجهد نفسك بالجهد (الله لا إله إلا هو الأسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث
والحسن مؤث لأحسن (وهل) قد (أنتك حديث موسى) . إذ رأى نارا فقال لأهله (لامراته
(أمكثوا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (إني آتيت) أبصرت (نارا أعلى
آتيكم منها يقبسى) شعلة فى رأس فتيلة أو عود (أو أجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى) أى هاديا يدلنى
على الطريق وكان أخطاها لظلمة الليل ، وقال : لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فلما أتيتها) وهى
شجرة عوسج (نودى يا موسى إني) بكسر الهمزة بتأويل نودى بقليل وفتحتها بتقدير الباء
(أنا) تأكيد ليا التكلّم (رَبِّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المطهر أو المبارك
(طوى) بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث
باعتبار البقعة مع العالمية ،

أخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولأماء عنده وقدر زنده فلم يخرج نارا فيبينها هو فى ذلك إذ رأى عن يسار الطريق من جانب
الطور نارا فأمر أهله بالمكث لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فإنه
عما لا يخطر بالبال ، فلما وصل إلى تلك النار التى أبصرها خاطبه الله وأرسله إلى فرعون وخلف أهله فى الموضع الذى تركهم فيه
فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحماهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى يدي إسرائيل
البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر (قوله إني آتيت) من الأيناس وهو الابصار ومنه إنسان العين لأنه
يبصر الأشياء (قوله أو أجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى) أو مائة خلو تجوز الجمع وعلى بمعنى عند أى عند النار (قوله وكان أخطاها)
أى لأنه سار على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لأنه لا يدري ما يفعل الله به (قوله فلما
أناها) أى النار التى آتتها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى يا موسى إني أنا
ربك) هذا أول الكلمة بينه وبين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى أن العذاب على من كذب وتولى ، وهذا بالنسبة لهذه
الواقعة وإلا فله مكالمات أخرى ومع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى إن كل جارحة منه كانت أدنا (قوله فاخلع
نعليك) أى تواضعا لله ومن ثم كان الساف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعها لئلا يستهوا لأنهما كانا من جلد حمار ميت
لم يدبغ ، روى أنه خاضعهما وألقاهما خلف الوادى (قوله بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان .

(قوله وأنا اخترتك) أى للنبوّة والرسالة وكان عمره إذ ذك أربعين سنة كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى :
 (قوله إني أنا الله) يدل مما يوحى وهو إشارة للعقائد العقلية وقوله : فاعبدني إشارة للأعمال الفرعية ، وقوله إن الساعة آتية
 إشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وإن كانت داخلة في جملة العبادات
 لعظام شأنها واحتوائها على الذكر وشغل القلب واللسان والجوارح فهي أفضل أركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكرى فيها)
 أى لتذكركنى فيها لأنها مشتملة على كلامى وغيره من أنواع الذكر (قوله إن الساعة آتية) أى حاصلة ولا بد وسميت ساعة
 لأنها تأتي في ساعة أى قطعة من الزمان (قوله أكاد أخفيها) أى أريد إخفاء وقتها ، والحكمة في إخفاء وقتها وإخفاء الموت
 أن الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفي العرصة فلو عرف الخلق وقتها لاشتغلوا بالمعاصي إلى قرب ذلك الوقت ثم
 يتوبون فيخلصون من عقاب المعصية فتعريف وقتها كالأغراء بفعل المعاصي (قوله بعلاماتها) أى أماراتها وأول العلامات
 الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدي (قوله لتجزى) إما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله أكاد
 أخفيها جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق (قوله بما تسمى) ماموصولة وجملة تسمى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به
 وقوله من خبر ومضربان لما (قوله فلا يصدنك) الخطاب لموسى ، والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لانصاله بنون التوكيد
 الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة (٤٨) مقدرة على الألف بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب النهي (قوله

وما تالك بيمينك يا موسى)
 أى بعد أن خلق عليه
 خاتمة النبوّة والرسالة بسط
 له الكلام ليزداد حبا
 وشغلا ويؤيده بالمعجزات
 الباهرة وما أمم استفهام
 مبتدأ وتلك اسم إشارة
 خبر وقوله بيمينك متعلق
 بمحذوف حال والعامل
 فيه معنى الإشارة وهذا
 أحسن من جعل تلك اسم
 موصولا بمعنى التي ويمينك
 صلته لأنه ليس مذهب

(وَأَنَا أُخْتَرْتُكَ) من قومك (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) إليك مني (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فيها (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) عن الناس ويظهر
 لهم قربها بعلاماتها (لِتُجْزَى) فيها (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى) به من خير أو شر (فَلَا
 يَصُدُّكَ) بصرفنك (عَنْهَا) أى عن الإيمان بها (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) في إنكارها (فَتَرْدَى) أى قتهلك إن انصدت عنها (وَمَا تِلْكَ) كائنة (بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)
 الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ) أعتمد (عَلَيْهَا) عند
 الثوب والمشى (وَأَهْشُ) أخبط ورق الشجر (بِهَا) ليسقط (عَلَى غَنَمِي) فتأكله (وَلِي
 فِيهَا مَآرِبٌ) جمع مأرب مثلث الراء أى حوائج (أُخْرَى) لحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام ،
 زاد في الجواب بيان حاجاته بها (قَالَ أَتَقَهَا يَا مُوسَى) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ (ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ
 تَسْعَى) تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير ،

البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) أى فحكمة الاستفهام

السمى

كون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق ما يعلم منها ، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم
 فانه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) أى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما
 زوجه ابنته أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصا الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم فأخذها
 موسى بعلم شعيب ، وإنما زاد في الجواب لأن المقام مقام مبالغة وخطاب الحبيب ولا شك أن الزيادة في الجواب في هذا
 المقام مما يريح الفؤاد وإلا فكان بكفيه أن يقول هى عصاى (قوله عند الثوب) أى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم
 الهاء من هش هش بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه ، وأما هش هش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر
 والبشاشة (قوله ولي فيها مآرب أخرى) أجمل في هذا الجواب إباحياء من الله تعالى لطول الكلام أو تكالا على علمه تعالى (قوله
 لحمل الزاد) أشار بالسكاف إلى أن لها منافع أخرى فكان يستقي بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبها
 نصير دلوا فتملأ وكانت تماشيه وتحاذيه وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكله يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب
 الماء وكان إذا انتهى ثمره ركزها فذهب من غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتها نضيان بالليل كالسراج وإذا ظهر له
 عدو كانت تحارب به (قوله فألقاها) أى طرحها على الأرض (قوله فإذا هى حية تسمى) عبر عنها بالحية وفي آية أخرى ثعبان

ولي أخرى بأنها كالجان ووجه الجمع ما أشار له المفسر بقوله نسي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ . والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار مشيها (قوله المسمى بالجان) أي وهو الثعبان الصغير . وأما الجان فهو النوع المعروف (قوله قل خذها ولا تخف) إنما حصل له الخوف لأن صورتها هائلة فشعبتها صارتا شديقين لها والمجن عنقها وعيناها تتقدان نارا نمر بالشجرة العظيمة فتلتصقها وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأنيابها صوت عظيم فظن أنها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها ولا تخف تبين له أنها نعمة لأنقمة (قوله فأدخل يده) أي مكشوفة ، وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال الله له خذها لك كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وقال أرأيت لو أذن الله لها أ كانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض وقاعله ضمير يعود على موسى أي علم (قوله أن موضع الخ) في محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أي الانكاء عليها ، والمعنى أنه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شديقين وصار ما تحتها وهو محل مسكها بيده عنقها لها (قوله ورأى ذلك) أي بصر الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أي عنده (قوله بمعنى الكف) أي لا بمعنى حقيقةها وهي من الأصابع إلى المنكب (٤٩) (قوله تحت العضد) بيان المراد من

الجنب وقوله إلى الأبط أي من المرفق منتهيا إلى الأبط (قوله من الأدمة) أي السحرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير أراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهرق (قوله تضيء كشمع الشمس) أي فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان لها نور صاطع

المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) منها (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا) منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها (الأولى) فأدخل يده في فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون (وَأَضْمُمُ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (إِلَى جَنَاحِكَ) أي حبلك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها (تَخْرُجُ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي برص تضيء كشعاع الشمس تضيء البصر (آيَةٌ أُخْرَى) وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج (لِتُرِيَنَّكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (مِنْ آيَاتِنَا) الآية (الْكُبْرَى) أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها (أَذْهَبَ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَفَى) جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة (وَيَسِّرْ) سهلا (لِي أُمْرِي) لأبلغها (وَأَخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) حدثت من احتراقه ،

بضيء بالليل والنهار بصوه الشمس والقمر واشتد ضوءا ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول (قوله الآية الكبرى) فقره إشارة إلى أن الكبرى صفة لمحدوف مفعول ثان لقوله لتريك والكاف مفعول أول والكبرى اسم تفضيل ، والمعنى التي هي أكبر من غيرها حتى من العصا لأنها لم تعارض أصلا ، وأما العصا فتد عارضها السحرة (قوله اذهب إلى فرعون) أي همايتين الآيتين وهما العصا واليد . روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتك فانك بعيني وسمي وإن معك يدي ونصري وإني ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حتى وأنكر ربوبيتي ، أقسم بعزتي لولا الحججة التي وضعت بيني وبين خاقي أبطشت به بطاشة جبار ولكن هان عليّ وسقط من عيني ، فبلغه رسالتی وادعاه إلى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لنا لا يفتتر باباس الدنيا فإن ناصيته بيدي لا يظرف ولا يتنفس إلا بعامی ، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له أجب ربك فيما أمرك ، فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) أي فانك كافتني بأمر عظيم لا يقوى عليه إلا من شرحت صدره وقوته (قوله وأحلل عقدة من لساني) أي السكة حاصلة فيه وقد أجيب بحالها فعاد لفصاحته الأصلية وهذا هو الأحسن ، وقيل زال بعضها بدليل قوله تعالى :

هو أنصح في أسانا - وقول فرعون - ولا يكاد يبين - ورد بأن معنى هو أنصح أنه لم يظراً عليه لكنة وقول فرعون باعتبار ما يعهد منه (قوله بجمرة وضعها الخ) أي وذلك أن موسى لأعبه فرعون ذات يوم فنتفخ لحيته ولطمه على وجهه فانغم وهم بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لا يفتن منه لأنه لا يفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بطست فيه تمر، وقيل جوهر، و بطست آخر فيه جمر فأراد أن يأخذ التمرة أو الجوهرة فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق أسانه وصار فيه لكنة (قوله يفقهوا قولي) مجزوم في جواب الدعاء (قوله وزيراً) من الوزر وهو الثقل سمي بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك ويعينه على أموره ويقوم بها (قوله مفعول ثان) أي والأول وزيراً والأحسن عكسه بأن يجعل وزيراً مفعولاً ثانياً مقدماً وهرون مفعولاً أول مؤخراً لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة لأن أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثاني لأن أصله الخبر ووزيراً نكرة وهرون معرفة بالعلمية (قوله والفعالان بصيغتي الأمر والمضارع الخ) حاصل ما هنا أن القراءات السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغتي الأمر فتضم الهمزة في الأول وتفتح في الثاني، والمضارع فتفتح في الأول وتضم في الثاني وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهي أن تسكن الياء بمدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع أو فتحها والفعالان بالأمر أو تحذفها وهما بالأمر أيضاً (قوله وهو جواب الطلب) أي وهو اجعل لي (قوله كي نسبحك كثيراً) تعليل لكل من الأفعال الثلاثة التي هي اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد أوتيت) أي جواباً لمطلوباته (٥٠) وقوله سؤلك أي مستولك ففعل بمعنى مفعول كأكل وخبز بمعنى مأكل

ومحبوز (قوله يا موسى) خاطبه باسمه إشعاراً بحبته وتعظيم شأنه ورفعة قدره عليه السلام (قوله منا عليك) أي تفضلاً حاصلًا عليك وقدره دخولا على ما بعده (قوله ولقد مننا عليك) استئناف مسوق لزيادة الطمانينة لموسى كأن

بجمرة وضعها فيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة (وَأَجْمَلُ لِي وَزِيرًا) معينا عليها (مِنْ أَهْلِ هُرُونَ) مفعول ثان (أَخِي) عطف بيان (أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي) ظهري (وَأَشْرِكُهُ فِي أُمْرِي) أي الرسالة والفعالان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب (كَيْ نُسَبِّحَكَ) تسبيحاً (كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ) ذكرًا (كَثِيرًا . إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) علماً فانعمت بالرسالة (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) منّا عليك (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى . إِذْ) للتعليل (أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ) مناماً أو إلهاماً لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد .

(ما)

الله يقول له إنا قد مننا عليك بمن سابقة من غير دعاء منك ولا طاب

فلأن أعطيك ما نطلبه بالأولى، وصدر الجملة بالقسم زيادة في الاعتناء بشأه (قوله مرة أخرى) تأنيث آخر بمعنى غير أي تحققت مننا عليك مرة أخرى غير المنّة التي تحققت لك بسؤالك، والمراد بالمنّة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) أي لقوله مننا، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ ويصح أن تكون للظرفية، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إيحائنا إلى أمك الخ. وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية. الأولى قوله إذ أوحينا. الثانية قوله وألقيت عليك. الثالثة قوله: ولتصنع على عيني. الرابعة قوله: فرجعناك إلى أمك. الخامسة قوله: وقتلت نفسك. السادسة قوله: وقتلتك فتوفاه. السابعة قوله: فلبثت سنين. الثامنة قوله: واصطنعتك لنفسى (قوله إلى أمك) أي واسمها يوحانث بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فالف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله مناماً أو إلهاماً) أي أو يقظة ولا ينافيه كونها ليست نبيه فان الخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف وأما الوحي بغير الشرع فجائز حتى للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله لما ولدتك) أي في السنة التي رتب فرعون أتباعه للصبح كل من يولد من الدكور في تلك السنة، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالكة فقصها على الكهنة فعبثت له بمولود يكون زوال ما سكه على يديه فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الدكور حتى شق الأمر فأبقى القتل في سنة ورفعه في سنة فصادف ولادة موسى عليه السلام في السنة التي فيها القتل، فلما ولد جاء أتباع فرعون يفتشون على المولود فوضعت أمه في التنور فجاءت أخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه، فخرجوا من عندها فنظرت إلى التنور فوجدته موقداً فخافت عليه فناداها من التنور فأخرجته سالماً فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في الهم، فأخذت صندوقاً وجعلت فيه قطناً ووضعت فيه

ثم طالت رأس التابوت بالقار وألقته في اليم ، فوجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بستان فرعون وكان فرعون جالسا مع آسية زوجته فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أحسن الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا حتى إنه لم يقدر على بعده عنه ، وذلك قوله تعالى - وألقيته عليك محبة مني - (قوله ما يوحى) أهمه للتعظيم كقوله تعالى - فغشيهم من اليم ما غشيهم - (قوله في أمرك) أى شألك (قوله ويبدل منه) أى بديل ، فصل من مجمل (قوله أى شاطئه) المراد قربه لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريبا من البر (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى وحكمة العدول عنه أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الإرادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بأمر لا يستطيع مخالفته (قوله وألقيت عليك محبة مني) يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة مني بأن أحبيتك فتسبب عن محبة محبة الناس لك ، ويحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة خالقها في قلوب الناس لك فأحبوك ، والأول أحسن لعدم السكينة فيه (قوله ولتضع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربي على رعايتي الخ) أى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازا مرسلا من إطلاق السبب وهو نظر العين على المسبب وهو الحفظ والرعاية ، لأن شأن من ينظر للشيء بعينه أن يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) أى وكانت شقيقته وهي غير أم عيسى (قوله لتعرف خبرك) أى فوجدتك في يد فرعون (٥١) فدلهم على أمك حيث قالت

هل أدلكم الخ (قوله وأنت لا تقبل الخ) أى الحكمة عظيمة وهي وقوعك في يد أمك لأنك لورضعت غيرها لاستغفوا عن أمك (قوله على من يكفله) أى يكمل رضاعه ، وقد أرضعته أمه قبل ثلاثة أشهر وقيل أربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فأجيت الخ (قوله كي تقرر عينها) أى تسكن وتبرد دمنة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) أى حين

(مَا يُوحَى) في أمرك ويبدل منه (أَنْ أُقْذِفِيهِ) ألقيه (فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ) بالتابوت (فِي الْيَمِّ) بحر النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) أى شاطئه والأمر بمعنى الخبر (يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ) وهو فرعون (وَأَلْقَيْتُ) بعد أن أخذوك (عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي) لتحب من الناس فأحبك فرعون وكل من رآك (وَلِتَضَعِ عَلَى عَيْنِي) تربي على رعايتي وحفظي لك (إِذْ) للتعليل (تَمْشِي أُخْتُكَ) مريم لتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ) فأجيت فجاءت بأمه قبل ثديها (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائك (وَلَا تَحْزَنَ) حينئذ (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اخترناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) عشرا (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) بعد مجيئك إليها من مصر من عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ) في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك (يَا مُوسَى وَأَصْطَفَيْنَاكَ) اخترتك (لِنَفْسِيَ) بالرسالة (أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ) إلى الناس (بِآيَاتِي) التسع

إذ قيات ثديها ، والمراد نفي دوام الحزن (قوله هو القبطي) أى واسمه قاب قان وكان طبيا لفرعون (قوله من جهة فرعون) أى لامن جهة قتله فانه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) أى خالصناك من محنة بعد أخرى - روى أن سعيد بن جبيرة سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال : خالصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبيرة ، وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وضلت غنمه في ليلة مظلمة ، وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبيرة (قوله سنين عشرا) أى ولبت في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثني عشرة سنة فمكث بمدين لرعى الغنم عشر سنين وبعدها ثمان عشرة سنة (قوله على قدر) أى مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسى) أى لتشتغل بأوامري وتبليغ رسالتي ، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لى لا تغري (قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي) أى قد أجبتك فيما طلبت وأعطينا أخاك الرسالة فاذهب أنت وهو إلى فرعون وقومه (قوله إلى الناس) قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا لدلالة قوله فيما يأتي إلى فرعون عليه كآله حذف فيما يأتي قوله بآياتي لدلالة ما هنا عليه في الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر (قوله بآياتي التسع) المناسب للمفسر أن يقول العصا واليد لأن بالي التسع لم يكن في المبدأ بل كان في أثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة

(قوله ولا تنفيا في ذكرى) يقال ونى ونيا كوعد يعد وعدا إذا فتر وأصله تونيا حذف الواو لوقوعها بين عدوتها الفتحه والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو المقصود بالذات (قوله اذهبوا إلى فرعون) إن قلت ما حكمة جمعها في ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا في محل المناجاة بل كان في ذلك الوقت بمصر . أجيب بأن الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن سمع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن ما يقال (قوله فتولاه قولنا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله في سورة النازعات في قوله هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض (قوله في رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة إليهما) أى إلى موسى وهرون ، والمعنى اذهبوا مترجيين إيمانه وطامعين فيه ولا تذهبوا آيسين منه (قوله اعلمه تعالى بأنه لا يرجع) أى والفائدة في إرسالهما إلزامه الحجة وقطع عذره لجريان عادته سبحانه وتعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك (قوله قال ربنا) أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما وإن كان مكانهما مختلفا لما تقدم أنه لا مانع من إزالة الحجاب (٥٣) عن هرون وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقت المناجاة (قوله أو يعجل

(وَلَا تَنفِيَا) تنفرا (فِي ذِكْرِي) بتسبيح وغيره (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) بادعائه الربوبية (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) في رجوعه عن ذلك (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أَوْ يَخْشَىٰ) الله فيرجع ، والترجى بالنسبة إليهما اعلمه تعالى بأنه لا يرجع (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) أى يعجل بالعقوبة (أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ) علينا أى يتكبر (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا) بمعنى (أَسْمَعُ) ما يقول (وَأَرَىٰ) ما يفعل (فَأَنْتِيَاهُ قَوْلًا) إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (إِلَى الشَّامِ) وَلَا تَعَذِّبْهُمْ) أى خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالخفر والبناء وحمل الثقل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) بحجة (نَرْبِّكَ) على صدقنا بالرسالة (وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ) أى السلامة له من العذاب (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ) ماجئنا به (وَتَوَلَّى) أعرض عنه ، فَأَنْتِيَاهُ ونالاه جميع ما ذكر (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ) اقتصر عليه لأنه الأصل ولادلالة عليه بالتربية (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ) من الخلق (خَلْقَهُ) الذى هو عليه متميز به عن غيره (ثُمَّ هَدَىٰ) الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قَالَ) فرعون (فَمَا بَالُ) حال (الْقُرُونِ) الأمم (الْأُولَىٰ) كقوم نوح وهود ولوط وصالح ،

بالعقوبة) أى فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة (قوله أو أن يطنى) أى يزداد تكبرا وكفرا وأوامنة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لا تنزعجان منه (قوله فانتياه) أى اذهبوا بأنفسكما إليه ولا تنقدا في مكان وترسلا له (قوله فتولاه قولنا) إنا رسول ربك (أمرها الله أن يقول) له ست حمل أولها قوله : إنا رسول ربك . الثانية قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل . الثالثة ولا تعذبهم . الرابعة قد جئناك بآية من ربك

الخامسة : والسلام على من اتبع الهدى . السادسة : إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى (قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم فانهم أولاد الأنبياء ولا يليق أن يتولى عليهم خسايس ، والمعنى أن موسى وهرون أرسلوا إلى فرعون بأنه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى إسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادعينا من الرسالة (قوله فانتياه) وقالاه جميع ما ذكر (قدر ذلك إشارة إلى أن قوله قال فمن ربكما الخ مرتب على محذوف وإشعارا بأنهما صارعا إلى امتثال الأمر من غير توان فيه (قوله قال فمن ربكما) لم يصف الرب لنفسه تكبرا وطمعانا وخوفا على قومه إذا أضاف الرب لنفسه أن يميلوا لموسى (قوله اقنعهم عليه) أى مع توجيه الخطاب لهما (قوله لأنه الأصل) أى في الرسالة وهرون وإن كان رسولا إلا أن المقصود منه معارضة موسى (قوله ولادلالة عليه بالتربية) أى ولإقامة فرعون الدليل على موسى بأن ذكره بتريته له في قوله الآتى في الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) أى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) أى من كل شيء (قوله قال فما بال القرون الأولى) لما ظهر للعين حقيقة ما قال موسى وبطلان ما هو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام إلى ما لا يعنيه من الأمور التى لا تنافى لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رباسته أن تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال علمها عند ربى

(قوله في عبادتهم الأوثان) أي أكان سببا في شقاوتهم أو سعادتهم وإنعالم يوضح له الجواب لأنه مأمور بلاطفته فإذا وضع له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لا يضل ربي) أي لا يذهب شيء عن علمه (قوله ولا ينسى) أي بعد علمه (قوله الذي جعل لكم الأرض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول (قوله مهادا) أي كاللهاد (قوله طرقا) أي تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا ما ربيكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله : فأخرجنا به أزواجا من كلامه تعالى لا يطر يق الحكاية عن موسى بل خطابا لأهل مكة وامتنانا عليهم وينتهي إلى قوله تارة أخرى وقيل إنه من كلام موسى أيضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لأهل مكة) أي في قوله : كلوا وارعوا (٥٣) (قوله شق) ألفه للتأنيث

(قوله يقال رعت الأنعام الخ) أي فيستعمل لازما ومتعديا (قوله أي مبيحين لكم) المناسب أن يقول أي قائلين لكم كلوا الخ فهو أمر إباحة (قوله جمع نهية) وقيل إنه سم مفرد فهو صدر كالهدي والسري (قوله بخاق أبيكم آدم منها) أي لجميع الخاق غير آدم خالقوا من الأرض بواسطة وهذا أحد قولين وقيل كل إنسان خاق من التراب بلا واسطة لأن كل نطفة وقعت في الرحم يأخذ الملاك الموكل بها شيئا من تراب المكان الذي يدفن فيه فينذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) إخبار عما وقع لموسى في مدة دعائه لفرعون وبهذا

في عبادتهم الأوثان (قال) موسى (عليها) أي علم حالهم محفوظ (عند ربي في كتاب) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لا يضل) يغيب (ربي) عن شيء (ولا ينسى) ربي شيئا، هو (الذي جعل لكم) في جملة الخلق (الأرض مهادا) فراشا (وسلك) سهل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأزلك من السماء ماء) مطرا قال تعالى تتبعا لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فأخرجنا به أزواجا) أصنافا (من نبات شتى) صفة أزواجا أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرها، وشتى جمع شتيت كمرىض ومرضى من شت الأمر : تفرق (كلوا) منها (وارعوا أنعامكم) فيها جمع نعم هي الإبل والبقر والغنم، يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الأكل ورعى الأنعام (إن في ذلك) المذكور هنا (آيات) لعلرا (لأولي النهى) لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف، سمى به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (منها) أي من الأرض (خلقناكم) بخلق أبيكم آدم منها (وفيها نعيدكم) مقبورين بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة) مرة (أخرى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (ولقد أريناه) أي أبصرنا فرعون (آياتنا كلها) التسع (فكذب) بها وزعم أنها سحر (وأبى) أن يوحد الله تعالى (قال) أجيئنا لتخرجنا من أرضنا مصر ويكون لك الملك فيها (يسخر) يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله (يعارضه) (فاجعل بيننا وبينك موعدا) لذلك (لا نخلفه) نحن (ولا أنت مكانا) منصوب بنزع الخافض : في (سوى) بكسر أوله وضمه أي وسطا تستوى إليه مسافة الجاني من الطرفين (قال) موسى (موعدكم يوم الزينة) .

التقرير صح قول المفسر التسع واندفع ما يقال إن فرعون في ابتداء الأمر لم ير إلا العصا واليد وعليه فتسكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجيئنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) أي بعد أن رأى ما رأى من معجزة العصا واليد قال ماذا تستر وخوفا على حظ رياسته لئلا يؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتي وكبريائي وقوله بسحر متعلق بنائينك (قوله مثله) أي في الغرابة (قوله موعدا) الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل ر قوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض أي فالمعنى عين زماننا بيننا وبينك نجتمع فيه في مكان سوى أي متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتهيين لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد فيكون أعظم نفرا لموسى عليه السلام .

(قوله يوم عيد لهم) أى وكان يوم عاشوراء وانفق أنه يوم سبت (قوله وأن يحشر الناس) أن وما دخلت عليه في نأويل مصدر معطوف على الزينة أى ويوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) أى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله أدبر) أى انصرف من المجاس (قوله أى ذوى كيده) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم الموعد) أى في يوم الزينة في المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وهذا أحد أقوال في عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهو ما في بعض النسخ، وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد حبل وعصا) تقدم أنها كانت حمل أربعمئة بعير (قوله أى ألزمكم الله الويل) أشار بذلك إلى أن ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله بأشراك أحد معه) أى بسبب اشراك أحد مع الله والمعنى ألزمكم الله الويل إن افترىتم على الله الكذب بسبب اشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا (٥٤) وتشاوروا في أمر موسى وأخيه سرا، واختلف فيما أمروه فقبل هو قولهم

إن هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ما هذا ساحر فإن غلبنا اتبعناه وإن غلبناه بقينا على مانحن عليه (قوله وأمرُوا النجوى) أى تحدثوا سرا فيما بينهم (قوله لأبى عمرو) أى فقراءته بالياء اسم إن وساحران خبرها واللام للإشداء زحلت للخبر وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهو موافق أى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الألف فيبنى اسم الإشارة الدال عليه على الألف وقد أجهل المفسر في قوله

يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجمعون (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ) يجمع أهل مصر (ضُحًى) وقته للنظر فيما يقع (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى ذوى كيده من السحرة (ثُمَّ أَتَى) بهم الموعد (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (وَيَلْزَمُكُمْ) أى ألزمكم الله الويل (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بأشراك أحد معه (فَيُشْحِتْكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء وفتحهما أى يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ افْتَرَى) كذب على الله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) فى موسى وأخيه (وَأَمَرُوا النَّجْوَى) أى الكلام بينهم فيهما (قَالُوا) لأنفسهم (إِنَّ هَذَيْنِ) لأبى عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتى فى المثنى بالألف فى أحواله الثلاث (لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) مؤنث أمثل بمعنى أشرف، أى بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) من السحر بهمة وصل وفتح الميم من جمع أى لم، وبهزمة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم (ثُمَّ اثْنُوا صَفًّا) حال أى مصطفىين (وَقَدْ أَفْلَحَ) فاز (الْيَوْمَ مَنْ اسْتَمْلَى) غلب (قَالُوا يَا مُوسَى) اختر (إِمَّا أَنْ تُلْقَى) عصاك أى أولا (وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) عصاه (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فآلقوا (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) أصله عصوو قلبت الواو ياءين،

وكسرت

ولغيره هذان، والحاصل أن القراءات السبعيات أربع : الأولى

لأبى عمرو التى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إن، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون إن أو تخفيفها فعلى تشديد نون إن يكون هذان اسمها مبني على الألف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرها وإن مخففة واسمها ضمير الشأن والجملة خبر إن (قوله أى بأشرافكم) تفسير لطريقتهما (قوله فاجمعوا كيدكم) أى اجعلوه مجعاً بحيث لا يتخاف عنه واحد منكم (قوله بهمة وصل الخ) أى فهما سبعيتان (قوله ثم اتوا صفا) أى لأنه أهيب فى صدور الرائيين (قوله إما أن تلقى الخ) أن وما بعدها فى نأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل آلقوا) أى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فإذا حبالهم وعصيهم) إذا فجائية وحبالهم وعصيهم مبتدأ خبره جملة يخيل إليه الخ (قوله أصله عصوو) بوزن فلوس وقوله قلبت الواو ياءين الخ أى قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت

إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت في الياء (قوله وكسرت العين) أى اتبعا للصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل إليه) أى لأنهم طأوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل أنها تتحرك (قوله خيفة) أصله خوفا قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها (قوله من جهة أن سحرهم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بأنه على الحق ولا يصل له سوء منهم (قوله إنك أنت الأعلى) فيه إشارة إلى أن لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمئنه الله بأمور لا تخطر بباله فإن ابتلاع العصا لحبالهم وعصيتهم أمر لا يخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف أو بسكون اللام وفتح القاف قراءتان (قوله ما صنعوا) أى اخترعوا عما لاحقيقة له (قوله أى جنسه) دفع بذلك ما يقال لم لم يقل ولا يفتح السحرة بصيغة الجمع وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم فكأنه قال لا يفتح كل ساحر سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم (قوله حيث أتى) أى في أى زمان أو مكان أقبل منه (قوله فألقى موسى عصاه الخ) قدره إشارة إلى أن قوله فألقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فألقى السحرة سجدا) أى إيمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث ألقوا حبالهم وعصيتهم للكفر والجحود ، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثوب والعقاب ورأوا منازلهم في الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر المفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله فألقى السحرة سجدا ، وفيه إيماء إلى أنهم

(٥٥)

والفعل (قوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف أن يقتدى الناس بهم في الإيمان بالله وحده فألقى شبهتين الأولى قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم أى لم تشاورني ولم تستعينوا بنظر غيركم بل في الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على أن إيمانكم ليس

وكسرت العين والصاد (يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حيات (تَسْقَى) على بطونها (فَأَوْجَسَ) أحس (فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أى خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به (قُلْنَا) له (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) عليهم بالغلبة (وَأَأْتَى مَا فِي يَمِينِكَ) وهى عصاه (تَلْقَفُ) تبتلع (مَا صَنَعُوا) إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ (أى جنسه) وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) بسحره ، فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه (فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا) خروا ساجدين لله تعالى ، و (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ) فرعون (ءَأَمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ) معلمكم (الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) حال بمعنى مختلفة أى الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى (وَلَا صَلَبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) أى عليها (وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْثَا) يعنى نفسه ورب موسى (أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) أدوم ،

عن بصيرة بل بسبب آخر ، الثانية قوله إنه لكبيركم الذى علمكم السحر : أى فأنتم أتباعه في السحر فتواطأتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويحاً لأمره وتفخياً لشأنه لتنزعوا الملك منى وهاتان الشبهتان لا يقبلهما إلا من عنده تردد أو شك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شئ من ذلك لظهور شمس الهدى واتضحها لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى الأولى وهى للاستفهام والثانية وهى المزیدة فى الفعل الرابعى وقوله وإبدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهى فاء الكامة فيكون قد أشار لقراءتين : الأولى بتحقيق الهمزتين ، الثانية بتحقيق همزة الاستفهام ، وبقيت قراءة أخرى وهى تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة فى الأعراف وهى قلب الأولى واوا لعدم الضمة قبها هنا ، بخلاف ما تقدم فانها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون آمنتم وأصل الفعل آمن كما كرم بهمزتين الأولى زائدة والثانية فاء الكامة قلبت الثانية ألفا على القاعدة ، قال ابن مالك :

ومدا إبدال ثانى الهمزتين من كلمة ان يسكن كآز وثمن
ثم دخات همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أى فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (قوله أى عليها) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استهارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكليات للجزيئات فاستعيرت لفظة فى الموضوعية للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوعية للاستعلاء الخاص بجماع الممكن فى كل .

(قوله على مخالفته) متعلق بكل من أشد وأبقى (قوله قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا) أى قالوا ذلك غير ممكنين بوعيده لهم (قوله من البيئات) أى المعجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وإعما نسب المجي لهم وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضا لأنهم هم المنتفون بها (قوله قسم) أى وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق ولا يجوز أن يكون قوله لن نؤثرك جوابه لأن القسم لا يجاب بلن إلا شذوذا ولا ينبغي حمل التنزيل عليه (قوله أوعطف على ما) أى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البيئات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما أنت قاض) اقض عمل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعوله وأنت قاض صلته والعايد محذوف تقديره الذى أنت قاضيه ، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله : كذا حذف ما بوصف خفضا كانت قاض بعد أمر من قضى

وهو جواب عن تهديده المذكور كأنهم قالوا لا نبالي بك ولا بتهديدك فافعل ما بدالك ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة أنه فعل ما هددهم به (قوله النصب على الاتساع) أى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا : أى ويفر لنا الذى أكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلموا وعملا) أى لأن فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فاعلمهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين (٥٦)

على مخالفته (قالوا لن نؤثرك) نخترك (على ما جاءنا من البيئات) الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) خلقنا ، قسم أوعطف على ما (فاقض ما أنت قاض) أى اصنع ما قلته (إعما تقضى هذه الحياة الدنيا) النصب على الاتساع أى فيها وتجزى عليه في الآخرة (إنا آمنا ربنا ليفقر لنا خطايانا) من الإشرار وغيره (وما أكرهتنا عليه من السحر) تعلموا وعملا لمعارضة موسى (والله خير) منك ثوبا إذا أطيع (وأبقى) منك عذابا إذا عصى ، قال تعالى (إنه من يأت ربه مجرما) كافرا كفرعون (فإن له) نار جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة تنفعه (ومن يأت ربه مؤمنا قد عمل الصالحات) الفرائض والنوافل (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع عليا مؤث أعلى (جنات عدن) أى إقامة بيان له (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) تظهر من الذنوب (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) بهمة قطع من أسرى وبهمة وصل وكسر النون من صرى لغتان أى سر بهم ليلا من أرض مصر (قاسرب) اجعل (لهم) بالضرب بعصاك (طريقا في البحر

فأحب أن يتبها لمعارضته
يا كراه الناس على تعليم
السحر وإكراههم أيضا
على الاتيان بهم من
المدائن البعيدة وما يدل
على كونهم مكرهين على
عمله ماروى أنهم قالوا
لفرعون أرنا موسى وهو
ناثم ففعل فوحدوه تحرسه
عصاه فقالوا ما هذا ساحر
فان الساحر إذا نام بطل
سحره فابى إلا أن يعارضوه
(قوله والله خير وأبقى)
رد لقوله وتعلمن أيننا أشد
عذابا وأبقى (قوله قال

تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله : إنه من يأت ربه الخ مستأنف من كلامه تعالى

(يسا)

وقيل إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه (قوله إنه من يأت ربه مجرما) أى بأن يموت على كفره (قوله فيستريح) أى من العذاب (قوله حياة تنفعه) أى بأن تكون هنية مرية (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله وذلك) أى ما تقدم من قوله - جنات عدن - الخ (قوله تظهر من الذنوب) أى بعدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا إلى موسى) عطف قصة على قصة لأن الله تعالى قص علينا أولا مبدأ رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للأمم المحمدية ليعلموا أن الظالم وإن أهله الله وأمهه بالنم لا يهمله ، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة ونقدم ذكرها في الأعراف مبسوطة (قوله بعبادي) أى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا (قوله لغتان) أى وهما قراءتان سبعيتان وكان المناسب للفسر التفتيه على ذلك (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من أرض مصر) أى إلى البحر فهو مأمور بالسير له فلا يقال لم لم يسر بهم في البر في طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجعل كما أشار له الفسر ، والراد بالطريق جنسه فان الطرق كانت اثنتي عشرة بعدد أسباط بنى إسرائيل

فرعون) أى بعد ما أرسل
حاشرين يجمعون له
الجيش فجمعوا جيوشا
كثيرة حتى كان، مقدمة
حبشه سبعمائة ألف فضلا
عن الجناحين والقلب
والساقة (قوله بجنوده)
الجار والمجرور متعلق
بمحذوف حال من فرعون
(قوله ففشيهم من اليم
ماغشـيهم) أى علام
وغمرهم من الأمر الهائل
مالم يبلغ كنهه أحد (قوله
وأضل فرعون قومه)
إخبار عن حاله قبل الفرق
(قوله خلاف قوله : وما

أهديكم (إلا سبيل الرشاد) أى أنه مخالف له فهو تكذيب لفرعون فى قوله (قوله قد أنجيناكم من عدوكم الخ) قتم أولا نعمة
الانجاء ثم النعمة الديفية ثم الدنيوية فهو ترتيب فى غاية الحسن (قوله فنؤتى موسى التوراة) جواب عما يقال إن المواعدة كانت
لموسى لا لهم فكيف أضيف لهم . وأجيب أيضا بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلا فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار
(قوله ها الترنجيبين) هو شئ حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل عليهم فى التيه من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع
(قوله والطير السمانى) أى فكان ريح الجنوب يائتهم به فيذبج الرجل منهم ما يكفيه وشربهم من العيون التى تخرج من الحجر
(قوله بالنادى من وجد من اليهود الخ) هذا أحد قولين ، وقيل المخاطب من كان فى عهد موسى (قوله توطئة) أى تمهيدا
(قوله من طيبات ما رزقناكم) أى لدائمه وحلالاته (قوله بأن تكفروا النعمة) أى بعدم شكرها و بطركم لها (قوله بكسر
الحاء الخ) أى فى كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط فى النار) أى على سبيل الخاود (قوله يصدق بالفرض والنفل) أى العمل
الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ما ذكر إلى موته) أى بأن يدوم على التوبة والايمان والأعمال الصالحة وهو جواب
عما يقال ما فائدة ذكر الاهداء آخر ما ذكره فى عموم قوله وآمن فأفاد المفسران النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت
منه التوبة والايمان والأعمال الصالحة ثم استمر عليها إلى أن لقي مولاه

[٨ - صاوى - ثالث]

(قوله وما أعجلك عن قومك يا موسى) ما استفهامية مبتدأ وأعجلك خبره وعن قومك متعلق بأعجلك ، والمعنى أى شئ عجل متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم . وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى وعاد موسى ثلاثين يوماً وأتمها بعشر بعد إغراق فرعون وقومه بصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلاً يختارهم من بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقي ، وفي رواية أنه أمر هرون أن يأتي بهم عند تمام الليقات فسار موسى بالسبعين ، ثم عجل من بينهم تشوقاً إلى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال تعالى له وما أعجلك الخ ، والمقصود من سؤال الله لموسى إعلامه بما حصل من قومه وإلا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطاب الفهم (قوله عن قومك) سياق المفسر يقتضى أن المراد بهم جملة بني إسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لحيى ميعاد أخذ التوراة) أى لحيثك في ميعاد أخذ التوراة (قوله قال هم أولاء على أثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره ، وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله أى زيادة على رضاك) أى فسارعت إلى امتثال أمرك طلباً لزيادة رضاك ، لا لأصل الرضا فإنه حاصل وطلبه لا يليق بحال الأنبياء (قوله وقيل الجواب) أى جواب السؤال وهو قوله - وعجلت إليك رب لترضى - (قوله أتى بالاعتذار) أى عن سبقه لقومه ، وقوله بحسب ظنه (٥٨) متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) أى ظهر لموسى أن ظنه

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ) لحيى ميعاد أخذ التوراة (يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ) أى بالقرب منى يأتون (فَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) عني ، أى زيادة على رضاك ، وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قَالَ) تعالى (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) أى بعد فراقك لهم (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فعبدوا العجل (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهتهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) أى صدقاً أنه يعطيكم التوراة (أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ) مدة مفارقتي إياكم (أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ) يجب (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) بعبادتكم العجل (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) وتركتم الحيى بعدى (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا) مثلث الميم ، أى بقدرتنا أو أمرنا (وَلَكِنَّا حُمَلْنَا) بفتح الحاء مخففاً وبضمها وكسر الميم مشدداً (أَوْزَارًا) أثقالاً (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعله عرس فبقيت عندهم (فَقَذَفْنَاهَا) طرحناها في النار بأمر السامري

تخاف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ما قلناه أولاً أن المراد بالقوم جميع بني إسرائيل (قوله أى بعد فراقك لهم) أى بعشرين يوماً وهذا الخبر من الله تعالى عند تمام الأربعين (قوله وأضلهم السامري) اسمه موسى بن ظفر منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل كان منافقاً وكان قد ربه جبريل لأن فرعون لما

شرع في ذبح الولدان وضعت أمه في حفرة فتعهده جبريل وكان يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من إحداها لبن ومن الأخرى سمن ومن الأخرى عسل (قوله فرجع موسى) أى بعد أن تم الأربعين وأخذ التوراة ، روى أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل ، فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله أنه يعطيكم التوراة) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله يعيدكم والأول الكاف (قوله أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) المعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فإنه لم يطل ، وإن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم الحيى بعدى) أى لأنه وعدم أن يتبعوه على أثره لليقات تخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعده بملكنا) أى لا نألوخينا وأنفسنا ما أخلفنا ولكن السامري سؤل لنا وغاب على عقولنا فأطعناه (قوله مثلث الميم) أى وكلها قراآت سبعيات (قوله وبضمها وكسر الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو إسرائيل) أى قبل مسخ أموالهم (قوله بعله عرس) أى إن بني إسرائيل أظهروا أن العلة في استعارتها هو العرس وفي الواقع ليس كذلك (قوله بأمر السامري) أى قتال لهم إيماناً بآخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار فالرأى أن تحفروا لها حفرة وتوقدوا فيها نارا وتقدفوها فيها لتخلصوا من ذنبها .

(قوله فأخرج لهم عجلاً) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامري فهو معطوف على قوله : وأضلهم السامري (قوله جسداً) حال من العجل ولا يقال جسداً إلا للحيوان ولا يقال لغيره جسداً إلا للزعران والدم إذا ييس (قوله وأتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بنى إسرائيل (قوله أفلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتفريع (قوله أن مخفقة من الثقيلة) أى فتوله لا يرجع بالرفع في قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) أى فنصحهم هرون قبل رجوع موسى (قوله وإن ربكم الرحمن) إنما ذكر هذا الاسم تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو الرحمن (قوله حتى يرجع إلينا موسى) غاية لمكوفهم بطريق التعال والتسويق لا بطريق الوعد وترك عبادته (٥٩) عند رجوعه (قوله إذ رأيتم) ظرف

منصوب بمنعك ، والمعنى أى شئ منعهك وقت رؤيتك ضلالم (قوله لازائدة) أى للتأكيد ، والمعنى مامنعك من اتباعي في الغضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله بإقامتك بين من يعبد غير الله) أى ولم يبلغ في منعهم والإنكار عليهم (قوله بكسر الهم) أى خذت الباء وبقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفتحها أى خذت الألف المنقلبة عن الياء وبقيت الفتحة دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقا به) أى لالكونه أخاه من أمه فقط فإن الحق أنه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم رقب قولى) معطوف على أن تقول أى وخشيت عدم رقبك أى انتظارك

(فَكَذَلِكَ) كما ألقينا (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) مامعه من حليهم ومن التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتى (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجْلاً) صاغه من الحلي (جَسَداً) لحاودما (لَهُ خُوراً) أى صوت يسمع أى انقلب كذلك بسبب التراب الذى أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فيه (فَقَالُوا) أى السامري وأتباعه (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى . فَتَسَى) موسى ربه هنا وذهب بطلبه ، قال تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أ) ن مخفقة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لَا يَرْجِعُ) العجل (إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أى لا يرد لهم جواباً (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا) أى دفعه (وَلَا نَفْعًا) أى جلبه أى فكيف يتخذها (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل أن يرجع موسى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي) في عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فيها (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ) نزال (عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) على عبادته مقيمين (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ) موسى بعد رجوعه (يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بعبادته (أ) ن (لَا تَتَّبِعَنِ) لا زائدة (أَفَصَبَيْتَ أَمْرِي) بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى (قَالَ) هرون (يَا أَبْنَى أُمَّ) بكسر الهم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (لَا تَأْخُذْ بِمِخْيَتِي) وكان أخذها بشماله (وَلَا بِرَأْسِي) وكان أخذ شعره بيمينه غضباً (إِنِّي خَشِيتُ) لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبد العجل (أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وتغضب على (وَلَمْ تَرْقُبْ) تنتظر (قَوْلِي) فيما رأيته في ذلك (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ) شأنك الداعى إلى ما صنعت (يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء والتاء أى علمت ما لم يعلموه (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ) تراب (أَثَرِ) حافر فرس (الرَّسُولِ) جبريل (فَنَهَضْتُهَا) ألقيتها في صورة العجل المصاغ (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ) زينت (لِي نَفْسِي) وألقى فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيا على ما لا روح له يصير له روح ، ورأيت قومك ،

وتأملك في قولى حتى تفهم عذرى فالياء في قولى واقعة على هرون ، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر ، وقيل إنه معطوف على فرقت أى وخشيت أن تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الياء واقعة على موسى (قوله قال بصرت) ضم الصاد في قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرهما من باب تعب (قوله بالياء) أى بنو إسرائيل وقوله والتاء أى أنت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من أثر الرسول) أى وعرفه لسابق الألفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات لأخذ التوراة كان راكباً على فرس كلما وضعت حافرهما على شئ أخضر فعرف السامري أن للتراب الذى تضع الفرس حافرهما عليه شأناً (قوله في صورة العجل) أى في فيه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما في بعض النسخ .

(قوله طلبوا منك) أى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى : وجاوزنا بينى وإسرائيل البحر فأتوا على قوم يمشون على أصنام لهم الآية (قوله فإن لك فى الحياة) إن حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وأن تقول فى محل نصب اسمها مؤخر ، والمعنى أن هذا القول ثابت لك مادمت حيا لا ينفك عنك فكان يصيح فى البرية لامساس وحرّم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته ، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن ، وهذه الآية أصل فى نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم فى البرية) أى مع السباع والوحوش . يقال إن موسى عليه السلام همّ بقتله فقال الله له لا تقتله فإنه سخي (قوله وافتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم لنفسفنه فى اليم) أى فلا يبقى له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله إنما إلهكم الله الخ) كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل ، وهذا آخر قصة موسى المذكورة فى هذه السورة (قوله كذلك نقص عليك) جملة مستأنفة ذكرت نسلية له صلى الله عليه وسلم وتكثيرا لمعجزاته وزيادة فى علم أمته ليعرفوا (٦٠) أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم - ليزدادوا رفعة وشأنا

حيث اطلعوا على سير الأوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك إلى أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقص عليك الخ (قوله هذه القصة) آل للجنس لأن المتقدم ثلاث قصص : قصة موسى مع فرعون ومع بنى إسرائيل ومع السامري (قوله ذكرنا) سمي بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة فى محل نصب صفة لذكرنا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك إلى أن المراد

طلبوا منك أن تجعل لهم إلهما فحدثنى نفسى أن يكون ذلك العجل إلههم (قَالَ) له موسى (فَادْهَبْ) من بيننا (فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ) أى مدة حياتك (أَنْ تَقُولَ) لمن رأيته (لَا مِسَاسَ) أى لا تقربنى فكان يهيم فى البرية وإذا مس أحدا أو مسه أحد حتما جميعا (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا) لعذابك (أَنْ تُخْلَفَهُ) بكسر اللام أى لن تغيب عنه ، وافتحها أى بل تبعث إليه (وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ) أصله ظلت بلامين أولاها مكسورة حذفت تخفيفا أى دمت (عَلَيْهِ عَاكِفًا) أى مقيا تعبد (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار (ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) نذرينه فى هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) تمييز محمول عن الفاعل أى وسع علمه كل شيء (كَذَلِكَ) أى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ) أخبار (مَا قَدْ سَبَقَ) من الأمم (وَقَدْ آتَيْنَاكَ) أعطيناك (مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (ذِكْرًا) قرآنا (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) فلم يؤمن به (فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْرًا) حملا ثقيلا من الإثم (خَالِدِينَ فِيهِ) أى فى عذاب الوزر (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) تمييز مفسر للضمير فى ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يَوْمَ نَفْخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الثانية (وَنَخْشُرُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) عيونهم مع سواد وجوههم (يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ) يتساررون (إِنْ) ما (لَيَجِتُنَّ) فى الدنيا (إِلَّا عَشْرًا) :

بالإعراض عنه الكفر به وإنكار كونه من عند الله كلا أو بعضا (قوله من الإثم) بيان لأجل الثقل (قوله خالدين فيها) الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى يحمل العائد على من باعتبار معناها ، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه (قوله أى فى الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الدم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحمل تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم نفخ) أى نأمر بالنفخ وفى قراءة سبعة أيضا بالياء مع بناء الفعل للمفعول أى يندخ إسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خست بالذكر لأنها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول .

(قوله من الليالي بأيامها) حمل المفسر المشرط على الليالي دون الأيام لتجريد من التاء فان العدود إذا كان مؤثرا جرد العدد من التاء عكس المذكر (قوله أمثلهم طريقة) أى أعد لهم رأيا فى الدنيا (قوله لما عاينوه فى الآخرة من الهول) أى فنسب ذلك القول لهم لشدة ما عاينوا من الهول لا لكونه أقرب إلى الصدق (قوله ويستأثرونك) أى كفار مكة نعتنا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح) أى فلقى أنها تذهب بقدره الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرها) أى يتركها والضمير عائدة على الأرض (قوله قاعا صافقا) حالان من الضمير في يذرها ، والقاع المستوى أصاب ، والصفصف الأرض المساء فهو قريب فى المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا) تقدم أن العوج بالكسر فى المعنى وبالفتح فى المحسوسات وما هنا من الثانى لكن عبر فيه بالكسر لأنه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعانى (قوله يتبعون لداعى) أى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو إسرافيل) أى فيضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول : يا أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه ، وقيل للمنادى جبريل والنافع إسرافيل وصحبه بعضهم (قوله إلى عرض الرحمن) أى العرض عليه (قوله لا عوج له) أى لا يزيفون عنه يمينا ولا شمالا بل يأتونه مراعا (قوله الرحمن) أى (٦١) لجلاله وهيبته (قوله إلهما) مفعول به وهو استثناء مفرغ (قوله

إلهما من أذن له الرحمن) من مفعول به وهى واقعة على الشفوع له أو على الشفيع فتقول المفسر أن يشفع له أى أو يشفع فى غيره (قوله بأن يقول لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله ، والمعنى أن من مات على الإسلام فقد رضى الله قوله وأذن له أن يشفع فى غيره وأن يشفع غيره فيه (قوله ما بين أيديهم) أى الخلق عموما (قوله ولا يحيطون به) أى ما بين أيديهم وما خلفهم (قوله

من الليالي بأيامها) (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) فى ذلك ، أى ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ مُثَلِّهُمُ) أَعْدَلُهُمْ (طَرِيقَةً) فيه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) يستقلون لبثهم فى الدنيا جدا لما يعاينونه فى الآخرة من أهوالها (وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (فَتَقُلْ) لهم (يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطا (صَفْصَفًا) مستويا (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاضا (وَلَا أَمْتًا) ارتفاعا (يَوْمَئِذٍ) أى يوم إذ نسفت الجبال (يَتَّبِعُونَ) أى الناس بعد القيام من القبور (الدَّاعِيَ) إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول : هلموا إلى عرض الرحمن (لَا عِوَجَ لَهُ) أى لا تبعاهم أى لا يقدر أن لا يتبعوا (وَخَشَعَتِ) سكنت (الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) صوت وطء الأقدام فى قلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل فى مشيها (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) أحدا (إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع له (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) بأن يقول : لا إله إلا الله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون ذلك (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ) خضعت (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) أى الله (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) أى شركا (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات ،

لا يعلمون ذلك) أى لا تفصيلا ولا إجمالا وانما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنافعل ماض والتاء للتأنيث والوجوه فاعل وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب سماء سماء وسموا وأما عنى كرضى يعنى عنافهو بمعنى تعب وليس مراداهنا بل المراد خضعت وذلت وأل فى الوجوه للاستغراق أى كل الوجوه والمراد أصحابها وخضعت الوجوه بالذ كر لأن الدل أول ما يظهر فيها (قوله للحى) أى الذى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها على الخير والشر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) أشار بذلك إلى أن الخلائق تنقسم فى القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما فى خضوع وذلل لله جل جلاله لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالا وهيبة ورغبة فى الله وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة وإشفاقا من عذاب الله ويأسا من رحمة الله قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قفرة (قوله خسر) أى ظهر خسارته (قوله من حمل ظلما) أى تحمله وارتكبه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون أى معرضون لذلك فى الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» فان الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فإذا مات على ذلك فهو مخلد فى النار وإن مات على الإسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة فى سيئاته والنقص من حسناته .

(قوله هو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضدها تميز الأشياء ، فالعاصي الظالم يخاف زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه يؤخذ من حسناته للظلم فإذا لم يبق له حسنات طرح من سيئات المظلوم عليه (قوله أى مثل إنزال ما ذكر) أى الآيات المستعملة على تلك القصص العجيبة الغريبة (قوله أنزلناه) أى على لسان جبريل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من الوعيد) أى التخويف (قوله لعالم يتقون الشرك) أى يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية بأن يؤمنوا (قوله أو يحدث لهم ذكرا) أى موعظة في القلوب فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكرار الموعظ في القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع إهمالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة أو لم نعمركم ما يتذكروا فيه من تذكروا وجاءكم النذير (قوله الملك) أى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق) أى الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليه) وحيه (المعنى لا تعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في قلبك حتى يقرأه عليك ، وسبب ذلك أن جبريل كان يأتي للنبي بالقرآن فيلبس جسمه ويضعه في قلبه (٦٢) فريد النبي التعجل والنطق به فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل

باللسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى - لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ، والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأمتهم فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقي له مرة آخر (قوله وقل رب زدني علما) أى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالي نزول

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) بزيادة في سيئاته (وَلَا هَضْمًا) بنقص من حسناته (وَكَذَلِكَ) معطوف على كذلك نقص ، أى مثل إنزال ما ذكر (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحْدِثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) عما يقول المشركون (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أى بقراءته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أى يفرغ جبريل من إبلاغه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أى بالقرآن فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ) وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (مِنْ قَبْلِ) أى قبل أكله منها (فَتَنَّى) ترك عهدنا (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) حزمًا وصبرا عما نهيناه عنه (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أَلَيْسَ) عن السجود لآدم قال أنا خير منه (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَارْزُقْكَ) حواء بالمد (فَلَا يَخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك ،

القرآن فانها أفضل ما يستل وأعز ما يطالب ، ومن هنا أمر المشايخ الرايدين بتلاوة القرآن والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا بأمرهم بالمجاهدة بالدكر ونحوه لتخلص قلوبهم والحكمة في ذلك أن الغفلة في الذكر أخف منها في القرآن لما في الأثر : رب قارىء القرآن باعنه ، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون أنفسهم فيها ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف وأخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة في المبدأ لكون غيره أفضل منه بل لينظفوا أنفسهم للقراءة (قوله وصيناه أن لا يأكل من الشجرة) أى نهيناه عن الأكل منها وحتمنا عليه الأكل منها فقلب مرادنا على أمرنا (قوله ترك عهدنا) أى متأولا حيث غلطه إبليس بقوله : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، وقاصهما إلى لكان الناصحين ، فظن أنه لا يخاف أحد بالله كذبا (قوله وإذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن نعلما للعباد امتثال الأمر واجتناب النهي وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على السبب لأن هذه القصة سبب في عداوة إبليس لآدم (قوله فسجدوا) أى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه (قوله إلا إبليس) اسقننا ، متصل أو منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيهه للاتصال لكونه لم يعبر بلسان (قوله فلا يخرجنكما) النهي لإبليس صورة ، والراد نهيهما عن تعاطي أسباب الخروج فيسبب عن ذلك حصول التعب له في الدنيا .

(قوله والآنصر على شقاء) أى مع أن النهى لهما معا (قوله إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظما والضحو وإن كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو ، لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظما حر الباطن والضحو حر الظاهر فتنى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله بفتح الهمزة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبذت لهما سوآتهما) أى بسبب تساقط حال الجنة عنهما لما أكلتا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) أى يحزنه (قوله من ورق الجنة) أى ورق التين فصارا يلزقان بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيما نهى عنه متأولا حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة وضل عن مطلوبه وهو الخلود فى الجنة فمعبيته وقوعه فى المخالفة باعتبار الواقع لافى القصد والنية بل قصده ونيتته امتثال الأمر وتجنب ما يوجب الخروج وحيفتذ فلا يجوز أن يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل ولا نفى اسم العصيان عنه لصريح الآية وعلى كل حال فالله عنه راض وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل ما يخالف أمر الله هذا هو الحق فى تقرير هذا المقام . واعلم أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كما هو معهود فى نصوص الشرع وتسمية الله له فى حقهم معصية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بالأكل (٦٣) من الشجرة) تقدم أنها الحمة وقيل التين وقيل غير ذلك

واقترن على شقاء لأن الرجل يسعى على زوجته (إن لك أن) (لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لا تطأوا فيها) تعطش (ولا تضجى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لا تنفاه الشمس فى الجنة (فوسوس إليه الشيطان) قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد (أى التى يخلد من يأكل منها) (وملك لا يبدلى) لا يفتنى وهو لازم الخلد (فأكلآ) أى آدم وحواء (منها فبذت لهما سوآتهما) أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر وذبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) أخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وعصى آدم ربه فغوى) بالأكل من الشجرة (ثم اجتنبه ربه) قربه (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) أى هداه إلى المداومة على التوبة (قال اهبطا) أى آدم وحواء بما اشتملما عليه من ذريتهما (منها) من الجنة (جميعاً بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضاً (فإما) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى) أى القرآن (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أى القرآن فلم يؤمن به (فإن له معيشة ضنكا) ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفع قدرهما لأنهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان إليها بمائة وعشرين صفا من أولادهما لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى . إن قلت ما الحكمة فى تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب . أجيب بأن الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم أن لا يسلب نعمته عن النعم عليه إلا بحجة قال تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغبرا نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (قوله أى آدم وحواء) يحتمل أن أى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم فى محل نصب وحواء معطوف على آدم ، ويحتمل أن أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير فى اهبطا (قوله بما اشتملما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر فى التوفيق بينهما بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) أى من أجل ظلم بعضهم بعضا لما فى الحديث «سألت ربى أن لا يسلط على أمتى عدوا من سوى أنفسها فاستجاب لى» (قوله فاما يأتينكم منى هدى) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعاقق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع هداى من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضل جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية أيضا والجلتان فى محل جزم جواب الشرط الأول (قوله أى القرآن) فى تفسير الهدى والذكر

ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفع قدرهما لأنهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان إليها بمائة وعشرين صفا من أولادهما لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى . إن قلت ما الحكمة فى تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب . أجيب بأن الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم أن لا يسلب نعمته عن النعم عليه إلا بحجة قال تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغبرا نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (قوله أى آدم وحواء) يحتمل أن أى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم فى محل نصب وحواء معطوف على آدم ، ويحتمل أن أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير فى اهبطا (قوله بما اشتملما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر فى التوفيق بينهما بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) أى من أجل ظلم بعضهم بعضا لما فى الحديث «سألت ربى أن لا يسلط على أمتى عدوا من سوى أنفسها فاستجاب لى» (قوله فاما يأتينكم منى هدى) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعاقق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع هداى من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضل جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية أيضا والجلتان فى محل جزم جواب الشرط الأول (قوله أى القرآن) فى تفسير الهدى والذكر

فيما يأتي بالقرآن قصور لأن الخطاب مع آدم وذريته وهداهم وتذكيرهم أهم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل فالناسب أن يقول أي كتاب ورسول (قوله بالتنوين) أي وصلا وإبداله ألفا وقفا وفي قراءة شاذة ضنكي كسرى بألف بدل عن التنوين إجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) أي وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل هو لفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بعذاب الكافر في قبره) أي لما ورد أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال في العذاب حتى يبعث ، وقيل المراد بالعيشة الضنكي الحياة فيما يفض الله تعالى وإن كان في رخاء ونعمة إذ لا خير في نعمة بعدها النار لما في الحديث «رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا» (قوله أي المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله أي أعمى البصر) أي وذلك في المحشر فإذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده في النار وعذابه بها (قوله الأمر كذلك) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) أي فالمراد بالنسيان الاعراض وعدم الإيمان بها ، وليس المراد حقيقة النسيان وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لأنه أمر اختاف فيه (٦٤) العلماء ، فذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن

مستحب أكيد ابتداء ودواما فنسيانه مكروه ، ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدوم) أي لأنه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يقين) أشار بذلك إلى أن يهد فعل لازم ، والمعنى أعموا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به)

بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره (وَنَحْشُرُهُ) أي المعرض عن القرآن (يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أي أعمى البصر (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) في الدنيا وعند البعث (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا) تركتها ولم تؤمن بها (وَكَذَلِكَ) مثل نسيانك آياتنا (الْيَوْمَ تَنْسَى) تترك في النار (وَكَذَلِكَ) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ) أشرك (وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وَأَبْقَى) أدوم (أَفَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة (كَمْ) خبرية مفعول به (أَهْلَكْنَا) أي كثيرا إهلاكنا (قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِينِهِمْ) في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ، وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدرى لرعاية المعنى لا مانع منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعِبْرٍ) (لِأُولِي النُّهَى) لذوى العقول (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكَانَ) الإهلاك (لِزَامًا) لازما لهم في الدنيا (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ،

(فأصبر

أي وتميزها محذوف أي قرنا وقوله من القرون متعاقب بمحذوف صفة لذلك التمييز

(قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية أي إن الإهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الإيمان ورسوله (قوله وما ذكر) مبتدأ وقوله لا مانع منه خبره ، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لا يتوقف على الحرف المصدرى بل يسبب المصدر من الفعل بدون سابق لتوقف المعنى عليه وأما لصحة الاعراب فلا يكون غالبا إلا بحرف مصدرى (قوله لذوى العقول) أي السليمة الصافية وخصوا بالذكر لأنهم المتفهمون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) أي أن الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة إكراما لنبيها ولولا ذلك لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره إهمال ، لا إهمال ليتدارك الكافر ما فاته فيما بقي من عمره فإن تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر في كان) أي والمعنى لكان الإهلاك والأجل المعين له لزاما أي لازما لهم ، ولم يقل لازمين لأن لزاما مصدر في الأصل وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أي أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا ، قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما

وأحسن مما قررره للفسر أن يجعل قوله وأجل مسمى معطوفاً على كلمة . والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازماً (قوله فاصبر على ما يقولون) أي حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل هو لازم لهم في القيامة فنسل واصبر ولا تنزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أي وعليه فالمراد بقوله اصبر لانعاجلهم بالقتال ، وقيل إن الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذية (قوله صل) إنما سمي التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما ولأن المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص . والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الخمس ولما كان الأصل في الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمر بالصلاة (قوله حال) أي من فاعل سبّح والباء في محمد ربك للابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناه الليل) جمع إني بكسر الهمزة والتصريح كمي وأصاء آناه بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع مافوق الواحد لأن المراد به الزمن الذي هو آخر النصف الأول وأول الثاني (قوله المنسوب) أي بسبح . والمعنى صل في أطراف النهار وهو الوقت الذي يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أي سبّح في هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك ، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين (٦٥) حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم يقل لعلى أَرْضِي عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام « جعلت قرعة عيني في الصلاة » وقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم مأمور بها ليرضى هو ولا يكره الله عنه سبحانه ولا ليرضى عليه وحينئذ فلا كلفة عليه فيها لأن فيها شهوده لربه الذي هو قرعة عينه وللعارفين السكاملين

(فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية القتال (وَسَبِّحْ) صَلِّ (بِمُحَمَّدٍ رَبِّكَ) حال أي متلبساً به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) صلاة العصر (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) ساعاته (فَسَبِّحْ) صَلِّ المغرب والعشاء (وَأَطْرَافِ النَّهَارِ) عطف على محل من آناه المنسوب أي صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني (لَعَلَّكَ تَرْضَى) بما تعطى من الثواب (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافاً (مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) بأن يظفوا (وَرِزْقُ رَبِّكَ) في الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه في الدنيا (وَأَبْقَى) أَدُومَ (وَأَمْرُهُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ) اصبر (عَلَيْهِمْ لَا تَسْأَلُكَ) نكلك (رِزْقًا) لنفسك ولا لغيرك (نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَى) لأهلها (وَقَالُوا) أي المشركون (لَوْ لَا) هَلَا (يَأْتِينَا) مُحَمَّدٌ (بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) مما يقترحونه (أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ) بالقاء والياء (بَيِّنَةٌ) بيان ،

من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر : أي لا تنظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله ، والمراد غيره لأن ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً وورد « لست من الدنيا وليست الدنيا مني » (قوله أصنافاً منهم) أي الخلق فالدنيا دائرة في أصناف الخلق فتارة تكون مع الشريف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثانٍ لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والاول هو قوله أزواجاً (قوله بأن يظفوا) الباء سببية أي نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك وأبقى) أي فعلى الإنسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها ويترك ما يفنى وهو الدنيا وقسمته الأزلية قاتية منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أي أمتك (قوله واصطبر عليها) أي وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أي نحن متكفون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلنا لك به ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية « (قوله والعاقبة للتقوى) أي الجميلة المحمودة لأهل التقوى (قوله أي المشركون) أي وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أي يطلبونه تعنتاً كما تقدم بعضه في قوله تعالى : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات (قوله أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف أي أعمروا ولم تأتهم الخ (قوله بالقاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان

(قوله ما في الصحف الأولى) أي الكتب المتقدمة . والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوي على أخبار الأمم الماضية (قوله ولو أنا أهلكناهم) كلام مستأنف لتقرير ما قبله (قوله لقالوا ربنا أهلكناهم) أي لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة ويعتذروا بهذا العذر فقطع الله عذرهم بإرسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل أن نذل) أي يحصل لنا الدل والهوان (قوله ونخزي) أي نفتضح (قوله ما يؤول إليه الأمر) أي أمرنا وأمركم (قوله فتربصوا) أي انتظروا (قوله من أصحاب الصراط السوي) من في الموضعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب الخ وهو أنهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر إلى وجه المغايرة بين القسمين ، فأصحاب الصراط السوي من لم يضل أصلاً كالنبي ومن أسلم صبياً ، ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك .

[سورة الأنبياء عليهم السلام] صحت بذلك لذكر قصص جملة من الأنبياء فيها (قوله مكية) أي نزلت قبل الهجرة بانفاق (قوله أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف (٦٦) مرتب على الخلاف في قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله إلى قوله أفلا تعقلون هل

هو آية واحدة أو آيتان وأول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله أهل مكة) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام وإرادة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بهيد فأنزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب أنه آت لا محالة وكل آت قريب أو يقال إن قرب به باعتبار ماضى من الزمان فإن ما بقى أقل مما مضى (قوله وهم في غفلة معرضون) الجملة حالية أي قرب حسابهم والحال أنهم غافلون معرضون غير متأهبين له

(مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ) قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ) في القيامة (وَنَخْزَى) في جهنم (قُلْ) لهم (كُلُّ) منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ) منتظر ما يؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) في القيامة (مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ) الطريق (السَّوِيِّ) المستقيم (وَمَنْ اهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أتم .

(سورة الأنبياء)

مكية، وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اقْتَرَبَ) قرب (لِلنَّاسِ) أهل مكة منكري البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُعْرِضُونَ) عن التأهب له بالإيمان (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ) شيئاً فشيئاً أي لفظ قرآن (إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَأْمَبُونَ) يستهزئون (لَاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وَأَسْرُوا النُّجُوى) أي الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل من واو وأسروا النجوى ،

والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وإن كان سببها الرد على كفار مكة إلا أن العبارة بعمومها (قوله ما يأتهم من ذكر) هذا في معنى العلة لما قبله كأنه قال معرضون لأنه ما يأتهم من ذكر الخ (قوله من ربهم) الجار والمجرور متعلق بيا تهم (قوله أي لفظ قرآن) دفع بذلك ما يقال كيف وصف الله بالحدوث مع أن المراد به القرآن وهو قديم . فأجاب بأن وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا ، وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم وأما مادلت عليه الألفاظ بالحادث ، فمنها ما هو قديم كدأول آية الكرسي والصدقية ، ومنها ما هو حادث كمدلول القصص وأخبار المتقدمين ، ومنها ما هو مستحيل كدأول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يأمبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم . والمعنى ما يقرأ عليهم القرآن إلا استمعوه في حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعون سمع تدبر وقبول وكل آية وردت في الكفار جرت بذيلها على عصاة الأمة ، في هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن في حال لهوه ولعبه وأقبح منه من يطرب بسماحه من حيث اشتغاله على الأعمال المعروفة لا من حيث بلاغته وواعظته وأحكامه وكونه من عند الله فأن الله وإنا إليه راجعون (قوله بدل من واو وأسروا النجوى)

أشار بذلك إلى أن أمر فعل ماض والواو فاعله والنجوى مفعوله والذين بدل وهذه إحدى طريقتين للنحويين في الفعل الذي لحقته العلامة وأُسند للظاهر . والطريقة الثانية أن الواو حرف علامة والذين فاعل ونسعى بلفظة أكلوني البراغيث ولما كانت ضعيفة لا ينبغي حمل الآية عليها أعرض عنها المفسر (قوله هل هذا إلا بشر مثلكم) بدل من النجوى مفسر لها أي فكانوا يتفاجئون بذلك سرايبهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتأتون السحر) أي تحضرونه وتقبلونه (قوله وأنتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تأتون (قوله في السماء والأرض) أشار المفسر إلى أنه حال من القول أي يعلم القول حال كون القول كائنا في السماء والأرض (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أي فلانقع بل في القرآن إلا للانتقال لا لابطال لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق وإعراضاً عنه لكونه صدر على وجه الغلط ونزعه الله عنه خلافاً لمن يقول إنها تأتي للابطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل في ذلك لأن بل فيها للانتقال من الاخبار بقولهم إلى الاخبار بالواقع فتأمل (قوله أضغاث أحلام) خبر محذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول أقول (قوله بل هو شاعر) أي يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لاحقيقة (٦٧) لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص

الكلام المقفى الموزون قصداً بل ما هو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الأولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير إنيانا كائنا مثل إرسال الأولين (قوله من قرية) من زائدة في الفاعل (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (قوله

(هَلْ هَذَا) أي محمد (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فإتي به سحر (أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ) تتبعونه (وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ) تعلمون أنه سحر (قُلْ) لهم (رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ) كائناً (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ) لما أمرهم (الْعَلِيمُ) به (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) أخلاط رآها في النوم (بَلْ أَفْتَرْتُهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فما أتى به شعر (فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ) كالناقة والمصا واليد ، قال تعالى (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ) أي أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أتتها من الآيات (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ) أي الرسل (جَسَداً) بمعنى أجساداً (لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) في الدنيا (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ) بأنجائهم (فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ) أي المصدقين لهم (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) الكاذبين لهم ،

يوحي إليهم) أي يأتينهم الوحي بالشرائع والأحكام ، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك إلا رجالاً من أفراد جنسك متأهين للإرسال (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً (قوله فاسألوا أهل الذكر) أي المطاعين على أحوال الرسل الماضية فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والإنجيل) إنما أحاطهم عليهم لأنهم كانوا يرسلون للمشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي أقرب من تصديقكم المؤمنين . والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لأنفسكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام . والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أي ما كثرين على سبيل الخاود في الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أي باهلاك أعدائهم (قوله بأنجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فإنهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) أي المؤمنين الذين اتبعوهم . وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كبراء أصحابه الذين حضروا معازيه لم يموتوا في حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه .

(قوله لقد أنزلنا إليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم . والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لغتكم فكان بمقتضى الحمية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذي جاء به وتكونوا أول مؤمن به فأعرضكم عنه دلائل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أى الثناء عليكم بالجليل أو شرفكم أو مواعظكم (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الإيمان والرجوع عن الكفر بأنهم لا يغرنهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالأموال والأولاد كأن الله يقول لهم لا تغفروا بذلك فأننا أهلكنا كثيرا من أهل القرى الكفار وما جرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل المراد بهم الأمم الماضية كفوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم ، وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى بن عمران فكذبوه وقتلوه (٦٨) فسلط الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبي نساءهم فلما استمر فيهم القتل

هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعنكم تستلون شيئا من دنياكم فانكم أهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر وأخذهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا أرات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الأول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على أشخاص تلك القرية (قوله أى شعر أهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فمعناه

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا معشر قريش (كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لأنه بلغكم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتؤمنون به (وَكَمْ قَصَمْنَا) أهلكنا (مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلكها (كَأَنْتَ ظَالِمَةٌ) كافرة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا) أى شعر أهل القرية بالإهلاك (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة استهزاء (لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ) نعمتم (فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) شيئا من دنياكم على العادة (قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالكفر (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ) الكلمات (دَعْوَاهُمْ) يدعون بها ويرددونها (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا) أى كالزراع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف (خَامِدِينَ) ميتين كحمود النار إذا طفت (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عَيْنٍ) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لَا تَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا من الحور العين والملائكة ،

تكم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) أى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) (إن) جواب عما يقال إن الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد : ذق إنك أنت العزيز الكريم (قوله وما كنكم) بالجر عطف على ما (قوله شيئا من دنياكم) أى فأنتم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيع وتهكم بهم (قوله بالكفر) أى وقتل موسى (قوله فما زالت) مانافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم يا ويلنا إنا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) أى رجالهم وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور (قوله كحمود النار) أى سكون هبها مع بقاء جمرها وأما الحمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لا عين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النفي (قوله بل دالين على قدرتنا) ويسبحوننا بدليل قوله تعالى - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - (قوله ونافعين عبادنا) أى وتفصيل جهات النفع بها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى (قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا) رد على من أثبت الولد والزوجة لله (قوله لا نتخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم . والمعنى لو تعلقت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد لا نتخذناه من عندنا لكان لم نتخذناه فلم تتعلق به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا .

(قوله إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن نافية أي ما كنا فاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) أي شأنا أن تؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) أشار بذلك إلى أن ماموصولة والعائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية . والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لا يليق (قوله أي الملائكة) عبر عنهم بالعندية إشارة إلى أنهم في مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) أي يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) أي لا يكارون ولا يتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكييت الكفار على تركها لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف وتركها وصف أهل البعد والحسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) أي فهو سجيبة وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كالمسكرة وتزول الأرض وتبليغ الأحكام وغير ذلك كما أن اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام . إن قلت إن هذا قياس مع الفارق لأن آلة النفس غير آلة الكلام وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال . أجيب بأن الملائكة لهم السنة كثيرة بعضها يسبحون الله به وبعضها يلعنون أعداء الله به فلا يقاسون على نبي آدم (قوله وهمة الانكار) أي وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) أي حيث ادعوا أنها آلهة لهم ماذكر ضمنا والتزاما وإلا فهم لم يدعوا أنها تحي الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا) لوحرف شرط (٦٩) وكان تامة فعل الشرط وآلهة فاعلها وفيهما متعاق كان والإمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدنا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالي واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم . والمعنى لكنهما لم تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع في آلهة ليس قيذا وكذا قوله فيهما وإنما أتى بذلك ردا على الكفار في اتخاذهم الآلهة في السماء والأرض (قوله أي غيره)

(إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) ذَلِكَ لَكُنَّا لَمْ نَفْعَلْهُ فَلَمْ نَرُدْهُ (بَلْ نَقْذِفُ) نَرْمِي (بِالْحَقِّ) الْإِيمَانِ (عَلَى الْبَاطِلِ) الْكُفْرِ (فَيَذِمُّهُ) يَذْهَبُهُ (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذَاهِبٌ ، وَدَمَغُهُ فِي الْأَصْلِ أَصَابَ دِمَاغَهُ بِالصَّرْبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ (وَلَكُمْ) يَا كُفَّارَ مَكَّةَ (الْوَيْلُ) الْعَذَابُ الشَّدِيدُ (مِمَّا تَصِفُونَ) اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ الْوَلَدِ (وَلَهُ) تَعَالَى (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلْكًا (وَمَنْ عِنْدَهُ) أَيْ الْمَلَائِكَةُ مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لَا يَعْجَبُونَ (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) عَنْهُ فَهُوَ مِنْهُمْ كَالنَّفْسِ مِنَّا لَا يَشْغَلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ (أَمْ) بِمَعْنَى بَلْ لِلانْتِقَالِ وَهَمَزَةُ الْانْكَارِ (اتَّخَذُوا آلِهَةً) كَائِنَةً (مِنَ الْأَرْضِ) كَجَبْرِ وَذَهَبٍ وَفِضَةٍ (هُمْ) أَيْ الْآلِهَةُ (يُنْشِرُونَ) أَيْ يَحْيِيُونَ الْمَوْتَى ؟ لَا ، وَلَا يَكُونُ إِلَهًُا إِلَّا مَنْ يَحْيِي الْمَوْتَى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أَيْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أَيْ غَيْرُهُ (لَفَسَدَتَا) خَرَجْنَا عَنْ نِظَامِهِمَا الْمَشَاهِدَ لَوْجُودِ التَّمَانَعِ بَيْنَهُمَا عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانَعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتْفَاقِ عَلَيْهِ (فَسُبْحَانَ) تَنْزِيهِهِ (اللَّهُ رَبُّ) خَالِقِ (الْعَرْشِ) ،

أشار بذلك إلى أن إلا صفة بمعنى غير فهي اسم لكن لم يظهر اعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لامن جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الأول فلا أنه يلزم منه نفي التوحيد إذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدنا فيقتضى بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثاني فلا أن المستثنى منه يشترط أن يكون عاما وآلهة جمع منكر في الإثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أي التخالف بين الآلهة ويسمى الدليل على ذلك ببرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما . وتقريره أن يقال لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية وأراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه فاما أن يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لا يتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده أيضا لوجود المماثلة بينهما فبطل التعدد وثبتت الوحدة والوحدة إذا فرض اتفاقهما فهو باطل أيضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا أن يقال لو فرض إلهان وأرادا معا إيجاد شيء فاما أن يحصل بارادتهما معا وذلك باطل لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو يسبق أحدهما إلى إيجاديه فيلزم عليه عجز الآخر أو تحصيل الحاصل ويلزم عجز الأول لوجود المماثلة بينهما . واعلم أن الدليل على ثبوت الوحدة لله النقل والعقل ، أما النقل فأيات كثيرة جدا منها : وإلهم إله واحد لا إله إلا هو ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف

يشاء لا إله إلا هو إلى غير ذلك . وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض - وكهذه الآية إذا علمت ذلك فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس إقناعيا بحسب ما يفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة وبهذه الآية انتفت الكوم الخمسة الكم المتصل في الذات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظر فيها والكم المتصل في الصفات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظر والكم المنفصل في الأفعال وهو المشارك له فيها ، والمتصل فيها لا ينفي لأنه ثابت لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه (قوله الكرسي) الصواب إبقاء العرش على ما هو عليه لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسي تحته وخص العرش بالكرسي لأنه أعظم من غيره فإذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالأولى (قوله لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل عما يحكم في عبادته من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب الخالق المالك لجميع الأشياء ، إذا علمت ذلك فلا اعتراض على أفعال الله إما كفر أو قرب منه (قوله وهم يسئلون) (٧٠) أي يقال للخالق لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم

الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) عن أفعالهم (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) تعالى أي سواء (آلِهَةً) فيه استفهام توبيخ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) عن ذلك ولا سبيل إليه (هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ) أي أمي وهو القرآن (وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي) من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهًا مما قالوا ، تعالى عن ذلك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أي توحيد الله (فَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن النظر الموصول إليه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) أي وحدوني (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) من الملائكة (سُبْحَانَهُ ، بَلْ هُمْ (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) عنده والعبودية تنافي الولادة (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أي بعده (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي ما عملوا وما هم عاملون (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ) تعالى أن يشفع له (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ) تعالى (مُشْفِقُونَ) أي خائفون ،

وتبين بهذا أن من يسئل عن أعماله كعبسي والملائكة لا يصلح الألوهية (قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب انتقالي من بطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أي من حيث إن أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والمناسب لما تقدم أنها بمعناها أيضا (قوله على ذلك) أي الاتخاذ كأن الله يقول لهم نحن

قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا فأتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا (قوله هذا ذكر من معي) أي عظمتهم ومنتمسكهم على التوحيد (قوله ليس في واحد منها) أي فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب انتقالي من حاجتهم إلى بيان أنهم كالبهائم لا يميزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف أي توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطق به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة وبنو سلعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافي الولادة) أي لأن عبد الإنسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بأمره يعملون) أي لا يخالفونه في القول ولا في العمل (قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي فهم يراقبونه في جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلهم بأنه تعالى محيط بهم (قوله إلا لمن أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ) أي كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أن الله راض عنه ويقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) أي وجلون لا يأمنون مكره ، والاشفاق الخوف مع الاجلال وبرادفه الخشية .

(قوله ومن يضل منهم) أى من الملائكة المحدث عنهم أولاً بقوله بل عباد محرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لأنهم محصومون من الكفر والمعاصي ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان بينهم وملحقاً بهم في العبادة حتى قيل إنه كان أعبدهم (قوله دعا إلى عبادة نفسه) أى لأجل الاضلال والاغواء ولا مانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه أنه رب العالمين وكما وقع لبرصيصا العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد له أنا أخلصك وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله تعالى وآيساً من رحمته إذا علمت ذلك فكلام المفسر لا غبار عليه (قوله كدبت بحرى الظالمين) أى إياها (قوله أولم ير) الهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ويعلموا (قوله بواو ودونها) قراءتان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع في ذكر ستة أدلة على التوحيد وأن ماسوى الله مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله كانتا رتقا) أى شيئاً واحداً لما روى أن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً توسطتها ففتقتها بها وقيل خلق خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والأرض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعة والأرض سبعة (٧١) ولكن السموات طباق والأرض

مختلف فيها قيل طباق وقيل مجاورة لبعضها كناية عن الأقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وإفراد الأرض بأن جنس السموات مختلف بخلاف الأرض (قوله أن كانت لا تمطر) بفتح الهمزة مصدرية أى كونها لا تمطر فأما طرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شئ مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئاً ومتسبباً عنه (قوله نبات وغيره) أى فالحياة في كل شئ بحسبه

(وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ) كما نجزيه (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أى المشركين (أَوْ لَمْ) بواو وتركها (يَرَى) يعلم (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا) أى سداً بمعنى مسدودة (فَفَتَقْنَاهُمَا) أى جعلنا السماء سبعة والأرض سبعة، أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ) النازل من السماء والنابع من الأرض (كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) نبات وغيره أى فالماء سبب لحياته (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) بتوحيدي (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيً) جبلاً ثوابتاً (أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا) أى الرواسي (فِجَاجًا) مسالك (سُبُلًا) بدل أى طرقاً نافذة واسعة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصدهم في الأسفار (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًى) للأرض كالسقف للبيت (مَحْفُوظًا) عن الوقوع (وَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ) من الشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا) تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فِي فَلَكٍ) أى مستدير كالطاحونة

حياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الأرض وخضرته وإثماره (قوله رواسي) جمع راسية من رسا الشئ إذا ثبت واستقر (قوله أن تميد) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل أى لأجل عدم تحركها بهم لأن تثبيتها بالجبال لأجل عدم التحرك لا للتحرك (قوله إلى مقاصدهم) أى الدنيوية والأخروية (قوله كالسقف للبيت) أى وهذا ما عليه أهل السنة وقالت الحكماء إن السماء محيطة بالأرض كحاطة بياض البيضة بصفارها إذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله إلا إليه (قوله محفوزاً عن الوقوع) أى أو عن الفساد والخلل (قوله وهم عن آياتها) أى الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله (قوله من الشمس والقمر) أى وغيرهما كالنجوم وارتفاعها من غير عمد ونزول الماء منها (قوله لا يتفكرون فيها) أى مع أنهم لو سألوا ممن خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله وهو الذى خلق الليل الخ) فيه التفات من التكلم للغيبة (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف إليه المحذوف (قوله أى مستدير كالطاحونة) أى كهيئة فلكة المغزل أى ثقافته وقيل الفلك السماء التى تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن في البحر، واختلاف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال قيل إن الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذى يدل عليه لفظ القرآن، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة

كل تدافع حركة الآخر ، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى . واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء أو منتهى سيرهما في العالم العلوي وعليه أهل السنة (قوله وللتبشيه به) جواب عما يقال لم جمعهما بضمير العقلاء . فأجاب بأنه لما أسندت لهما السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت) أي شتمته به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لا يخلد في الدنيا بل بذوق الموت واقتصر على البشر وإن كان غيره كذلك بدليل ما بعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الأخيرة الخ) أي فالهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة والأصل أنهم الخالدون إن مت (قوله كل نفس) أي مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله أعم منه وليس معيبا وقوله ذائقة الموت أي ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم وهي في غاية الصعوبة جدا ومثله بعصر القصب بالآلة المعروفة فإنه لا يبقى فيه طراوة أصلا بل يؤخذ للنار حالا غير أن المؤمن يقبلى برؤية ما أعد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب المقيم (قوله نختبركم) أي نعاملكم معاملة المختبر إذ لا يخفى على الله شيء (قوله أتبصرون) راجع للبشر وقوله وتشكرون راجع للخير (٧٣) فالؤمن الكامل يشاهد الأشياء كلها من الله فإذا ابتلى بالفقر أو المرض مثلا

في السماء (يَسْبَحُونَ) يسيرون بسرعة كالسبح في الماء ، وللتبشيه به أتى بضمير جمع من يعقل . ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) أي البقاء في الدنيا (أَفَأَنْتُمْ مُتُّهُمْ الْخَالِدُونَ) فيها ؟ لا ، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) في الدنيا (وَنَبَلُّوكُمْ) نختبركم (بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ) كفقر وغنى وسقم وصحة (فِتْنَةً) مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا) ما (يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) أي مهزوما به يقولون (أَهَذَا الَّذِي بَذَرْنَا كُرًّا آلِهَتَكُمْ) أي يعيها (وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ) لهم (هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا مانعوه . ونزل في استعجالهم العذاب (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ) أي إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه (صَارِيكُمْ آيَاتِي) مواعيدى بالعذاب (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) فيه فأراهم القتل بيدى ،

رضى به وازداد إقبالا عليه وإذا أنعم عليه بالغنى أو الصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله في الحالتين وأما الكافر والماسق فيشاهد الأشياء من الخلق فإذا ابتلى سخط وإذا أنعم عليه بطر فهو مغضوب عليه في الحالتين ، (قوله وإلينا ترجعون) أي تردون فيظهر لكم جزاء أعمالكم بن خيرا غير

وإن شرا فشر (قوله وإذا رآك الذين كفروا) رأى بصرية أي أبصرك الشركون (قوله إن يتخذونك) جواب إذا وإن نافية بمعنى ما كما قال المفسر (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله أهذا الذى الخ مفعول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض في حال الهزؤ والسخرية أهذا الخ (قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره وبذكر متعلق به وهم الثانية تأكيد لفظي للأولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالؤكد وبين المؤكد والمعمول وإضافة ذكر الرحمن من إضافة المصدر لفاعله كما أشار له المفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر إرشاد الله لعباده بارسال الرسل وإنزال الكتب ويحتمل أنه مضاف لمفعوله أي ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله إذ قالوا مانعوه) أي الرحمن وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن إلا الرحمن البهامة وهو مسيما الكذاب (قوله في استعجالهم العذاب) أي حيث قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء أي السرعة في الأمور (قوله أي أنه لكثرة عجله في أحواله الخ) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث إن الإنسان طبع عليه حق صار كالجبل له بالطين الذى خلق منه البشر وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو خلق ، والمعنى أن الإنسان جبل على السرعة في الأمور والعجلة فيها حتى إنه يقع في الضرر ولا يشعر (قوله مواعيدى بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب في الدنيا كوقعة بدر وغيرها في الآخرة كذاب النار

قوله (ويقولون) أي استهزاء واستعجالا للعذاب (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير قاتلوا به وهو خطاب منهم
 ق وأصحابه (قوله قال تعالى) كلام مستأنف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهنم به (قوله ولا عن ظهورهم) أي فهو كناية عن
 حاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ما قالوا ذلك) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف (قوله بل تأتيهم بغتة) إضراب انتقالي من
 ولهم إلى بيان كفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) أي دفعها (قوله فيه تسلية للنبي) أي حيث كان يغتم من استهزئهم وعدم
 قيامهم (قوله قل من يكلوكم الخ) أي قل يا محمد للمستهزئين القائلين لا نعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه إن
 آده بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمحاطبون لا يخافون الخ) توطئة لقوله : بل هم عن ذكر ربهم معرضون ، والمعنى ليس لهم
 حظ ولا مانع غير الرحمن غير أنهم لا يخافونه لإعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمة) (٧٣) أي زيادة على بل (قوله

لا يستطيعون نصر أنفسهم)
 أي فكيف يتوهم أن ينصروا
 غيرهم (قوله يجارون) أي
 ينقذون (قوله بل متعنا
 هؤلاء الخ) إضراب عما
 توهموه من أن حفظهم
 وإمدادهم بالنعم من قبل
 آلهتهم بل ما هم فيه من
 السراء والنعم والحفظ منا
 استدراج لهم (قوله بالفتح
 على النبي) أي وتسلط
 المسلمين عليهم (قوله
 أفهم الغالبون) استفهام
 توبيخ وتقرع وفيه
 معنى الإنكار ولذا قدر
 المفسر لا ، وقوله بل النبي
 وأصحابه أي هم الغالبون
 (قوله قل إنما أنذركم
 بالوحي) المقصود من ذلك
 توبيخهم على ما وقع منهم
 حيث أقام لهم الحجج
 والبراهين فلم يذعنوا لها
 (قوله ولا يسمع الصم

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بِالْقِيَامَةِ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِيهِ ، قَالَ تَعَالَى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونِ) يَدْفَعُونَ (عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
 يَنْصَرُونَ) يَمْنَعُونَ مِنْهَا فِي الْقِيَامَةِ ، وَجَوَابُ لَوْ مَا قَالُوا ذَلِكَ (بَلْ تَأْتِيهِمْ) الْقِيَامَةُ (بَغْتَةً
 فَتَبْهِتُهُمْ) تَحِيرُهُمْ (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يَمْهَلُونَ لِتُوبَةٍ أَوْ مَعْدَرَةٍ (وَلَقَدْ
 اسْتَهْزَأَ رِيسٌ مِنْ قَبْلِكَ) فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَحَاقَ) نَزَلَ (بِالَّذِينَ
 سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وَهُوَ الْعَذَابُ فَكَذَا يَحِقُّ بِمَنْ اسْتَهْزَأَ بِكَ (قُلْ)
 لَهُمْ (مَنْ يَكْلُوهُمْ) يَحْفَظُكُمْ (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) مِنْ عَذَابِهِ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ ؟
 أَيْ لَا أَحَدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَالْمُحَاطَبُونَ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ لِانْكَارِهِمْ لَهُ (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ
 رَبِّهِمْ) أَيْ الْقُرْآنِ (مُعْرِضُونَ) لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ (أَمْ) فِيهَا مَعْنَى الْهَمَّةِ لِلانْكَارِ أَيْ أَمْ لَهُمْ
 آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ) مِمَّا يَسُوؤُهُمْ (مِنْ دُونِنَا) أَيْ أَلَهُمْ مِنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ غَيْرُنَا (لَا يَسْتَطِيعُونَ)
 أَيْ الْآلِهَةُ (نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) فَلَا يَنْصَرُونَهُمْ (وَلَا هُمْ) أَيْ الْكَفَّارُ (مِنَّا) مِنْ عَذَابِنَا
 (يُخَجَبُونَ) يَجَارُونَ ، يُقَالُ صَحَبَكَ اللَّهُ ، أَيْ حَفَظَكَ وَأَجَارَكَ (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ)
 بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فَاعْتَرَوْا بِذَلِكَ (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ)
 نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بِالْفَتْحِ عَلَى النَّبِيِّ (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) ؟ لَا ، بَلِ النَّبِيُّ
 وَأَصْحَابُهُ (قُلْ) لَهُمْ (إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ) مِنْ اللَّهِ لَا مِنْ قَبْلِ نَفْسِي (وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ
 الدُّعَاءَ إِذَا) بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْيَاءِ (مَا يُنْذَرُونَ) أَيْ هُمْ لَتَرْكِهِمُ
 الْعَمَلِ بِمَا سَمِعُوهُ مِنَ الْإِنْذَارِ كَالصَّمِّ (وَلَكِنَّ مَسْتَنَّهُمْ نَفْحَةٌ) وَقَعَةٌ خَفِيفَةٌ (مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ يَا) لِلتَّنْبِيهِ (وَقِيلْنَا) هَلَا كُنَّا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بِالْإِشْرَافِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الدُّعَاءِ) بِالْيَاءِ لِمُفْتَوَحَةِ وَرُفْعِ الصَّمِّ عَلَى الْفَاعِيَةِ وَنَصْبِ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَفْعُولِيَةِ وَفِي قِرَاءَةِ سَبْعِيَّةٍ أَيْضًا بِالتَّاءِ الْمَضْمُومَةِ وَكَسْرِ الْيَاءِ خُطَابِ
 لِلنَّبِيِّ وَالصَّمِّ مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ وَالدُّعَاءُ مَفْعُولُهُ الثَّانِي وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ تَسْلِيَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُ أَرْحَ قَلْبِكَ وَلَا تَعْلَقْ
 بِهِمْ وَارْضَ بِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ (قَوْلُهُ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ) أَيْ هَمْزَةُ الدُّعَاءِ وَهَمْزَةُ إِذَا (قَوْلُهُ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ) أَيْ فَهْمًا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ
 (قَوْلُهُ وَقَعَةٌ خَفِيفَةٌ) أَخْذًا خَفِيفًا مِنَ التَّعْبِيرِ بِالْمَسِّ وَالتَّغْفِغِ وَالتَّاءُ الدَّالَّةُ عَلَى الْمَرَّةِ وَالتَّغْفِغُ فِي الْأَصْلِ هَبُوبُ رَأْحَةٍ الشَّيْءِ ، وَالْمَعْنَى وَلَكِنَّ
 أَصَابَهُمْ عَذَابٌ خَفِيفٌ لَيَقُولُنَّ تَحْسِرًا وَتَنْدَمًا يَا وَيْلَنَا الْخُ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْحَقَارَةِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَبَالِي
 بِهِ (قَوْلُهُ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ) هَذِهِ الْآيَةُ آخِرُ خُطَابَاتِ قُرَيْشٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَالْجَمْعُ فِي الْمَوَازِينِ لِلتَّعْظِيمِ فَإِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ
 [١٠ - صاوي - ثالث] لِمَجْمُوعِ الْأُمَمِ وَلِمَجْمُوعِ الْأَعْمَالِ ، وَهُوَ جِسْمٌ مَخْصُوصٌ لَهُ لِسَانٌ وَكَفَتَانِ وَهَمُودٌ كُلُّ كَفَّةٍ قَدَرٌ مَا يَنْبَغِي

الفرق والغرب ومكانه قبل الصراط كفته الجنى للحسنات وهي نيرة من بين العرش وكفته اليسرى للسيئات وهي مظلمة
يساره يأخذ جبريل بعموده ناظرا إلى لسانه وميكائيل أمين عليه يحضره الجن والإنس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن في
كل أحد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت أعماله ومن لا فلا ، والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر ليعجز
عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك
من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لالنجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع ، وأما قوله تعالى : فلان
لهم يوم القيامة وزنا ، فعناء ناعا بحيث ينجون من الخلود في النار ، وقيل حسناتهم التي فعلوها يجازون عليها في الدنيا كسائر
وعافية ولا يجازون عليها في الآخرة أصلا . واختاف هل الوزن يصنع أولا ، واستظهر الأول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات في موا
الحسنات فان رجح أحدها وضع صنع بقدر مارجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له إلا الحسنات فقط أو سيئات فقط
وضعت الصنع في السكة الأخرى . واختاف أيضا هل الأعمال تصور وتوزن فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية ثم توضع
كفة الحسنات ، والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع في كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الأشخاص ولما
من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لأنه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيئا) إما مفعول ثان أو مفعول
مطلق (قوله وإن كان العمل) قدره المفسر إشارة إلى أن كان ناقصة واسمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبر
وفي قراءة سبعة برفعه على أنها نامة (٧٤) (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أي عالم

والتصود منه التحذير
لأن الانسان العاقل إذا
علم أن الله تعالى يحاسبه
مع القدرة عاياه وإحاطة
علمه بجزئيات أعماله
فانه يكون على حذر
وخوف منه (قوله ولقد
آتيننا موسى وهرون
الفرقان) شروع في ذكر
قصص الأنبياء تسلية له

(القسط) ذوات العدل (ليوم القيامة) أي فيه (فلا تظلم نفس شيئا) من نقص حسنات
أو زيادة سيئات (وإن كان) العمل (مثقلا) زنة (حبة من خردل آتينا بها) أي بموزونها
(وكفى بنا حاسبين) محصين في كل شيء (ولقد آتيننا موسى وهرون الفرقان) أي التوراة
الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وآتينناهم) أي عظة بها (للمتقين)
الذين يخشون ربهم بالغيب) عن الناس أي في الخلاء عنهم (وهم من الساعة) أي أهوالها
(مشفقون) أي خائفون (وهذا) أي القرآن (ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون)
الاستفهام فيه للتوبيخ (ولقد آتيننا إبراهيم رُسده من قبل) أي هداياه قبل بلوغه ،

صلى الله عليه وسلم وزيادة في علم أمته ، وذكر منها عشر قصص :

(وكنا
الأولى قصة موسى وهرون . الثانية قصة إبراهيم . الثالثة قصة لوط . الرابعة قصة نوح . الخامسة قصة داود وسليمان . السادسة
قصة أيوب . السابعة قصة إسماعيل وإدريس وذى الكفل . الثامنة قصة يونس . التاسعة قصة زكريا . العاشرة قصة
وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أي يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم
أي عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل في يخشون أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس ، والناس في ذلك مراد
منهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محجوب قد تقع منه المعاصي . ومنهم من
يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد أنه في حضرة الله وأنه مطلع عليه وهذا أعلى من الأول ، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة
ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خست بالذ
لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أي كثير الخير (قوله أفأنتم له منكرون) الخطاب لأهل مكة تقريرا لهم أي
هذا القرآن فيه تذكريكم وفيه خير كثير أليق منكم إنكاره والاستهزاء به (قوله أي هدايه قبل بلوغه) المراد بالهدى
الاهتداء لصالح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالسكواكب على وحدانية الله وليس المراد
النبوة ، وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل أنه إن كان المراد بقوله قبل أي قبل البلوغ
فالمراد بالرشد الاهتداء لصالح الدين والدنيا لأن الله تعالى لم يتخذ وليا جاهلا بمعرفة فضله عن نبي وإن كان المراد به قبل
موسى وهرون ، فالمراد بالرشد النبوة وإرشاد الخلق .

(قوله وكنا به عاقلين) أى ولم نزل كذلك (قوله إذ قال لأبيه) ظرف لقوله آتينا أو لمحدوف أى اذكر (قوله لأبيه) أى
 آزر (قوله الفاعل) جمع مثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب
 وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب، وكان
 كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فى عينييه ياقوتتان متقدتان نضبتان بالليل (قوله عا كفون) عبر بالعكوف الذى هو عبارة عن
 الاستمرار على الشئ لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آباءنا على) أجابوا بذلك وإن كان غيره وافق
 لسؤاله بما لأنه مأل سؤاله إذ هو يعرف حقيقة ما من كونها من ذهب أو غيره كأنه قال ما هى لأى شئ عبدتموها وحينئذ
 فلم يكن لهم جواب إلا التقليد (قوله فى ضلال مبين) أى لعدم استنادكم إلى دليل (قوله قالوا أجبنا بالحق الخ) أى لما
 استبعدوا تضليل آباءهم ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا أصدق ما تقول أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ)
 إضراب عن قولهم بإقامة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وأنا على ذلكم) أى على ما ذكرته من كون ربكم رب
 السموات والأرض دون ما ادعاه (قوله من الشاهدين) أى العالمين (٧٥) بالبرهان (قوله وتالله لا كيدن
 أصنامكم) انتقال من

دلالة قولية إلى دلالة فعلية
 فلما لم يفد فيهم الدليل
 القولى عدل إلى الدليل
 الفعلى وهو الكسر، والمعنى
 لأجهدن فى كسرها
 وأكيدنكم فيها (قوله
 بعد ذهابهم إلى مجتمعتهم)
 أى وقد ذهب معهم
 إبراهيم فلما كان فى أثناء
 الطريق ألقى نفسه وقال
 إني سقيم اشتكى رجله
 فتركوه ومضوا ثم نادى
 فى آخرهم وقد بقى ضعفاء
 الناس : تالله لا أكيدن
 أصنامكم فسمعها الضعفاء
 فرجع إبراهيم إلى بيت

(وَكُنَّا بِهِ عَالِقِينَ) أى بأنه أهل لذلك (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ) الأصنام
 (الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) أى على عبادتها مقيمون (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)
 فالتدبينا بهم (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتها (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يَبْنِ
 (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) فى قولك هذا (أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) فيه (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ) المستحق
 للعبادة (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) خلقهن على غير مثال سبق (وَأَنَا
 عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ) الذى قلته (مِنَ الشَّاهِدِينَ) به (وَتَاللَّهِ لَا كِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا
 مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمعتهم فى يوم عيد لهم (جُذَاذًا) بضم الجيم وكسرها :
 فتاتا بفأس (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) علق الفأس فى عنقه (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) أى إلى الكبير (يَرْجِعُونَ)
 فيرون مافضل بغيره (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ
 الظَّالِمِينَ) فيه (قَالُوا) أى بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ) أى يعيهم (يُقَالُ لَهُ
 إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَغْنِ النَّاسِ) أى ظاهراً (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عاينه أنه الفاعل
 (قَالُوا) له بعد إتيانه (أَأَنْتَ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف
 بين المسهلة والأخرى وتركه (فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ) ساكتا عن فعله

الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم وإلى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه ، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما
 يأكلون منه إذا رجعوا من عيدهم إليهم ، فقال لهم إبراهيم : ألا تأكلون ؟ فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها)
 أى فهما قرأتان سبعيتان وقرى شذوذا بفتحها (قوله بفأس) هو مهموز الآلة التى يكسرها الحجر (قوله إلا كبيرا لهم)
 أى لم يكسره بل تركه والضمير فى لهم يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها (قوله من فعل هذا) أى التكسير ومن
 يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره أو موصولة وفعل صلتها وإنه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى)
 القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حافه (قوله أى يعيهم) أى ينقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له إبراهيم)
 مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على إرادة لفظه أو مبتدأ خبره محذوف أى يقال له إبراهيم فاعل ذلك أو منادى وحرف النداء
 محذوف أو خبر لمحدوف أى يقال له هذا إبراهيم (قوله قالوا فاتوا به) القائل لذلك النمرود (قوله لعلمهم يشهدون) أى لعلى الناس
 يشهدون عليه بفعله بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق الهمزتين) أى بإدخال ألف بينهما وتركه
 فتكون القراءات السبعيات خمسا . وحاصلها أن الهمزتين إما محقتان أو الثانية مسهلة وفى كل إما بإدخال ألف بينهما أولا

فهذه أربع والخامسة إبدال الثانية ألفا (قوله قال بل فعله كبيرهم هذا) اعلم أن هذا من التعريض لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره في الآخر فهو إشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرهم أو نعت له . ورد أن إبراهيم قال لهم إن الكبير غضب من إثمكم معه غيره الصغار في العبادة فكسروهم ، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم (قوله إن كانوا ينطقون) أي إن كانوا ممن يمكن أن ينطق وخص النطق بالذكر وإن كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر في تبكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أي وهو قوله فاسألوهم وفيه إشارة إلى أن قوله : بل فعله كبيرهم هذا مرتبط بقوله إن كانوا ينطقون ، والمعنى بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم (قوله فرجعوا إلى أنفسهم) أي إلى عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب النفعة كيف يصلح أن يكون إلها (قوله ثم نكسوا على رؤوسهم) أي انقلبوا إلى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيًا للمفعول في قراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر وقرئ شذوذاً بالتشديد والتخفيف مبنيًا للفاعل (قوله أي ردوا إلى كفرهم) أي الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) أشار بذلك إلى أن قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) أي مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أي بترك التنوين فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله ٧٦) أفلا تعقلون) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تعقلون .

(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَكَوْهُمْ) عن فاعله (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الضم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) بالتفكير (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) أي بعبادتكم من لا ينطق (ثُمَّ نَكِسُوا) من الله (عَلَى رُءُوسِهِمْ) أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي بدله (مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (وَلَا يَضُرُّكُمْ) شيئاً إذا لم تعبدوه (أَفَ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر ، أي تننا وقبحاً (لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أي إبراهيم (وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أي بتحريقه (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الخطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه ،

[فائدة] : ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتان منها في ذات الله قوله : إني سقيم ، وقوله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة هذه أختي » والمعنى أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب إلا هذه الكلمات الثلاث فقوله إني سقيم أراد

سقيم القلب من ضلالتكم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا تبكيت لقومه وقوله هذه أختي أي في الدين والحلقة فهذه الألفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب أصلاً ومعنى كون الأولى والثانية في ذات الله أنهما من أجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمرود بن كنعان ابن سنجاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هينوب خسف الله به الأرض والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع ، النهر (قوله فجمعوا له الخطب الخ) حاصل القصة في ذلك أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثي ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الحشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول : لئن عوفيت لأجمعن حطباً لإبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشرى الحطب بغزلها احتساباً في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن ياقوا إبراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه ف قيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم همدوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيهما

من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صبيحة واحدة أي ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فإذن لنا في نصرته ، فقال الله تعالى إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الإله ليس له إله غيره فان استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيره فأنا وليه وأنا أعلم به غلوا بيني وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه وقال : إن أردت أخذت النار ، وأتاه خازن الهواء وقال : إن شئت طيرت النار في الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل . روى أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار « لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك » ثم روى به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا . قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي ، وكان وقت إلقاءه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ، ولما ألقى فيها جعل كل شيء يطن النار إلا الوزغ فإنه كان ينفع في النار فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، وقال من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك . ذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران ، ومدة مكثه في النار سبعة أيام وقيل أربعون يوما وقيل خمسون يوما (قوله في منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسي معرب لأن الجيم والتاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كوني بردا وسلاما) أي ابردى بردا غير ضار ، ورد أنه لما ألقى فيها أخذت الملائكة بضبعه فأقعده على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر وزجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فأبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا إبراهيم : إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبائي قال إبراهيم : ما كنت أياما قط أنم متى من الأيام التي كنت في النار ، ثم نظر نمرود وأشرف

(٧٧)

على إبراهيم من صرح له فراه جالسا في روضة والمالك قاعد إلى جنبه فناده يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم . قال هل

في منجنيق ورموه في النار ، قال تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاما سلم من الموت ببردها (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) وهو التحريق (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ) في مرادهم (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالموثفكة وبينهما يوم (وَوَهَبْنَا لَهُ) أي لإبراهيم وكان سأل ولدا ،

تخشى إذا قت أن تضرك ؟ قال لا . قال قم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قل له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعدا إلى جنبك ؟ قال ذلك ملك الظل أرسله إلى ربّي ليؤنسني فيها . قال نمرود يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة . قال إبراهيم إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني ، فقال لأستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبجها له فذبجها له نمرود وكف عن إبراهيم عليه السلام (قوله وبقوله وسلاما الخ) أي ولو لم يقل على إبراهيم لما أحرقت النار أحدا ولما أوقدت (قوله فجعلناهم الأخسرين) أي لأنهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل أن المراد بالأخسرين المالكون لأن الله ساط عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في رأس النمرود بعوضة فأهلكته (قوله ابن أخيه هاران) أي الأصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) أي وصحب معه لوطا وسارة ونزل بحران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل بالسبع من أرض فلسطين وترك لوطا بالموثفكة فبعثه الله نبيا إلى أهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الديوية وعليه يحمل ماورد « إن عمر ابن الخطاب قال لكعب : ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره ؟ فقال لكعب : إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله في أرضه وبها كنزه من عباده » وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام بانفاق (قوله بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس (قوله ولوط بالموثفكة) هي قرى قوم لوط رفعها جبريل وأسقطها مقلوبة بأمر من الله .

(قوله كما ذكر في الصفات) أي في قوله: رب هب لي من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعتوب أي أعطى يعتوب لإبراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولده) أي إسحق ويعقوب (قوله وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت في سورة برأه (قوله يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس بوحينا (قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) عطف خاص على عام لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أي كانوا لنا لا غيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) أي على وجه الحق (قوله وعلمنا) أي بالشرائع والأحكام (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أو فيه مجاز عقلي (قوله الأعمال) قدره إشارة إلى أن الحباث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمي بالبندق) أي رمى المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا في هذه الأمة (قوله) (٧٨) وغير ذلك (قوله بأن أنجيناه من قومه) المناسب

أن يقول: وأدخلناه في أهل رحمتنا أي جنتنا وإلا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن نوحا منصوب بفعل محذوف وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين جملة عمره ألف وخمسون سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر) على الأرض (الح) أي بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (قوله الدين في سفينته) وجملة ستة رجال ونساؤهم ، وقيل أربعون رجلا وأربعون

كما ذكر في الصفات (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أي زيادة على المستول ، أو هو ولد الولد (وَكُلًّا) أي هو وولده (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) أي أن تفعل وتقام وتؤتي منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ. وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا) فصلا بين الخصوم (وَعَلَّمْنَا) وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ) أي أهلها الأعمال (الْحَبَاثِثَ) من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ) مصدر ساءه نقيض صره (فَاسْقِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) بأن أنجيناه من قومه (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ) اذكر (نُوحًا) وما بعده بدل منه (إِذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله: رب لا تذر الح (مِنْ قَبْلِ) أي قبل إبراهيم ولوط (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) الذين في سفينته (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي الفرق وتكذيب قومه له (وَنَصَرْنَاهُ) منعه (مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا) الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. وَ) اذكر (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) أي قصتهما ويبدل منهما (إِذْ يَخْشَاكَ فِي الْحَرِّثِ) هو زرع أو كرم (إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ) أي رعبه ليلا بلا راع بأن انقلبت (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنيين ،

قال

امرأة (قوله منعه) أشار بذلك إلى أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدى بمن

(قوله ألا يصلوا إليه) أي اتلوا إليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداد وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون ، وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين موله النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف سنة وسبعمائة (قوله أي قصتهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ويبدل منهما) في الحقيقة الإبدال من المضاف المحذوف (قوله إذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لغرابتها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله إذ نفست) أي تفرقت وانتشرت فيه فافسدت (قوله غم القوم) أي بعض القوم: أي قوم داود وهم أمته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنيين) أي بناء على أن أقل الجمع اثنان ، ويحجب أيضا بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما.

(قوله قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم) أى عوضاً عن حرثه . وحاصل تلك القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث إن هذا قد انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئاً ، فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث ، فخرجاً فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال كيف قضى بينكما فأخبراه ، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا . وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفر يقين ، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرني بالذي هو أرفق بالفر يقين . قال ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب الغنم الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيلته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود القضاء ما قضيت . ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرناه ، فقال اتنوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) أى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكماهما باجتهاد الخ) أى ويجوز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لا يبيحهم الله عليه لمصنعتهم ، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب لكن المصيب له أجران ، والمخطئ له أجر واحد (قوله وقيل بوحى) أى لكل منهما وهذا في شريعتهم ، وأما في شريعتنا فمذهب (٧٩) مالك ما أنلفته البهائم ليلاً وهي

غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يعلق عليها فعلى ربها وإن زاد على قيمتها يقوم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت ، وأما ما أنلفته نهاراً وهي غير عادية ولم يكن معها راع ومسرحت بعيدة عن المزارع ولا ضمان على ربها وإن كان معها راع أو مسرحتها ربها

قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم ، وقال سليمان ينتفع بذرّها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها إليه (فَفَهَمْنَاهَا) أى الحكومة (سُلَيْمَان) وحكماهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان ، وقيل بوحى والثاني ناسخ للأول (وَكُلًّا) منهما (آتَيْنَا) (حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) بأمور الدين (وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) كذلك سُخِّرَا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم أى مجاوبته للسيد داود (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) وهى الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لَكُمْ) فى جملة الناس (لِنُخَصِّنَكُمْ) بالنون لله وبالتحتانية لداود ، وبالفوقانية لللبوس (مِنْ بَأْسِكُمْ) حربكم مع أعدائكم (فَهَلْ أَنْتُمْ) يا أهل مكة (شَاكِرُونَ) نعمى بتصديق الرسول أى اشكرونى بذلك ،

قرب المزارع أو كانت عادية فعلى ربها ليلاً أو نهاراً ، ومذهب أبى حنيفة لا ضمان فيما أنلفته البهائم ليلاً أو نهاراً إلا أن يكون معها سائق أو قائد ، ومذهب الشافعى فيه تفصيل فانظروه ، ويمكن تخرج حكم داود على شريعتنا بأنه رأى أن قيمة الغنم مثل قيمة الحرث وصاحب الغنم مفاس ، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكماً وعلماً) دفع بذلك مايتوهم من قوله ففهمناها سليمان أن داود ناقص فى العلم (قوله وسخرنا) أى ذللنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله والطير فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب إما على أنه مفعول معه أو معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك ، وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لأمره به إذا وجد فترة) أى فكان إذا وجد فترة أمر الجبال والطير فيسبحن (قوله وإن كان عجبا عندكم) أى مستغرباً ، وقد اتفق فى هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد الدسوقي وأمثاله (قوله وعلّمناه صنعة لبوس) وسبب ذلك أنه صرّ به ملكان على صورة رجلين ، فقال أحدهما للآخر نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال فسأل الله أن يزرقه من كسبه فألآن الله له الحديد فكان يعمل منه الدروع بغير نار كأنه طين فى يده (قوله وهى الدروع) وأنت الضمير لكون درع الحديد تؤث وتذكر ، وأما درع المرأة أى قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنعها) أى حلقاً بعضها داخل فى بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) أى يا أهل مكة (قوله فى جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لأهل مكة مع أن صنع داود لم يكن فى زمنهم فأفاد أنها نعمة اتصلت بمن بعده إلى أن كانوا من جملتهم (قوله وبالفوقانية لللبوس) أى لأنه بمعنى الدرع وهى تؤث .

(قوله وسليمان الريح) عبر باللام إشارة إلى أن الله ملكه الريح وجعلها ممتثلة لأمره وعبر بمع في حق داود لأن الجبال والطير قد صاحبا في التسبيح واشتركا معه (قوله أي شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب (قوله تجرى بأمره) حال (قوله إلى الأرض التي باركنا فيها) أي لأنها مقره فكان ينتقل منها ويرجع إليها . قال وهب : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريريه وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أناء حتى يذله . وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسखा في فرسخ ذهب في إبرسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح . وقال الحسن : لما شغلت نبي الله سليمان الحيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الحيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأمرع الريح تجرى بأمره كيف يشاء ، فكان يغدو من إيليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل ، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الأرض مشرقا ومغربا ملك سلطنة وحكم ، وأمرسأله فكانت لبني إسرائيل (قوله ومن الشياطين) أي الكفار منهم (قوله وغيره) أي كالنورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخراجاتهم (قوله لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل الخ) قيل إن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال (٨٠) له إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله ويخرجه

(قوله وأيوب) قدر اذكر إشارة إلى أن أيوب معمول لخدوف (قوله ويبدل منه) أي من أيوب والمعنى اذكر قصة أيوب إذ نادى ربه في الحقيقة الإبدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتي (قوله لما ابتلى) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) أي فجعله ما ابتلاه الله به أربعة

(و) سخرنا (سُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) وفي آية أخرى رخاء أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وهي الشام (وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) من ذلك علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعو إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (و) سخرنا (مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ) يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ) أي سوى الغوص من البناء وغيره (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره (و) اذكر (أَيُّوبَ) ويبدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) لما ابتلى بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثا أو سبعا ،

أمر . وحاصل قصته باختصار أن أيوب كان رجلا من الروم

وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخى إبراهيم ، وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والحيل والحر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والسكره وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له أهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لأنعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولا وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات فيقف فيهن من حيث ما أراد فسمع صلاة الملائكة على أيوب فحسده ، وقال إلهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك ، فقال الله له انطلق فقد سلطتك على ماله ، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال أيوب ، فقال عفريت أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار فأحرق كل شيء آتى عليه . قال إبليس اذهب فانت الابل ورعاتها فلم يشمر الناس حتى نار من تحت الأرض إعصار من نار فأحرق الابل ورعاتها حتى آتى على آخرها ، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب فوجده قائما يصلي فقال له أحرقت نار إبلك ورعاتها ، فقال أيوب الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها ، ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعا وعلى الحرث فتحول ريحا عاصفا فطارها ، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك فحمد لله وأثنى عليه ، فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه شيء صعد إلى السماء وقال : يارب سلطنى على أولاده ، فقال له : انطلق فقد سلطتك على أولاده ، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعا ، ثم جاءه في صورة للعالم الذي يعلمهم

كبير مظلوم بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني ، فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهب القيلول فقال لا إذا قعدت للحكم فانتني أخاص حاك فاما جاس للحكم لم يجده فلما رجع إلى القائلة من الغد أتاه ودق الباب فقال له من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك إذا قعدت للحكم فانتني ؟ فقال إن قومي أخبث قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقه وإذا قمت جحدوني فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أتاه فإنه قد شق على الناس ، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرف أنه عدو الله وقال فعات مافات لأغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أي بل كان عبدا صالحا والصحيح أنه نبى قيل بعث إلى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه أنوان ولبنان وهو اسم للحوت كبيرا أو صغيرا (قوله ابن متى) اسم أبيه ، وقيل اسم أمه (قوله ويبدل منه) أي بدل اشتال (قوله مغاضبا لقومه) أي لآلئ به لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب لما لم ينزل بهم ظن أنه إن بقي بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله (٨٢) أي غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أن المفاعلة ليست على بابها (قوله أي نقضى

عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى أن لن نقدر عليه نقضى عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء ، والعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أو تضيق عليه) أي فمضى نقدر تضيق كافي قوله تعالى - الله يبسط الرزق أن يشاء من عباده ويقدر - وقوله تعالى - ومن قدر عليه رزقه - لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التي هي ضد العجز (قوله من حبسه في بطن الحوت) أي وكانت مدة مكثه

وقيل لم يكن نبيا (و) اذكر (ذا النون) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (إذ ذهب مغاضبا) لقومه : أي غضبان عليهم مما قامى منهم ولم يؤذن له في ذلك (فظن أن أن تقدر عليه) أي نقضى عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو تضيق عليه بذلك (فنأدى في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن) أي بأن (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) في ذهابي من بين قومي بلا إذن (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بتلك الكلمات (وكذلك) كما نجيناه (ننجي المؤمنين) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين (و) اذكر (زكريا) ويبدل منه (إذ نادى ربه) بقوله (رب لا تدري فردا) أي بلا ولد يرثني (وأنت خير الوارثين) الباقي بعد فناء خلقك (فاستجبنا له) نداءه (وهبنا له يحيى) ولدا (وأصبحنا له زورا) فأت بالولد بعد عقمها (إنهم) أي من ذكر من الأنبياء (كانوا يسارعون) يبادرون (في الخيرات) الطاعات (ويدعوننا رغبا) في رحمتنا (ورهبا) من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين في عبادتهم ،

ببطن الحوت أربعين يوما أو سبعة أيام أو ثلاثة أو أربع ساعات وأوحى الله إلى ذلك الحوت لاتأكل كل لحا ولا تشم له عظما فإنه ليس رزقا لك وإنما جعلتك سجناله . وحاصل ذلك أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي توعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقعت في لجة البحر ، فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضربوها فخرجت على يونس فألقوه في البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه فدعا به فألقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزالة صباحا ومساء فبشرب من لبنها حتى قوى فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعا . قال تعالى - وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمعهنا إلى حين - (قوله أن لا إله إلا أنت) أن إلهنا بخفية من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ، وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتغاله على التهايل والتسبيح والاقرار بالدن ، ولذا ورد في الحديث « مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له » (قوله وزكريا) معمول لمخدوف قدره بقوله اذكر (قوله أي بلا ولد يرثني) أي في العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) الراد به انسداد الرحم من الولادة (قوله إنهم كانوا يسارعون) علة لمخدوف : أي قالوا ما قالوا لأنهم الخ (قوله رغبا ورهبا) إمام منصوبان على المفعول من أجله أو على أنهما واقعان . وقع الحال : أي راغبين راهبين .

إن كان الخطاب للمؤمنين
 فمعناه دوموا على العبادة
 وإن كان الخطاب
 للكفار فمعناه إنشاء
 العبادة والتوحيد
 (قوله وتقطعوا أمرهم)
 أى تفرقوا فى أمرهم
 واختالفوا فى دينهم
 وهذا إخبار من الله بأن
 الجميع لم يكونوا على دين
 واحد لسبق حكمته البالغة
 بذلك ، والحكمة فى ذكر
 العبادة هنا والتقوى فى
 المؤمنون وذكروا واهنا
 والفاء هناك ، قيل تفنن
 وقيل لأن الخطاب هنا

Marfat.com

(قوله وذلك قرب القيامة) أى بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتى ويمكث أربعين يوماً يوم كسنة ويوم كسهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كباقي الأيام ، وفي الحديث « فقلنا يا رسول الله فى اليوم الذى كسنة يكفيناه فيه صلاة يوم ؟ قال لا ، اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسرعه فى الأرض ؟ قال كالفيت استدبرته الريح فينزل عيسى على منارة بنى أمية شرق دمشق عليه حلطان بمصرتان فيقتله ثم يخرج بأجوج ومأجوج من السد فيحصل للخاق جذب عظيم حتى تكون رأس الثور خيرا من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل النفث فى رقابهم فيها يكون جميعا فتملاهم رعبهم وجيفتهم الأرض فيدعو الله عيسى فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم - ثم يرسل الله مطرا فيغسل الأرض من آثارهم ثم يقول الله الأرض أبقى ثمرك فيكثر الرزق جدا ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فينبأهم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فى الأرض كتهارج الحمر فعابهم تقوم الساعة » وبين موت عيسى والنفخة الأولى مائة وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر ثمانى عشرة سنة من السنين المعتادة وفي الحديث « لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان والدجال والدابة وطاوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وبأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج (٨٤) من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » (قوله وهم من كل حذب ينسلون)

أى بأجوج ومأجوج ينتشرون فى الأرض ويسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض (قوله واقترَب الوعد) عطف على فتحت (قوله أى القصة) أشار بذلك إلى أن الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هى والتعقيب عـرفى لأن التفاوت القليل كالعدم

وذلك قرب القيامة (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنْسَلُونَ) يسرعون (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أى يوم القيامة (فَإِذَا هِيَ) أى القصة (شَاحِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى ذلك اليوم لشدة يقولون (يَا) للتنبيه (وَيَلْمَنَا) هلا كنا (قَدْ كُنَّا) فى الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أنفسنا بتكذيبنا للرسول (إِنَّكُمْ) يا أهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ) وقودها (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) داخلون فيها (لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ) الأوثان (آلِهَةً) كما زعمتم (ماوردوها) دخلوها (وَكَلٌّ) من العابدين والمعبودين (فِيهَا خَالِدُونَ) لهم (فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئا لشدة غليانها. ونزل لما قال ابن الزبير عبد عزيز والمسيح والملائكة فهم فى النار على مقتضى ما تقدم (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) ،

المنزلة

فاندفع ما يقال إنه رتب الشخوص على فتح السد وقتراب الساعة مع أن الشخوص لا يوجد

إلا يوم القيامة (قوله يقولون يا ويلنا) أشار بذلك إلى أن يا ويلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) إضراب عن قولهم قد كنا فى غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الأوثان) خصها بالذكور لأنها كانت معظم معبوداتهم وإلا فالشمس والقمر يصبران ثورين عقيرين فى النار (قوله وقودها) أى وصحى حصبا لأنه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصاة (قوله لو كان هؤلاء آلهة) (الح) نكيت عليهم (قوله زفير) أى أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أى فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد « إذا بقى من يخلد فيها جعلوا فى توايت من نار ثم جعلت تلك التوايت فى توايت أخرى ثم تلك التوايت فى توايت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم أن فى النار أحدا يعذب غيره » (قوله ونزل لما قال ابن الزبير الح) حاصل ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قریش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النصر بن الحارث فكاهه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألغى عنهم نلا عليه : إنكم وماتعبدون من دون حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل ابن الزبير وهو بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء متصورا وقد أسلم بعد ذلك فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبير أنت قلت إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح ويومدج يعبدون الملائكة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية ردا عليه .

(قوله المنزلة الحسنى) أى الدرجة والرتبة الحسنى أو المراد الكلمة الحسنى وهى لا إله إلا الله أو المراد السعادة الأبدية (قوله ومنهم من ذكر) أى العزيز وعيسى والملائكة ، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعود عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) أى عن جهنم . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - والورود يقتضى القرب منها . أجيب بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها فإن المؤمنين إذا مروا على النار تخمد وتقول جز يامؤمن فان نورك قد أطفأ لى وهذا لا ينافى الورود (قوله لا يسمعون حسيبها) أى حركة تلهاها وفى هذا ناكيد بعدهم عنها (قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان نجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار) أى الكافر ، وقيل هو حين تفاق النار على أهلها ويأسون من الخروج ، وقيل هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادى يا أهل النار خلود بلا موت ، وقيل هو جميع أهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك ، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة ولا مانع أنها تستقبلهم فى الحالين (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وعلى هذا فالمصدر مضاف لفاعل فان هذا الملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت إليه (قوله واللام زائدة) أى والكتاب مفعوله

(قوله أو السجل الصحيفة) أى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على ما فيها (قوله وفى قراءة) أى سبعة أيضا (قوله جمعا) أى وأما على قراءة الافراد فاللجنس (قوله كما بدأنا أول خلق) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق وإضافة أوله من إضافة

المنزلة (الحسنى) ومنهم من ذكر (أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيبها) صوتها (وهم فيما أشتتت أنفسهم) من النعيم (خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر) وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار (وتتلقاهم) تستقبلهم (الملائكة) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم) منصوب باذكر مقدرا قبله (نطوى السماء كطى السجل) اسم ملك (للكتاب) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كما بدأنا أول خلق) عن عدم (نعيده) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وعدا عايينا) منصوب بوعدا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إننا كنا فاعلين) ما وعدنا (ولقد كتبنا فى الزبور) بمعنى الكتاب أى كتب الله المنزلة (من بعد الذكر) بمعنى أم الكتاب الذى عند الله (أن الأرض) أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) عام فى كل صالح (إن فى هذا) القرآن (لبالاغا) كفاية فى دخول الجنة (لقوم عابدين)

الصفة للموصوف ، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأول نعيده ثانيا (قوله بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة . والقول الثانى أن الإعادة بعدة فرق الأجزاء قال فى الجوهرة : وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق (قوله وما مصدرية) أى وبدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف وأول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) أى فعلينا إنجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقد رتبنا على إنفاذه (قوله لمضمون ما قبله) أى الجملة الخبرية (قوله إننا كنا فاعلين) توكيد لما قبله (قوله بمعنى الكتاب) أى قال فى الزبور للجنس ، والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) أى وهو اللوح المحفوظ (قوله أن الأرض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) أى من هذه الأمة وغيرها من الأمم والمراد بالصلاح الموت على الإيمان ، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة ويتنعمون فيها على قدر أعمالهم وعبر بالميراث لأنه ملك مستمر يأتى من غير تكسب ، وأما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطىها لأعدائه ، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها جرعة ماء» ومعناه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولو كانت باقية مانع الكافر فيها لهوانه عليه فقتر الله فى الأزل أن الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده فتم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) أى من حيث أنه يوصل لمرضاة الله تعالى فى الدنيا ويؤنس صاحبه فى القبر ويوضع فى الميزان ويرقى به فى درجات الجنة

(قوله عاملين به) أى ممثلين أوامره مجتنبين نواهيه (قوله أى للرحمة) أشار بذلك إلى أن رحمة منصوب على أنه مفعول لأجله ويصح أن يكون منصوبا على الحال أى أنه نفس الرحمة لما ورد أن الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة أو على حذف مضاف أى ذا رحمة أو راحما لما فى الحديث «إنما أنا رحمة مهداة» (قوله الانس والجن) أى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لأنه رفع بسببه الحسف والنسخ وعذاب الاستئصال ورحمة أيضا من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له فى الدنيا فقط (قوله قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) اعلم أن فى هذه الآية قصرين الأول قصر الصفة على الموصوف . والثانى بالعكس . والمعنى كما قال المفسر ما يوحى إلى فى أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية ففيه رد (٨٦) على الكفرة الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الأمر) أى فالمراد منه

عاملين به (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلَّا رَحْمَةً) أى للرحمة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك (قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) أى ما يوحى إلى فى أمر الإله إلا وحدانيته (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ) منقادون لما يوحى إلى من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر (فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن ذلك (فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ) أعلمتكم بالحرب (عَلَىٰ سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أى مستويين فى علمه لا استبد به دونكم لتأهبوا (وَإِنْ) ما (أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْغُيُوبَ مِنَ الْقَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أتم وغيركم من السر (وَإِنْ) ما (أَدْرِي لَعَلَّهُ) أى ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فِتْنَةً) اختبار (لَكُمْ) ليرى كيف صنعكم (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَىٰ حِينٍ) أى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل وليس الثانى محلا للترجى (قُلْ) وفى قراءة قال (رَبِّ أَحْكُم) بينى وبين مكذبنى (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا بيد واحد والأحزاب وحنين والحنديق ونصر عليهم (وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولداً ، وعلى فى قولكم ساحر ، وعلى القرآن فى قولكم شعر .

التخصيص على الاسلام لا الاستفهام عنه (قوله أعلمتكم بالحرب) أى أنذرتكم والمراد بالحرب محاربتة هو وأصحابه لهم والمعنى أعلمتكم بآتى محاربتكم والحال أنى وأتم مستوون فى العلم بنقض الصاح لئلا أنسب للغدر المذموم فاعله (قوله لتأهبوا) أى لتستعدوا وتهيبوا له وهو علة للنفي لا للنفي فالمعنى لا أستبد به بل أعلمكم لتأهبوا (قوله وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدري الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وإنما علمه موكول إلى الله ، والمراد بالعذاب تعذيبه إياهم بحربه فى الدنيا وقوله أو القيامة أى

تعذيبهم بالنار (قوله إنه يعلم الجهر من القول) أى ما تقولونه جهرا مما لا يابى (قوله والفعل) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله أى ما أعلمتكم به) أى وهو تأخير العذاب عنهم فى الدنيا (قوله اختبار لكم) أى معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للأول الخ) حاصله أن قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه وأما قوله ومتاع إلى حين فهو محقق الحصول والأحسن أن يجعل قوله ومناع خبرا لمخدوف تقديره ، وهذا متاع إلى حين أى وتأخير عذابكم متاع أى تمتع لكم إلى وقت فراغ الأجل والجملة مستأنفة (قوله وفى قراءة قال) أى وهى سبعة أيضا فالأولى أمر . والثانية إخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) أى عجل النصر لى والعذاب للأعدائى (قوله والحنديق) المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب (قوله المستعان) أى الذى نطلب منه الاعانة (قوله على ما تصفون) أى على وصفكم لربكم ولنبهه بالنقائص فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إلى الله والصبر على المشاق تعلما لأتمته حسن الالتجاء إلى ربه

[سورة الحج مكية] سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله إلا ومن الناس الحج) هذا أحد قولين في المدي منها (قوله أو إلا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أي وتنتهي إلى صراط الحميد لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين ، وقيل إن السورة كلها مدنية وقيل إلا أربع آيات من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلى قوله عذاب مقيم فهي مكيات والتحقيق أنها مخلطة منها مكي ومنها مدني وهي من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيًا ومدنيًا سلميا وحريريا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابهها (قوله أو ثمان وسبعون آية) أي أنها سبعون آية جزما والخلاف في النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله أي أهل مكة) إما برفع أهل طى أن أي حرف تفسير وأهل تفسير للناس أو نصبه على أن أي حرف نداء وأهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع أو النصب وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بأن تطيعوه) أي بفعل الأمور واجتناب المنهيات (قوله إن زلزلة الساعة الحج) تعليل للأمر بالتقوى . والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف فإن من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج قال تعالى : إن المتقين في مقام أمين وإضافة زلزلة الساعة من إضافة المصدر لفاعله والفعل محذوف تقديره الأرض وإسناد الزلزلة (٨٧) للساعة مجاز عقلي لأنها مقدمتها

ومن علاماتها الكبرى لما روى في حديث الصور : إنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وأن عند نفخة الفرع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادقة قلوب يومئذ واجفة وتكون الأرض كالسفينه تضربها الأمواج أو كالمنديل المعلق تحركه الرياح (قوله أي الحركة الشديدة) أي تكون تلك الحركة في نصف رمضان (قوله التي يكون بعدها طلوع

(سورة الحج)

مكية إلا ومن الناس من يعبد الله الآيتين ، أو إلا هذان خصمان الست آيات مدييات وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة وغيرهم (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أي عقابه (بأن تطيعوه) (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ) أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة (شئ عَظِيمٌ) في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أي تنساه (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أي حبل (حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) من شدة الخوف (وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) من الشراب (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه . ونزل في النضر بن الحرث وجماعة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا (وَيَتَّبِعُ) في جداله (كُلُّ شَيْطَانٍ ،

الشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك إلى أن تلك الزلزلة تكون في الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها ويقوى هذا القول قوله تعالى : تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ والآية والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا وقيل تكون مع النفخة الأولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ (قوله عَمَّا أَرْضَعَتْ) يصح أن تكون ماصدرية أي عن إرضاعها ويصح أن تكون موصولة أي عن الذي أرضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الحج فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأها عليهم فلم يركبوا أكيا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يخطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين بالك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل في الله) أي في قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وأنكروا البعث) أي حيث قالوا أئذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

لمبعوثون خلقا جديدا (قوله مرید) أى عات والمراد إمارؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده وهو الأقرب لقوله في الآية الأخرى : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للمفعول وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) إما شرطية والفاء واقعة في جوابها أو موصولة والفاء زائدة في الخبر لشبهه المبتدأ بالشرط (قوله يدعو) أى وصي الدعاء هداية تهكما بهم (قوله أى النار) أشار بذلك إلى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة المسماة بذلك (قوله يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في البعث ذكر دليلين على ذلك : الأول في نفس الإنسان وابتداء خاقه . والثاني في الأرض وما يخرج منها فإذا تأمل الإنسان فيهما ثبت عنده البعث وأنه واقع لاحالة (قوله ثم من علة) أى بأن (٨٨) نصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى في سورة المؤمنون

ثم خلقنا النطفة علة
خلقنا العلة مضغة لما
ورد أن النطفة إذا وقعت
في الرحم وأراد الله أن
يخلق منها بشرا طارت
في بشرة المرأة تحت كل
ظفر وشعرة ثم تمكت
أربعين يوما ثم تصير
دما في الرحم فذلك جمعها
وهو وقت جعلها علة
واتفقوا على أن نفخ الروح
فيه يكون بعد مائة
وعشرين يوما وذلك
أربعة أشهر (قوله تامة
الحاق) أى تامة التصوير
بأن خاق الرأس واليدين
والرجلان (قوله أى غير
تامة الحاق) أى غير تامة
التصوير بأن لم يخلق فيها
شيء من ذلك (قوله كمال

مرید) أى متمرّد (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ) أى اتبعه (قَالَ) يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ (يَدْعُوهُ) إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (أَيِ النَّارِ) (يُأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أى أصلكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ) خلقنا ذريته (مِنْ نُطْفَةٍ) مني (ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ) وهى الدم الجامد (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) وهى لحمه قدر ما يعضغ (مُخَلَّقَةٍ) مصورة تامة الخلق (وَعَبْرٍ مُخَلَّقَةٍ) أى غير تامة الخلق (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته (وَنُقَرِّئُ) مستأنف (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت خروجه (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) نمركم (لِتَبْلُغُوا أَجْلَكُمْ) أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة (وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى) موت قبل بلوغ الأشد (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ) أخسه من الهرم والحرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يابسة (فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَّتْ) ارتفعت وزادت (وَأُنْبَتَتْ مِنْ زَائِدَةٍ) (كُلُّ زَوْجٍ) صنف (يَهيج) حسن (ذَلِكَ) المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض (بِأَنِّ) بسبب أن (اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ) الثابت الدائم (وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى) وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

قدرتنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف (قوله ونقرئ في الارحام ما نشاء) وأن

أى فلا تسقطه الرحم (قوله إلى أجل مسمى) أى معين لإخراجه فتارة يخرج لسنة أشهر وتارة لأكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وأفرده لأنه مصدر في الأصل أو لأنه يراد به الجنس أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغف أى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ (قوله إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والحرف) بفتحين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعاقب يرد أى لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه ويشكر ما صرّفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أى فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء وأما من فلا يردون إلى الأَرْدَل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما هو مشاهد (قوله وترى الأرض هامدة) هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أى في رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أى هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذى

يقبل الزوال أزلا ولا أبدا الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته (قوله وأن الساعة آتية) توكيد لقوله وأنه يحيى الموتى كذا قوله - وأن الله يبعث من في القبور - (قوله ونزل في أبي جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا أبي الحكم (قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الأول، والمعنى أن الكفار تنوعوا في كفرهم فبعضهم كان يقلد غيره في الكفر وقد دلت الآية الأولى على هذا التسم، وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره في الضلال الكفر وقد دلت هذه الآية عليه، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان وفي قلبه الريب والشك وهو الآتي في قوله - ومن الناس من يعبد الله على حرف - وحينئذ فليس في الآية تكرار (قوله بغير علم) أي معرفة وقوله ولا هدى أي استدلال وقوله ولا كتاب أي وحى. والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثانی عطفه) أي لاوى جنبه، والمراد منه الاعراض عن الحق أن شأن من أعرض عن شيء لاوى جنبه عنه فشبّه عدم التمسك بالحق بلى الجانب واستعير اسم الشبه به للمشبّه بجامع الاعراض كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والعامّة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى تعطف كأنه قال تاركا تعطفه أي رحمته وتمسك بالقسوة (قوله أي لاوى عنقه) الأوضح أن يقول جنبه لأن العطف بالكسر الجانب إلا أن يقال يلزم من لى الجانب لى العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أي فهو فعل لازم، والمعنى ليحصل الضلال في نفسه وقوله وضما أي فهو متعد. والمعنى ليوقع غيره في الضلال (٨٩) وهما قراءتان سبعيتان واللام

للعاقبة والصبر ورة (قوله عذاب) في بعض النسخ زيادة ثقیل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شرأه ذائب (قوله عذاب الحريق) من إضافه الموصوف لصفته : أي العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أي من قبل الله على السنة

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ شَكٍّ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) ونزل في أبي جهل (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) معه (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) له نور معه (ثَانِي عِطْفُهُ) حال أي لاوى عنقه تكبرا عن الإيمان، والعطف الجانب عن يمين أو شمال (لِيَضِلَّ) بفتح الياء وضما (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عذاب فقتل يوم بدر (وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي الاحراق بالنار ويقال له (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ) أي قدّمته، عبر عنه بهما دون غيرها لأن أكثر الأفعال تراول بهما (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أي بذى ظلم (لِلْمُجْرِمِينَ) فيعذبهم بغير ذنب (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) صحة وسلامة في نفسه وماله (أَطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ) محنة وسقم في نفسه وماله،

لأنه العذاب (قوله ذلك) أي ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليبدين لذكر مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تراول) أي تعالج (قوله وأن الله) عطف على قدمت (قوله أي بذى ظلم) أي بظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك ما يقال إن نفي الكثرة يستدعي ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل لأن الظلم انتصرف في ملك الغير بغير إذنه ولا ملك لأحد معه لأن حكمه في ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يستل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى وإتمام رضى وإسلام ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أي وسماه ظاهرا لأنه وعد الطائع بالجنة ووعد لا يخاف لكن لو فرض لم يكن ظاهرا (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت في المنافقين وأعراب البوادي كان أحدهم إذا قدم المدينة فصاح فيها جسمه وتنجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قل هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وإن أصابه مرض، ولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرأ فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أي متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك في شيء (قوله أي شك في عبادته) أي ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته) أشار بذلك إلى أن في الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الإسلام من غير اعتقاد وصحة قصد بحال الجالس على طرف جبل انحته مهاو بجامع التزلزل وعدم الثبات في كل (قوله اطمأن به) أي رضى به وسكن إليه (قوله فتنة) المراد بها هنا كل مكروه للطبع وثقيل على النفس ولم يقل وإن أصابه شر ليقع في مقابلة الخير لأن ما ينفر [١٢ - صاوى - ثالث]

هذه الطبع ليس شراً في نفسه بل قد يكون خيراً إذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) أي ارشد للحالة التي كان عليها أولاً من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بفوات مأمله) أي وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه (قوله ذلك هو الحسران المبين) أي الذي لا خسران مثله لفوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصنم) لا مفهوم له بل مثله كل مخلوق والحاصل أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق وأما الالتجاء للمخلوق من حيث إنه مهبط الرحمت كمواسلة آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب وهو في الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها ، وما ذكرك إلا للتعرض لرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان فلا فرق بين الأشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمت لا منشؤها تأمل (قوله اللام زائدة) أي ومن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من . إن قلت إنه أثبت الضر والنفع هنا ونفاها فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض . أجيب بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالندم محذوف (٩٠) (قوله وعقب ذكر الشاك بالحسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء

للملابسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب ، والمعنى لما ذكر الشاك في الدين حال كونه ملتبسا بالحسران ذكر عقبه المؤمنين وما أعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من افروض) أي وهي ما أمر بها المكاف أمراً جازماً يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والوافل هي ما أمر بها الشخص أمراً غير جازم يترتب على فعلها الثواب وإيس في تركها عقاب (قوله تجري من تحتها)

(أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أي رجع إلى الكفر (خَسِرَ الدُّنْيَا) بفوات ما أمله منها (وَالْآخِرَةُ) بالكفر (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الصنم (مَا لَا يَضُرُّهُ) إن لم يعبد (وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) إن عبده (ذَلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) عن الحق (يَدْعُوا لَمَنْ) اللام زائدة (ضُرُّهُ) بعبادته (أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) إن نفع بتخييله (لِبَيْتِ الْمَوْلَى) هو أي الناصر (وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ) صاحب هو ، وعقب ذكر الشاك بالحسران بذكر المؤمنين بالثواب في (إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) إن الله يفعل ما يريد (من إكرام من بطيعه وإهانة من يعصيه) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ أي محمداً نبيه (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ بِحَبْلِ) إِلَى السَّمَاءِ أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ) في عدم نصرة النبي (مَا يَغِيظُ) منها ، المعنى فليختنق غيظاً منها فلا بد منها (وَكَذَلِكَ) أي مثل إنزالنا الآيات السابقة (أَنْزَلْنَاهُ) أي القرآن الباقي (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ظاهرات ،

أي من تحت قصورها (قوله إن الله يفعل ما يريد) أي فلا معقب لحكمه

ولا يستل عما يفعل (قوله من كان يظن أن لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف ، وأما قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجري عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد . والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكين في دينهم أن الله لا ينصر محمداً في الدنيا والآخرة فليأت بجهل يشده في سقف بيته وفي عنقه ثم يختنق به حتى يموت فليتنظر هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد فالاتيان بالجهل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظاً فيكون بمعنى قوله تعالى - قل موتوا بغيظكم - وهذا هو المشهور في تفسير الآية ولذا مشى عليه المفسر . وقيل إن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع النصر عنه . ينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك (قوله بأن يقطع نفسه) بالتحريك ، وهو إشارة إلى أن مفعول يقطع محذوف (قوله كما في الصحاح) راجع لجميع ما ذكر من قوله بحبل إلى السماء الخ . والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب في اللغة للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري (قوله ما يغيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويغيظ صلتها والعائد محذوف والتقدير الشيء الذي يغيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرة النبي

(قوله حال) أى من الهاء فى أنزلناه (قوله على هاء أنزلناه) أى فالمعنى وأنزلنا إن الله يهدى من يريد أى ويضل من يريد فى الآية اكتفاء (قوله إن الدين آمنوا الخ) أى فالأديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس ويقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس أبدلت النون ميم (قوله طائفة منهم) أى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله إن الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله إن الله يفصل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذى لا يغيب عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ، ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الأرض وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدها (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته لأنه ورد «ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له» وقال تعالى - والله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر إلى أنه معطوف على (٩١) فاعل يسجد (قوله يشقه)

أى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله إن الله يفعل ما يشاء) أى فلا حرج عليه ولا منازع له فى حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الإشارة يود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر ، وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر ، وقيل نزلت فى المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب

حال (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) هداة معطوف على هاء أنزلناه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالصَّابِغِينَ) طائفة منهم (وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من علمهم (شهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) يخضع له بما يراد منه (وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجود الصلاة (وَكثيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان (وَمَنْ يُنِ اللَّهَ) يشقه (فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) مسعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الإهانة والاكرام (هَذَانِ خَصْمَانِ) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) أى فى دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) يلبسونها يعنى أحيطت بهم النار (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة (يُضْهِرُّ) يذاب (بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) من شحوم وغيرها ،

نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبيننا قبل نبينا . وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنّا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبينا وبما أنزل الله من كتاب وأتم تعرفون كتابنا ونبيننا وكفرتم حسدا . واختلف هل هذا الخصام فى الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو فى الآخرة بدليل التعقيب ، ولذا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجتو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) أى لأنه مصدر فى الأصل ، والغالب استعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى - وهل أتاك نبأ الخصم - ويثنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى - وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا - (قوله أى فى دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) أى قدرت على قدر جنهم ، فى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترتها لأبدانهم ، وجمع الثياب لأن رآكم النار عابهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم) لما ذكر أن الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصب الرأس ، ولما ذكر ما يصب ظاهرا الجسد ذكر ما يصب باطنه وهو الحميم الذى يذيب ما فى البطون من الأحشاء لما فى الحديث «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم

حتى يخاص إلى جوفه فيسلب مافي جوفه حتى يرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (قوله ونشوى به الجلود) أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع بفعل مقدر لأن الجلود لاتذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح أن يكون معطوفا على ما ويراد بالاذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) أى من أجل حصوله لهم (قوله أعيذوا فيها) أى لما ورد « إن جهنم تفور بهم فيصعدون إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الربانية بمقامع الحديد فيهرون فيها سبعين خريفا » (قوله وقيل لهم) أى تقول لهم الملائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف للصفة أى العذاب المحرق (قوله إن الله يدخل الذين آمنوا الح) لم يقل في حقهم والذين آمنوا عطفًا على قوله فالذين كفروا إشارة لتعظيم شأن المؤمنين (قوله الأنهار) جمع نهر والمعنى تجري من تحت قصورهم (قوله من أساور) من إمازائدة أو للتبويض أو لبيان الجنس وقوله من ذهب من لا ابتداء الغاية (قوله بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل إنهم يلبسون الأساور من النوعين الذهب واللؤلؤ ، وفي آية هل آتى - وحاولوا أساور من فضة - فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد « إن المؤمن يسور في الجنة بثلاثة أساور سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفي الحديث « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (قوله ولباسهم فيها حرير) غير الأساور حيث (٩٢) لم يقل ويلبسون فيها حريرا إشارة إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة

(و) تشوى به (الجلود) . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (لضرب رؤوسهم) كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا (أى النار (من غم)) يلحقهم بها (أعيذوا فيها) ردوا إليها بالمقامع (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى البالغ نهاية الإحراق ، وقال فى المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤٍ) بالجر أى منها بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب ، وبالنصب عطفًا على محل من أساور (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) وهو المحرّم لبسه على الرجال فى الدنيا (وَهَدُّوا) فى الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ) أى طريق الله المحمود ودينه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (و) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبداً (لِلنَّاسِ ،

فإن العـدول إلى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا) أى بوالصالحين الله فى الآخرة إلى ما حرمه عليهم فى الدنيا . قال عليه الصلاة والسلام « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » واختلف فى معنى الحديث فـقيل لم يلبسه فى الآخرة إذا مات

مصرأ ودخل النار فلا ينافى أنه إذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه أصلا ولو دخل الجنة سواء بل يقدم بغير الحرير وأما هو فلا يشترط فيها والمعتمد الأول وكذا يقال فى الأحاديث الواردة فىمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى أفضل القول لما فى الحديث « أفضل ما قلته أنا والنبىون من قبل لا إله إلا الله » فهى رأس المال لذا كرها لا يقبل شيء من الأعمال إلا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة نسأل الله تعالى الثبات عليها فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله إلى صراط الحميد) أى وهو دين الاسلام وسعى صراط لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى (قوله أى طريق الله المحمود) أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى ومعناه الحمود فى أفعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه عطف المستقبل على الماضى وحينئذ فلما أن يراد بالماضى انضارع أو مجرد انضارع عن معناه بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الأحسن ولا يصح جعلهم يصدون حالا لأن الجملة انضارعية المثبتة إذا وقعت حالا لاتقرن بالواو . قال ابن مالك :

وذا ت بدء بضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لأن الأصل عدمها وخبر إن محذوف يقدر بعد قوله والباد لدلالة قوله تذوقه من عذاب ألم عليه فاسيا فى التفسير (قوله منسكا) قدره إشارة الى أن مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرو لنوا ما متعاقى منسكا الذى قدره المفسر أو بجعلنا وهذا التقدير أعما هو لا يوضح المعنى والا فيصح جعل جملة سواء العاكسة

فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لأنه مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف الخ . والمعنى أن المقيم في المسجد والطارى سواء في النزول به فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه لا يقيمه منه غيره وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها فالغريب وأهل البلد سواء فيها بل هي مملوكة لأربابها ويحوز بيعها وإيجارها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا أو حذفها فيهما أو حذفها وقفا وإثباتها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وقوله الطارى دفع به ما يتوهم من قوله البادى أن المراد به ساكن البادية بل المراد به الطارى كان من البادية أولا وإنما سمي الطارى باديا لأنه لا يأتي إليها إلا من البادية (قوله ومن يرد فيه) أى يقصد في المسجد الحرام (قوله بالحاد) أى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) أى فى المفعول (قوله نذقه من عذاب أليم) أى فى الآخرة إلا أن يتوب . وأخذ منه أن السبئية فى مكة أعظم من السبئية فى غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة فى مكة لغير أهلها ونذبه بالمدينة (قوله ومن هذا) أى جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر إن) أى ويكون مقترا بعد قوله والبادى (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن قوله بوأنا ظرف لمحذوف (قوله بينا لإبراهيم مكان البيت) أريناه أصله ليذنيه حين أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر فى تلك الأرض وأنعم الله عليهما بزمرم (٩٣) فدعا الله بعمارة هذا البيت ،

فبعث الله له ريحا هفافة فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعده عليه لأن أساسه فى الأرض كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم ، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن على دورى فبنى عليه وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل

سَوَاءَ الْعَاكِفُ) الْقِيمِ (فِيهِ وَالْبَادِ) الطَّارِى (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ) الْبَاءُ زَائِدَةٌ (بِظُلْمِ) أَى بِسَبَبِهِ بَأْنِ ارْتَكَبَ مِنْهَا وَلَوْ شِئْتَ الْخَادِمَ (نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) مَوْءَلَمٌ أَى بَعْضُهُ ، وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ خَبَرُ إِنْ ، أَى نَذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (وَ) اذْكَر (إِذْ بَوَّأْنَا) بَيْنَا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) لِيَبْنِيهِ وَكَانَ قَدْ رَفَعَ زَمْنَ الطُّوفَانِ وَأَمْرَانَا (أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي) مِنَ الْأَوْثَانِ (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) الْمُقِيمِينَ بِهِ (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جَمْعُ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ : الْمُصَلِّينَ (وَأُذِّنْ) نَادِ (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فَنادى على جبل أبى قبيس : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ رَبُّكُمْ بَنَى بَيْتًا وَأَوْجِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ إِلَيْهِ فَأَجِيبُوا رَبَّكُمْ وَالتَفَتَ بِوَجْهِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا فَأَجَابَهُ كُلُّ مَنْ كَتَبَ لَهُ أَنْ يَحْجَّ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ الْأُمَمَاتِ : لِيَبْكِيَ اللَّهُ لِبَيْتِكَ وَجَوَابُ الْأَمْرِ (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مَشَاءَ جَمْعُ رَاكِلٍ كَقَامٍ وَقِيَامٍ ،

الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلتقى فيه ما يهوى للبيت و بناه قبله شيث وقبل شيث آدم للملائكة ثم بعد إبراهيم بناه العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش ثم ابن الزبير ثم الحجاج وهى باقية الآن على بنائه ثم يهدمها فى آخر الزمان ذو السويقتين فيجتدها عيسى ابن مريم عليه السلام (قوله وأمرناه) قدره إشارة إلى أن قوله أن لا تشرك معمول لمحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الأوثان) قيل المراد بها الأصنام لأن جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام فى محل البيت قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن إظهار التوحيد ويصح أن يكون المراد طهره من الأقدار والانتجاس والدماء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فى الناس بالحج) أى بالدعاء إليه والأمر به (قوله على جبل أبى قبيس) أى فلما صعد للنساء خففت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى ، فنادى فى الناس بالحج ، فأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ ، فمن لى مرة حج مرة ، ومن لى مرتين حج مرتين ؛ ومن لى أكثر حج بقدر تليته (قوله لبيك اللهم لبيك) أى أجبتك إجابة بعد إجابة (قوله يأتوك) أى يأتوا مكانك لأن المقصود إتيان البيت لا إتيان إبراهيم وقوله رجلا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على أن راكب البحر لا يجب عليه الحج لأنه مكة ليست على البحر وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين .

(قوله وعلى كل ضامر) التضمير في الأصل أن نعلف الفرس حتى يسمن ثم نقتل عنه الأكل شيئا فشيئا حتى يصل إلى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجرى وقدم الراجل لما ورد أن له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات المحرم كل حسنة مائة ألف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة ، وأخذ الشافعي من هذا الحديث أن المشي أفضل من الركوب ، وقال مالك الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان المشي أفضل لفعله رسول الله وأجاب عن الحديث بأنه مزية وهي لا تقتضي الأفضلية (قوله حملا على المعنى) أي حيث ألحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال يأتي (قوله بالتجارة) أي لأنها جائزة للحاج من غير كراهة إذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) أي عند إعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذي الحجة) أي وصيت معلومات لحرم الحجاج على علمها لأن وقت الحج في آخرها (قوله إلى آخر أيام التشريق) راجع للتواين قبله (قوله على مارزقهم) أي لأجل مارزقهم (قوله فكلوا منها) أمر بإباحة لخالفه ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا جاز الأكل منه ، واختلفوا في الهدى الواجب فقال الشافعي لا يأكل منه (٩٤) وقال مالك يأكل من كل هدى وجب إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى

(و) ركبانا (على كل ضامر) أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يأتين) أي الضواصر حملا على المعنى (من كل فنج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) أي يحضروا (منافع لهم) في الدنيا بالتجارة ، أو في الآخرة ، أو فيهما أقوال (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (على مارزقهم من بهيمة الأنعام) الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكلوا منها) إذا كانت مستحبة (وأطعموا البائس الفقير) أي الشديد الفقر (ثم ليقتضوا نفقتهم) أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وليؤفوا) بالتخفيف والتشديد (نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) طواف الإفاضة (بالبيت العميق) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس (ذلك) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور (ومن يعظم حرمات الله) هي ما لا يحل انتهاكها (فهو) أي تعظيمها (خير له عند ربه) في الآخرة (وأحلت لكم الأنعام) أكلها بعد الذبح (إلا ما يتلى عليكم) تحريمه في : حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا والتعريم لما عرض من الموت ونحوه

والنذر إذا قصد به المساكين . وقال أصحاب أبي حنيفة يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواها (قوله ثم ليقتضوا نفقتهم) أي بعد تمام حجهم وتحللهم لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمي فالتحرف فالحاق فطواف الإفاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شيء كان محرما عليه قبل الإحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لأنه أول بيت وضع) وقيل

سمى عميقا لأن الله أعنته من تسلط الجبارة

(فاجتنبوا) عابه ومن الفرق لأنه رفع أيام الطوفان (قوله أي الأمر أو الشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمخدوف وهذا على عادة الفصحاء إذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض في كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكرون للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد (قوله هي ما لا يحل انتهاكها) أي وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمها في الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفي المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدي لذلك (قوله خير له عند ربه) أي قربة وطاعة يثاب عليها في الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار ما يزهيه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه في الشهوات فقد أصاب حظا فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد : رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله الأنعام) أي الإبل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أي أو النحر أو العقر (قوله إلا ما يتلى عليكم) أي إلا ما دلل الآية التي تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) أي ووجهه أن في الآية ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز أن يكون متصلا) أي ووجهه العموم في قوله الأنعام لأن ظاهره حل الأنعام مطلقا ولو منخقة وموقوذة ومتردية فأفاد أن الحلال ما عدا ما في الآية .

(قوله فاجتنبوا الرجس) هو في الأصل القذر والأوساخ وعبادة الأوثان قدر معنوي (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لأن عبادة الأوثان رأس الزور (قوله أي الشرك بالله في تلييتهم) أي فاتهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هولك تملكه وما ملك (قوله أو شهادة الزور) أي الشهادة بما لا يعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أي مخلصين له (قوله حالان من الواو) أي في اجتنبوا لكن الأولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للشرك ، والمعنى أنه شبه حال الشرك بحال الهاوى من السماء في أن كلا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لا محالة إما بشطط الضير لجه أو تفرقة الرياح لأجزائه في أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الأمر مبتدأ) أي واسم الإشارة خبر نظير ما تقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة (قوله وهي البدن) فسرهما بذلك وإن (٩٥) كانت الشعائر في الأصل أعلام

الحج وأفعاله مراعاة للسياق (قوله بأن تستحسن) أي تختار حسنة بأن تكون غالبية الثمن لما روى أن عمر أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) أي من امتثال الأوامر واجتناب النواهي وقوله منهم قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله بما تعرف به) أي بعلامة يعرف بها أنها هدى (قوله كطعن حديد بسنامها) أي وشق الجلال وإخراج السنام من الشق وكتعليق النعال في رقبته (قوله كركوبها والحمل عليها) أي وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله أي عنده) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى عند (قوله

(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من للبيان أي الذي هو الأوثان (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أي الشرك بالله في تلييتهم أو شهادة الزور (حُنَفَاءَ اللَّهِ) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ سَقَطًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أي تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أي تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه (ذَلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا) أي فإن تعظيمها وهي البدن التي تهدي للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدى كطعن حديد بسنامها (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ نَحَرُهَا) أي مكان حل نحرها (إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي عنده ، والمراد الحرم جميعه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جَعَلْنَا مَنَسَكَ) بفتح السين مصدر وبكسرهما اسم مكان أي ذبحاً قرباناً أو مكانه (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرَكَةِ الْأَنْعَامِ) عند ذبحها (فَالْهُدَىٰ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْمَاءُ) انقادوا (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) المطيعين المتواضعين (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) من البلياء (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) في أوقاتها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وَالْبُدْنَ) جمع بدنة وهي الإبل (جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبى (فَإِذْ كُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافٍ) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى ،

والمراد الحرم جميعه) أي لخصوص الكعبة (قوله أي ذبحاً قرباناً) . فعول للمصدر الذي هو ذبحاً ، والمعنى أن يذبحوا قرباناً وقيل معنى مفسكاً نوعاً من التعبد والتقرب (قوله ليذكروا اسم الله) معناه أمرناهم عند ذبحهم بذكر الله (قوله من بركة الأنعام) أي منذ ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) أي خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لأن الاخبات نزول الحبث وهو المكان المنخفض (قوله الذين إذا ذكر الله) أي بأن سمعوا الله ذكر من غيرهم أو ذكروا بأنفسهم (قوله من البلياء) أي الحزن بأن لا يجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) أي صدقة التطوع ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى (قوله وهي الإبل) أي فالبدن عند الشافعي خاصة بالإبل ، وقال أبو حنيفة البدن الإبل والبقر وطى كل حال فالبقر من شعائر الله أيضاً (قوله لكم فيها خير) الجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) أي بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله قائمة) المناسب أن يقول قائمات

(قوله فإذا رجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع أن البعير إذا سقط عند النحر إنما يسقط على أحد جنبه لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن (قوله سقطت إلى الأرض) أي فالوجوب السقوط ، يقال وجبت الشمس : أي سقطت (قوله فكلوا منها) أي إن كانت مستحبة باتفاق وكذا إن كانت واجبة عند مالك إلا في جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به الساكنين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعي (قوله وأطعموا القانع) أي المستغنى بما أعطيه التعفف عما في أيدي الناس الذي لا التفات له إليهم الذي قال الله في حق من اتصف بصفته : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وقال الامام الشافعي رضي الله عنه :

أمت مطامى فأرحت نفسى فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت التنوع وكان ميتا ففى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب شخص عاتيه مهانة وعلاه هون

(قوله أي مثل ذلك التسخير) أي المفهوم من قوله صواف (قوله وإلا لم تطق) أي وإلا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله إن ينال الله لحومها ولا دماؤها) رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضميخها بالدم قربا إلى الله تعالى (قوله أي (٩٦) لا يرفعار إليه) أي وإنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصديق (قوله لتكبروا

(فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فَكُلُّوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ) الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض (وَالْمُعْتَرَّ) السائل أو المعرض (كَذَلِكَ) أي مثل ذلك التسخير (سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ) بأن تنحروا وتركبوا وإلا لم تطق (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) إنعامى عليكم (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤها) أي لا يرفعان إليه (وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان (كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) أي الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غوائل المشركين (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) في أمانته (كُفُورٍ) نعمته وهم المشركون المعنى أنه يعاقبهم (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ) أي المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد (بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (ظَالِمُوا) بظلم الكافرين إياهم (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)

لله على ما هداكم) أي بأن تقولوا : الله أكبر على ما هداكم والحمد لله على ما أولانا (قوله وبشر المحسنين) أي برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله إن الله يدافع عن الدين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه وذكر أن الكفار يعدون الناس عن المسجد الحرام كان

قائلا يقول بأي شيء يتمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع

فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وأنها تمسكون من المسجد الحرام ويدفع عنهم أعداءهم ، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها ما ذكر إلا أن العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المفعول ليؤذن بالعموم فالؤمنون ما لهم للعز والنصر والفوز الأكبر وإن امتنعوا ببلاء أو غيره فذلك لتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم فهم بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره إشارة إلى أن المفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهي ما يصيب الإنسان من السكروه (قوله في أمانته) مفرد مضاف أي أماناته وهي الأوامر والنواهي (قوله وهم المشركون) أي لأنهم خائفون كافرون في كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار إثر وعد المؤمنين لأن شأن الخائن يجازى على خيائته بالحزى والعقاب (قوله أذن للذين يقاتلون) أي يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله أن يقاتلوا وفي قراءة سبعية أيضا يقاتلون بالبناء للمفعول (قوله وهذه أول آية نزلت في الجهاد) أي بعد أن نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيف وسبعين آية ، وذلك أن مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ليفتد كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وإن الله على نصرهم لقدير) جملة مستأنفة

سبعة : وعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية .

(قوله هم الذين) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن الموصول خبر لمحذوف وهو أحد أوجه في إعرابه ويصح أن يكون بفتحة أو بيانا أو بدلا من الذين الأول أو منصوبا على المدح (قوله إلا أن يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره المفسر بقوله ما أخرجوا وهو متصل ، والمعنى لم يكن لهم سبب في إخراجهم إلا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين . إن قلت إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه . أجيب بأن سبب الخروج باطنا أمر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب المشركين عليهم ولا يصح استثناءؤه من المذكور لأنه يصير المعنى الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) ولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود وإضافة دفع لما بعده من إضافة المصدر أفعاله وقوله بعضهم أي الكافرين وقوله ببعض أي المؤمنين ، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن نبينا المساجد ، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطل كل دين يخالف دينه قال تعالى - ومن يتبع غير الإسلام ديناً فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين - فالعنى لولا عز (٩٧) الإسلام وقوة شوكته ما عبد الله

في أي زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) أي فهماء قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهي المحل المرتفع البناء في الأماكن الخالية (قوله للربان) أي وقيل للمبشرين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنائس بذلك لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلواتا بفتح الصاد والياء المثناة والقصر ومعناه في لغتهم

هم (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) في الإخراج ، ما أخرجوا (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا) أي يقولهم (رَبُّنَا اللَّهُ) وحده وهذا القول حق فالإخراج ٤ إخراج بغير حق (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ كَلَّمَتُ) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صَوَامِعُ) للربان (وَبِيعُ) كنائس للنصارى (وَصَلَوَاتُ) كنائس لليهود بالعبرانية (وَمَسَاجِدُ) للمسلمين (يُذَكِّرُ فِيهَا) أي في المواضع المذكورة (أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وتنقطع العبادات بخرابها (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أي ينصر دينه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع في سلطانه وقدرته (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) بصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أي إليه مرجعها في الآخرة (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) إلى آخره فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادُ) قوم هود (وَتَمُودُ) قوم صالح (وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكَذَّبَ مُوسَى) :

المصلى (قوله أي ينصر دينه) أي وأولياؤه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياؤه بأعدائه ومعنى نصر العبيد لهم هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله أو بإيضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلماء (قوله منيع في سلطانه) المناسب أن يقول غالب على أمره وقد أنجز الله وعده بأن أذل الكفار وأعز المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم (قوله الذين إن مكناهم في الأرض الخ) يجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله (قوله جواب الشرط) أي قوله أقاموا وما عطف عليه (قوله وهو وجوابه) أي الشرط وفعله وجوابه (قوله صلة الموصول) أي لا محل لها من الإعراب (قوله ويقدر قبله الخ) أي على أحد الاحتمالات المتقدمة وهو إخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم (قوله ولله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه فيجازي كل شخص بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله وإن يكذبوك) أي يدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك والضمير عائد على أهل مكة ، والمعنى لا تحزن وتسل فاست بأول من كذبه قومه (قوله باعتبار المعنى) أي وهو الأمة والقبيلة (قوله وعاد وتمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتغالها بهذين الاسمين (قوله وأصحاب مدين) خصهم بالذكر وإن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضا لأنهم سابقون عليهم في التكذيب له فخصوا بالذكر لسيئتهم بالتكذيب [١٣ - صاوي - ثالث]

(قوله كذبه القبط لاقومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل في هذا الأخير للمفعول ، والقبط بوزن القسط أهل مصر (قوله فأملئهم
للكافرين) وضع الظاهر موضع الضمر زيادة في التشنيع عليهم (قوله أي إنكارى عليهم) أشار بذلك إلى أن نكير مصدق
بمعنى الإنكار (قوله بأهلا بهم) أي بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) أي والمعنى فليقر المخاطبون بأن إهلاكهم لهؤلاء كان واقع
موقعه وفي الحقيقة هو مضمن معنى التعجب . والمعنى ما أشد ما كان إنكارى عليهم (قوله فكأن) مبتدأ ومن قرية تعجب
وقوله أهلكتها خبره وقوله وهي ظالمة الجملة حالية . والمعنى عدد كثير من القرى أهلكتها والحال أنها ظالمة (قوله وفي قراء
أي وهي سبعة أيضا) (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فهي خاوية على عروشها) أي
تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وبئر معطلة) قدر المفسر كم والجار إشارة إلى أنه معطوف على قرية
والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها ، وقيل إن البئر واحدة معهودة وهي التي نزل عليها صالح
أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهم بحضر موت ، وصميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وهناك
بلدة عند البئر اسمها حاضورا (٩٨) بناها قود صالح وأمروا عابهم جلس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا

كذبه القبط لاقومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ)
أهلهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي إنكارى
عليهم بتكذيبهم بأهلا بهم والاستفهام للتقرير أي هو واقع موقعه (فَكَأَنَّ) أي كم (من
قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا) وفي قراءة أهلكتها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أي أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ)
ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها (وَمِنْ) (بِئْرِ مَعْطَلَةٍ) متروكة بموت أهلها (وَقَصْرِ مَشِيدٍ)
رفيع خال بموت أهله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أي كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ
يَعْقِلُونَ بِهَا) ما نزل بالمكذبين قبلهم (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أخبارهم بالإهلاك وخراب
الديار فيعتبروا (فَإِنَّهَا) أي القصة (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)
تأكيد (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخَافَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بانزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وَإِنْ
يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) بالقاء والياء
في الدنيا ،

صنا وأرسل الله تعالى
عليهم حنظلة بن صفوان
نبيا فقتلوه فأهلكهم الله
وعطل بئرهم وخرب
قصورهم ، والمتبادر من
الآية العموم ولذا مشى
عليه المفسر (قوله أفلم
يسيروا) الهمزة داخلية على
محذوف والفاء عاطفة
عليه تقديره أغفلوا فلم
يسيروا وهو تحريض لهم
على السير ليشاهدوا آثار
من قبلهم من الكفار
ليعتبروا وهم وإن كانوا
سافروا لم يسافروا للاعتبار
والنظر فجعلوا كأن لم

يسافروا ولم يروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على
قوله يسبروا المنى فهو منى أيضا (قوله ما نزل بالمكذبين) مفعول يعقلون (قوله أي القصة) أي وما بعده تفسير له (قوله
لا تعمي الأبصار الخ) أي فالحال ليس في حواسهم الظاهرية وإنما هو في قلوبهم فترتب على ذلك أنهم في الشهوات وعدم
إذعانهم للحق لأن عمي القاب هو الضار في الدين لما ورد في الحديث « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله
وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القاب » (قوله تأكيد) أي قوله التي في الصدور تأكيد للقلوب لأن من العلوم أن
القلوب حالة في الصدور ، ومنه قولهم سمعت بأذني وانظرت بعيني (قوله ويستعجلونك بالعذاب) أي يطلب كفار مكة تعجيل
العذاب استهزاء حيث يقولون أين ما وعدتنا به مع كوننا كذبنك كما كذبت الأمم الماضية رسلهم (قوله وإن يخاف الله
وهذه) تضمن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا وتضمن قوله وإن يوما عند ربك الخ عذابهم في الآخرة فهم يعذبون مرتين
في الدنيا بالقتل بالأمم وفي الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فأنجزه يوم بدر) أي فقتل منهم سبعون وأمر سبعون من
صناديدهم (قوله كألف سنة) اقتصر على الألف لأنه منتهى العدد لا تكرار وهو كناية عن طول العذاب وعدم تنافيه
(قوله بالقاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله وكأين من قرية) أتى هنا بالواو لمناسبة ما قبلها في قوله : ولن يخلف الله وعده وإن يوما الخ بخلاف الأولى فأتى بالفاء لمناسبة ما قبلها في قوله : فكيف كان تكبر ، فأتى كل بما يناسبه (قوله قل يا أيها الناس) الموصوفون باستعجال العذاب وقد جرت عادة الله في كتابه أنه يخاطب المؤمنين بيا أيها الذين آمنوا وكفار مكة بيا أيها الناس (قوله وأنا بشير للمؤمنين) فذكر إشارة إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التعميم المذكور بعد (قوله لهم مغفرة) أي من الذنوب الصغار والكبائر (قوله والذين سعوا) أي اجتهدوا (قوله بإبطالها) الباء بمعنى في ، والمعنى اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا في القرآن إنه أصاير الأولين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبي) أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف (قوله وينبطونهم) أي يعوقونهم ويشغلونهم (قوله أومقترين عجزنا) أي فالمفعول محذوف تقديره الله ، والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم (قوله وفي قراءة معاجزين) أي وهي سبعية أيضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله أي مسابقين له ، ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله ، ومعنى مسابقة الله إزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون أن يفوتونا) أي فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) أي ما لهم لها وهي معدة لهم (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) هذه نسليقة ثانية لرسول الله (١٩) صلى الله عليه وسلم (قوله من رسول) من زائدة في المفعول أي رسولا (قوله هو نبي أمر بالتبليغ) أي إنسان ذكر حر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه (قوله ولا نبي) عطف على رسول . إن قلت إن تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ يناقض قوله أرسلنا . أجيب بأن الإرسال معناه البعث لنفسه لأنه أوحى إليه بشرع يعمل به في نفسه وليس مأمورا بتبليغه للخلق أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه كأن يقال مثلا ولا نبأنا من نبي على

(وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا) المراد أهلها (وَالِئَالِ الْمَصِيرُ) المرجع (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار وأنا بشير للمؤمنين (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعْجِزِينَ) من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز وينبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم ، وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ) هو نبي أمر بالتبليغ (وَلَا نَبِيٍّ) أي لم يؤمر بالتبليغ (إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) قرأ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد : أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به : تلك الغرائيق العلاء وإن شفاعتهن لترجي ، ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فخرن فسلى بهذه الآية ليطمئن (فَيَنْسَخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ما ذكر (حَكِيمٌ) في تمكينه منه يفعل ما يشاء

حد علقتهما تبنا وماء باردا * (قوله أي لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا إلى أن العطف في الآية مغاير إن كان لفظ النبي أعم (قوله قراءته) إنما سميت القراءة أمنية لأن القارئ إذا وصل إلى آية رحمة نعى حصولها أو آية عذاب نعى البعد عنه (قوله ما ليس من القرآن) مفعول ألقى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل إليهم) أي وهم الكفار (قوله وقد قرأ النبي) أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سور النجم ، وذلك كان في رمضان سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب من تلك السنة ، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تلك السنة (قوله بإلقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الغرائيق) معمول قرأ ، والغرائيق في الأصل الدكور من طير الماء واحدها غرنوق كغردوس أو غرنوق كعصفور ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تلو في السماء وترتفع (قوله ففرحوا بذلك) أي بما سمعوه وقالوا ما ذكر آلمتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) أي يزيل فالنسخ في اللغة معناه الإزالة وما ذكره المفسر من قصة الغرائيق رواية عامة المفسرين الظاهريين . قال الرازي : أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول ، أما القرآن فبوجوه :

أحدها قوله تعالى : ولولا قول علينا بعض الأقاويل الآية . ثانيها : قل ما يكون لي أن أبته من تلقاء نفسي الآية . ثالثها قوله تعالى : وما ينطق عن الهوى . وأما السنة فمنها ما روى عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هي من وضع الزناد وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والانس والجن » وليس فيه حديث القرانين ، وأما العقول فمن أوجه : أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للأوثان فقد كفر . ثانيها لو كان الالقاء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت عصمته من أول الأمر أو هو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبي . ثالثها وهو أقوى الأوجه أنا لجوزنا ذلك لارتفاع الأمان من شرعه ، ثم قال الرازي وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قاله الخطيب . ثم قال وهذا هو الذي يطمئن إليه القلب وإن أظن ابن حجر العسقلاني في صحتها اه ، ويكون معنى الآية صلى الله عليه وسلم هذا التحقيق ألقى الشيطان في أمينة أي تلاوته شيا وتخييلات في قلوب الأمم بأن يقول لهم الشيطان هذا صحر وكهانة فينسخ الله تلك الشبهة من قلوب من أراد لها الهدى ويحكم الله آياته في قلوبهم (١٠٠) والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم حكيم في تسليطه عليهم ليعلم

المفسد من الصالح (قوله ليجعل ما يلقي الشيطان) متعلق بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل الخ (قوله والقاسية قلوبهم) عطف على الدين أي فتنه للقاسية قلوبهم (قوله حيث جرى على لسانه الخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول حيث ساط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن (قوله وليعلم) عطف على ليجعل (قوله فيؤمنوا به) أي بالقرآن (قوله أي دين الاسلام) أي وسمى

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) شك وتناق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أي المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أي القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أي دين الاسلام (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَفْئَةٍ) أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير ، أو هو يوم القيامة لاليل له (الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة (لَهُ) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلا من الله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) شديد بسبب كفرهم (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا)

صراطا لأنه يوصل لمرضاة الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم

(قوله ولا يزال الذين كفروا) رجوع لك كحال الكفار وما هم عليه (قوله أي القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول أي في شك من أمر الرسول من كونه صادقا أولا (قوله بما ألقاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب ، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان في قلوب من أضاهم الله (قوله يوم عقيم) العقم في الأصل عدم الولادة فشبه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو العقم فاثباته تخييل والجامع بعدم الثمرة في كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أي الملك يوم تأتيتهم الساعة بفتنة أو يأتيتهم العذاب يوم القيامة لله ، ومعنى كونه لله عدم نسبة شيء في الملك لأحد سواه في ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) أي قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقتر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أي لا بسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدأ خبر ليرزقهم الله وخبرهم بالذكر وإن كانوا داخلين في جملة المؤمنين تعظيما لشأنهم (قوله ثم قتلوا) أي في الحروب وقوله أو ماتوا أي على فراشهم من غير قتل .

(قوله هورزق الجنة) أى التمتع فيها (قوله أفضل المعطين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينسب للخالق كما ينسب للمخلوق إلا أن نسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلنهم الخ) إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقنهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) أى من وعد المؤمنين ووعد الكافرين واسم الإشارة خبر لمخدوف تقديره الأمر الذى قصصناه عليك ذلك : أى لا تغيير فيه ولا تبديل فهى كلمة يأتى بها للانتقال من كلام إلى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجئ الشئ بعد غيره وحينئذ فقوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية ، وأما قوله - بمثل ما عوقب به - أتى به لمشاكلة الأول للازدواج نظير - فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم - والباء فى بمثل للآلة والباء فى به لاسببية (قوله أى قاتلهم) أى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين ليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوه فى الشهر الحرام فأبوا فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم ، وإلى هذا يشير المفسر بقوله : غفور لهم عن قتالهم فى (١٠١) الشهر الحرام ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوه يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ، وقيل إنها عامة فى النبي وأصحابه ، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمدا وأصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان (قوله غفور لهم) أى ما فعلوا لأنهم فعلوا دفعا عن أنفسهم لا نجرا على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ وبأن

هورزق الجنة (وإن الله هو خير الرازقين) أفضل المعطين (ليدخلنهم مدخلا) بضم الميم وفتحها أى إدخالا أو موصفا (يرضونه) وهو الجنة (وإن الله أعلم) بنياتهم (حليم) عن عقابهم ، الأمر (ذلك) الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلما من المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر الحرام (ثم بغى عليهم) منهم أى ظلم بإخراجه من منزله (ليذكرنه الله إن الله لغفور) عن المؤمنين (غفور) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذلك) النصر (بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل كلا منهما فى الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وأن الله سميع) دعاء المؤمنين (بصير) بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم (ذلك) النصر أيضا (بأن الله هو الحق) الثابت (وأن ما يدعون) بالياء والتاء : يعبدون (من دونه) وهو الأصنام (هو الباطل) الزائل (وأن الله هو العلى) أى العالى على كل شئ بقدرته (الكبير) الذى يصغر كل شئ سواء (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات وهذا من أثر قدرته (إن الله لطيف) بعباده فى إخراج النبات بالماء

الله خبره (قوله بأن يزيد) أى الآخر ، وقوله ذلك : أى الإيلاج فهو إشارة إلى أن الإيلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لأن القادر على إدخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر أحبابه وخذلان أعدائه (قوله وأن الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على أن الأولى وقرئ شذوذا بالكسر استئنافا (قوله ذلك بأن الله) مبتدأ وخبر وقوله هو إمام مبتدأ أوضمير فصل (قوله الثابت) الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) أى الفانى الذى لا بقاء له (قوله وأن الله هو العلى الكبير) نتيجة ما قبله من الأوصاف (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وما سواه باطل وفى الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذى قبله فى الأدلة الترقى فى الاحتجاج والمعرفة فتأمل . الأول إنزال الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض . الثانى قوله - له ما فى السموات وما فى الأرض - . الثالث تسخير ما فى الأرض . الرابع تسخير الفلك . الخامس إمساك السماء . السادس الأحياء ثم الإماتة ثم الأحياء ثانيا (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعالم دون الابصار لأن الماء وإن كان مرثيا إلا أن كون الله منزلا له من السماء غير مرئى (قوله مطرا) لامفهوم له لأن النيل وماء الآبار من السماء إلا أن يقال اقتصر على المطر لأنه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الأرض مخضرة) عبر بالمضارع إشارة إلى استمرار النفع به بعد نزوله .

(قوله بما في قلوبهم عند تأخير المطر) أى من التأثر والقنوط (قوله على جهة الملك) أى فلا ملك لأحد معه (قوله سخر لكم ما في الأرض) أى ذلل لكم ما فيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والملك) بالنصب في قراءة العامة عطف على ما في قوله ما في الأرض : أى وسخر لكم الملك ، وأفردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات والملك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من أن أو لئلا تقع) أشار بذلك إلى أن تقع إما في محل نصب على المفعول لأجله : أى لأجل أن لا تقع أو في محل جر على حذف حرف الجر ، والتقدير من أن تقع : أى من وقوعها (قوله بالإبادة) استثناء مفرغ من معنى قوله - ويمسك السماء أن تقع على الأرض - ، والتقدير لا يتركها تقع في حال من الأحوال إلا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذي أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الأحياء الأول والثاني إما نعمة أو نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) أى للثواب أو العقاب (قوله إن الإنسان لكفور) أى جحدود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) (١٠٢) أى أهل دين فالمراد بالأمة من له ملة وشرع (قوله بفتح السين وكسرها)

أى فهم اقراءتان سبعيتان (قوله شريعة) أى أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منكمهم التوراة ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منكمهم الانجيل والأمة الوجودون عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم إلى يوم القيامة منكمهم القرآن لاغيره وحينئذ فتقوله فلا ينازعك في الأمر : أى لا ينازعك هؤلاء الأمم في أمر دينك

(خبير) بما في قلوبهم عند تأخير المطر (له ما في السموات وما في الأرض) على جهة الملك (وإن الله كفو الغني) عن عباده (الحميد) لأوليائه (ألم تر) تعلم (أن الله سخر لكم ما في الأرض) من البهائم (والفلك) السفن (تجرى في البحر) للركوب والحل (بأمره) بإذنه (ويمسك السماء) من (أن) أو لئلا (تقع على الأرض) (إلا بإذنه) فتهلكوا (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) في التسخير والإمسك (وهو الذي أحياكم) بالإنباء (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (إن الإنسان) أى المشرك (لكفور) لنعم الله بتركه توحيد (لكل أمة جعلنا منسكا) بفتح السين وكسرها : شريعة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعك) يراد به لا تنازعهم (في الأمر) أى أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وأدع إلى ربك) أى إلى دينه (إنك لعلى هدى) دين (مستقيم) (وإن جادلوك) في أمر الدين (فقل الله أعلم بما تعملون) فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال (الله يحكم بينكم) أيها المؤمنون والكافرون (يوم القيامة) فيما كنتم فيه تختلفون (بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر) (ألم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (أن الله يعلم ما في السماء والأرض) (إن ذلك) أى ما ذكر (في كتاب) هو اللوح المحفوظ ،

(إن)

زعمنا منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان

لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم ، إذا علمت ذلك فقول الفسر فلا ينازعك في الأمر : أى أمر الذبيحة الخ لا يسلم لأنه يقتضى أن يكون أكل الميتة من جملة للناسك والشرائع التي جعلها الله لبعض الأمم ولا شك في بطلان ذلك فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع إلى ربك) أى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ بآية القتال وهذا أحد قولين ، وقيل إن الآية محكمة ، وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم وفوض الأمر إلى الله بقولك الله أعلم بما تعملون فيكون وعيد لهم على أعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافي قتالهم لأن القتال يرفعه أحد أمرين الإسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) أى يقضى ويفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) أى وهو حمل الخطاب على الإقرار بالحكم (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق في الهواء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والغرب

(قوله أى علم ما ذكر) أى الموجود فى السماء والأرض (قوله سلطانا) أى من جهة الوحي (قوله وما لبس لهم به علم) أى دليل عقلى (قوله حال) أى من آيات (قوله فى وجوه الدين كفروا) وضع الظاهر موضع الضمير تسكيناً عليهم (قوله أى الإنكار لها) أشار بذلك إلى أن المنكر مصدر ميمي على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال إيمان الوصول أو من الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداء بالباء وإلا فهو متعد بعلى (قوله النار) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر لمحذوف كأنه قيل وما الأثر فليل هو النار (قوله وعداها الله الذين كفروا) وعد يتعدى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول أول مؤخر نظير قوله تعالى - وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم - ويصح العكس بأن يجعل الضمير هو المفعول الأول والذين كفروا هو المفعول الثانى ، وإليه يشير المفسر بقوله بأن مصيرهم إليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هى الوعدة ، والمعنى جعل الله الكفار طعاماً للنار وعداها بهم والأول أنسب من جهة العربية لأن المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ كأعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) (١٠٣) هذه الآية مرتبطة بقوله

- ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً - فالخطاب وإن كان لأهل مكة إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام . والمثل فى اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية فى ما شبهه مضر به بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن ، وليس مراداً هنا بل المراد به الأمر الغريب والقصة العجيبة وإليه يشير المفسر فى آخر العبارة بقوله هذا أمر مستغرب (قوله فاستمعوا له) أى

(إِنَّ ذَلِكَ) أى علم ما ذكر (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل (وَيَعْبُدُونَ) أى المشركون (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَمْ يُنْزَلْ بِهِ) هو الأصنام (سُلْطَانًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالإشراك (مِنْ نَصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) أى الإنكار لها ، أى أثره من الكراهة والعبوس (يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) أى يقعون فيهم بالبطش (قُلْ أَفَأَنْبَتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُمْ) أى بأكراه إليكم من القرآن المتلو عليكم ، هو (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأن مصيرهم إليها (وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ) هى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) وهو (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) اسم جنس ، واحده ذبابة يقع على الذكر والمؤنث (وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) خلقه (وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا) مما عليهم من الطيب والزعفران اللطخون به (لَا يَسْتَنْقِذُوهُ) لا يسترده (مِنْهُ) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء الله تعالى ؟ هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (صَفَّ الطَّالِبُ) العابد (وَالْمَطْلُوبُ) المعبود ،

وهو) أى المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) أى ويجمع على ذبان بالكسر كغربان وذببان بالضم كقضبان وأذبة كأغربة مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنه يذب فيرجع وهو أحرص الحيوانات وأجهلها لأنه يرمى نفسه فى المهلكات ، ومدة عيشه أربعون يوماً ، وأصل خلقته من العفونات ، ثم يتوالد بعضها من بعض يقع روثه على الشئ الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض (قوله ولو اجتمعوا له) الجملة حالية كأنه قال اتفق خالقهم الذباب على كل حال ولو فى حال اجتماعهم (قوله وإن يسلبهم) أى يأخذ ويختطف منهم (قوله مما عابهم من الطيب والزعفران الخ) أى لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ووروسها بالعسل ويطلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ، وكانوا يحلون بها بالواقيت والآلى وأنواع الجواهر ويطيبونها بأنواع الطيب وربما سقط شئ منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله اللطخون بها) المناسب أن يقول اللطخين لأنه نعت سبى للطيب والزعفران (قوله لا يستنقذوه) أى لا يخلصوه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب مما يقال إن الذى ضرب وبين ليس بمثل حقيقة فكيف سماه مثلاً ، فأجاب بأن القصة العجيبة تسمى مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال فى الفرافة .

(قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها وعليه سيكون سبب نزولها كما قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله أصحابه وفي القوم مالك بن أبي الصيف من أخبار اليهود ، فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت في التوراة أن الله يبيض الخبر السمين ؟ فقال نعم ؟ فقال له رسول الله : وأنت خبر سمين ، فضحك القوم ، فالتفت مالك إلى عمر ابن الخطاب وقال - ما أنزل الله على بشر من شيء - وقيل سبب نزولها أن اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الأحد والأرض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والأوراق والأشجار يوم الأربعاء والشمس والقمر في يوم الخميس وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع إحدى رجله على الأخرى واستراح ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها من تمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفى) أى يختار (قوله من الملائكة رسلا) إن قلت إن هذا يقتضى أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم ، وآية فاطر تقتضى أن الكل رسل . أجيب بأن التبويض بالنسبة لإبراهيم لبني آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك إلى أن في الآية الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) (١٠٤) أى من الاعمال (قوله وما خافوا) أى لم يعملوه بالفعل (قوله أو ماعملوا)

(مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظَمُوهُ) (حَقَّ قَدْرُهُ) عظّمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غالب (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) رسلا . نزل لما قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لمقاتلهم (بَصِيرٌ) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماقدموا وما خلفوا ، أو ماعملوا وما هم عاملون بعد (وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا) أى صلوا (وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه (وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ) كصلة الرحم ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) تفوزون بالبقاء في الجنة (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ جِهَادِهِ) باستفراغ الطاقة فيه ، ونصب حق على المصدر (هُوَ أَجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للعرض والسفر (مِلَّةَ أَبِيكُمْ)

أى بالفعل وقوله وما هم عاملون : أى في المستقبل (قوله ترجع الأمور) أى نصير أمور الخلائق إليه تعالى ويجازى كلا بعمله (قوله أى صلوا) أى وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الأخلاق) أى وغيرها من الخيرات الواجبة والندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترحى في القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح

محقق لمن فعل هذه الأمور (قوله وجاهدوا في الله) أى أعداءكم الظاهرية والباطنية ، فالظاهرية فرق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معارضة ويسمى الجهاد الأصغر ، والباطنية النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئا فشيئا ويسمى الجهاد الأكبر كما في الحديث ، ووجه تسميته أكبر أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب أخرى وتصلح وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة بخلاف الأعداء الباطنية فلانغيب أصلا ولا يمكن الصالح معها وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار (قوله حق جهاده) من إضافة الصفة للوصف : أى جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) أى اصطفاكم وجعلكم أمة وسطا (قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج) أراد بالدين أصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم ، فمن ذلك قبول توابعهم إذا ندموا وأقاعوا ولم يجعل توابعهم قتل أنفسهم ، وإذا أذنب الشخص منهم ذنبا سقره الله ولم يفضح في الدنيا بأن يجده مكتوبا في جيبته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع مهالها وغير ذلك . إن قلت كيف لا حرج في الدين مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار والحصن يرمم بزنا مرة ونحو ذلك . أجيب بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع ، وأما الدراق وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لأن الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل أحل أشياء وحرم أشياء لها جزاء من يتقوى

الحدود إلا التشديد عليه (قوله بنزع الخافض الكاف) أى كلمة أبيكم فالتشبيه في أصول الدين وفي سهولة الفروع (قوله هو بماكم المسلمين) أشار للفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على إبراهيم (قوله أى قبل هذا الكتاب) أى في الكتب القديمة (قوله وفي هذا) أى بقوله - ورضيت لكم الإسلام ديناً - (قوله ليكون الرسول) متعلق بماكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) أى بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) أى لمستحقيها (قوله ثقوا) أى في جميع أموركم (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف وحذفه من الثانى لدلالة هذا عليه .

[سورة المؤمنون مكية] سورة مبتدأ والمؤمنون مضاف إليه مجرور بباء مقطرة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية مكية خبر وظاهره أن جميعها مكي ، وقيل إلا ثلاث آيات وهى قوله ولورحمناهم إلى آخرها فانهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله أو تسع عشرة آية هو قول البصريين ، وسبب هذا اختلافهم في قوله تعالى - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وساططان مبين هل هو آية كما قاله البصريون أو بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) أى لتحقيق يحصل في المستقبل وتنزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) أى ظفروا (١٠٥) بمقصودهم ونجوا من كل مكروه

قال تعالى - فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز - والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خبیره وشهره حاله ومصره (قوله خاشعون) أى ظاهرا وباطنا فالخشوع الظاهري التمسك بأداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد في الحاصرة وغير ذلك ، والخشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكير بدينوى ، وقدم الصلاة

منصوب بنزع الخافض الكاف (إبراهيم) عطف بيان (هو) أى الله (سَمَّيْكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل هذا الكتاب (وَفِي هَذَا) أى القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القسامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلم ببلغتهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم

(سورة المؤمنون)

مكية ، وهى مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَدْ) للتحقيق (أَفْلَحَ) فاز (الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام (إِلَّا عَلَى زَوَاجِهِمْ) أى من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى السرارى (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْكُمِينَ) فى إتيانهم (فَمَنْ أُبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ) من الزوجات والسرارى ،

نہا أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين والدنيا كان قولاً أو فعلاً أو مكرراً أو مباحاً كالهزل واللعب وضياح الأوقات فيما لا يعنى والتوغل في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه ، وبالجملة فينبغى للانسان أن يرى ساعياً في حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه و « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » قوله الدين هم للزكاة) اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين والعشر أو نصفه من الحرث والشاة من دأربمين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون لأن القدر المخرج لامعنى لفعله وعلى الثانى فاعلون على بابه (قوله حافظون) أى مانعون (قوله عن الحرام) أى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله أى من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أن على بعض من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بمادون من وإن كان المقام له لأن الاناث قصات ولا سيما الأرقاء فقيهن شبه بالبهايم فى حل البيع والشراء (قوله أى السرارى) جمع سرية بالضم وهى فى الأصل الأمة أى بونت بيت مأخوذة من السر وهو الجماع أو الاخفاء لأن الانسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته أو من السرور لأن مالکها يسرها (قوله فانهم غير ملومين) علة للاستثناء .

(قوله كالاستمناء باليد) أى فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة ، وقال أحمد بن حنبل : يجوز بشرط ثلاثة أن يخاف الزنا ، وأن لا يجد مهر حرة أو ثمن أمة وأن يفعله بيده لا بيد أجنبي أو أجنبية (قوله والذين هم لأماناتهم) أى ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحجّ وفعل المعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وصوراتهم (قوله جمعا ومفردا) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للأمانات (قوله حافظون) أى غير مضيعين لها (قوله يحافظون) أى يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ، ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتداء بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو إضافي لاحقيق لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو لقوله تعالى - ويفر مادون ذلك لمن يشاء - أو يقال إن الحصر فيهم حقيقى بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرتنون الفردوس) عبر بالارث دون الاستحقاق لأن الارث ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر المبدأ بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، والمعنى أن الآية التى سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمر من انصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدأ وحيفئذ فيبين الآيتين (١٠٦) مناسبة وهذا أتم مما قيل إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها

كما الاستمناء باليد في إتيانهن (قَوْلُكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (وَعَهْدِهِمْ) فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (يَحَافِظُونَ) يقيمونها في أوقاتها (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) لا غيرهم (الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ بعده (وَ) الله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ سُلَالَةٍ) هى من سللت الشيء من الشيء ، أى استخرجته منه وهو خلاصته (مِنْ طِينٍ) متعلق بسلالة (هُمْ جَعَلْنَاهُ) أى الانسان نسل آدم (نُطْفَةٍ) منيا (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) هو الرحم (هُمْ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) دما جامدا (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لحما قدر ما يمضغ (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفي قراءة عظما في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (هُمْ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بنفخ الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الانسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى: الأول قلب الانسان في أطوار خلقته وهى تسعة آخرها قوله تبعثون . الثانى خلق السموات . الثالث إنزال الماء . الرابع منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع واللام

موطئة لقسم محذوف قدره الفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق) أى بسلالة) أى لأنه بمعنى مسلول (قوله أى الانسان نسل آدم) أشار المفسر بذلك إلى أن الضمير يعود على الانسان لكن لا بالمعنى الأول وحيفئذ في الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى - وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - (قوله في قرار مكين) أى في مقر متمكن وصف بذلك لأنه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقه) قيل كلها وقيل جزء منها والباقي يوضع نصفه في موضع تربته والنصف الثانى يوضع في السماء فإذا أراد الله إحياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية في الأرض فتوجد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - (قوله وفي قراءة عظما) أى وهى سبعة أيضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أى من غير توان ، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة لا يحيط بها وصف الوصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك ، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا ، وقيل خروج أسنانه وشعره ، وقيل كالشبابه والأتام أنه عام في هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل المعقولات وجميع الأمور التى اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التى يشير لها قول بعض العارفين : وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر (قوله فتبارك الله) أى تعظم وليرتفع قدره .

(قوله المقدرين) أى الصورين ودفع بذلك ما يقال إن اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع أنه لا خالق غيره . فأجاب بأن المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد والابداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعالم به) أى من قوله الخالقين فإنه يدل عليه (قوله بعد ذلك) أى من الأمور العجيبة (قوله يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية . إن قلت ما حكمة اختلاف التعاطفات ثم والفاء لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوما فإن نظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف ثم وإن نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالفاء . أجيب بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسى لأن حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له فى اللون أو الصورة وكذا جعلها عظما وأما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير فى كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لأن كونها فوق إنما هو بعد خالق الخلق وإلا فوقت خالق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لأنها طرق الملائكة) أى فى العروج والهبوط والطيران ، وقيل معنى طرائق مطروقات أى موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا فى الآية الأخرى (قوله وأنزلنا من السماء الجار والمجرور متعلق بأنزلنا (قوله بقدر) أى تقدير يجلب منافعهم ودفع مضارهم وقيل المعنى بقدر حاجاتهم وإليه يشير المفسر (قوله فأسكناه فى الأرض) أى جعلناه ساكننا ثابتا مستقرا (١٠٧) فى الأرض بعضه على ظهرها وبعضه

فى بطنها (قوله وإنا على ذهاب به لقادرون) الباء فى به للتعدي ، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه . روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيجون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها

أى المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به ، أى خلقا (ثم إنكم بعد ذلك كميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) للحساب والجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة (وما كنا عن الخلق تحتها) غافلين (أن تسقط عليهم قتلهم بل نمسكها كاية «ويمسك السماء أن تقع على الأرض» (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) من كفايتهم (فأسكنناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون) فيموتون مع دوابهم عطشا (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) مما أكثر فواكه العرب (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) صيفا وشتاء (وأنشأنا شجرة تخرج من طور سيناء) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعامة والتأنيث للبقعة (تنبت) من الرباعى والثلاثى (بالدهن) الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثانى ، وهى شجرة الزيتون (وصبغ للأكليين) عطف على الدهن أى إدام يصبغ اللقمة بنفسها فيه وهو الزيت ،

الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الأرض فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم ونابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين «(قوله لكم فيها) أى الجنات، (قوله ومنها) أى من ثمر الجنات كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت وهى أول شجرة نبتت فى الأرض بعد الطوفان وتبقى فى الأرض كثيرا حتى قيل إنها تعمّر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو الملتف بالأشجار وهو الجبل الذى نودى عليه موسى (قوله منع الصرف للعامة والتأنيث) أى وقيل للعامة والعجمة لأنه اسم أعجمى نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كأمري القيس ومنع من الصرف وإن كان جزء علم نظرا إلى أنه عومل بمائة العلم (قوله والتأنيث للبقعة) أى والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس وهى منقلبة عن ياء أو واو لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة (قوله من الرباعى والثلاثى) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله وإن لكم في الأنعام لعبرة) عبر في جانب الأنعام بالعبارة دون النبات لأن العبارة فيها أظهر (قوله مما في بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير في النحل باعتبار البعض فإن المراد خصوص الاناث بدليل الاختصار على اللبن (قوله أي الابل) خصها لأنها المحمول عليها غالباً ويصح عوده على الأنعام لأن منها ما يحمل عليه أيضاً كالبقرة (قوله ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومهِ) شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستاً : الأولى قصة نوح . الثانية قصة هود . الثالثة قصة القرون الآخرين . الرابعة قصة موسى وهرون . الخامسة قصة عيسى وأمه ، والمقصود منه اطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى ليقتدوا بهم في الحاصل الرضية و يتقاعداً عن خصالهم الذمومة ، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر ألف سنة وخمسين لأنه أرسل على رأس الأربعين ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله مالكم من إله غيره) بنزلة التعايل لما قبله (قوله وهو اسم ما) أي قوله إله ، وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع لإتباعا لحل إله والجبر لإتباعا للفظه قراءتان سبعيتان (١٠٨) (قوله وما قبله الخبر) أي وهو الجار والمجرور وما مشى عليه المفسر طريقة

ضعيفة للنحاة وهي جواز عمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً والشهور إهمالها حينئذ فكان المناسب أن يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهاتم لا تتقون (قوله فقال لا) أي الأشراف . وحاصل ما ذكره خمس مقالات : الأولى ما هذا إلا بشر مثلكم . الثانية ولو شاء

(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ) أي الابل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (نَسْتَقِيكُمْ) بفتح النون وضمها (مِمَّا فِي بُطُونِهَا) أي اللبن (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أي الابل (وَعَلَى الْفُلْكِ) أي السفن (تَحْمَلُونَ) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ (أَطِيعُوهُ وَوَحْدَهُ) (مَالَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) لأتباعهم (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ) يتشرف (عَلَيْكُمْ) بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) أن لا يعبد غيره (لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) بذلك لأبشراً (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي دعا إليه نوح من التوحيد (فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) أي الأمم الماضية (إِنْ هُوَ) أي مانوح (إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) حالة جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) انتظروه (حَتَّى حِينٍ) إلى زمن موته (قَالَ) نوح (رَبِّ انصُرْنِي) عليهم (بِمَا كَذَّبُونِ) أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم ، قال تعالى مجيباً دعاءه (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) برأى منا وحفظنا (وَوَحَيْنَا) أمرنا ،

(فَإِذَا)

الله لا نزل ملائكة . الثالثة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين .

الرابعة إن هو إلا رجل به جننة . الخامسة فتر بصوابه حق حين ، ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردّها (قوله بأن يكون متبوعاً) أي بادعاء الرسالة (قوله أن لا يعبد غيره) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أي بأن لا يعبد غيره (قوله لا بشراً) أي لأن الملائكة أشد سطوتهم وعلو شأنهم ينقاد الخلق إليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً (قوله حالة جنون) أي ففعله بالكسر للهيئة . قال ابن مالك : * وفعله لهيئة كجاسه * (قوله إلى زمن موته) أي فكانوا يقولون لبعضهم أصبروا فإنه إن كان نبياً حقاً فله ينصره ويقوى أمره وإن كان كاذباً فله ينحذه ويبطل أمره ففترج منه أو المراد بالحين الزمان الذي تظهر فيه العواقب فالمعنى انتظروا عاقبة أمره فإن أفاق وإلا فاقتلوه (قوله قال رب انصُرني) أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم (قوله أن اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله بأعيننا) حال من الضمير في اصنع وجمع الأعين للبالغة (قوله برأى منا وحفظنا) أشار بذلك إلى أن في الآية مجازاً مرسل لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه فأطلق اللازم وأريد المألوم (قوله ووحييناً) أي تعليمنا فإن الله أرسل إليه جبريل فعلمه صنعها ، وصنعها في عامين وجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ، ارتفاعها ثلاثين والسرعة إلى المنكب وهذا أشهر الروايات

كل وعوض عنه التنوين
(قوله أى زوجته) أى
المؤمنة لأنه كان له
زوجتان إحداهما مؤمنة
فأخذها معه فى السفينة
والأخرى كافرة تركها
وهى أم ولده كنعان (قوله
وهو زوجته) أى الكافرة
(قوله بخلاف سام) أى
وهو أبو العرب وحام هو
أبو السودان و يافث هو
أبو الترك (قوله ستمه
رجال) أى فالجملة اثنا عشر
(قوله بترك إهلاكهم)
متعلق بتخاطبى (قوله
إنهم مغرقون) أى محكوم
عليهم بالغرق (قوله
وإهلاكهم) أى ونجائنا
من إهلاكهم (قوله وقل
رب أنزلنى إلخ) العبرة
بعموم اللفظ فهذا الدعاء
يفبنى قراءته لكل من

نزل محلا يريد الإقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) أى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر (قوله بضم الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركاً ذلك الانزال) تفسير للضمير فى مباركاً والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله وإن كنا لمبتلين) إن مخففة واللام فارقة ، والمعنى وإننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر هل ينبعونه ويتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله قرناً) أى قوما سمو بذلك لأن بعضهم مقترن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل إليها هود أوماذ كره المفسر من أن المراد بالقرن عاد والرسول هود هو ما عليه أكثر المفسرين ويشهد له مجىء قصة هود عقب قصة نوح فى الأعراف وهود والشعراء . وخير ما فسرته بالوارد . ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة : فآخذتهم الصيحة الموهم أن القرن ثمود وأن الرسول صالح لأنه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته

(قوله فأرسلنا فيهم) أى فى القرن وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم (قوله رسولهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لأن هودا بن عبد الله بن رباح بن الحارث بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ومن ينسبون لعاد وتقوم ذلك فى هود (قوله بأن اعبدوا) أشار بذلك إلى أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملتها فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال الملائكة) عطف على ما قبله وأتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين بخلاف ما فى الأعراف وهود فإنه فى جواب سؤال مقدر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف محض لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر (قوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا) أى أعطيناهم ملكا عظيما قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيه - أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون - (قوله ما هذا إلا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنهى لقوله : الخاسرون . والثانية إنكار البعث وتنهى لقوله بمبعوثين وأهل الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما (قوله ويشرب مما تشربون) أى منه فحذف العائد لاستكمال الشروط التى أشار إليها ابن مالك بقوله : كذا الذى جرى بما الموصول جرى كجر بالذى حررت فهو بر (قوله ولئن أطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لأولهما) أى على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله : واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم (١١٠)

(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) هوداً (أَنْ) أَيْ بَانَ (أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عقابه فتؤمنون (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ) أى بالمصير إليها (وَأَتَرَفْنَاهُمْ) نعمناهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَ) اللَّهُ (لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثانى (إِنَّكُمْ إِذَا) أى إذا أطعتموه (الْخَاسِرُونَ) أى مغبونون (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) هو خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل (هَيِّئَاتَ هَيِّئَاتَ) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أى بعد بعد (لَمَّا تُوْعَدُونَ) من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان (إِنْ هِيَ) أى ما الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) بحياة أبنائنا (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . إِنْ هُوَ) أى ما الرسول (إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أى مصدقين فى البعث بعد الموت (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي

ولا يصح أن يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله إنكم إذا الخ) الكاف اسم إن وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلت للخبر وإذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر إذا أطعتموه (قوله أيعدكم) استفهام لتقرير ما قبله (قوله أنكم مخرجون) أى من القبور أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى (قوله تأكيد لها)

أى تأكيد لفظى (قوله اسم فعل ماض) اختاف فى اسم الفعل فقليل معناه لفظ الفعل وعليه فهو مبنى على الفتح لا محل له من الأعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتوعدون صلتها أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه ، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور ، وقيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد لما توعدون متعلق بحذف خبر المبتدأ فاللام ليست زائدة إذا علمت ذلك فكلام المفسر رضى الله عنه فى غاية الإجمال لأن قول اسم فعل ماض أحد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثانى وقوله أى بعد بعد يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيراً للفعل الماضى أو بلفظ المصدر فيكون تفسيراً للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهرة على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لاعلى كونها للبيان ولاعلى كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب أن يأتى بأو وترك التفرع على المصدر وتقدم أنها ليست زائدة بل متعلقة بحذف خبر ، وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيهات بفتح التاء وضمها وكسرهما وفى كل مع التنوين وبدونه وهيهات بأسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان إما بالهاء أولا أو إبدالها همزة وقرئ بالجميع لكن التواتر القراءة الأولى وهى الفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) أشار بذلك إلى أن إن نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة أبنائنا) جواب عما يقال إن فى قولهم ونحيا احترافا بالبعث مع كونهم منكربين له . فأجاب بأن المراد ونحيا أبنائنا بعد موتنا .

(قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياي (قوله صيحة العذاب والهلاك) جواب عما يقال إن الصيحة كانت هذاب قوم صالح لا قوم هود (قوله كائنة بالحق) أى العدل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غشاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو بنت ييس) الأوضح أن يقول وهو العشب إذا ييس (قوله فبعدا للظالمين) بعدا مصدر بدل من لفظ النعل والأصل بعدوا بعدا واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعدا وهو إخبار أودعاه عليهم (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله وما يستأخرون) أى لا يتأخرون عنه ، والمقصود من هذه الآية التقرير والتخويف لأهل مكة كأنه قال لا تتفروا بطول الأمل فإن للظالم وقتا يؤخذ فيه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه (قوله بعد تأنيثه) أى فى قوله أجلها الراجع إلى أمة وقوله رعاية للمعنى أى لأن أمة بمعنى قوم (قوله تترا) التاء مبدلة (١١١) من واو وأصله وترا وهو مصدر على التحقيق ومعناه

المتابعة مع مهلة ، وقيل المتابعة مطلقا وإن لم تكن مهلة ولا تكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع (قوله بالتنوين وعدمه) أى فهمما قراءتان سبعيتان فمن نون قال إن ألفه للحاق بجعفر كعاقى فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين ومن لم يذون قال إن ألفه للتأنيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) أى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع أحادثة كأعجوبة وأضحوكة : ما يتحدث به

بما كذبون . قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ (من الزمان وما زائدة) لِيُصْبِحَنَّ (لِيَصِيرَنَّ) نَادِمِينَ (على كفرهم وتكذيبهم) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ (صيحة العذاب والهلاك كائنة) بِالْحَقِّ (فماتوا) فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً (وهو بنت ييس أى صيرناهم مثله فى اليبس) فَبَعْدًا (من الرحمة) لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (المكذبين) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا (أقواما) آخَرِينَ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بَأَن تَمُوتَ قَبْلَهُ (وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا) بالتنوين وعدمه أى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو (رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهَا بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا) فى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة بينة ، وهى اليد والعصا وغيرهما من الآيات (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها وباللّه (وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) قاهرين بنى إسرائيل بالظلم (فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا) قَوْمُهُمْ لَنَا عَابِدُونَ) مطيعون خاضعون (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ) أى قومه بنى إسرائيل (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة ، وأوتيتها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وَأُمَّهُ آيَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع ،

جبا وتسليا ولا يقال ذلك إلا فى الشر ولا يقال فى الخير (قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف أى بعدوا عن محنتنا بعدا لا يزول (قوله بآياتنا) أى التسع وهى العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضا (قوله وغيرها) أى من باقى التسع (قوله ابشرين مثلنا) أفرد مثل لأنه يجرى مجرى المصادر فى الافراد والتذكير ولا يؤنث أصلا (قوله قومه لانا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى إسرائيل) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لعلمهم راجع لقوم موسى لافرعون وقومه لأن التوراة إنما جاءت بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) إما راجع لقوله وأوتيتها أو راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لأن الآية فيهما واحدة) أى لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة فيصح نسبته لها وله (قوله وآويناها إلى ربوة) سبب ذلك أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى عليه السلام فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثني عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك .

(قوله وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض لأنه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو أقرب البقاع إلى السماء
(قوله ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين وأصله معيون كعبيع استثقلت الضمة على الياء حذفت فالتقى سا كنان
حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على
وجه الاجمال ، فليس اراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة ، بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك بأن قيل مثلا لكل
رسول: كل من الطيبات واعمل صالحا إني بما تعمل عليم ، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشجيع على رهباني
النصارى حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله
الحللات) أي مستلذات أم لا (قوله واعملوا صالحا) أي شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فأجازيكم عليه)
أي إن خيرا غير وإن شرا فشر فالآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا أن هذه أمتكم) قدر المفسر لفظ اعلموا إشارة إلى
أن أن بفتح الهمزة معمولة (١١٢) لمحدوف وهذه اسمها وأمتكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم)

أشار بذلك إلى أن المراد
بالأمة الدين ، والمراد به
العقائد لأنها هي التي اتحدت
في جميع الشرائع ، وأما
الأحكام الفرعية فقد
اختلفت باختلاف الشرائع
(قوله وفي قراءة بتخفيف
النون) أي والهمزة
مفتوحة والعامل مقدر كما
في الشدة واسمها ضمير
الشأن وهذه أمتكم مبتدأ
وخبر والجملة خبر أن (قوله
استثنا) أي فهو
إخبار من الله بأن
جميع الشرائع متفقة
الأصول والقراءات الثلاث
سبعيات (قوله فائقون)

وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذات قرار) أي مستوية يستقر عليها
ساكنوها (ومعين) أي ماء جار ظاهر تراه العيون (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات)
الحللات (واعملوا صالحا) من فرض ونقل (إني بما تعملون عليم) فأجازيكم عليه (و)
اعلموا (أن هذه) أي ملة الإسلام (أمتكم) دينكم أيها المخاطبون ، أي يجب أن تكونوا
عليها (أمة واحدة) حال لازمة ، وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسرها مشددة
استثنا (وأنا ربكم فائقون) فاحذرون (فتقطعوا) أي الأتباع (أمرهم) دينهم (يذنبونهم)
زبراً) حال من فاعل تقطعوا ، أي أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كل حزب
بما لديهم) أي عندهم من الدين (فرحون) مسرورون (فذرهم) أي اترك كفار مكة
(في غمرتهم) ضلالهم (حتى حين) أي حين موتهم (أيحسبون أننا نمدهم به)
نمطيهم (من مال وبنين) في الدنيا (نسارع) نعجل (لهم في الخيرات) لا (بل
لا يشعرون) أن ذلك استدراج لهم (إن الذين هم من خشية ربهم) خوفهم منه
(مشفقون) خائفون من عذابه (والذين هم بإيات ربهم) القرآن (يؤمنون) يصدقون
(والذين هم بربهم لا يشركون) معه غيره (والذين يؤمنون) ،

أي افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتقطعوا

يعطون

أمرهم) أي جعلوا دينهم مفرقا ، فلذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة (قوله
زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) أي لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسليية له (قوله في غمرتهم) مفعول ثان للدرهم : أي مستقرين
فيها ، والغمرة في الأصل الماء الذي يغمر القامة ثم استعير ذلك للجهالة ، والغمر بالضم يقال لمن يجرب الأمور والغمر بالكسر
الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) إضراب انتقالي : أي لا يعلمون أن توسعة الدنيا ليست
ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم ، قال تعالى - إنما نلهم ليزدادوا إثما - (قوله إن الدين هم) الدين اسم إن
وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون ، وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الخوف مع
زيادة التعظيم فهو أعلى من الخشية ، وهذه الأوصاف متلازمة من انصف بواحد منها لزم منه الانصاف بالباقي (قوله القرآن)

أي وغيره من باقي الكتب السماوية .

(قوله يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله يؤتون من الإيتاء وهو الإعطاء (قوله وقلوبهم وجة) الجملة حالية من فاعل يؤتون : أى والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائاه ، ولذا ورد عن أبى بكر الصديق أنه قال : لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت الدموع في خديه (قوله بقدر قبله لام الجر) أى فيكون تعليلاً لقوله وجة (قوله أولئك يسارعون في الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله - إن الدين هم من خشية ربهم - وما عطف عليه فاسم إن أربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قيل للخيرات ، وقيل للجنة ، وقيل للسعادة ، وقوله في علم الله : أى كتبوا سابقين في علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقة العلم (قوله ولا نكلف نفساً إلا وسعها) أى فضلاً منه سبحانه وتعالى وإلا فلا يستل عما يفعله ، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الإنسان وكذا جميع التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلاً أو تركاً ، وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب ، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلاً يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين : إذا رفع الحجاب فلا ملاله لتكاليف الإله ولا مشقه (١١٣) (قوله عندنا) أى عندية رتبة

ومكانة واختصاص (قوله يعطون) (مَا آتَوْا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) بقدر قبله لام الجر (إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أولئك يسارعون في الخيرات وهم كما سابقون) في علم الله (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها فمن لم يستطع أن يصلى قائماً فليصل جالساً ، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (وَلَدَيْنَا) أى عندنا (كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وَهُمْ) أى النفوس العاملة (لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزداد في السيئات (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أى الكفار (فِي غَمْرَةٍ) جهالة (مِنْ هَذَا) القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) فيعذبون عليها (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ) أغنياءهم ورؤساءهم (بِالعَذَابِ) أى السيف يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْزُرُونَ) يضجون يقال لهم (لَا تَجْزُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْنَا لَا تَنْصَرُونَ) لا تمنعون (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي) من القرآن (تُنْزِلُ عَلَيْكُمْ فِكْرَكُمْ عَلَى أَتْقَائِكُمْ تَنْكِصُونَ) ترجعون قهقري (مُسْتَكْبِرِينَ) عن الإيمان (بِهِ) أى بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم (سَامِرًا) حال ،

الكفار (قوله ولهم أعمال) أى سيئة (قوله من دون ذلك) أى غير ما ذكر للمؤمنين ، والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لها عاملون) أى مستعمرون عليها (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا أخذنا مترفيهم) إذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وإذا الثانية للمفاجأة قائمة مقام الفاء ، قال ابن مالك : وتخاف الفاء إذا المفاجأة كإن تجد إذا لنا مكافأه

(قوله أغنياءهم ورؤساءهم) أى كأبي جهل وأضرابه من صناديدهم (قوله يجأرون) أى يصرخون ويتهلون أو يستغيثون ويلاجئون في كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيتهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم ، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون في النار (قوله قد كانت آياتي الخ) تامل لما قبله (قوله تنكصون) من باب جاس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقري) أى إلى جهة الخاف وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان (قوله به) الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامرا ، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائداً على البيت أو الحرم (قوله سامرا) من السمر ، وهو الحديث ليلاً (قوله حال) المناسب للمفسر أن يقول أحوال ويؤخره عن قوله : تهجرون لأن الأحوال [١٥ - سارى - ثالث]

ثلاثة مستكبرين وسامرا وشهبرون (قوله أي جماعة) أشار بذلك إلى أن سامرا اسم جمع واحده مسامر (قوله من الثلاثي) أي مأخوذ من الهجران وهو الترك أو من هجرهجرة بالتحريك : هذى وتسكاه بما لا يعقله (قوله ومن الرباعي) أي مأخوذ من الاهجار وهو الفحش في الكلام (قوله أفلم يدبروا القول) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أعموا ولم يدبروا ، وهذا شروع في بيان أن إقدامهم على هذه الضلالات لابد أن يكون لأحد أمور أربعة : أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته . ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم . ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه في غاية الأمانة والصدق . رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس ، وسيأتي خامس في قوله - أم تسئلهم خرجا - وأم في المواضع الأربعة (١١٤)

أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تَهْجُرُونَ) من الثلاثي : تتركون القرآن ، ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن ، قال تعالى (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال (الْقَوْلِ) أي القرآن الدال على صدق النبي (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به (بَلْ) للانتقال (جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ) أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ) أي القرآن (أَهْوَاءَهُمْ) بأن جاء بما يهوىونه من الشريك والولد لله ، تعالى عن ذلك (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التسامع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ) أي بالقرآن الذي فيه ذكركم وشرفهم (فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أجرة على ما جئتهم به من الإيمان (فَخَرَجَ رَبُّكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة أخرجا فيهما (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وأجر (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أي دين الاسلام (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) أي الطريق (لَنَّا كِبُورٌ) عادلون ،

مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريرية وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبي الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله وأكثرهم للحق) أي القرآن وغيره فهو أعم من الحق الأول ولذا أظهر في مقام الاضمار وأشار بقوله : وأكثرهم إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لأن وجود الشريك يقضى بفساد العالم عقلا لاعادة (قوله بل أتيناكم

بذكركم) لإضراب انتقالي ، والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أنهم يتسرفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه ، والعامية على قصر أتيناكم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ قالوا إما زائدة وذكركم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب ، وقوله بذكركم هكذا قرأ العامة وقرئ شذوذا بذكركم بألف التانيث ونذكركم بنون العظمة (قوله أم تسألهم خرجا) راجع لقوله - أم يقولون به جنة - وما بينهما اعتراض (قوله فخرج ربك خير) تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار (قوله أجره وثوابه) أي في الآخرة ، وقوله ورزقه : أي في الدنيا فهذه الأمور كالحراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفي قراءة خرجا في الموضعين الخ) أي فالقراآت الثلاث سبعيات لكن الأولى أبغ من حيث إنه عبر في حق الله بالحراج المفيد للتكرار وفي حق العبيد بالحرج المفيد لعدم التكرار والمماثلة في القراءتين الباقيتين للشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد : أي أثاب (قوله عن الصراط) متعلق بذا كبر (قوله عادلون) أي زائفون ومنحرفون .

(قوله ولو رحمناهم الخ) قال الأشياخ الأظهر أن هذه الآية واللتين بعدها إلى مباسون مدليات ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا على أهل مكة بقوله : اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنتين يوسف فقحطوا حتى أكلوا العلهز وهو بين مكسورة ولا م سا كنة وهاء وزاى معجمة شئ كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل فى سفى المجاعة فجاء يوسفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أنشدك الله والرحم ألت تزعـم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التماذى والاستمرار على العناد فى تعاطى الفعل المنهى عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد لما قبله (قوله لما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو إلى ما قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله فى الماضى ولم يحصل منهم التجاء إلى الله فى المستقبل (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها الجمل (قوله إذا فتحنا عليهم) إذا شرطية وإذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أى فالأبلاس اليأس ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذى أنشأ لكم الخ) خطاب (١١٥) للخلق عموما قصد به تذكير

النعم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم فى مصارفها لأن السمع خاق ليسمع به ما يرشد والبصر ليشهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها فى مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم فى مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى - فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ - وأفرد السمع وجمع الأبصار تفننا (قوله تأكيد للقللة) أى لفظ ما تأكيد للقللة الاستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) أى تحيون بعد

(وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) أى جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَلَّجُّوا) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلاتهم (بَعَثُونَا) يترددون (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يرغبون إلى الله بالدعاء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا) صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (لَكُمْ السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا) تأكيد للقللة (تَشْكُرُونَ) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون (وَهُوَ الَّذِي يُخَوِّجُ) بنفخ الروح فى المضة (وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتعتبرون (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ) قَالُوا) أى الأولون (أُنْذَارًا مِّثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَفَلَا لَمَبْغُوثُونَ) لا ، وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا) أى البعث بعد الموت (مِنْ قَبْلُ إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (قُلْ) لهم (لَيْنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا) من الخلق (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ) لهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية فى الذال : تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الأحياء بعد الموت (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ،

الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) أى خلقا وإيجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أغفلتم فلا تعقلون أن القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) أى كفار مكة (قوله مثل ما قال الأولون) أى من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وترك الإدخال فالفراآت أربع سبعيات فى الثانى وثلاث فى الأول بترك الإدخال بين الحقتين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبنى للجهول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توکید له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل أيضا وقوله هذا مفعول ثان لوعده ونائب الفاعل مفعول أول والأصل وعدنا الآن عهد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقدم المرفوع الذى هو نائب الفاعل هنا وعكس فى الغل تفننا وإشارة إلى أنه يجوز الأمران (قوله قل لهم) أى لأهل مكة المنكرين بالبعث (قوله من الخلق) أى المواقفات عقلاء وغيرهم (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقهما ، (قوله سيقولون لله) إخبار من الله بما يقع منهم فى الجواب قبل وقوعه (قوله بإدغام التاء) أى بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها

(قوله الكرسي) المناسب إبقاؤه على ظاهره فإن العرش على التحقيق غير الكرسي (قوله والتاء للبالغة) أى وكذا الواو فهما زائدتان كز يادتهما فى الرحوت والرهبوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الأول بفتح الياء كيرمى والثانى بضمها . والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه ولا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه قال تعالى - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) أى وهو لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) أى الأخيرين وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة ولم يقرأ بدونها أحد (قوله نظرا إلى أن المعنى) أى فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لأنه لا فرق بين قوله : من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وإن شئت قلت لزيد لأن السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربها (قوله قل فأنى) أى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله أى كيف تخيل لكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر (١١٦) التخيل والوهم لاحقيقته (قوله فى نفيه) أى الحق (قوله من ولد) من

زائدة فى المفعول وقوله من إله من زائدة فى اسم كان (قوله أى لو كان معه إله) أشار بذلك إلى أن قوله إذا ذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من إله وتقديم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى سورة الانبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى أن هذا امر عادى لا إلزامى قطعى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أنه دليل عقلى قطعى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكرسي (سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك (كُلُّ شَيْءٍ) والتاء للبالغة (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) يحمى ولا يحمى عليه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ اللَّهُ) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أى كيف تخيل لكم أنه باطل (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى نفيه ، وهو (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا) أى لو كان معه إله (لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيهاً له (عَمَّا يُصِفُونَ) به مما ذكر (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شهود ، بالجر صفة والرفع خبر هو مقدراً (فَتَعَالَى) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (قُلْ رَبِّ إِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (ثُرَيْبِي مَا يُوعَدُونَ) من العذاب هو صادق بالقتل بيد (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بهلاكهم (وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ . أَذْفَعُ بَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ) ،

الوحدانية كأنه قال الله عالم الغيب والشهادة

أى

وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (قوله بالجر صفة) أى للفظ الجلالة أو بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدراً أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ما تقدم كأنه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو محاب لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له (قوله إِمَّا تَرَنِى) إن شرطية وما زائدة وترينى فعل شرط والنون للوقاية والياء مفعول أول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تأكيد للأول وقوله فلا تجعلنى الخ جواب الشرط (قوله بالقتل بيد) أى وهو الذى رآه بالفعل (قوله فأهلك بهلاكهم) أى لأن شؤم الظالم قد يعم غيره . إن قلت إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بأنه أمر بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه وتعظيماً لأجره وليكون فى جميع الأوقات ذا كرا لله تعالى (قوله وإنا على أن نريك الخ) إن حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر إنا واللام للابتداء زحلت للخبر والمعنى وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذى نعدهم به .

(قوله أى الخصلة الخ) أشار بذلك إلى أن التى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالى هى أحسن ولو فى حال القتال كأن الله يقول له إذا قدرت عليهم فاصفع عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحينئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جداً وهو وإن كان معصوماً فالمقصود تعليم أمته وإظهار الالتجاء لربه (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) أى إفساداتهم ، والمعنى أتحصن بك من وساوس الشياطين (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للبالغلة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها الجمل إشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم لم يقل رب ارجعنى بالافراد مع أن المخاطب واحد . وأجيب أيضاً بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال ارجعن ارجعن ارجعن أوالجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه كأنه استغاث بالله أولاً ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة (قوله يكون فيما تركت) أى بدلا عنه (قوله أى لارجوع) أشار بذلك إلى أن كلا هنا معناها النفى ومع ذلك

(١١٧)

فيها معنى الردع والزجر (قوله أى رب ارجعون) أى وما بعدها (قوله ومن ورأهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت إلى البعث والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجاباً وما نعا من الرجوع وهو الموت إذا علقت ذلك فالأموات لا تعود أجسامهم فى الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً وإنما يبعثون يوم القيامة لافرق بين الأنبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من أنهم يجتمعون بالنبي

أى الخصلة من الصفح والإعراض عنهم (السَّيِّئَةِ) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أى يكذبون ويقولون ، فنجازيهم عليه (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ) اعتصم (بك مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزغاتهم بما يوسوسون به (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) فى أمورى لأنهم إنما يحضرون بسوء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) الجمع للتعظيم (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته ، قال تعالى (كَلَّا) أى لا رجوع (إِنَّهَا) أى رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) له ولا فائدة فيها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) أمامهم (بَرَزَخٌ) حازر يصدمهم عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانية (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفاخرون بها (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يفتقون ، وفى آية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ)

صلى الله عليه وسلم بقظة فالمراد أن روحه الشريفة تشكات بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الأولياء والشهداء لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لا تسمى فى المالكوت (قوله ولا رجوع بعده) أى يوم البعث (قوله النفخة الأولى) هو قول ابن عباس وقوله أو الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفياً فأجاب بأن معنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بأنسابهم . وأجيب أيضاً بأن معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تنفهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) أى لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولا يتساءلون ودفع بذلك ما يقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على أن المراد النفخة الثانية وأما على أن المراد النفخة الأولى فوجه الجمع أن نفى السؤال إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته إنما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الوزن (قوله بالحسنات) الباء سببية أى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) أى بسبب ثقل السيئات ، والمعنى فمن رجعت حسنه فأولئك هم المفلحون ومن رجعت سيئاته فأولئك الذين خسروا الخ .

(قوله فهم في جهنم) أشار المفسر إلى أن قوله في جهنم خبر محذوف (قوله تلفح وجوههم) اللعج الاصابة بشدة (قوله شمروا شفاههم الخ) أي قالوا كواح تسمو الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد أنه تتقاص شفاه العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخ السفلى حتى تبلغ صرته (قوله تتلى عليكم) أي في الدنيا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله وهما مصدران بمعنى أي وهو سوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) أي وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة ، وقيل اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج ، وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة (قوله اخسئوا فيها) أي اسكنوا سكوت هوان وذل (قوله فينقطع رجاؤهم) أي وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله إنه كان فريق) تعليل لما قبله (١١٨) (قوله بضم السين وكسرهما) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) الناس

أن يقول بدله وخباب لأن سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب إليهم) أي وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء (قوله وكنتهم منهم تضحكون) أي وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال إن قوله قال يقتضي أن الله يكاهم مع أنه قال في آية أخرى : ولا يكاهم الله . فأجاب بأن المكاهم لهم الملك عن الله (قوله وفي قراءة قل) أي وهي سبعة أيضا . والحاصل أن هنا وفيما يأتي في قوله قال إن لبثتم ثلاث قرات سبعيات الأمر فيهما والماضي فيهما والأمر

فهم (في جهنم خالدين تلفح وجوههم النار) تحرقها (وهم فيها كالحون) شمروا شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم (ألم تكن آياتي) من القرآن (تتلى عليكم) تخوفون بها (فكنتهم فيها تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) وفي قراءة شقوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وكنتهم قومًا ضالين) عن الهداية (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا) إلى المخالفة (فإننا ظالمون . قال) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخسئوا فيها) ابعثوا في النار أذلاء (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم (إنه كان فريق من عبادي) هم المهاجرون (يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وأرحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سُخْرِيًا) بضم السين وكسرهما مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حتى أنسوكم ذكري) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإساءة فنسب إليهم (وكنتهم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم) النعيم المقيم (بما صبروا) على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم (إنهم) بكسر الهمزة (هم الفائزون) بمطلوبهم استئناف وفتحها مفعول ثانٍ لجزيتهم (قال) تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل (كم لبثتم في الأرض) في الدنيا وفي قبوركم (عدد سنين) تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فسئل العادين) أي الملائكة المحصين أعمال الخلق (قال) تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضا قل (إن) أي ما (لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم في النار (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) لا لحكمة ،

في الأول والماضي في الثاني (قوله كم لبثتم) كم في محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين هو ميزها ، والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا ويقولون على البعث فيها وينكرون البعث لما أدخلوا النار وأيقنوا دوامهم وخلودهم فيها سألهم عن لبثهم في الدنيا زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث أظهر خلافه (قوله فاستل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لأنه غشيتهم من الهول والنداب ما يشغاهم عن ضبط ذلك وإحصائه (قوله قال تعالى) أي تقرعوا وتوبيخوا وتصديقا لهم (قوله لو أنكم) لو هنا امتناعي ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف أيضا قدره المفسر بقوله كان قليلا أي في علمكم ، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا (قوله أخسئتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهتكم خسئتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانتكار (قوله عبثا) إما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين أو مفعول

لأجله والعبث اللعب وكل ماله فيه فرض صحيح فتدبر الحكمة تفسير للعبث (قوله وانكم إلينا لا ترجعون) عطف على : أما خلقناكم فيكون حسب مسطاع عليه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدره جوابا للاستفهام (قوله بل لتعبدكم) أى لتكافكم (قوله على ذلك) أى على امتثال التعبد المذكور (قوله إلا ليعبدون) أى حكمة خالق لهم كونهم يعبدون أوامرهم ويحذرون نواهيهم (قوله فتعالى الله) أى تنزه (قوله الملك الحق) أى الذى يحق له التصرف فى ماله لا يجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ماسواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرى شدوذا بالرفع على أنه نعت مقطوع للدح (قوله الكرسي) تقدم أن المناسب إبقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها إسقاطها (قوله صفة كاشفة) أى بيان للواقع لأن كل من ادعى مع الله إلها آخر لا بد وأن يكون لا برهان له به (قوله فانما حسابه عند ربّه) هو جواب الشرط (قوله إنه لا يفلح الكافرون) الجمهور على كسر إن استئنافا وفيه معنى العلة وقرى شدوذا بالفتح على أنه خبر حسابه والأصل حسابه أنه لا يفلح موفوف مع الظاهر موضع المضمرة تسجيلا عليهم (قوله فى الرحمة زيادة) (١١٩) على المغفرة) أى فذكر الرحمة بعد

المغفرة تحلية بعد تحلية
فى الغفران وهو السيئات
وفى الرحمة رفع الدرجات
(قوله أفضل رحمة)
بالنصب على التمييز .

[سورة النور]

سميت بذلك لذكر
النور فيها وفى هذه السورة
ذكر أحكام العفاف والستر
وغبرها من الأحكام
الدينية المفصلة ، ولذلك
كتب عمر رضى الله عنه
إلى الكوفة : علموا
نساءكم سورة النور ،
وقالت عائشة رضى الله
عنها : لا تنزلوا النساء

(وَأَنكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول ؟ لا ، بل لتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازى على ذلك « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (فتعالى الله) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك الحق لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم) الكرسي هو السرير الحسن (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) صفة كاشفة لمفهوم لها (فَانْمَا حِسَابُهُ) جزاؤه (عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لا يسعدون (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ) المؤمنين فى الرحمة زيادة على المغفرة (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أفضل رحمة ،

(سورة النور)

مدنية ، وهى اثنتان أو أربع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) مخففا ومشددا لكثرة المفروض فيها (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالات (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الذال : تنعظون (الزانية والزاني) أى غير المحصنين ،

فى الغرف ولا تلهوهن الكتابة وعلموهن سورة النور والعزل (قوله هذه سورة) أشار المفسر إلى أن سورة خبر المحذوف قدره بقوله هذه والإشارة لما فى علم الله لكونها فى حكم الحاضر المشاهد ويصح أن تكون سورة مبتدأ وجملة أنزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزاني ، والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا والخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهى لعامة القراء وقرى سورة بالنصب بفعل مضمرة يفسره أنزلناه فهو من باب الاشتغال أو على الأغراء أى دونك سورة (قوله وفرضناها) أى أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجابا قطعيا (قوله مخففا ومشددا) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأنزلنا فيها) كسر الهمزة لكمال الاء بشأنها (قوله آيات بينات) أى دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر فى أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله : وفرضناها إشارة إلى الأحكام وقوله : وأنزلنا فيها آيات بينات إشارة إلى الأدلة (قوله بادغام التاء الثانية) أى بعد قلبها دالا فذالا أى وبسكينتها أى فهما قراءتان سبعيتان وبقيت ثالثة سبعة أيضا وهى حذف إحدى التاءين (قوله الزانية والزاني) مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أو جملة فاجلدوا ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وعليه درج المفسر ، وقدمت المرأة فى حد الزنا وأخرت فى آية السرقة لأن شهوة الزنا فى المرأة أقوى وأكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهى فى الرجل أقوى وأكثر .

(قوله لرجلها بالسنة) أشار بذلك إلى أن الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحسن وغيره فالسنة أخرجت المحسن وبيئت أن حدّه الرجم فصار الكلام في غيره (قوله فاجلدوا كل واحد منهما الح) أي بسوط لين له رأس واحدة ويجرد الرجل من ثيابه والراة مما يقبها ألم الضرب وتوضع في قفصة فيها تراب للستر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي وقال مالك : لا يغرب إلا الذكركر الحرّ ، وأما المرأة والرقيق فلا يغربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ وقرئ شذوذاً بالياء التحتية (قوله رافة) بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان قرئ بالمد بوزن سعاية ، والرافة أشد الرحمة ويقال راف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بأن تتركوا شيئاً من حدّها) أي لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد « إقامة حدّ الله تعالى في الأرض خير من أن تطروا أربعين صباحاً » (قوله في هذا) أي قوله إن كنتم تؤمنون الح (قوله تحريض) أي حتّى على ما قبل الشروط وهو قوله : ولا تأخذكم بهما رافة فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (قوله وهو جوابه) أي كما هو رأى الكوفيين وقوله أودال كما هو رأى البصريين (قوله وليشهد عذابهما طائفة) الأمر للندب والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حاقة (قوله قيل ثلاثة الح) (١٢٠) القولان للشافعي وعند مالك أقل ذلك أربعة (قوله أي المناسب لكل منهما

ما ذكر) أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية ، والمعنى أن الزاني يرغب في نكاح الزانية أو الشركة والزانية ترغب في نكاح الزاني أو الشريك (قوله وحرّم ذلك على المؤمنين) أي لما فيه من الفساد كالطعن في النسب والتعرض للتهم والتشبه بالفساق فالواجب التزوج بالعفيفات لما في الحديث « تخبروا لنطفكم فان العرق دساس » (قوله نزل ذلك) أي الآية

لرجلها بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) أي ضربة ، يقال جلده ضرب جلده و زاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ مِنْ دِينِ اللَّهِ) أي حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدّها (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا) أي الجلد (طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة ، وقيل أربعة عدد شهود الزنا (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ) يتزوج (إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي المناسب لكل منهما ما ذكر (وَحُرِّمَ ذَلِكَ) أي نكاح الزواني (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الأخيار ، نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهنّ موسرات لينفقن عليهم قليلاً ، التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى : وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

وحيثما فالماطوق بسبب النزول هو الجملة الثانية وإنما ذكر الأولى زيادة في التنبيه (قوله وهنّ موسرات) بالزنا أي غنيات (قوله خاص بهم) أي ولم ينسخ إلى الآن (قوله وأنكحوا الأيامي) جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكر أو ثيباً ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزاني والزانية وغيرهما فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم أن الزاني والزانية إما أن يرجموا إن كانا محصنين أو يجلدان إن لم يكونا كذلك فتيين أن الزنا أمره عظيم شديد لا بد وأن يثبت إما باقرار أو بأربعة عدول ، فان اتفق واحد من ذلك حدّ الدّعي فيبين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة وقوله الابن مبتدأ ويرمون صلته والخبر ثلاث جمل . الأولى فاجلدوهم . الثانية قوله : ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً . الثالثة قوله : وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبّه الاتهام بالرمي بجامع التأدية للهلاك في كل لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك المرمي وإن لم يثبت فقد هلك الرامي وقوله المحصنات لامفهوم له بل وكذا المحصنون وإنما خصهن بالذكر لأن الشأن قوة شهوة النساء ، (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لأن الإحصان كما يطلق على العفة يطاق على التزوج وعلى الحرية ومفهوم قوله العفيفات أنه إذا رمي غير عفيف لا يحدّ ويشترط زيادة على العفة أن يكون الرمي يتأتى منه الزنا واللواط بأن يكون ذا آلة فان رمي مجبوباً عذراً ولا يحدّ وأن يكون حراً مسلماً كما كان اتفق شرط منها يحدّ القاذف إلا الرمي بالسبي واللواط به أو الصبغة الطيبين فمعدن ذلك يحدّ وعند الشافعي يعزّر

(قوله بالزنا) أى أو اللواط فى آدمى مطبق أو جنى تشكك بآدمى (قوله باربعه شهداء) أى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء
 يشهدون بأنهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد أن يتحدوا فى الرؤية والأداء فان اختلفوا ولو فى أى صفة حد الجميع (قوله
 أى ماداموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لانقبل شهادتهم
 تابوا (قوله إلا الذين تابوا) استثناء متصل لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى
 حذف (قوله فيها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الأخريتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما أن
 نائب تقبل شهادته وبزول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لاتقبل) هذا مذهب أبى حنيفة وانفق الجميع على أن القاذف يحل
 إن تاب فليس الاستثناء راجعا إلى الجملة الأولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء أنصح من إثباتها إلا
 للوارث (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البينة ويلاعن
 جاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول فانه لم يكن لهم بينة (قوله إلا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك)
 قذف الزوجة بالزنا (قوله جماعة من الصحابة) أى وهم هلال بن أمية (١٢١) وعويرة العجلاني وعاصم بن عدي

(قوله نصب على المصدر)
 أى والعامل شهادة وفى
 قراءة سبعة أيضا بالرفع
 خبر المبتدأ (قوله من الزنا)
 أى أوفى الحمل لأن اللعان
 كما يكون فى رؤية الزنا
 يكون فى نفي الحمل (قوله
 والخامسة أن لعنة الله الخ)
 بالرفع لا غير باتفاق السبعة
 وقوله أن تشهد أربع
 شهادات بالنصب لا غير
 باتفاق السبعة وقوله
 والخامسة أن غضب الله
 الخ يجوز فى السبعة رفعه
 ونصبه فتحصل أن الخامسة
 الأولى بالرفع لا غير وفى
 الثانية الوجهان ولفظ

زنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) عَلَى زَنَاهُنْ بِرُؤْيَيْهِمْ (فَأَجْلَدُوهُمْ) أَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً) فِي شَيْءٍ (أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لَا تَيَانُهُمْ
 كَبِيرَةٌ (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) عَلِمَهُمْ (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لَهُمْ قَذْفُهُمْ
 رَحِيمٌ) بِهِمْ بِالْهَامِ التَّوْبَةُ فِيهَا يَنْتَهَى فَسَقُهُمْ وَتَقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ ، وَقِيلَ لَا تَقْبَلُ رَجُوعًا بِالْإِسْتِثْنَاءِ
 إِلَى الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) بِالزَّانَا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) عَلَيْهِ
 إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) وَقَعَ ذَلِكَ لِمَجْلَعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مُبْتَدَأُ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ)
 صَبَّ عَلَى الْمَصْدَرِ (يَاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فِيمَا رَمَى بِهِ زَوْجَتَهُ مِنَ الزَّانَا (وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعَنَتِ
 اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فِي ذَلِكَ وَخَبَرَ الْمُبْتَدَأَ تَدْفَعُ عَنْهُ حَدَّ الْقَذْفِ (وَيَذَرُ)
 دَفْعَ (عَنْهَا الْعَذَابَ) أَى حَدَّ الزَّانَا الَّذِي ثَبَتَ بِشَهَادَاتِهِ (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ
 أَنْ لَيْسَ الْكَاذِبِينَ) فِيمَا رَمَاهُ مِنَ الزَّانَا (وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ)
 فِي ذَلِكَ (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بِالسُّتْرِ فِي ذَلِكَ (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بِقَبُولِهِ التَّوْبَةَ
 فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ (حَكِيمٌ) فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لَبَيَّنَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ وَعَاجَلَ بِالْعُقُوبَةِ مِنْ
 بِسْتَحَقِّهَا (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أَسْوَأُ الْكَذِبِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِقَذْفِهَا،

مع الأول فيه الوجهان والثاني بالنصب لا غير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب أن اللعن معناه الطرد والبعد عن
 رحمة الله وفى لعانه إبعاد الزوجة والولد ، وفى لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدأ) أى الذى
 هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به .

[فائدة] يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وإيجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأيد تحريرها وفسخ
 كساحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبيّن الحق فى ذلك) جواب لولا (قوله إن الذين جاءوا بالافك الخ)
 مروع فى ذكر الآيات المتعلقة بالافك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة
 لهذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما فى الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من رمى غيره به وذكر أنه لا يليق بأحد الأمة
 فضلا عن زوجة سيد الرساين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوأ الكذب) أى أقبحه وأخفشه (قوله على
 عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهى
 بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة

(قوله عصبة منكم) العصبه من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عيبتهم وذكرتهم أربعة فقط لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر
(قوله من المؤمنين) أي ولو ظاهرا فإن عبد الله بن أبي من كبار المنافقين (قوله قالت) أي عائشة في تعيين أهل الأهل
(قوله وحمنة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لا تحسبوه شرا لكم) الخطاب به النبي صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وعائشة وصفوان نسبية لهم (قوله بل هو خير لكم) أي لظهور كرامتهم على الله وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد
لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أي يقود بها
الراحلة (قوله وهو صفوان) أي السلمي ابن المعطل (قوله في غزوة) قيل هي غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل
في السادسة . وصحبها أن رسول الله (١٢٢) صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقادهم الحرث

(عَصَبَةٌ مِنْكُمْ) جماعة من المؤمنين قالت : حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح وحمنة
بنت جحش (لَا تَحْسَبُوهُ) أيها المؤمنون غير العصبه (شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)
يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه ، وهو صفوان فإنها قالت « كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل
ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرجل فإذا عقدى انقطع » هو بكسر المهملة القلادة
« فرجعت ألتسه وحملوا هودجى هو ما يركب فيه على بعير يحسبونني فيه وكانت النساء
خفافا إنما يأكلن الملقه » هو بضم المهملة وسكون اللام « من الطعام » أي القليل « ووجدت
عقدى وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني
فيرجعون إلى فغلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادلج » هما بتشديد
الراء والبدال : أي نزل من آخر الليل « للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان
نائم أي شخصه فعرفني حين رأيته وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين
عرفني » أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون « فحمرت وجهي بجلباني » أي غطيته بالملاءة « والله
ما كلني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها
فانطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة » أي
من أوغر واقفين في مكان وغر « من شدة الحر فهلك من هلك في » وكان الذي تولى كبره منهم
عبد الله ،

ابن ضرار أبو جويرية
زوج النبي صلى الله عليه
وسلم فلما سمع بذلك خرج
إلهم حتى لقيهم على ماء
من مياههم يقال له
الريسيع من ناحية قديد
إلى الساحل فاقتتلوا فهزم الله
بني المصطلق وأمكن رسول الله
من أبناءهم ونساءهم وأموالهم
فأفادها وردھا عليهم
(قوله بعد ما أنزل الحجاب)
أي وهي قوله تعالى وإذا
سألتهم عن ما عافا سألوهن
من وراء حجاب (قوله
وآذن) بالمد والقصر
أي أعلم (قوله وقضيت
شأني) أي حاجتي كالبول
مثلا (قوله فإذا عقدى
انقطع) أي وكان من
جزع أظفار وهو الحرز
الجماني غالي القيمة وكان
أصله لأمهأ أعطته لها حين
تزوجها رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقيل لأخنها أسماء (قوله ألتسه) أي أفترس عليه (قوله فجلست
في المنزل الذي كنت فيه) أي وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها فإن من الآداب أن الإنسان إذا ضل عن رفقة وعلم أنهم
يفتشون عاياه أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه فر بما رجعوا فلم يجدوه (قوله فنمت) أي وكانت كثيرة
النوم لحداثة سننها (قوله وكان صفوان قد عرس) أي ولأن صاحب ساقه رسول الله لشجاعته وكان إذا رحل الناس قام يصلي
ثم اتبعهم فما سقط منهم شيء إلا حملة حتى يأتي به أصحابه (قوله فسار منه) أي فادلج بالتشديد سار من آخر الليل وأما أدلج
سار من أوله (قوله في منزله) أي منزل الجيش الذي مكثت فيه عائشة (قوله ووطئ على يدها) أي الراحلة خوف أن تقوم
(قوله موغرين) أي أتينا الجيش في وقت القيالة (قوله فهلك من هلك) أي تكلم بما كان سببا في هلاكه (قوله في) أي بسببي

(قوله ابن أبي سلول) نسب أولا لأبيه ثم لأمه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره وإلا لغيرها له بقية كما في البخاري وهي « فقد منّا المدينة فاشتكت بها شهرا وهم يفيضون من قول أصحاب الافك ويريدون في وحي أني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقيت بفتح فكسر أي برئت من مرضي فخرجت أنا وأم مسطح قبل الناصع متبرزنا لانخرج إلا ليلا إلى نيل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التيزه ، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت رهم نمشي ، فغثرت في مرطها وهو بكسر الميم كساء من صوف ، فقالت نكس مسطح ، فقلت لها بكس ما قلت أنسبين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت يا هنتاه أي قليلة المعرفة ألم تسمي ما قالوا ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تيكم ؟ فقلت انذن لي إلى أبوي ، قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيئن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت أبوي فقلت لأمي ما يتحدث به الناس ؟ قالت يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله قلما كانت امرأة قط وضئته عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فقالت سبحان الله ولقد تحدثت الناس بهذا ، قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامه بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، فأما أسامة فأشار إليه بالذي يعلم من نفسه بالود لهم ، فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا ، وأما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك ؟ فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق نبيا إن رأيت منها أمرا أغمضه عليها هو بهزمة مفتوحة فعين معجمة فصاد مهمة أي أعيبه وأنكره أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين ، فيأتي الداجن هو بدال مهمة ثم جيم ما يألّف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من (١٢٣) عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من

ابن أبي ابن سلول» اه قولها رواه الشيخان ، قال تعالى :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من

رجل بلغني أذاه في أهلي فولله ماعامت في أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ماعامت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا أمني فقام سعد بن معاذ وقال : يا رسول الله أنا والله أعذر لك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن حضير فقال : كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فنزل فخفضهم حتى سكثوا وسكت وبقيت يومى لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتي ويوما حتى أظن أن البكاء فائق كبدي ، قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجأت تبكي معي ، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاس عندي من يوم قيل لي ما قبل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت متشهد ثم قال : يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه ، فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي : أي انتقطع جريانه حتى ما أحسن منه بقطرة وقلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن ، فقلت إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ، ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لاتصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني لبريئة لاتصدقنني ، والله ما أجدي ولستم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال - فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون - ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن ما ظننت أن ينزل في شأني وحي ، ولأننا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمرى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، فوالله ما رام أن يرح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء أي الشدة

والكرب حق إنه ليتحدر منه مثل الجحان أى الأولو من العرق فى يوم شات ، فلما سرى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله ، فقالت أمى قومي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله عز وجل - إن الذين جاءوا بالافك عصبه منكم - الآيات ، فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرايته منه والله ما أنفق على مسطح بشئ أبدا بعد ما قال فى عائشة فأنزل الله عز وجل - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - الآية إلى قوله - غفور رحيم - فقال أبى بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح الذى كان يجرى عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت ما رأيت ؟ فقالت يا رسول الله أحى سمى وبصرى والله ما علمت عليها إلا خيرا ، قالت وهى التى كانت تسامنى فعصمها الله بالورع انتهى (قوله لكل امرئ منهم) أى من العصبه (قوله ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب من الاثم فى الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبى ، فانهم قد حذوا حد القذف ، وعصى حسان وشلت يده فى آخر عمره ، وعصى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى ، فعذبه الله بنحزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا إذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخاضعين فى الافك وأنهم اكتسبوا الاثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بنسعة زواجر : الأول هذا . الثانى لولا جاءوا عليه الخ . الثالث (١٣٤) ولولا فضل الله الخ . الرابع إذ تلقونه الخ . الخامس ولولا إذ سمعتموه الخ .

السادس يعظكم الله الخ .
السابع إن الذين يحبون
الخ . الثامن ولولا فضل
الله عليكم الخ . التاسع
يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان ، إلى
جميع عليم ولولا هنا
للتوبيخ لدخولها على
الماضى ، لأن لولاهن ثلاثة
أحوال : إذا دخلت على
ماض كان معناها التوبيخ
وإذا دخلت على مضارع
كان معناها التحضيض

(إِكلٌ امرئٍ منهم) أى عليه (ما اكتسب من الاثم) فى ذلك (والذى تولى كبره منهم) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبى (له عذاب عظيم) هو النار فى الآخرة (لولا) هلا (إذ) حين (سمعتهموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) أى ظن بعضهم ببعض (خيرا وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين فيه التفات عن الخطاب أى ظنتم أيها العصبه وقتلتم (لولا) هلا (جاءوا) أى العصبه (عليه بأربعة شهداء) شاهده (فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) أى فى حكمه (هم الكاذبون) فيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم) أيها العصبه أى خضم (فيه عذاب عظيم) فى الآخرة (إذ تلقونه بالسيفكم) أى يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التامين ، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضم (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا) لا إثم فيه (وهو عند الله عظيم) فى الاثم ،

(ولولا)

وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية ، وقد كررت هنا

فى ستة مواضع : الأول والثانى والرابع توبيخية لاجواب لها . والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس فتدبر وإذا ظرف لظن ، والمعنى كان ينبغي لكم بمجرد سماعه أن تحسنوا الظن فى أم المؤمنين ولا نصرروا على الأمر القبيح بعد سماعه (قوله بأنفسهم) أى بأبناء جنسهم فى الايمان والصحبة (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى إلى الغيبة إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم ، وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاءوا عليه) أى الافك (قوله شاهد) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى الشرعى لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر ، وهذا جواب عما يقال إنهم كاذبون والله مطلقا ولو أتوا بشهداء . فأجاب بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشروع ، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون فى الظاهر ، فأراد الله أن يكذبهم ظاهرا وباطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم ، والمعنى امتنع من العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما أفضتم فيه) أى بسببه وما اسم موصول وأفضم صلتة أو مصدرية : أى بسبب الذى أفضم فيه أو بسبب إفاضتكم (قوله عذاب عظيم) أى لغير ابن ساول فإن عذابه محتم (قوله إذ تلقونه بالسيفكم) أى تتلفظون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها وإنما تافظهم بالافك محض حسد وعناد

قوله ولولا إذ سمعتموه) لولا تو بئخية وإذ ظرف قلتم ، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا سبحانك فصل بالظرف بين لولا وقلتم لأنه يقتضي في الظروف ما لا يقتضي في غيرها (قوله هو للتعجب هنا) أى مع التنزيه ، والمعنى تنزيها عن اتهامك حرمانك ، فانه غير لائق بك ولا بأحبائك الذين قلت فيهم - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت يطهركم تطهيرا - (قوله ينهاكم) أشار بذلك إلى أنه ضمن يعظكم معنى ينهاكم فعدها بعن (قوله أبدا) أى مدة حياتكم قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أى فلا تعودوا لمثله (قوله باللسان) أى فالمراد بإشاعتها إشاعة غيرها (قوله بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبه) تفسير للذين يقبون (قوله لحق الله) أى ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبى ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وأن الله عوف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا (١٢٥) وخبر المبتدأ محذوف والتقدير موجودان (قوله خطوات) بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفتح أبدا وقوله فانه يأمر الخ تعليل للجواب (قوله أى المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيأمر (قوله ماز كما منكم من أحد أبدا) هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا وهو كذلك إلا عبد الله بن أبى فانه استمر على النفاق حتى هلك كافرا (قوله ولا ياتل) لانهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله أى أصحاب الغنى) فى تفسير

(وَلَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ) ما ينبغي (لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ) هو للتعجب هنا (هَذَا بُهْتَانٌ) كذب (عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ) ينهاكم (أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) تتعظون بذلك (وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) فى الأمر والنهى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بما يأمر به وينهى عنه (حَكِيمٌ) فيه (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) باللسان (فِي الَّذِينَ آمَنُوا) بنسبتها إليهم وهم العصبه (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بحد القذف (وَالْآخِرَةِ) بالنار لحق الله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) انتفاءها عنهم (وَأَنْتُمْ) أيها العصبه بما قلتم من الإفك (لَا تَعْلَمُونَ) وجودها فيهم (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أيها العصبه (وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) بكم لعاجلكم بالعقوبة (يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) أى طرق تزيينه (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أى المتبع (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) أى القبيح (وَالْمُنْكَرِ) شرعا باتباعهما (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَ كَأَمِنْكُمْ) أيها العصبه بما قلتم من الإفك (مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أى ماصح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) من الذنب بقبول توبته منه (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) بما قلتم (عَلِيمٌ) بما قصدتم (وَلَا يَاتِلِ) يحلف (أُولُوا الْفَضْلِ) أى أصحاب الغنى (مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ) لا (يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نزلت فى أبى بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدرى

الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله أن لا يؤتوا) أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير لالنافية (قوله أولى القربى) أى القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوفان على أولى فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف أن لا ينفق على مسطح) أى فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبى بكر واعتذر وقال إنما كنت أغشو مجلس حسان وأسمع منه ولا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن عيینه . [لطيفة] وقع لابن المقرئ أنه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لأبيه :

لَا تَقْطَعَنَّ عَادَةَ بَرٍّ وَلَا تَجْعَلْ عِقَابَ الْمَرْءِ فِي رِزْقِهِ فَانْ أَمْرَ الْإِفْكَ مِنْ مَسْطَحٍ

يَحِطُ قَدْرَ النِّجْمِ مِنْ أَفْقِهِ وَقَدْ جَرَى مِنْهُ الَّذِي قَدْ جَرَى وَعَوْتُكَ الصَّدِيقِ فِي حَقِّهِ

فكتب إليه والده :

لأنه يقوى على توبة توجب إيصالا إلى رزقه

لو لم يقب مسطح من ذنبه ماعوتب الصديق في حقه انتهى

(قوله لما خاض في الإفك) ظرف لقوله حاف (قوله وليعفوا) أي أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) أي ليعرضوا عن
لوهم (قوله ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أي وحلف أن لا ينزع نفقته منه أبدا ومسطح هو ابن أخته بن عباد بن
الطاب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله الغافلات عن الفواحش) أي لسلامة صدورهن ونقاء قلوبهن
واستغراقهن في مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا في الدنيا) أي بعدوا فيها عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وقوله والآخرة
أي بالعذاب إن لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الحق) أي والتقدير وعذاب عظيم كأن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية
والتحتانية) أي فهما قراءتان (١٢٦) سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهن أو ليعامون (قوله

جزاءهم الواجب عليهم) أشار بذلك إلى أن المراد
بالدين الجزاء لما في الحديث
كاندين تدان (قوله هو
الحق) أي الثابت الذي
لا يتبل الزوال أزلا ولا
أبدا (قوله ومنهم عبد الله
ابن أبي) أتى بهذا ليصح
قوله كانوا يشكون فيه
فالشك من بعضهم وأما
حسان ومسطح وحمزة
فهم مؤمنون لا يترددون
في الجزاء (قوله أزواج
النبي) أي لأن من قذف
واحدة منهن فقد قذف
الجميع لا شترأ كهن في
العفة والصيانة والنسبة
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم (قوله لم يذكر في
قذفهن توبة) أي مثل
ما ذكر فيما تقدم في قوله
إلا الذين تابوا (قوله ومن

لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من
تكلم بشيء من الإفك (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) عنهم في ذلك (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين، قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان
ينفقه عليه (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (الْمُحْصَنَاتِ) العفاف (الْغَافِلَاتِ) عن الفواحش بأن
لا يقع في قلوبهن فعلها (الْمُؤْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ . يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ
أَسْنَتُهُمْ وَأَبْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ
يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبي . والمحصنات
هنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة
التوبة غيرهن (الْخَبِيثَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْخَبِيثِينَ) من الناس (وَالْخَبِيثُونَ)
من الناس (لِلْخَبِيثَاتِ) مما ذكر (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر (لِلطَّيِّبِينَ) من الناس (وَالطَّيِّبُونَ)
منهم (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر : أي اللاتي بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون
والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبْرَهُونَ بِمَا يَقُولُونَ) أي الخبيثون والخبيثات
من النساء فيهم (لَهُمْ) للطيبين والطيبات من النساء (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) في الجنة ، وقد
افتخرت عائشة بأشياء : منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما .

(بأيها)

ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب النهو بل والتعظيم لأمر الإفك وإلا فهو كغيره
من سائر المعاصي التي تمحى بالتوبة وأما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كفرا لمصادمة القرآن
العظيم فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان (قوله الخبيثات للخبيثين) كلام مستأنف سيق لنا كيد البراءة لعائشة وتقييحا
على من تكلم فيها . والمعنى أن المجالسة من دواعي الانضمام فالخبيث لا تكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم :
* وكل إناء بالذي فيه ينضح * (قوله من النساء ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير الخبيثات وقوله مما ذكر أي من
النساء والكلمات (قوله والطيبات للطيبين) الإشارة بذلك لرسول الله وعائشة أي حيث كان رسول الله أطيّب الطيبين تبين
بذلك أن عائشة من أطيّب الطيبات (قوله أي اللاتي بالخبيث مثله) أي من نساء أو كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها
أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك ، وروى أنه أتى بصورتها في راحته ، ومنها أن النبي

صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في الحاف ونزلت براءتها من السماء وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما، وفي القرطبي قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمى بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد وإن مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام وإن عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضى لها براءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يأيتها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم غير بيوتكم) أي غير أهل سكنكم وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكرها فيجب عليه الاستئذان لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش مسمى بذلك لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أدخل) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الأكثر والحق التفصيل فإن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام وإلا قدم الاستئذان (١٢٧) ثم يسلم ويكون كل من السلام

والاستئذان ثلاث مرات
يفصل بين كل مرتين
بسكوت يسير: الأول
إعلام. والثاني للتهيؤ.
والثالث استئذان في
الدخول أو الرجوع وإذا
أتى الباب لا يستقبله من
تلقاء وجهه بل يجيء
من جهة ركنه الأيمن
أو الأيسر وإذا طلب منه
التعيين فليعين نفسه
بصفة تميزه ولا يكتفى

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) أي تستأذنوا (وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أدخل كما ورد في حديث (ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملون به (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يأذن لكم (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ) بعد الاستئذان (أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ) أي الرجوع (أَزْكَى) أي خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أي منفعة (لَكُمْ) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون (وَمَا تَكْنُؤُونَ) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسياق أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم

بقوله أنا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال «استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا فقلت أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك لعدم إفادته» فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة، فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أي دخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) أي ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حيثنكم صباحا حيثنكم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف (قوله بإدغام التاء الثانية في الذال) أي بعد قلبها دالا فذالا (قوله أحد يأذن لكم) السالبة تصدق بنفي الموضوع فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلا أو فيها من لا يصلح للأذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) أي حتى يائسكم الأذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو أزكى) أي أطهر للأمن من الرذائل والدنات (قوله ليس عليكم جناح) هذا كاستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم. وسبب نزولها أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت (قوله غير مسكونة) أي غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والخوانيت ونحوها (قوله باستكنان) أي طلب كمن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والعمارة (قوله المسبلة) اقتصر عليها لأن مورد سؤال أبي بكر في الخانات المسبلة التي بين مكة والشام (قوله وسياق) أي في آخر السورة في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم أي وإن كان بها أهل فسلموا عليهم

(قوله قل للمؤمنين الخ) شروع في ذكر أحكام نعم المستأذنين وغيرهم (قوله يعضوا) أي يحفظوا (قوله ومن زائدة) أي يعضوا أبصارهم وحكمة دخول من في غض البصر دون حفظ الفرج الإشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج (قوله ذلك أزكى لهم) أي لأنه أبعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقي الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالذكر لأنهما مقدمتا لغيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) أي فالغاض يجازي بالحسنات وغيره يجازي بالسيئات (قوله وقل للمؤمنات يعضن من أبصارهن) هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بفض الأبصار وحفظ الفروج وبسط الكلام في شأنهن لأن النساء شأنهن التبرج والحيلاء والعجب لما روى «إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر وإذا أدبرت جالس على عجزتها فزينها لمن ينظر» وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميرا للآثام ما بين مرفوع ومجروح ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن (قوله عما لا يحل لهن فعله بها) أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج كأن تمكن المرأة من فرجه غير زوجها نظرا أو فعلا (قوله زينتهن) أي موضع زينتهن (قوله فيجوز نظره لأجنبي الخ) هذا مذهب مالك وأحد قولين عند الشافعي (قوله حسما للباب) أي (قوله وليضربن بخمرهن) أي يلقين خمرهن على

(١٢٨)

موضع جيوبهن وهو العنق والجيب في الأصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن ليعتقها فأمرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها (قوله زينتهن) أي مواضع زينتهن (قوله إلا لبعولتهن) حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعا آخرها أو الطفل (قوله أو آبائهن) أي وإن علوا وقوله أو آبائهن) ولو من الرضاع

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عما لا يحل لهم فعله بها (ذَلِكَ أَزْكَى) أي خير (لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لا يحل لهن نظره (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لا يحل لهن فعله بها (وَلَا يُبْدِينَ) يظهرن (زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين . والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهي ماعدا الوجه والكفين (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل أي زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ماملكت أيمانهن العبيد (أَوْ التَّابِعِينَ) في فضول الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أَوْ لِإِزْبَةٍ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنْ الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوْ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال ،

(الذين)

وإن سفلوا (قوله أو إخوانهن) جمع أخ كان من نسب أو رضاع (قوله أو نسائهن)

أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الإيمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أي يجوز للرجال المحارم رؤية ماعدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء ويجوز لهن نظر ذلك منهم ، وهذا مذهب الشافعي ، وعند مالك لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم ، وأما النساء فيحل لهن نظر ماعدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن) أي باتفاق مالك والشافعي لثلاث تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفسد (قوله العبيد) أي فيجوز أن يكشفن لهم ماعدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين ، وهذا مذهب الشافعي وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيده الوجه والأطراف وغيره كالحر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين (قوله أو التابعين) الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء أو الأبله الذي لا يعرف الأرض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولى الإربة) بالكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين : أي فيجوز لمن ذكر نظر ماعدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط .

(قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم أن الصبي إما أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى وهذا عيبته محضوره، أو أن يبلغه وليس فيه نوران شهوة وهذا كالحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي فإن ذلك يورث الرجال ميلا إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط وإلا فصوت الخلخال مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا إلى الله جميعا) هذا حسن اختتام لهذه الآية كأن الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أي في قوله وتوبوا إلخ (قوله وأنكحوا الأيامي منكم إلخ) الخطاب للأولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع أيم) أي بوزن فيعل، قيل غير مقاب، وقيل إن الأصل أيايم فقلب (قوله وهي من ليس لها زوج إلخ) أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة غير المتزوجين سواء سبق لهما تزوج أولا، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل أو اضطرت المرأة للنفقة لسكن المرأة بزوجه وإياها والرجل يتزوج بنفسه إن كان رشيدا أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة - وأبي حنيفة - واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة: فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا ولو كان ينفق عايبا من حرام، وتارة يندب إذا كان راغبا فيه ولم يخش الزنا أو راجيا النسل، وتارة يحرم كما إذا كان يقطع عن عبادة واجبة أو ينفق عليها من حرام مع (١٢٩) كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره كما إذا كان يقطع عن عبادة

إذا كان يقطع عن عبادة مندوبة (قوله وهذا في الأحرار إلخ) أي بقرينة قوله وإمائكم (قوله أي فاعبيد المؤمنين) أي فاعبيد المؤمنين بزواج وجوبا إن خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعي وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحينئذ فالأمر عنده للندب (قوله من عبادكم) أي فيزوجه سيده ولو بحرة

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) للجماع فيجوز أن يبدن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) من خلخال يتقعقع (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لَعَلَّكُمْ تَتُحُّونَ) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث (وَأَنكِحُوا الْأَيَّامِي مِنْكُمْ) جمع أيم، وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والأحرار (وَالصَّالِحِينَ) أي المؤمنين (مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) وعباد من جموع عبد (إِنْ يَكُونُوا) أي الأحرار (فُقَرَاءُ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ) بالتزويج (مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) لخاقه (عَلِيمٌ) بهم (وَلَيْسَتُ تَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) يوسع عليهم (مِنْ فَضْلِهِ) فينكحون (وَالَّذِينَ يَدْتَعُونَ الْكِتَابَ) جميعا (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء،

وقوله وإمائكم: أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحر بشرط أن لا يجد للأحرار طولا وأن يخشى الزنا ومحل الشرطين إن لم يكن عقبا (قوله من جموع عبد) أي وله جموع آخر كعبيد وأعابد وأعباد ونحو ذلك (قوله إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) أي فإن في فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام «اطلبوا الغنى بالتزويج» فالهم تزويج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وإن كانوا فقراء لما في الحديث «تنكح المرأة لما لها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك» (قوله والله واسع) أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفذ (قوله عليم بهم) أي بحالهم فيغنيهم (قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليجتهدوا في طاب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء ويكون بملازمة الصوم والرياضة لما في الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوى الشهوة واستعمال ضدها (قوله أي ما ينكحون به) أي فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله عن الزنا) قدره إشارة إلى أن متعاق يستعفف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويتبعون صلته والكتاب مفعول ليتبعون، وقوله: مما ملكت أيمانكم حال من فاعل يتبعون، وقوله: فكانت بهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط (قوله بمعنى المكتوبة) أي وهي مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه النجوم

حين البصر ، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون فأدناهم أهل المراقبة وأعلام أهل المشاهدة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقوله في الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينقح بنور الله » وقوله في الحديث أيضا « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وللعارفين تفننات وضرب أمثال في هذه المقامات لا يدركها إلا من كان من أهل هذا النور (قوله في بيوت) المراد بها جميع المساجد ، وقيل خصوص مساجد أربع الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء لأنه لم يبينها إلا النبي فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباء بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأقرب الأول لأن العبرة بعموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتي) أى سواء قرئ ببنائه للفاعل أو المفعول وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد لما ورد « بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض » ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف دل عليه قوله يسبح ، والتقدير سبحانه بكم في بيوت وعلى هذين فالوقوف على عليم ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وعلى هذه الأربعة لا يوقف على عليم (قوله أذن الله) أى أمر والجملة صفة لبيوت وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة ، والتقدير أمر الله برفعها (قوله تعظم) أى حسا ومعنى فالتعظيم الحسى رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد أو أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم » لأن المنهى عنه الزخرفة والتزويق لاحسن البنيان وإتقانه ومن التعظيم الحسى (١٣٢) تطهيرها من الأقدار والنجاسات . قال القرطبي : كره بعض أصحابنا تعليم

(فِي بُيُوتٍ) متعلق بيسبح الآتي (أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) تعظم (وَيَذُكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ) بتوحيده (يُسَبِّحُ) بفتح الموحدة وكسرهما : أى يصلى (لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ) مصدر بمعنى الغدوات أى البكر (وَالْأَصَالِ) العشايا من بعد الزوال (رَجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدار جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً) أى شراء (وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضطرب (فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) من الخوف ، القلوب بين النجاة والهلاك ، والأبصار

الصبيان في المساجد لأنهم لا يتحرزون عن الأقدار والأوساخ فيؤدى ذلك إلى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطيبها فقال « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبل سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع

أصواتكم وخصوماتكم وجرورها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر » والتعظيم بين المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لا يعنى (قوله ويذكرها اسمه) أى بأى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاثة والأول أولى ، ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره بحسبه أو المسبح وعليه فالوقوف على الأصل وعلى الكسر فرجال فاعله ولا يوقف على الأصل (قوله أى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتغالها عليه ، واختاف في المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح في الغدو وباقي الخمس في الأصل ، وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال ، وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل إنهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الأصل وأما هنا فالمراد منه الأزمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار ، وقوله العشايا هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالكسر لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لكراهة البيع بعده ، وقيل المراد بالتجارة حقيقةها ويكون خص البيع بالكسر لأن الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله : وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذكر الحاصل بعد العام اعتناء بشأنهما فإن المواظب عليهما كامل الإيمان (قوله وإقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء الرجال وإن أكثروا الذكروا الطاعات فإنهم مع ذلك وجاؤون خائفون من الله سبحانه وتعالى لعلهم بأنهم ماعبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والهلاك) راجع لتقلب القلوب ، وقيل معنى تقلب القلوب ارتفاعها إلى الحناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول

(قوله بين ناحيتي البين والشمال) وقيل تقاب الأبصار شخوصها من هول الأمر وشدة (قوله ليجزئهم الله) اللام للعاقبة والصبرورة أي إلى مال أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لأن هذه مرتبة عامة المؤمنين وتلك الأوصاف إنما هي لكامل الإيمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أي فالمحترز عنه المجازاة على القبيح فالمعنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى - إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا - ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أي فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أي فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ما وعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها ضرب المثل للكفار بأشر الأشياء وأخسها . والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين مثل لأعمالهم الحسنة بقوله كسر اب الخ ومثل لأعمالهم السيئة بقوله أو كظلمات الخ والاصم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسر اب خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتغال وكسر اب خبر الذين (قوله أعمالهم) أي الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية (قوله ببيعة) الباء بمعنى في كما يشير له المفسر بقوله أي في فلاة (قوله جمع قاع) أي كجيرة جمع جار ، وقيل البيعة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجاري) أي ويسمى آلا أيضا قال الشاعر : إذا أنا كالذي يجري لورد إلى آل فلم يدرك بلالا (١٣٣) ويسمى صرابا لأنه يتسرب

أي يجري كالماء (قوله بحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فانهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضا (قوله الظمان) أي وكذا كل من رآه وإنما خص

بين ناحيتي البين والشمال هو يوم القيامة (لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أي ثوابه وأحسن : بمعنى حسن (وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق بغير حساب : أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) جمع قاع : أي في فلاة ، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري (يَحْسَبُهُ) يظنه (الظَّمَانُ) أي العطشان (مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) أي عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أي جازاه عليه في الدنيا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أي المجازاة (أو) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كظلماتٍ في بحرٍ ،

الظمان لأنه أحوج إليه من غيره (قوله حتى إذا جاءه) أي جاء ما قصده وظنه ماء وهو غاية في محذوف أي يستمر سائرا إليه حتى إذا جاءه الخ (قوله كذلك الكفار الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده أن عمله الصالح ينفعه في الآخرة فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته بحال الظمان الذي اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب تعلق به فإذا جاءه لم يجد شيئا (قوله ووجد الله) أي وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو المعنى وجد عذاب الله له (قوله أي جازاه عليه في الدنيا) المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق أن الله جازاه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نية في الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وإن كان صحيحا في نفسه إلا أن المفسرين على خلافه فانهم قالوا : معنى وفاه حسابه جازاه عليه في الآخرة بالعذاب . والحاصل أنه إن أريد مثل أعماله الصالحة التي تتوقف على نية فمسلم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة ولا تنفعه أصلا وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فقل لا يجد لها نفعا أصلا ، وقيل يجد نفعها إما في الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك ، أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكافر (قوله أو كظلمات) أول التقسيم أي أن أعمال الكافر جميعها تنقسم قسمين : قسم كالسراب وهو العمل الصالح ، وقسم كالظلمات وهو العمل السيئ ، وقوله : أو كظلمات معطوف على قوله : كسر اب على حذف مضاف تقديره أو كذا ظلمات بدل عليه قوله - إذا أخرج يده لم يكد يراها - .

(قوله لجئ) منسوب للبحر أو لاجئة وهو الماء الغزير (قوله يمشاء موج الخ) أى يعلوه وهو إشارة إلى كثرة الأمواج ونراكها ، والمعنى أن البحر اللجى يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان ذلك سحب ازدادت الظلمة جداً ، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات : ظلمة البحر والأمواج والسحاب ، كذلك الكافر له ثلاث ظلمات : ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحب) أى قد غطى أنوار النجوم (قوله هذه ظلمات) أشار بذلك إلى أن قوله : ظلمات خبر لمخدوف (قوله إذا أخرج يده) خصها لأنها أقرب الأشياء إليه (قوله ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء والمعنى من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل وهو توبيخ للكفار كأن الله يقول لم إن تسبيحى ليس قاصراً عليكم بل جميع من فى السموات والأرض يسبحونى (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله - كل قد علم صلاته وتسبيحه - فالصلاة مندرجة فى عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب على المعية وصافات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذاً برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف أى أجنحتها (قوله بين السماء والأرض) (١٣٤) وأشار بهذا إلى أن العطف مغاير لأنه فى حالة الطيران يكون

بين السماء والأرض (قوله قد علم الله صلاته الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير فى علم عائد على الله ، ويصح عوده على كل أى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) أى حيث عبر بالفعل (قوله خزان المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للأرض وفى كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل والله ملك

لجئ عميق (يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أى الموج (مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أى الموج الثانى (سَحَابٌ) أى غيم ، هذه (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة البحر ، وظلمة الموج الأول ، وظلمة الثانى ، وظلمة السحاب (إِذَا أُخْرِجَ) الناظر (يَدُهُ) فى هذه الظلمات (لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا) أى لم يقرب من رؤيتها (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أى من لم يهده الله لم يهتد (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومن التسبيح صلاة (وَالطَّيْرِ) جمع طائر بين السماء والأرض (صَافَاتٍ) حال باسطات أجنحتهن (كُلُّ قَدْ عَلِمَ) الله (صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيه تغليب العاقل (وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا) يسوقه برفق (ثُمَّ يُؤَوِّفُ بَيْنَهُ) يضم بعضه إلى بعض فيجمل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثُمَّ يَجْمَعُ لَهُ رُكَّامًا) بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) مخارجه (وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ) زائدة (جِبَالٍ فِيهَا) فى السماء ،

خزائن السموات والأرض ، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره

بذل

وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له (قوله وإلى الله المصير) أى مرجع الخلائق كلها إلى الله فيجازى كل أحد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لا خصوص النبي صلى الله عليه وسلم لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه لأن كل جزء سحب وبهذا اندفع ما قيل إن بين لا تدخل إلا على متعدد وإلى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه إلى بعض الخ (قوله ركاماً) الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) أى تبصره (قوله مخارجه) أى ثقبه فالسحاب غرابال المطر ، قال كعب الأحبار : لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لأفسد ما يقع عليه من الأرض (قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها بعض الجبال التى هى البرد وهو ضرر للعباد فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله من زائدة) الحاصل أن من الأولى ابتدائية لا غير والثانية فيها ثلاثة أوجه : قيل زائدة ، وقيل ابتدائية ، وقيل تبعيضية وهو الأحسن ، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الأحسن وحيث أن يكون المعنى على ذلك وينزل بعض جبال كائنة فى السماء التى هى البرد إنزالاً ناشئاً ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الحار والحرور متعلق بمحذوف صفة لجبال

(قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال والمناسب بمفسر أن يقول أو بدل فيكون قولاً ثانياً لأن هذا لا يتأتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) أي بالبرد (قوله سنابرقه) هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضيق وأما بدل فعنه الرفعة وليس مراداً (قوله أي يخطفها) أشار بذلك إلى أن الباء في الأبصار للتعدية ، والمعنى يذهبها بسرعة لأن الضوء القوي يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء إذا فعل رجل بآخر فعلاً أذهب بصره وأريد أن يقتص منه بإذهاب بصره فإنه يؤتى له مجرداً وتوضع في الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب المرآة يمينا وشمالا فإن ذلك يخطف بصره (قوله أي يأتي بكل منهما بدل الآخر) أي ويقتصر هذا ويطول هذا وفي هذا رد على من ينسب الأمور للدهر (قوله لأولى الأبصار) جمع بصيرة وخصهم بالله كره لأنهم المنتفعون بذلك حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد فسبحان القادر على كل شيء (قوله على قدرة الله) متعلق بدلالة (قوله أي حيوان) أشار بذلك إلى أن المراد بالدابة مادب على وجه الأرض لا خصوص ذوات الأربع (قوله أي نطفة) هذا بحسب الغالب في الحيوانات الأرضية وإلا فالملائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذي نفخه (١٣٥) جبريل في جيب أمه والدود

تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد أن الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا خفاق منه الملائكة وجعل بعضه نارا خفاق منه الجن وجعل بعضه طينا خفاق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجمع (قوله من يمشي على بطنه) قدمه لغرابته وصمائه مشيا مشا كلة لما

بدل باعادة الجار (من برّيد) أي بعضه (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد) يقرب (سنابرقه) لمعانه (يذهب بالأبصار) الناظرة له أي يخطفها (يقلب الله الليل والنهار) أي يأتي بكل منهما بدل الآخر (إن في ذلك) التقليل (لعمرة) دلالة (لأولى الأبصار) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (والله خلق كل دابة) أي حيوان (من ماء) أي نطفة (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات والهُوام (ومنهم من يمشي على رجليه) كالإنسان والطيور (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهايم والنعام (يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) لقد أنزلنا آيات مبينات أي بينات هي القرآن (والله يهدي من يشاء إلى صراط) طريق (مستقيم) أي دين الإسلام (ويقولون) أي المناقبة (آمنا) صدقنا (بالله) بتوحيده (وبالرسول) محمد (وأطعنا) بما فيها حكما به (ثم يتولى) يعرض (فريق منهم من بعد ذلك) عنه (وما أولئك) المعرضون (بالمؤمنين) المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم) إذا فريق منهم معرضون (عن الحجى إليه) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (مسرعين طائعين) (أفي قلوبهم مرض) كمن

بعده وإلا فهو زحف (قوله كالحيات والهُوام) بالتشديد أي خشاش الأرض وأدخات الكاف الدود والسمك (قوله كالإنسان والطيور) أي والنعام (قوله ومنهم من يمشي على أربع) أي ومنهم من يمشي على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأربع وأربعين وإنما لم يصرح بهذا القسم لدوره ولدخوله في قوله : يخلق الله ما يشاء (قوله إن الله على كل شيء قدير) أي مما ذكر ومما لم يذكر (قوله لقد أنزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف : أي والله لقد أنزلنا الخ (قوله مبينات) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله والله يهدي من يشاء) أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى إلا من حفه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سببا في الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع في ذكر أحوال المناقبة (قوله وأطعنا) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول أطعنا محذوف (قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله) تفصيل لما أجمل أولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم أفرد الضمير في ليحكم مع أنه تقدمه اثنان فأجاب بأن الرسول هو المباشر للحكم وإنما ذكر الله معه تفخما لشأنه وتعظيما لقدومه (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) أي إن كان الحكم عليهم بدليل مابعده (قوله إليه) يصح أن يكون متعلقا بآتوا أو مذعنين (قوله أفي قلوبهم مرض) أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة

(قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير بمعنى النفي . والمعنى لا يحمل لحونهم لاستحالة الخيف على الله ورسوله (قوله بالإعراض عنه) أي الحكم (قوله إنما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبرا لكان والاسم أن وما دخلت عليه وقرئ شذوذا برفعه على أنه اسمها وأن وما دخلت عليه خبرها (قوله بالإجابة) أي قولا وفعل (قوله حينئذ) أي حين إذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الأحناف هذه الآية جمعت ما في توراة موسى وإنجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى وإلا فكان حقه أن يقول يخفه (قوله وكسرهما أي بإشباع ودونه فهذه ثلاث قراءات و بسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة وكلها سبعية) قوله هم الفائزون أي الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله وأقسموا بالله) الضمير عائذ على المنافقين وهو معطوف على قولهم ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة ، والمعنى جهدوا اليمين جهدا حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن (١٣٦) خرجت خرجنا ولئن أممت أممتنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن

اللام موطنه للقسم ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون وأصله ليخرجون حذف نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذف الواو لالتقاءهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) مبتدأ ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم ويصح أن يكون طاعة خبرا محذوف تقديره أمركم طاعة معروفة أي الأمر المطاوب منكم طاعة معروفة

(أم ارتابوا) أي شكوا في نبوته (أم يخافون أن يخيف الله عليهم ورسوله) في الحكم أي فيظلموا فيه ؟ لا (بل أولئك هم الظالمون) بالإعراض عنه (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) بالقول اللائق بهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالإجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقوه) بسكون الهاء وكسرهما بأن يطيعه (وأولئك هم الفائزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بالامهاد (ليخرجن ، قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه (إن الله خير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من طاعته (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ البين (وعند الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) بدلا عن الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بني إسرائيل بدلا عن الجبارة (وليمكّنن لهم دينهم ،

بالصدق وموافقة الواقع لا مجرد القول باللسان (قوله إن الله

الذي

خير بما تعملون) تعليل لما قبله والمعنى لا تخلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فإن الله مطاع على بواطنكم وظواهركم لا تخفى عليه خافية (قوله فإن تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فأنما عليه ما حمل علة لذلك المحذوف (قوله ما حمل) أي كلف (قوله تهتدوا) أي تصالوا للرشاد والفوز برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ما حملتم ، وقوله وما على الرسول إلا البلاغ المبين راجع لقوله فأنما عليه ما حمل على سبيل اللف والنشر المشوش (قوله أي التبليغ البين) أي الظاهر وقد أداه فعايكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعد الله الخ) وعد فعل ماض ولفظ الجلالة فاعله هو الاسم الوصول مفعوله الأول والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا يدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فإن اللام موطنه لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الأمة (قوله في الأرض) أي جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) مامصدية والمعنى استخلفا كما استخلف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله الذي ارتضى لهم) العائد محذوف أي ارتضاه لهم ، والمعنى وليجعلهم دينهم الذي رضيه لهم ظاهرا وفائقا على جميع الأديان (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) أي وهو ما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله يعبدونني) أي يوحدونني ، وقوله لا يشركون بي شيئا حال من فاعل يعبدونني أو بدل مما قبله (قوله هو مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهرا على جميع الأديان ويؤمنون فليل يعبدونني الخ (قوله بعد ذلك الانعام) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة ، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله - فأولئك هم الفاسقون - وليس المراد به مقابل الإيمان وإلحاق الكافرين (قوله وأول من كفر به) أي بالانعام (قوله قتلة عثمان) أي وهم جماعة من الرعية أخذوه بغتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول - (قوله لعلكم ترحمون) الترحى في القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين واسم الموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان (قوله بأن يفوتونا) أي يفروا من (١٣٧) عذابنا (قوله وماؤاهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن

أو على مقدر تقديره بل هم متهورون وماؤاهم (قوله هي) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالنعم محذوف (قوله يأياها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) اختاف في الأمر فتيل للوجوب وقيل للندب والأمر متعلق بالخدمين لا بالخدم . وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام

الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها (وَلِيَبْدَأَهُمْ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ) من الكفار (أَمْنًا) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر ، وأثنى عليهم بقوله (يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) هو مستأنف في حكم التعليل (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الإِنعام منهم به (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وأول من كفر به قتلة عثمان رضى الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أي رجاء الرحمة (لَا تَحْسَبَنَّ) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُؤْمِنِينَ) لنا (فِي الْأَرْضِ) بأن يفوتونا (وَمَاؤَاهُمْ) مرجعهم (النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هي (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) من الأحرار وعرفوا أمر النساء (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) في ثلاثة أوقات (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) أي وقت الظهر (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه ، أي هي أوقات ، وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ ،

عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء ، فقال عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بأذن ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت خفرا ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا أمر النساء) أي ميزوا بين العورة وغيرها (قوله في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) أي لأنه وقت القيام من النوم ولبس ثياب البقطة (قوله وحين تضعون ثيابكم) أي التي تلبس في البقطة تضعونها لأجل القبلولة (قوله من الظهيرة) أي من أجل الظهيرة وهي شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) أي لأنه وقت التجرد عن الثياب والنوم في الفراش (قوله بالرفع) أي وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله أي هي أوقات الخ) أي فالأصل أوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله وبالنصب) أي وعليه فالوقف على إكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهي لإلقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدو فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) أي في تمكينكم إياهم من الدخول عليكم .

(قوله ولا عليهم) أى فى الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوافون) أشار بذلك إلى أن طوافون خبر لمحذوف (قوله على بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله بعضكم قدره المفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة ، لأن المعنى الأطفال والماليك يطوفون عليكم للخدمة وأتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كانت الاستئذان فى هذه الأوقات وغيرها لضاق الأمر عليكم فقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ما قبله (قوله وآية الاستئذان) أى قوله قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) أى لما روى أن نفا من العراق قالوا لابن عباس : كيف ترى فى هذه الآية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد ، فقال ابن عباس : إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب السر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب ، فرمى بدخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله ، فأمر الله بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والحجب فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) أى كما روى عن سعيد بن جبيرة حيث قال يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان) أى لكثرة الغطاء والوطاء ، ومع ذلك فالمناسب (١٣٨) تعليم الاستئذان فى هذه الأوقات للصبيان والماليك ليكونوا متخلقين

بالأخلاق الجميلة (قوله وإذا بلغ الأطفال) مقابل لقوله - والذين لم يبلغوا الحلم - (قوله الذين من قبلهم) أى الذين ذكروا فى قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية (قوله آياته) أى أحكامه (قوله والله عليم حكيم) أى بأمور الخلاق فالذى ينبغى التخاطب بأخلاق الشرع ولا يعقل الإنسان على ما يعلمه من صيانة حريمه ويترك آداب الشرع (قوله والقواعد)

وَلَا عَلَيْهِمْ) أى الماليك والصبيان (جُنَاحٌ) فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أى بعد الأوقات الثلاثة ، هم (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) للخدمة (بَعْضُكُمْ) طائف (على بعض) والجملة مؤكدة لما قبلها (كَذَلِكَ) كما بين ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أى الأحكام (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأمور خلقه (حَكِيمٌ) بما دبره لهم ، وآية الاستئذان قيل منسوخة ، وقيل لا ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ) أيها الأحرار (الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) فى جميع الأوقات (كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى الأحرار الكبار (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) والقواعد من النساء) قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (اللاتى لا يرجون نكاحا) لذلك (فليست عليهن جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) من الجلباب والرداء والقناع فوق الحمار (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ) مظهرات (بِزِينَةٍ) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ) بأن لا يضعنها (خَيْرٌ لهنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بما فى قلوبكم (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) فى مؤاكلة ،

جمع قاعد بغير تاء كخائض وطائم فان هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء مقابلتهم فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ واللاتى صفته ، وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم المبتدأ فان أل فيه اسم موصول أو لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن عن الحيض) أى انقطع حيضهن (قوله اللاتى لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه موت شهوتهن عن الرجال (قوله أن يضعن) أى ينزعن (قوله من الجلباب) أى وهى الملحفة التى يغطي بها جميع البدن كالملامة والحبرة (قوله والقناع) أى الذى يلبس فوق الحمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزيينة) أى متزينات حيث وجد الشرط جاز لمن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة وهو المفق به عند مالك وأحد قولين عند الشافعى (قوله بأن لا يضعنها) أى بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب (قوله خبر لهن) أى لما فيه من سد الذرائع فالأفضل لهن الستر للوجه واليدين لأن كل ساقطة لها لاقطة (قوله ليس على الأعشى حرج الخ) اختلاف العلماء فى سبب نزول هذه الآية ، فقال ابن عباس : لما نزل - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والأعمى والعرج ، وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمرضى يضعف عن

التناول ولا يستولى حقه من الطعام فنزلت هذه الآية ، وعلى هذا فتكون على بمعنى في : أى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج . وقيل سبب نزولها أن هؤلاء الجماعة كانوا يخرجون عن مؤاكلة الأصحاء خوف أن يستقذروهم وعلى هذا قطى على بابها ، وقيل إن الآية نزلت في الجهاد ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الجهاد ، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للفرز دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يخرجون من ذلك ويقولون لاندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون إذنتهم عن طيب نفس ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم وكل صحيح إذا علمت ذلك فتفى الحرج عن هؤلاء في أمور مخصوصة وليس ذلك على العموم فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابلهم) أى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على أنفسكم) معطوف على الأعمى ، والمعنى ليس عليكم حرج في الأكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرهما قراءتان صبيعتان هنا وفي جميع ما يأتي (قوله أى بيوت أولادكم) أى ذكورا أو إناثا لأن بيت الولد كبيتته لقوله عليه الصلاة والسلام « أنت ومالك لأبيك » وقوله عليه الصلاة والسلام « إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه » والحامل للمفسر على هذا التقدير عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه وعدم ذكر الأولاد صراحة ، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) أى وإن علوا (قوله إخوانكم) جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا ، لأن المراد بهم إخوة النسب وهم من (١٣٩) شاركوك في رحم أو صلب

(قوله أو بيوت إخوانكم) جمع أخت أى مما تملكه أو من ملك زوجها إن كان صديقا له أو مأذونة فيه وكذا يقال فيما يأتي (قوله أو ما ملككم) بالتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة أى ملككم غيركم (قوله مفاتيحه) جمع مفتاح بكسر الميم في قراءة العامة وقرئ مفاتيحه بالياء ومفتاحه بالافراد

مقابلهم (ولاً) حرج (على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملككم مفاتيحه) أى خزنتموه لغيركم (أو صديقيكم) وهو من صدقكم في مودته ، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا ، أى إذا علم رضاهم به (ليس عليكم جُنَاحُ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً) مجتمعين (أو أشتاتاً) متفرقين جمع شت ، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكلة يترك الأكل (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً) لكم لا أهل بها (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أى قولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تَحِيَّةٌ) مصدر حيا (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،

(قوله أى خزنتموه لغيركم) أى حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وما شئته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمره ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اه (قوله وهو من صدقكم في مودته) أى من كان خالصا لكم في المحبة (قوله من بيوت من ذكر) أى الأصناف الأحد عشر وخصوصا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم (قوله أى إذا علم رضاهم به) أى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء ، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضاهم به ، لأن القرابة التي بينهم تقتضى العطف والسماح . فان قلت على الأول حيث كان مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب . وأجيب بأن هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الالذن أو قرينة (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن قوله جميعا حال من فاعل تأكلوا وكذا قوله أشتاتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تخرج الخ) أى فهو كلام مستأنف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكلة لم يأكل شيئا . وقيل نزلت في قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكسين في كثرة الأكل وقلته (قوله فإذا دخلتم بيوتا لكم) أى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا وقت وقفا (قوله من عند الله) أى ثابته بأمره .

(قوله مباركة) أى لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لى تفهموا ذلك) أى معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب للعباد (قوله إنما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بدم المنافقين وإنما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين آمنوا خبره (قوله على أمر جامع) إسناد الجمع للأمر مجاز عقلى وحقه أن يسند للمؤمنين (قوله خطبة الجمعة) أى والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستأذنيه) أى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم (قوله إن الذين يستأذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكر تفخيها وتعظيها للاستئذان (قوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم) أى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ارجع فليست بمنافق وكتلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فأذن لمن شئت منهم) (١٤٠) فى ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فإذا أذن لأحد علم من ذلك أن رضا الله في إذنه قال العارف: وخصك بالهدى فى كل أمر فليست تشاء إلا ما يشاء (قوله واستغفر لهم الله) أى ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك من أجل العذر الذى نزل بهم (قوله لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم) أى نداءه بمعنى لاتنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم ، بل نادوه وخطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا إمام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته فهذا يعلم أن من استخف بحجابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ماعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبي تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلاميذه الأشياء أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسألون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقى النبي المنبر فإذا كثرت الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لوإذا) حال من الواو فى يتسألون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ما قبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداء يعن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخات عليه فى تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خالو تجوز الجمع (قوله ألا إن الله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أتم عليه) قد للتحقيق ، والمعنى أن الله يعلم الأمر الذى فى قلوب المنافقين من الخالفة والاعراض عن أوامر الله تعالى

والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا إمام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته فهذا يعلم أن من استخف بحجابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ماعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبي تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلاميذه الأشياء أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسألون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقى النبي المنبر فإذا كثرت الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لوإذا) حال من الواو فى يتسألون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ما قبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداء يعن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخات عليه فى تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خالو تجوز الجمع (قوله ألا إن الله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أتم عليه) قد للتحقيق ، والمعنى أن الله يعلم الأمر الذى فى قلوب المنافقين من الخالفة والاعراض عن أوامر الله تعالى

(قوله و يوم يرجمون إليه) معطوف على ما : أى يردون إليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم بأعمالهم فينبئهم على الحسنات ويعاقبهم على السيئات .

[سورة الفرقان] سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلتها ومكارم الأخلاق وأحوال العباد (قوله إلى قوله رحيم) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) أى تنزهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومما سواه لأنه لا أنه قديم ومما سواه حادث أو معنى تبارك أى انصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبي ولا تبارك الساطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل وبها قرى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقرى شذوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الأجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدین والصحيح أنهما بمعنى واحد في المعاني والأجسام (قوله القرآن) أى ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لأنه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا أو بعضا ويصح أن يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا في حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك وبمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل (قوله لأنه فرق بين الحق والباطل) أى ميز بينهما وقيل لأنه نزل مفرقا في أوقات كثيرة (قوله على عبده) إنما وصفه بهذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائدا على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب مذكور ويصح أن يكون عائدا على الفرقان أو المنزل وهو الله تعالى والأوضح الأول (قوله دون الملائكة) أشار بذلك إلى أن الانذار خاص بالانس والجن لأن

(وَ) يعلم (يَوْمَ يُرْجَمُونَ إِلَيْهِ) فيه التفات عن الخطاب أى متى يكون (فَيُنَبِّئُهُمْ) فيه (بِمَا عَمِلُوا) من الخير والشر (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالهم وغيرها (عَلِيمٌ) .

(سورة الفرقان)

مكية : إلا ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله رحيمافدنى

وهى سبع وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تعالى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل (عَلَى عَبْدِهِ) محمد (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أى الإنس والجن دون الملائكة (نَذِيرًا) مخوفا من عذاب الله (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) سواه تسوية (وَاتَّخَذُوا) ،

للملائكة لا تجوز عليهم المعصية والخلافة لعصمتهم من ذلك وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسالا تكليف بما يليق بهم على المعتمد . والحاصل أن إرسالا النبي للثقلين إرسالا تكليف وكذا للملائكة ، وأما للحيوانات التى لا تعقل والجمادات فإرسالا تشریف (قوله نذيرا) أى وبشيرا وإنما اقتصر على الانذار لأن السورة مكية ، وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والأرض) نعت للموصول الأول أو بيان أو بدل أو خبر لمحدوف : أى هو الذى أو منصوب على المدح وما بعده من تمام الصلاة فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثانى على جعله تابعا له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك في الملك) رد على عباد الأصنام (قوله وخلق كل شيء) كالدليل لما قبله لأن الخالق لكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك ما يقال إنه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته . فأجاب بأن المراد بالشيء ما شأنه أن يتعلق به الخلق وهو المعدوم (قوله سواء تسوية) أى عدله تعديلا بأن جعله على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل إن الآية فيها قلب لأن الخلق متأخر عن التقدير لأن التقدير أزلى لأنه يتعلق العلم والارادة الأزلى والخلق حادث لأنه يتعلق القدرة التنجيزى الحادث . فأجاب بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والارادة ، وهذا من قول الغزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم

والارادة أزلا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لا يتعلق القدرة . إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وقوله تعالى : إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم ونحن بمسبوقين فإنه يقتضى أن في قدرة الله إذهاب هذا العالم والأتیان بغيره . أجيب بأن ما في الآية باعتبار التعلق الصلح للقدرة والتجويز العقلي ومقاله الغزالي باعتبار التعلق التنجيزي الذي حصل متعلقه (قوله أى الكفار) أى المعلومون من قولا للعالمين (قوله آلهة) وصفهم بسبعة أوصاف أولها قوله لا يخلقون شيئا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) أى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لا أنفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لأن دفعه أهم وقدم الموت لمناسبه الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن إثرأ كاذبيهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراء) أى اختلقه (قوله وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا إنهم يأتون له بالأخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى إعائتهم له (قوله (١٤٣) قال تعالى) أى ردالمقاتلهم (قوله كفرا وكذبا) لف ونشر مرتب (قوله

أى الكفار (من دونه) أى الله أى غيره (آلهة) هى الأصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا) أى دفعه (ولا نفعا) أى جرء (ولا يملكون موتا ولا حياة) أى إماتة لأحد وإحياء لأحد (ولا نشورا) أى بعثا للأموات (وقال الذين كفروا إن هذا) أى ما القرآن (إلا إفك) كذب (افتراء) محمد (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فتد جأهوا ظلما وزورا) كفرا وكذبا ، أى بهما (وقالوا) أيضا هو (أساطير الأولين) كاذبيهم جمع أسطورة بالضم (أكتبها) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فهي تملئ) تقرأ (عليه) ليحفظها (بكرة وأصيل) غدوة وعشيا ، قال تعالى ردا عليهم (قل أنزل الله الذى يعلم السر) الغيب (في السموات والأرض إنه كان غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم (وقالوا مال هذا الرسول يأتنا كل الطعام ويمشي في الأسواق لولا) هلا (أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) يصدقه (أو يلقى إليه كنز) من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى في الأسواق لطلب المعاش (أو تكون له جنة) بستان (يأت كل منها) أى من ثمارها فيكتفى بها ، وفي قراءة نأكل بالنون أى نحن فيكون له مزية علينا بها (وقال الظالمون) أى الكافرون للمؤمنين (إن ما تدعون إلا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) بالمسحور والحجاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر

أى بهما) أشار بذلك إلى أن ظاهرا وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أساطير الأولين) خبر لمخدوف قدره بقوله هو (قوله أكتبها) أى أمر بكتبتها لأنهم يعلمون أنه أى لا يقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم (قوله تقرأ عليه) أى فليس المراد بالاملاء الالقاء على الكاتب ليكتبه (قوله بكرة وأصيل) المراد دائما أبدا (قوله ردا عليهم) أى

مقاتلهم الشنيعة (قوله الغيب) أى ما غاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح أن يكون المراد (فضلوا) الكفار فيكون تعليلا لمخدوف تقديره وآخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ ، وقوله كان أى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام . والمعنى أى شئ حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأت كل الطعام كأننا كل ويمشي في الأسواق لطلب الرزق كما يفعل فتسميتهم إياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفا على أنزل (قوله يصدقه) أى يشهد له بالرسالة والصدق (قوله أو تكون له جنة) بالتاء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لأن نأيت الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) إظهار فى موضع الاضمار للأشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا (قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من إطلاق المألوم وإرادة اللازم (قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجيبى أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التى كانت سببا فى ضلالهم

(قوله فضلوا بذلك) أي ضرب الأمثال (قوله عن الهدى) أي الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلا) أي لا يقدرון على الوصول إلى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمعوهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفي كل نقص وحينئذ فيحسن تفسيره في كل مقام بما يناسبه لما كان مانقداً مقام تزييه فسرته بتعالى ، ولما كان ما هنا مقام إعطاء فسرته بتكثير خبره ولما كان ما يأتي في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسرته بتعظيم وهكذا يقال في كل مقام (قوله خيرا من ذلك) أي مما اقترحوا بأن يجعل لك أعظم من ذلك في الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) علة لقوله : أي في الدنيا ، والمعنى تكثير خبر الله الذي إن شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك في الدنيا وإعمال تتعاقب إرادة الله به لكونه قانيا ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفاني جزاء لأحبابه لأن الدنيا دار ممر لا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب ، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب (قوله بالجزم) أي عطا على محل جعل لأنه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استثناء) أي أو معطوف على جواب الشرط بناء على أنه غير مجزوم لقول ابن مالك * وبعد ماض رفعك الجزأ حسن * وإعمال مجزوم لضعف تأثير إن في الشرط لكونه ماضيا فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) إضراب انتقالي عن ذكر قبائحهم إلى بيان ما لهم (١٤٣) في الآخرة من أنواع العذاب

(قوله وأعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا ، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى - أعدت للمتقين - (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله إذا رأتهم) أي حقيقة بعينها لما في الحديث «من كذب على متعمدا فليتبوأ» بين عيني جهنم مقعدا قيل يارسول الله أولها عينان ؟ قال أما سمعت الله عز وجل يقول : إذا رأتهم من مكان

(فَضَلُوا) بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقا إليه (تَبَارَكَ) تكثير خبر الله (الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) الذي قالوه من الكثر والبستان (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة (وَيَجْمَعُونَ) بالجزم (لَكَ قُصُورًا) أيضا وفي قراءة بالرفع استثناء (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) القيامة (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) نارا مسعرة أي مشتدة (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا) غليانا كالغضب إذا غلى صدره من الغضب (وَزَفِيرًا) صوتا شديدا أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا) بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لأنه في الأصل صفة له (مُقَرَّنِينَ) مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) هلاكا فيقال لهم (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) ،

بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا - يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكنت بمن جعل مع الله إلهها آخر فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيانقطه « وفي رواية » يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكنت بكل جبار عنيد وكل من دعاه الله إلهها آخر والمصورين انتهى ، وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : الكلام على حذف مضاف : أي رأت زبانيته بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه) أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم . وأجيب أيضا بأن المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان وقد أفاده أولا فتحصل أن المفسر أجاب بجوابين (قوله وإذا ألقوا) أي طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية : أي في مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن يضيق عليهم) أي كضيق الحائط على الوند الذي يدق فيه بصنف (قوله لأنه في الأصل صفة له) أي وهو نكرة ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا كقول الشاعر * لية موحشا طلل * والأصل لية طلل موحش (قوله مقرنين) حال من الوار في ألقوا ، والتقريين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والإشاق بالقيود (قوله دعوا هنالكا) أي في ذلك المكان (قوله ثبورا) أي فيقولون يا ثبوراه هذا أوانك فاحضر لأنه أخف مما هم فيه (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) أي مرة

واحدة (قوله كذابكم) تشبيه في الكثرة وفي نسعة باللام : أي لأجل دوام عذابكم وكثرة فيفني أن يكون دعاؤكم كذا
(قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع وإلا فليس في النار خير (قوله في علمه تعالى) جواب عما يقال إنها لم تترك
جزاء ومصيرا الآن ، فأجاب بأن المعنى قد سبق علم الله بأنها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) أي مستقرا (قوله لهم
ما يشاءون) أي من النعم اللائقة بهم ، وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه ولا يلتفت إلى عدم
من هو أشرف منه ولا يخطر بباله سؤاله ، وبهذا اندفع ما قيل إن مقتضى الآية أن الإنسان يتمي مراتب الأنبياء في الجنة ويعطى
(قوله حال) أي من الهاء في لهم أو من الواو في يشاءون (قوله كان وعدم ما ذكر) أشار بذلك إلى أن اسم كان يعود على الوعد
المفهوم من قوله : وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) أي كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم ، وقوله : ربنا وأدخلهم : أي
قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمحدوف تقديره اذكر والضمير في نحشر
للعابدين لغير الله (قوله بالنون) أي مع النون في نقول أو الياء ، وقوله والتحتانية : أي مع التحتانية في يقول فالفراآت ثلاث
سبعيات خلافا لما يوهمه المفسر (١٤٤) من أنها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم ، أو

ما على العقلاء وهو قابل وهذا ما يفيد المفسر بالتخييل ويصح أن يراد من ما العاقل وغيره كالأصنام وغلب غير العاقل على العقل لكثرة (قوله إثباتا للحجة على العابدين) أي وتبكي لهم وهو جواب عما يقال إن الله عالم في لأزل بما ذكر فما فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق المميزين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءة ثان والتسليم كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوهمه المفسر من

كذابكم (قل أذلك) المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد التي وعدهم)
(المتقون كانت لهم) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاءون)
خالدين) حال لازمة (كان) وعدم ما ذكر (على ربك وعدا مسئولا) يسأله من وعده
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، أو نسأله لهم الملائكة : ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم
(ويوم نحشرهم) بالنون والتحتانية (وما يعبدون من دون الله) أي غيره من الملائكة
وعيسى وعزير والجن (فيقول) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين
(أنتم) بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى
وتركه (أضللتهم عبادي هؤلاء) أو قمتهم في الضلال بأمرهم بعبادتهم (أم هم ضلوا
السبيل) طريق الحق بأنفسهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (ما كان ينبغي
يستقيم) لنا أن نتخذ من دونك (أي غيرك) (من أولياء) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد
النفى وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا (ولكن ممتتهم وآباءهم) من قبلهم بإطالة الميم
وسعة الرزق (حتى نسوا الله ذكر) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ،

أنها أربع وكلاهما سبعة . إن قات على قراءة الإبدال يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حقه وهو ممنوع . أجيب بأن محل منعه مالم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
(قوله هؤلاء) نعت لعبادي أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) أي المعبدون وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال
مقدر كأنه قيل ماذا قالوا في الجواب (قوله من أولياء) أي أتباعا يعبدوننا ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون : أي معبدون
لنا لأن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالولي يطلق على الأعلى والأسفل ، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني ، إذ
علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء بمعنى المعبدون أو العابدين لغير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من
تولاهم الله فلم يكلمهم لغيره فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم (قوله مفعول أول) أي لتتخذ (قوله وما قبله) أي وهو قول
من دونك (قوله فكيف) أي بعبادتنا (أي بعبادتهم إيانا فنحن لم نضلهم) (قوله ولكن ممتتهم الخ) استدراك لرفع ما يتوهم
نبوته ، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل في ذلك ، وفي هذا الاستدراك رجوع
للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أي غفلوا عن التذكير في آياتك فالنسيان معناه الترك .

(قوله بوراً) بحتمل أنه جمع بائر أو مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين قالوا واقعاً على العبودين والكاف على العابدين ، وقوله بما تقولون : أى فيما تقولون ، وقوله بالفوقانية : أى باتفاق العشرة ، وقوله إنهم آلهة قول القول (قوله أى لاهم) راجع للثحنانية ، وقوله ولا أنتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) أى أيها المكفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد بعبادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذرة) بنون العظمة في قراءة العامة (قوله ما أرسلنا قبلك إلخ) المقصود من هذه الآية نسيته صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين حيث قالوا - ما هذا الرسول أكل الطعام - إلخ (قوله إلا إلههم) الجملة حالية وإن مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلت للخبر، والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين في حال من الأحوال إلا في حال أكلهم الطعام ومشبههم في الأسواق : أى فهذه عادتهم ودأبهم فإن هجوك بذلك فقد نجوا جميع الأنبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى إن الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض يظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى الغنى بالفقر إلخ) أى فالتقى ممتحن بالفقر يحسده والفقر ممتحن بالغنى يسخر به ويحتقر به والصحيح ممتحن بالمرض يقول لم لم نعان ونصبر مثل هذا والمرضى ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويفتر بصحته والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء ممتحن بالوضع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا (١٤٥) والمخلص من ذلك الصبر على

أحكام الله والرضا بها لأن الواجب على الإنسان أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه ولا ينظر إلى من هو فوقه لئلا يزدري نعمة الله عليه وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقه ليصرف نفسه ف يرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبى صحة الصالحين والمساكين ومرافقهم ليقترى بهم (قوله يقول الثانى) أى الفقير والمرضى والوضع ، وقوله في كل

(وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكى ، قال تعالى (فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ) أى كذب المعبودون العابدين (بِمَا تَقُولُونَ) بالفوقانية إنهم آلهة (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بالثحنانية والفوقانية أى لاهم ولا أتم (صَرَفًا) دفعا للعتاب عنكم (وَلَا نَضْرًا) منعا لكم منه (وَمَنْ يَظْلِمْ) يشرك (مِنْكُمْ نَذْرُهُ عَذَابًا كَبِيرًا) شديداً في الآخرة (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِيَّاهُمْ لِيَآكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ) فأنتم مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلى الغنى بالفقر والصحيح بالمرض والشريف بالوضع يقول الثانى في كل : ما لا أكون كالأول في كل (أَتَصْبِرُونَ) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم ؟ استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر ومن يجزع (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يخافون البعث (لَوْلَا) هلا (أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ) فكانوا رسلاً إلينا (أَوْ نَزَّلْنَا رُسُلًا) فنخبر بأن محمداً رسوله ، قال تعالى (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شأن (أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا) طغوا (عُتُوا كَبِيرًا) ،

أى من الأقسام الثلاثة ، وبالجملة فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى والصبر أن يحبس كل من منافسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر ، عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للضعيف من الشديد وويل للشديد من الضعيف وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - » (قوله استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته : أى لينظر أى حصل منكم صبر أم لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيراً) في ذلك تأفيس للعبد : أى إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبى الشكوى للخلق ولا إظهار ما فى القلوب بل إن وجد الشخص في نفسه صبراً فليشكر الله وإن وجد غير ذلك فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة (قوله لا يخافون البعث) أى لأنهم منكرون له فهم يزعمون أنهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله فكانوا رسلاً إلينا) أى بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله أو نزلنا رُسُلًا) أى يكشف الحجاب لنا ففراه عياناً (قوله فنخبر) بالبناء للمفعول : أى يخبرنا هو بأن محمداً رسوله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم مقالهم (قوله تكبروا) أى حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر بل طمعوا أن يكون من الملائكة (قوله في شأن أنفسهم) أى أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر

قام بها .

[١٩ - صاوى - ثالث]

(قوله بطايرهم رؤية الله) متعاقب بعثوا والباء للسببية ولم يذ كر متعاقب استكبروا وقد علمته ، وفي الآية لف ونشر مرتب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتور راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على أصله) أى من غير إبدال (قوله بالابدال في مريم) أى المناسبة رهوس الآى وأصله عتوو كسرت التاء فوقت الواو سا كنة إثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله يوم يرون الملائكة) أى المتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) أى لقوله تعالى : بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعيذون من الملائكة) أى يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله همدنا) أى تعلقت إرادتنا ودفع بذلك ما قيل إن التذوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى ففسره بلازمه وهو القصد والمراد من القصد في حقه تعالى تعلق إرادته بالشيء (قوله وقرى ضيف) بكسر القاف مع القصر أوفتحها مع المد ومعناه الاحسان إليه (قوله في الدنيا) متعاقب بعملوا (قوله في الكوى) جمع كوة وهى الطاقة فى الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (١٤٦) (قوله ويجازون عليه في الدنيا) أى باعطاء المال والولد والعافية وغير

ذلك من ملاذ الدنيا فأعمل الكافر الحسنة التى لا تتوقف على نية يعطى جزاءها فى الدنيا ، وأما ما تتوقف على نية فلا يجد لها جزاء أصلا لعدم صحها (قوله خير مستقرا من الكافرين) أى إن مستقر المؤمنين فى الجنة خير من مستقر الكافرين فى الدنيا فأفعل التفضيل على بابه وإلى هذا أشار المفسر بقوله فى الدنيا فهو جواب عما يقال إن مستقر أهل النار لا خير فيه ويصح

بطلبهم رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتيا بالابدال فى مريم (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) فى جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذ كر مقدراً (لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ الْمُجْرِمِينَ) أى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) على عادتهم فى الدنيا إذا نزلت بهم شدة : أى عوداً مُعَاذاً يستعيذون من الملائكة قال تعالى (وَقَدْ مَنَّا) همدنا (إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) من الخير : كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف فى الدنيا (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) هو ما يرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار المفرق : أى مثله فى عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه فى الدنيا (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) من الكافرين فى الدنيا (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) منهم أى موضع قائلة فيها ، وهى الاستراحة نصف النهار فى الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب فى نصف نهار كما ورد فى حديث (وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ) أى كل سماء (بِالْغَمَامِ) أى معه وهو غيم أبيض (وَزُلْزِلَ الْمَلَائِكَةُ) من كل سماء (تَنْزِيلًا) هو يوم القيامة ،

ونصبه

أن يراد استقرار كل فى الآخرة والتفضيل ليس مراداً بل المقصود التقرير والتوبيخ للكفار

(قوله من ذلك) أى من قوله وأحسن مقيلاً (قوله كما ورد فى حديث) قال ابن مسعود «لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، والقيالولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال : وأحسن مقيلاً والجنة لا نوم فيها ويروى «أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس» (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول المحذوف تقديره اذ كر كما قاله المفسر (قوله أى كل سماء) أشار بذلك إلى أن أل فى السماء استغراقية (قوله أى معه) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع ويصح أن تكون للسببية أو للابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) أى سحب فوق السموات السبع تخنه كشحن السموات السبع وثقله كثقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولاً ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الأرض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا وإذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى الحشر صفا وإذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خاف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل الحشر من الفرار ويطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك فى سورة إبراهيم عند قوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض والحـ

(قوله ونصبه باذکر مقدراً) أي وهو معطوف على : يوم يرون الملائكة ، وكذا قوله : ويوم بعض الظالم (قوله في الأصل) أي قبل قلبها شيناً وتسكينها وإدغامها في الشين (قوله وفي أخرى ونزل بنونين الخ) هذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين فتحصل أن القراءات ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز في نزل القراءتان وعند التخفيف يجوز في نزل قراءة واحدة وهي كونه ماضياً مبنيًا للمفعول خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراءات (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره ، والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده ، وحكمة التقييد بهذا اليوم وإن كان الملك لله في كل زمن أن ثبوت الملك له خاصة في ذلك اليوم فليس لأحد ملك ظاهر أبداً ، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخالق تصرف صوري وإلى هذا أشار المفسر بقوله لا يشركه فيه أحد (قوله بخلاف المؤمنين) أي فليس عليهم عسيراً لما ورد « أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة » (قوله ويوم) منصوب باذکر أو معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله بعض الظالم) هو من باب تهب ونفع ، والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها بعض على يديه ، قال عطاء : يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يدها يأكلهما (قوله عقبة بن أبي معيط) أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت في ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو أحد قولين ، وقيل نزلت في الظالمين عموماً (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) « وذلك أنه صنع طعاماً ودعا الناس إليه ودعا رسول الله (١٤٧) صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله ففعل فأكل كل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقاً لأبي بن خلف فلما أخبر بذلك قال له يا عقبة صبت قال لا ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن

ونصبه باذکر مقدراً ، وفي قراءة بتشديد شين تشق بادغام التاء الثانية في الأصل فيها ، وفي أخرى ونزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الملك يومئذ الحق للرحمن) لا يشركه فيه أحد (وكان) اليوم (يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) بخلاف المؤمنين (ويوم بعض الظالم) المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف (على يديه) ندماً وتحسراً في يوم القيامة (يقول يا) للتنبيه (لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ) محمد (سبيلاً) طريقاً إلى الهدى (يا ويلتي) أنه عوض عن ياء الإضافة : أي ويلتي ، ومعناه هلكتي (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا) أي ألياً (خليلاً) لقد أضلاني عن الذكر (أي القرآن) بعد إذ جاءني (بأن ردني عن الإيمان به قال تعالى (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرَ) خذولاً) بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء (وقال الرسول) محمد (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي) قريشاً (أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزيق في وجهه ففعل عقبة فعاد بزاقه على وجهه فخرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأصر يوم بدر فأمر عالياً فقتله ، وطعن النبي آتياً بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات ، وحكم الآية عام في كل صاحبين اجتماعاً على معصية الله تعالى لما روى « يحشر الله على دين خليله فليمنظر أحدكم من يخال » (قوله يقول يا ليتني) الجملة حالية من فاعل بعض (قوله للتنبيه) أي وليست للنداء لأن النداء شرطه أن يكون اسماً وليت حرف تمن أو للنداء والنداء محذوف أي يا قوم (قوله عوض عن ياء الإضافة) أي وأصله ويلتي بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فيقال في إعرابه ويلتا مضاف والألف مضاف إليه في محل جر وليس لنا ألف في محل جر إلا ما كانت عوضاً عن ياء التكامل (قوله لم آتخذ فلاناً خيلاً) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الإناث (قوله لقد أضلني) علة للتنبيه وأكده باللام القسمية إظهاراً لندمه وتحسره (قوله أي القرآن) أي وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله وكان الشيطان الخ جملة مستأنفة من كلامه تعالى وكلام الظالم ثم عند قوله جاءني (قوله وكان الشيطان) أي وهو كل عات متمرّد صّد عن سبيل الله من الجن والإنس (قوله بأن يتركه) أي يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله - وقال الدين لا يرجون لقاءنا - وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأحوال ، وهذا القول قيل صدر منه في الدنيا ، وعليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا ، وقيل سيقع منه

في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم ، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقا سحقا (قوله مهجورا) أي فأعرض
ولم يؤمنوا به ، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لافيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وإد
يعاتب عليه في الآخرة لما ورد « من تعلم القرآن وعاق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعاقبا به يقول
عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه » (قوله وكذلك جعلنا الحق) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم ، والمعنى كما
قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا (قوله بربك) الباء زائدة في الفاعل (قوله هاديا) أي موصلا لك إلى الط
القويم (قوله وقال الذين كفرا الحق) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التي تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة
تدخل على بعض الضعفاء اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبدعها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى أنزل لأن نزل بالنز
معناه الانزال مفرقا وأنزل معناه الانزال جملة فلو لم يجعل بمعنى أنزل لنقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى - إنا أنزلناه في
القدر - حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا لأن المراد نزوله جملة في صحاء الدنيا (قوله قال تعالى) أي رد تلك الشبهة بأمر
مقتضية لنزوله مفرقا : الأول تثبت فؤاده صلى الله عليه وسلم . الثاني ترتيبه ليسهل حفظه . الثالث قوله ولا يأتونك بمثل إلا ج
بالحق وأحسن تفسيراً (قوله نزلناه كذلك) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك نعت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه تنزيلا مثل
التنزيل (قوله لنثبت به فؤادك) (١٤٨) علة للمحذوف الذي قدره المفسر ، والمعنى أنزلناه مفرقا ليتقوى قلبك

تلقيه فلا يحصل لك منه
ثقل لأن القرآن في نفسه
ثقيل سيما على من لم يقرأ ولم
يكتب قال تعالى - إنا
سنلقي عليك قولا ثقيلا -
ولذلك لما نزل عليه
صلى الله عليه وسلم أقرأ فتر
الوحي ثلاث سنين ليشتاق
لللقى فإن الشيء إذا جاء
على شوق كان أثبت (قوله
ورتلناه ترتيبا) أي فرقناه
آية بعد آية وشيئا بعد

مهجورا) متروكا قال تعالى (وَكَذَلِكَ) كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك (جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيٍّ قَبْلَكَ (عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) المشركين فاصبر كما صبروا (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا) (وَنَصِيرًا)
(نَصِيرًا) ناصرًا لك على أعدائك (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا (هُلَا (نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ
جُمْلَةً وَاحِدَةً) كالتوراة والإنجيل والزبور قال تعالى نزلناه (كَذَلِكَ) أي متفرقا (لِنُثَبِّتَ
بِهِ فُؤَادَكَ) تقوى قلبك (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) أي أتينا به شيئاً بعد شيء يتمهل وتؤدة لتيسر
فهمه وحفظه (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) في إبطال أمرك (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) الدافع له (وَأَحْسَنَ
تَفْسِيرًا) بيانا ، هم (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أي يساقون (إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
هُوَ جَهَنَّمَ (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
التوراة ،

شيء في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (قوله لتيسر

فهمه وحفظه) أي لك ولأمتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد « وجعلت من أمتك
أقواما قلوبهم أناجيهم » ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للأطفال ليثبت في قلوبهم واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل
حفظه فإن الطفل إذا رأى السورة قصيرة قوى على حفظها ونشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) أي سؤال عجيب يريدون
به القدح في نبوتك (قوله لإجئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال
إلا في حال إتياننا إليك بالحق وبما هو أحسن بيانا له ، والمعنى كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب أجبت عنه بجواب حسن
يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة كالعلم
الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسئل عنها فيكون الأمر موكولا له فتكون الكفاية عليه وما كان موكولا
إلى الله كان أتم مما هو موكول إلى العبد وفيه قبح للمعاندن (قوله وأحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية
ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله أي يساقون) أي يسحبون مقلوبين يطمون
الأرض برءوسهم ووجوههم وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأضل والمراد بغيرهم باقي
الكفار ، والمعنى أن من عانده صلى الله عليه وسلم فهو في أسوأ الأحوال وأشرها في الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائذ
على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائده قومه بذكر بعض قصص الأنبياء

على سبيل الاجمال ، والمعنى لا تحزن يا محمد فان من خالفك وعاندك يحل به الدمار كما حل بالمخالف من الائمة المتقدمة (قوله وجعلنا معه) معطوف على آيتنا والواو لان مقتضى ترتيبها ولا تعقيبا فان آيات موسى التوراة كان بعد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ، ويمكن أن يجاب عن الآية بأن المراد بقوله آيتنا موسى الكتاب قدرنا له أن يأتيه في علمنا فهو إخبار عما سيجل فالمضى بالنسبة لما سبق في علم الله (قوله أخاه) مفعول أول جعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا ، والمعنى جعلنا هرون معينا لموسى يوحى من الله في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة فهو نبي ورسول بما جاء به موسى ، بخلاف وزارة علي للنبي صلى الله عليه وسلم المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له « أنت منى بمنزلة هرون من موسى » فالمراد بها مطاق الاعانة لا المشاركة في الانصاف بالرسالة فان من أثبت لها على فقد كفر (قوله بآياتنا) أى أدلة توحيدنا لخصوص القسح (قوله قد مرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهب الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله أغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح فأجاب بجوابين : الأول أنه جمعه لطول مدته في قومه فكأنه رسل متعددة (١٤٩) الثانى أن من كذب رسولا

فقد كذب باقى الرسل (قوله وجعلناهم) أى جعلنا هلاكم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضر تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى ما يحل) أى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسره بخلاف سائر معانيه فهو بالكسر لا غير (قوله وثمودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلاف هل هو اسم لبئر القى لم تطو أو لبئر مطلقا وما قاله

(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا) معينا (فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) أى القبط فرعون وقومه فذهب إليهم بالرسالة فكذبوها (فَذَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) أهلكناهم إهلاكاً (وَ) اذكر (قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنه رسل ، أولأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لا اشتراكهم فى الحجى . بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بغير (آيَةً) عبرة (وَأَعْتَدْنَا) فى الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما سوى ما يحل بهم فى الدنيا (وَ) اذكر (عَادًا) قوم هود (وَثَمُودًا) قوم صالح (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) اسم بئر ، ونبيهم قيل شعب ، وقيل غيره كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم وبمنازلهم (وَقُرُونًا) أقواما (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أى بين عاد وأصحاب الرس (وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لُؤْلُؤًا) فى إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الانذار (وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبَرُّوًا) أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم (وَلَقَدْ أَتَوْا) أى مر كفار مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ) مصدر ساء أى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعالهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها) فى سفرهم إلى الشام فيعتبرون ؟ والاستفهام للتقرير ،

المفسر أحد أقوال فى الرس ، وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود ، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاه الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتختطف صبيانهم فدعا عليهم حنظلة فأصابها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الأمثال ، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تقيرا : أى فقتلناهم تفتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك إلى أنه ضمن أتوا معنى مروا فعدى على وإلا فأتى يتعدى بنفسه أو بالى ، والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم إلى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الأصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرمى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سدوم وتقدم أن القرى خمسة ، وقيل إن آل فى القرية للجنس فيشمل جميعها لأن الحسف ونزول الأحجار عم جميعها وقبل نجت منها واحدة كانت لاتعمل الحياث (قوله يرونها) أى يزون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه .

(قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أى كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله إن يتخذونك) جواب إذا (قوله إلا هزوا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوا به أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول لأن المفعول الثانى فى الأصل خبر والمصدر لا يصح الإخبار به إلا بتأويل (قوله أهذا الذى الخ) الجملة فى محل نصب مقول اقول محذوف قدره المفسر (قوله فى دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ماذا كر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أى بكثرة الأدلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أى ثبتنا وامتسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أى ردا لقولهم إن كان ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله أم أم المؤمنين (قوله قدم المفعول الثانى) أى وقيل لا تقديم ولا تأخير لاستوائهما فى التعريف (قوله وجملة من الخ) أى بحسب الصورة وإلا فهى وصلتها فى قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببلى والهمزة والاستفهام فيها إنكارى (قوله أن أكثرهم) استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فأمن (قوله إن هم إلا كالأنعام) أى فى عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم أضل سبيلا) أى لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهد بها وتميز من يحسن إليها من يسىء إليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضر بها (١٥٠)

وهؤلاء ليسوا كذلك
(قوله ألم تر إلى ربك
كيف مد الظل) أقام الله
سببانه وتعالى أدلة
محسوسة على انفراده تعالى
بالألوهية وذكر منها
خمسة الأول هذا الثانى
قوله - وهو الذى جعل
لكم الليل لباسا - الثالث
قوله - وهو الذى أرسل
الرياح - الرابع قوله
- وهو الذى مرج
البحرين - الخامس قوله
- وهو الذى خلق من
الماء بشرا - وهذا

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) يخافون (نُشُورًا) بعثًا فلا يؤمنون (وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا مَا) (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا) مهزواً به يقولون (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) فى دعواه محتقرين له عن الرسالة (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (كَادَ لَيُضِلُّنَا) يصرفنا (عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها ، قال تعالى (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) عيانا فى الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً أم أم المؤمنين (أَرَأَيْتَ) أخبرنى (مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أى هوى به قدم المفعول الثانى لأنه أم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثانى (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ) صماع تفهم (أَوْ يَفْقَهُونَ) ماتقول لهم (إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتعهد بها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس (وَلَوْ شَاءَ لَجَمَعَهُ سَاعَةً كِنًا) مقبلاً لا يزول بطلوع الشمس ،

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تأمل فى تلك الأدلة حق التأمل عرف أن موجدتها (ثم)
فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال . والمعنى ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف على أى حالة وقدر المفسر فعل إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لارؤية الذات لأن المقصود نصب الأدلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لابد لها من صانع وإن كان يلزم من التفكير فى تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب لأنه لا يغيب عن مخلوقه طرفه عين ، ومن هنا قيل : العارف يرى الله فى كل شىء فالآثار كالمرآة للناظر فمن تأمل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب أن يقول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين . ثانيها من غروب الشمس إلى طواعها . ثالثها من طلوع الشمس إلى أن تزول ومن زوالها إلى غروبها ، وأما ما قاله المفسر فلم يوافق عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعنى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أطيب الأوقات وأفضلها ولهذا وصفت به الجنة قال تعالى - وظل محدود - وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذى علة وفيه ترواح الأموات منهم إلى الأجساد وتطيب نفوس الأحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجمعناه ساعَةً) أى ثابته مستقرا لا يذهب عن وجه الأرض (قوله لا يزول بطاوع الشمس) أى بأن لا تطالع فلا يزول بأن يستمر الليل مقبلاً أو تطالع من غير ضوء

وله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (أى جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس وكل الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغيره ، وأما ذات الشمس فجوهى (قوله ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) أى قليلا شيئا ، وذلك أن الشمس إذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل إلى جهة المغرب فكلما ارتفعت في الأفق نقص الظل شيئا فشيئا أن تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهى نقص الظل فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبدا في بعض أيام السنة كحكة بيد وما عداها تبقى له بقية وهذا على حسب (الأشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله « طزه جبا ابدوحى » فالطاء بتسعة لطوبة الزوال فيه تسعة أقدام والزاي بسبعة لأمشير والماء بخمسة لبرمها والجم بثلاثة ابرمودة والباء باثنين لبشنس والألف بعد لبثونة والألف الثانية بواحد لأيب والباء باثنين لمسرى والبال بأربعة لتوت والواو بستة لبابة والحاء ثمانية لهاثور والياء بعشرة لكهيك ، فإذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيئا فشيئا حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة والجامع بين المشبه والمشبّه به الستر في كل (قوله والنوم سبانا) من السبت وهو طمع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الأعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لا بتغاء الرزق) طابه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) أى البشرات وهى ثلاث (١٥١) الشمال وتأتى من جهة القطب والجنوب تقابلها والعصا

وتأتى من مطلع الشمس والدبور وتأتى من المغرب وبها أهلك قوم عاد (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا وأل فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ما ذكره المفسر من القراءات أربع وكلها سبعية الأولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نشر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الأولى) أى والثانية

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ (أَيَ الظِّلِّ) (دَلِيلًا) فَلَوْلَا الشَّمْسُ مَا عَرَفَ الظِّلُّ (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) فِي الظِّلِّ الْمُدَوْدِ (إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) خَفِيَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ سَاتِرًا) كَاللِّبَاسِ (وَالنَّوْمَ سُبَانًا) رَاحَةً لِلْأُبْدَانِ بِقَطْعِ الْأَعْمَالِ (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) نُشُورًا فِيهِ لَا بُتْغَاءَ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ) فِي قِرَاءَةِ الرِّيحِ (نُشْرًا يَبِينُ ذِي رَحْمَتِهِ) أَي مَتَفَرِّقَةً قَدَامَ الْمَطَرِ فِي قِرَاءَةِ بِسْكَوْنِ الشَّيْنِ تَخْفِيفًا فِي أُخْرَى بِسْكَوْنِهَا وَفَتْحَ نُونٍ مُصَدَّرًا فِي أُخْرَى بِسْكَوْنِهَا وَضَمُّ الْمَوْحِدَةِ بِدَلِّ النُّونِ أَي مَبْشَرَاتٍ وَمَفْرَدِ الْأَوَّلَى نُشُورُ كَرَسُولٍ وَالْأَخِيرَةِ بَشِيرٍ (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) مَطْهُرًا (لِنُخْطِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا) تَخْفِيفٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ ذَكَرُهُ بِاعْتِبَارِ الْمَكَانِ (وَنُسْقِيهِ) أَي الْمَاءَ (مِمَّا تَلَقَّيْنَا أَنْعَامًا) إِبِلًا وَبَقَرًا وَغَنَمًا (وَأَنْعَامِي كَثِيرًا) جَمْعُ إِنْسَانٍ وَأَصْلُهُ أَنْاسِيْنُ فَأَبْدَلَتْ النُّونَ يَاءً وَأَدْغَمَتْ فِيهَا الْيَاءَ أَوْ جَمْعَ إِنْسِي (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) أَي الْمَاءَ (بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) صَلَهِ يَتَذَكَّرُوا ،

قوله وأنزلنا من السماء (فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) أى طاهرا في نفسه مطهرا لغيره (قوله بلدة) أى أيضا (قوله بالتخفيف) أى لا غير لأن الخفف لما ليس ذا روح غالبا وأما بالتشديد لما كانت فيه الروح . قال تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون - وقال بعضهم :

أيا سائلى تفسير ميت وميت فدونك قد فسرت ماعنه تسأل

لما كان ذا روح فذلك ميت وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

قوله يسوى فيه المذكور الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع أنه نعت لبلدة وهى مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان كان المناسب أن يأتى بأو (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها لكونها سببا لحياتهم ومآشهم (قوله مع إنسان) هو الراجح ، وقيل جمع إنسى وهو معترض بأن الياء فى إنسى للنسب وهو لا يجمع على فعالى كما قال ابن مالك : واجعل فعالى لغيرى ذى نسب (قوله وأصله أناسين) أى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) أى فرقناه بالبلاد المختلفة والأوقات المتغيرة على حسب ما قدر فى سابق علمه . روى عن ابن مسعود أنه قال : « ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيلى معلوم ، وإذا مل قوم بالمعاصى حوّل الله ذلك إلى غيرهم ، وإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر إلى الفياضى والبحار » .

(قوله أدغمت التاء في الذال) أي بعد قلبها ذالا فذالا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أي نعمة الله به) أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جحودا للنعمة) أي حيث أضافوها لغير خالقها (قوله مطرنا بنوء كذا) النوء سقوط نجم من النازل في المغرب وطلوع رقبته من المشرق في ساعته في عدة أيام معاومة لهم وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر لأنه لا أثر لشيء في شيء بل يؤثر هو الله وحده وإنما تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لأنها ويمكن تخلفها كالإحراق للنار والري للماء والشبع للأكل (قوله لبعضنا في كل قرية) أي في زمناك (قوله ليعظم أجرك) أي فإلبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر من آمن به من بعثته إلى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) أي بل اصبر على أحكام ربك (قوله جهادا كبيرا) أي لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) أي أجرام متلاصقين لا يمتازجان ولا ينفى أحدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف مرجعهما ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول أي مقولا فيهما هذا عذب الخ وصحى الماء العذب فراتا لأنه يفرت العطش (١٥٣) أي يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) أي وقيل شديد الحرارة وقيل

أدغمت التاء في الذال وفي قراءة ليدكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا (ولَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك (فَلَا تَطِيعِ الْكَافِرِينَ) في هوام (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أي القرآن (جهادا كبيرا) وهو الذي مرجح البحرين (أرسلهما متجاورين) (هذا عذب فرات) شديد المذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) أي ستر ممنوعا به اختلاطهما (وهو الذي خلق من الماء بشرا) من المني إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا) ذا نسب (وصهرا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) قادرا على ما يشاء (وَيَعْبُدُونَ) أي الكفار (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) بعبادته (وَلَا يَضُرُّهُمْ) بتركها وهو الأصنام (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَاهِرًا) معينا للشيطان بطاعته،

شديد المرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح أجاج (قوله حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر) أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ماهو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من أكبر الأدلة

على انفراد الله تعالى بالالوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم أن معناه نعوذنا نعوذا والمراد هنا الستر المانع فشبّه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تتحصن من الأخرى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستعارة المكنية (قوله بشرا) أي خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وصورق ودم على شكل حسن. قال تعالى - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم - (قوله ذا نسب الخ) أي قسمه قسمين ذوى نسب أي ذكورا ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن وأخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والنزوح (قوله ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته وصهر المرأة أقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) أي حيث خلق من مادة واحدة إنسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وأخلاق متعددة وجعله قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وأمثاله فهو حقيق بأن لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع في ذكر قبائح المشركين مع ظهور ظاهرها والأدلة (قوله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) قدم النفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي يعاون الشيطان ويتابعه بالمعصية والشرك وأل في الكافر للجنس فالمراد كل كافر، وقيل معنى ظهيرا مهيئا لا يعبا به فعلى معنى عند، والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لا حرمة له مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته أي الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر مهيئا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته إياه والخروج عن طاعة الله.

وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (أى لم نرسلك فى حال من الأحوال إلا فى حال كونك مبشرا ونذيرا فمن آمن فقد تحقق بارة ومن استمر على الكفر فله النذارة) (قوله على تبليغ ما أرسلت به) أى المفهوم من قوله أرسلناك (قوله لكن شاء الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسى لكن من شاء أن ينفق أمواله لله تعالى طلبا لمرضاته فليفعل (قوله فى مرضاته تعالى) أى كالصدقة والنفقة فى سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى لا يموت) لما قدم أن الكافر خارج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وأمر الرسول أن لا يسألهم أجرا على تبليغه أمره اعتماد عليه تعالى ليكفيه ضرورهم ويغنيه عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فانهم إذا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى فى جميع الأمور من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها وله الذى لا يموت) صفة كاشفة لأن معنى الحى فى حقه تعالى ذو الحياة الأبدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بقاء بهذا المعنى مستلزم لانصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) أى من كل نقص (قوله بحمده) الباء للملابسة كما قال المفسر أى صفة بالكلمات (قوله أى قل سبحان الله والحمد لله) فذلك جمع التسبيح والتحميد لأن معنى سبحان الله تنزيهه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التى أوتىها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى تنالها لا إله إلا الله والله أكبر وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين (١٥٣) ليكون النطق بها عن معرفة

ويقـين فهى نتيجة ما قبلها والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تنزه عن النقائص وانصف بالكلمات وثبت أنه لا إله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لأنهما مستلزمان للجملتين بعدها (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا (وَنَذِيرًا) مخوفا من النار (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ ما أرسلت به (مِنْ أَجْرٍ إِلَّا) لكن (مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقا تقاضى ماله فى مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك (وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ) تلبسا (بِحَمْدِهِ) أى قل سبحان الله والحمد لله (وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) علما تعلق به بذنوب ، هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو مائة لخلقهن فى لحظة والعدول عنه لتعليم خلقه المثبت ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك (الرَّحْمَنُ) بدل من ضمير استوى أى استواء يليق به ،

قوله علما) أى بالمذنب والطائع (قوله تعاق به) أى بخيرا (قوله بذنوب) أى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة ، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخاق فى كل وقت فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم بل عليه بنفسه ويفوض أمرهم إليه (قوله هو الذى) أشار بذلك إلى أن الوصول خبر المحذوف وهذه الجملة سبقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فإن من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله فى ستة أيام) أى فالأرض فى يومين والأثنين وما عليها فى يومين الثلاثاء والأربعاء والسماوات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله أى فى قدرها) دفع بذلك ما يقال إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك (قوله والعدول عنه) أى عن الخاق فى لحظة (قوله التثبت) أى التأنى والتؤدة فى الأمور وعدم العجلة فيها لما ورد « إِنَّ الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ » واستثنى العلماء من ذلك مسائل : إقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة فى أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى ومنه قوله تعالى - أَيْكُم يَأْتِيَنَّ بِعَرْشِهَا - والمراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السماوات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبرا المحذوف أو خبر الذى خلق (قوله أى استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الحسمانة ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستقياء عليه والتصرف فيه وهو أحد معنى الاستواء واستدلوا لذلك بقول الشاعر : قد استوى جسر على العراق من غير سيف ودم مهراق وفى قوله الرحمن إشارة إلى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين ،

وكان سقف الجنة لا يوصف الجلال وإلا للاب ولم يبق له أثر (قوله فسئل به خبيراً) به متعلق بخبيراً قدم لرعاية الفاصلة . والمعنى أصال يا محمد خبيراً بصفاته تعالى وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى ، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقاً بأسأل والباء بمعنى عن . والمعنى أسأل عنه خبيراً أى عالماً بصفاته يطاعك على ما خفي عليك والخبير يخفف باختلاف السائل ، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام فالخبر هو الله ، وإن كان السائل أصحابه فالخبر النبي ، وإن كان السائل القاصين فالخبر الصحابة عن النبي عن الله وهكذا قال الأمر إلى أن المشايخ العارفين يفيدون الطالب عن الله ، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله وإذا قيل لهم) أى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) أى ظننا منهم أن المراد به غيره تعالى لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيحة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله والآمر محمد) أى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تأمرنا فكان المناسب ذكره بلسقه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله تعظم) أى انفرد بالعظمة لأن من كانت هذه أوصافه فهو منفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر في كل مقام بما يناسبه (قوله بروج) جمع برج وهو في الأصل القصر العالى صمت هذه المنازل بروجاً لأنها للكواكب السبعة السيارة كالمنازل الرفيعة (١٥٤) التى هى كالتصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة

(قوله الحمل) أى ويسمى بالكبش (قوله والأسد) أى ويسمى بالليث أيضاً وقوله والدلو ويسمى الدالى أيضاً (قوله الميزان) أى من البروج المذكورة . والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحداً من البروج وتقدم

(فسئل) أيها الإنسان (به) بالرحمن (خبيراً) يخبرك بصفاته (وإذا قيل لهم) لكفار مكة (أسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه ؟ لا (وزادهم) هذا القول لهم (نفوراً) عن الإيمان ، قال تعالى (تبارك) تعظم (الذى جعل فى السماء بروجاً) اثني عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة ، الميزان وله الحمل والعقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشتري وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والدلو (وجعل فيها) أيضاً (مِرَاجاً) هو الشمس (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وفى قراءة مرجاً بالجمع أى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) أى يخلف كل منهما الآخر (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ،

ما فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم أن

زحل نجم فى السماء السابعة والمشتري فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الأولى وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بيتها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواب الكواكب السبعة وذلك لأن البروج أصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة ، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعهد كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب بوجود النفع عندها لا بها فهى من جملة الأسباب العادية فمن اعتقد تأثيرها بطبيعتها فقد كفر ، أو بقوة جعلها الله فيها فقد نسى (قوله وجعل فيها) أى السماء (قوله أى نيرات) صفة لموصوف محذوف أى كواكب نيرات ودخل فيها القمر لذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) أى لأن مواقيت العبادة تنبى على الشهور القمرية قال تعالى : يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله أى يخلف كل منهما الآخر) أى بأن يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) أى فاصله يثذكركم لئلا تالوا وأدغمت فى الدال (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) أى فى قوله : ولقد صرفناه بينهم ليدكروا .

قوله ما فاتته في أحدهما من خبر الخ (أي فمن فاتته شيء من الخبر بالليل أدركه بالنهار ومن فاتته بالنهار أدركه بالليل من فرائض
 يسئ وغيرها (قوله أو أراد شكورا) أو مانعة خلوة تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار
 ما آل إليه أمرهم ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية وإضافتهم إليه
 إلى للتشريف وإلا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال إضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة واستخص بهم
 الآخرة (قوله وما بعده) أي من الموصولات الثمانية التي أولها قوله الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا
 قوله إلى أولئك) أي وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أي وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى
 له متابا وهو ثلاث آيات . وحاصل ما ذكره من الأوصاف أن بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو
 صدره ان كقال (قوله أي بسكينه) أي تودة وتأن (قوله الجاهلون) أي السفهاء (قوله قالوا سلاما) أي مع القدرة على
 انتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما في الحديث «كاد الحليم أن
 يوق نبياء» وفي الحديث «يبليغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم» والآثار (١٥٥) في ذلك كثيرة (قوله والذين

يبيتون) شروع في ذكر
 معاملتهم للخلق إثر
 معاملتهم للخلق وخص
 البتوتة بالذكر لأن
 العبادة بالليل أبعد عن
 الرياء وفي الحديث لازال
 جبريل يوصيني بقيام الليل
 حتى علمت أن خيار أمتي
 لا ينامون ، وأخر القيام
 مراعاة للفواصل (قوله
 أي يصلون بالليل)
 هذا صادق بصلاة العشاء
 والصبح في جماعة ولكن
 كلما كثرت الصلاة بالليل
 كان خيرا (قوله والذين
 يقولون الخ) أي فهم

ما فاتته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر (أو أراد شكورا) أي شكرا لنعمة ربه عليه فيهما
 وعباد الرحمن مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجزون غير المعترض فيه (الذين
 يمشون على الأرض هونا) أي بسكينه وتواضع (وإذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه
 قالوا سلاما) أي قولاً يسمعون فيه من الإثم (والذين يبيتون لربهم سجداً) جمع ساجد
 وقِيَاماً) بمعنى قائمين أي يصلون بالليل (والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم
 نَعَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) أي لازماً (إنها ساءت) بنست (مستقرة ومقاماً) هي أي موضع
 استقرار وإقامة (والذين إذا أنفقوا) على عيالهم (لم يُسرفوا ولم يفتقروا) بفتح أوله وضمه
 يضيّقوا (وكان) إتفاقهم (بين ذلك) الاسراف والإقتار (قواماً) وسطاً (والذين
 لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله) قتلها (إلا بالحق ولا يزنون
 من يفعل ذلك) أي واحداً من الثلاثة (يلق أثاماً) أي عقوبة (يضاعف) وفي قراءة يضاعف
 التشديد (له المذاب يوم القيامة ويخلد فيه) بجزم الفعلين ،

مع حسن المعاملة للخلق والخلق ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجلون من هيئته (قوله
 ن عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا أصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراماً) أي في علمه تعالى (قوله أي لازماً) أي
 يوماً كلياً في حق الكفار ولزوماً بعده خروج في حق عصاة المؤمنين (قوله إنها ساءت) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز
 المذكور والمخصوص بالدم محذوف قدره بقوله هي (قوله مستقرة ومقاماً) هما بمعنى واحد وهو الذي يشير إليه المفسر وقيل
 مستقرة لعصاة المؤمنين ومقاماً للكافرين (قوله بفتح أوله) أي مع كسر التاء وضمها من باب ضرب ونصر وقوله وضمه
 أي مع كسر التاء لا غير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أي يضيّقوا) أي على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواماً)
 هو بمعنى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لا يدعون مع الله الخ) شروع
 ببيان اجتنابهم للمعاصي إثر بيان إتيانهم الطاعات (قوله إلا بالحق) أي لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا
 بسبب الحق بأن تكون مستعققة لاقتل المرتد والزاني المحصن والقاتل (قوله أي واحداً من الثلاثة) في بعض النسخ أي ما ذكر
 وهو المناسب لقوله يضاعف لأن الشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعف له العقوبة (قوله وفي قراءة يضاعف) أي فهم
 إراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل ورفعها فالقراآت أربع سبعيات .

(قوله بدلا) أى من يلق بدل اشتغال (قوله مهانا) أى ذليلا حقيرا (قوله إلا من تاب) استثناء متصل من الضمير فى يلقى
(قوله فأولئك) اسم الإشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبذل الله سيئاتهم) أى يحو ماسبق منهم من المعاصى بسبب التوبة
ويثبت مكانها الطاعات أوفيتها . وفى القرطبي ولا يبعد فى كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله
ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن جفأ الموت عقب التوبة
(قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك مايتوهم من اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال : من تاب وعمل صالحا فإنه يرجع إلى جزاء الله
فى الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لا يشهدون الزور) أى لا يحضرونه أو لا يشهدون به (قوله وإذا صرخوا باللغو) أى من غير
تقصد منهم له (قوله وغيره) أى وهو الفعل القبيح (قوله مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش (قوله بل
خروا سامعين الخ) أشار بذلك إلى أن النفى مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا ، والمعنى إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا
آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يأنسوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من للبيان (قوله بالجمع والأفراد)
أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ١٥٦) قرّة أعين) أى ما يحصل به سرورها (قوله واجعلنا للمتقين إماما)

بدلا وبرفعهما استثناء (مهانا) حال (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا) منهم (فأولئك
يبدل الله سيئاتهم) المذكورة (حسنات) فى الآخرة (وكان الله غفورا رحيمًا) أى لم يزل
متصفا بذلك (ومن تاب) من ذنوبه غير من ذكر (وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا)
أى يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا (والذين لا يشهدون الزور) أى الكذب والباطل
(وإذا صرخوا باللغو) من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) معرضين عنه (والذين إذا
ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم) أى القرآن (لم ينجسوا) يسقطوا (عليها صمًا وعميانا)
بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا) بالجمع
والأفراد (قرّة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك (واجعلنا للمتقين إماما) فى الخير (أولئك
يُجزَوْنَ العُرفَةَ) الدرجة العليا فى الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (ويُلَقَّوْنَ) بالتشديد
والتخفيف مع فتح الياء (فيها) فى العرفة (تحيةً وسلامًا) من الملائكة (خالدِينَ فيها حسنت
مُسْتَقَرًّا ومُقَامًا) موضع إقامة لهم ، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ (قل) يا محمد لأهل
مكة (ما) نافية (يعبوا) يكثر (بكم ربى لولا دعاؤكم) إياه فى الشدائد فيكشفها
(فقد) أى فكيف يعبا بكم وقد (كذبتم) الرسول والقرآن ،

أى اجعلنا هداة يقتدى
بنا فى مواسم الخيرات
والطاعات بأن نصفى
بواطننا من غيرك حتى
يصكون حالنا سببا فى
هداية الخلق ولذا قيل :
حال رجل فى ألف رجل
أنفع من وعظ ألف رجل
فى رجل ولفظ إمام يستوى
فيه الجمع وغيره فالمطابقة
حاصلة (قوله أولئك) اسم
الإشارة عائدا على المتصفين
بالأوصاف الثمانية (قوله
العرفة) اسم جنس أريد
به الجمع والعرفة أعلى
منازل الجنة وأفضاها كما
أن العرفة أعلا مساكن

الدنيا (قوله بالتشديد) أى ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف

(فسوف

أى ثمعناء يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لأن المراد بالتحية الأكرام بالهدايا والتحف وبالسلم
سلامه تعالى عليهم بالقول أو سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أى أو من الله أو من بعضهم لبعض
والمعنى تحييم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل أن قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع
بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان ، فالتحية الأكرام بالهدايا والتحف ، والسلام الدعاء إما من الملائكة أو من الله أو من
بعضهم لبعض (قوله خالدِينَ فيها) أى لا يموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) أى الواقع مبتدأ وقوله وما بعده : أى قوله
يجزَوْنَ الواقع خبره (قوله بل مايعبا بكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التى
بها العبادة لله ، فلو لا العبادة الواقعة من الخلق لم يكثر بهم ولم يعتد بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه ويعبده وبها
فهو شبيه بالبهائم قال تعالى - وما خافت الجن والانس إلا ليعبدون - فى العبادة يتنافس المتنافسون وبها يفوز الفائزون
(قوله لولا دعاؤكم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لفاعل

سوف يكون العذاب) أي الذي دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل
 ية ته يد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : خمس قد
 الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وقوله خمس أي خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعت بالفعل فالدخان هو
 إلى - يوم تأتي السماء بدخان مبين - والمراد به شيء يشبه الدخان وقد نزل بقريش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن
 بين السماء دخانا ، والقمر في قوله تعالى - اقتربت الساعة وانشق القمر - والروم في قوله تعالى - غابت الروم في أدنى
 - والبطشة في قوله تعالى - يوم نبطش البطشة الكبرى - وهي القتل يوم بدر واللزام هو الأسر يومها (قوله دل
 ما قبلها) أي وهو قوله قل ما يعبا بكم ربي والتقدير لولا دعاؤكم : أي طابكم من الله رفع الشدائد وأنتم تتعاقبون بأستار
 ما يعبا بكم أي ما يكثر بكم فلا يرفعها عنكم وقوله فقد كذبتم أي دمتهم على تكذيبه بعد إخراجهم من بينكم فسوف
 العذاب لازما لكم لا يرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء فتدبر .

ورة الشعراء] أي السورة التي ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى ، وقد ورد في فضل الطواسين أحاديث
 روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله أعطانى السبع الطوال (١٥٧) مكان التوراة وأعطانى الحسن
 مكان الانجيل وأعطانى

الطواسين مكان الزبور
 وفضلني بالحواميم والمفصل
 ماقرأهن نبي قبلي » (قوله
 إلا والشعراء إلى آخرها)
 أي وجملة أربع آيات
 (قوله طسم) هكذا
 كتبت متصلة بعضها
 ببعض وفي مصحف ابن
 مسعود ط س م مفصلة
 من بعضها وبها قرئ
 فينف على كل حرف
 وقفة يميز بها كل حرف
 وقرئ هنا وفي القصص
 بكسر الهمزة على البناء وأمال

وَفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل
 يوم بدر سبعون ، وجواب لولا دل عليه ما قبلها .

(سورة الشعراء)

مكية إلا : والشعراء إلى آخرها فمدني ، وهي مائتان وسبع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طَسْمَ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي هذه الآيات
 ات الكتاب القرآن ، والاضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر الحق من الباطل (لَعَلَّكَ)
 (بَاخِعَ نَفْسِكَ) قاتلها غمًا من أجل (أ) ن (لَا يَكُونُوا) أي أهل مكة (مُؤْمِنِينَ)
 هنا للاشفاق : أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم (إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ
 نَظْلًا) بمعنى المضارع : أي تظل أي تدوم (أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) فيؤمنون ، ولما
 ت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وَمَا يَأْنِيهِمْ ،

بعض القراء (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره وأسم
 رة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أي والمعنى آيات من الكتاب (قوله المظهر الحق من الباطل) أشار
 إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر ويصح أن يكون من بان اللازم بمعنى ظهر أي الظاهر إعجازه (قوله لعلك باخع نفسك)
 نسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من بجمع من باب نفع قتل نفسه من وجد أو غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أي
 جى بمعنى الأمر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله أي أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعي وبوصاها من الثلاثي والأول
 تعدى بمن كان بمعنى الخوف وإن تعدى بعلی كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله إن نشأ نزل عليهم الخ) هذا تسليية لرسول الله
 الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فانتا لو شئنا لإيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم
 منون قهرا عليهم ولكن سبق في علمنا شقاؤهم فعدم إيمانهم منا لا منهم فأرح نفسك من التوب القائم بها إن حرف شرط
 ما فعل الشرط ونزل جوابه (قوله آية) أي معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رؤوسهم كما وقع لبنى إسرائيل (قوله بمعنى المضارع)
 بذلك إلى أن قوله فظلت مستأنف ويصح أن يكون معطوفا على نزل فهو في محل جزم (قوله ولما وصفت الأعناق بالخضوع
 دفع بذلك ما يقال كيف جمع لأعناق بجمع العقلاء ؟ فأجاب بأنه لما ناسب بالخضوع لها وهو وصف العقلاء جمعها بالياء والتون

كقوله تعالى - رأيتم لي ساجدين - قالتا أتبتان طائعين - وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول حاضعة وهناك أجوبة أخر : منها أن المراد بالأعناق الرقضاء ، ومنها أن لفظ الأعناق متعجم والأصل فظلوها خاضعين ، ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) أي لأنه فهم من قوله يأتيهم لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله إلا كانوا عنه معرضين) أي غير متأملين له (قوله عواقب) أي وعبر عنها بالأنباء لأن القرآن أخبر عنها والمراد نزل بهم مثل منازل بمن قبلهم (قوله أو لم يروا إلى الأرض) أي إلى عجائبها والهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ وهذا بيان للأدلة التي تحدث في الأرض وقتا بعد وقت تدل على أنه منفرد بالآلوهية ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر (قوله كم أنبتنا فيها) كم في محل نصب مفعول لأنبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أي كثير النفع (قوله إن في ذلك لآية الخ) قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات (قوله في علم الله) هذا مبني على أصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب أن يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) أي الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) أي يظهر عزته الذي هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أي يظهر رحمته (قوله وإذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص : أولها قصة موسى وهرون . ثانيها قصة إبراهيم . ثالثها قصة نوح . رابعها قصة هود . خامسها قصة صالح . (١٥٨) سادسها قصة لوط . سابعها قصة شعيب ، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص

من ذكر (قرآن (من الرحمن يحدث) صفة كاشفة (إلا كانوا عنه معرضين . قد كذبوا) به (فسيتأتىهم أنباء) عواقب (ما كانوا به يستهزون . أولم يروا) ينظروا (إلى الأرض كم أنبتنا فيها) أي كثيرا (من كل زوج كريم) نوع حسن (إن في ذلك لآية) دلالة على كمال قدرته تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) في علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وإن ربك لهو العزيز) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين (و) اذكر يا محمد لقومك (إذ نادى ربك موسى) ليلة رأى النار والشجرة (أن) أي بأن (أنت القوم الظالمين) رسولا (قوم فرعون) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبنى إسرائيل باستعبادهم (ألا) الهمزة للاستفهام الإنكارى (يتقون) الله بطاعته فيؤخروا (قال) موسى (رب إني أخاف أن يكذبون . ويضيق صدري) من تكذيبهم لي (ولا ينطق لسانى) بأداء الرسالة ،

أن بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة في علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء وكافرها أشقى الأشقياء وحكمة التكرار الزيادة في إيمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت المنادة بل المراد ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت

(قوله ليلة رأى النار والشجرة) أي رأى النار موقدة

في الشجرة الخضراء وليس هذا مبدأ ما وقع في المنادة وإنما هو مافصل في سورة طه من قوله تعالى - إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا ، إلى قوله : لتريك من آياتنا الكبرى - (قوله أن أنت القوم الظالمين) يصح أن تكون أن مصدرية مشى عليه المفسر أو مفسرة لثمة جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى معناه من جميع جهاته بجميع أحوال من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل أنت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه أي فرعون وهذا قد مر بالأولى لأنه رأس الضلال (قوله وبنى إسرائيل) معطوف على أنفسهم والتقدير وظلموا بنى إسرائيل (قوله باستعبادهم) أي معاملتهم إياهم معاملة العبيد في استخدامهم في الأعمال الشاقة والصنائع الحسيسة نحو أر بعمائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثمائة (قوله للاستفهام الإنكارى) المناسب أن يقول للاستفهام التعجيبى لأن المعنى على الإنكار فاسد لأنه للنفي ومدخولها نفي وثلاثمائة النفي إثبات ، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك ، ويصح أن تكون ألا للعرض (قوله قال رب إني أخاف الخ) اعتذر من موسى لظهور العجز عن الأمر الذى كانه وقد أتى بثلاثة أعذار كل واحد منها مرتب على ما قبله (قوله ويضيق صدري ولا ينطق لسانى) هما بالرفع على الاستئناف أو عطاف على خبر إن عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول ولا يتصور من هذا الاعتذار الاعتناء على هذا الأمر اللهم بشرح الصدر وطاق اللسان وإرسال أخيه والأمن من القتل وقد

قوله في سورة طه رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني الآيات (قوله للعقدة التي فيه) أي
 اصل بسبب وضع الحجر عليه وهو صخر حين تنفح لحية فرعون فاغتم لذلك وهم بقتله فأشارت عليه زوجته أن يتحنه
 حرة وحجرة فأخذ الحجر بهو يل جبريل يده فوضعها على لسانه فحصل فيه ثقل في النطق (قوله فأرسل إلى هرون) أي
 مصر فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فومى جأته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وإن كان حاضرا وهرون
 رسالة في ذلك الوقت أيضا بواسطة جبريل (قوله معي) أي ليسكون معينا لي وهو بمعنى قوله في سورة القصص فأرسله
 اصدقني (قوله ولهم على ذنب) أي في زعمهم (قوله فأخاف أن يقتلون) أي فيفوت المقصود من الإرسال (قوله فيه
 حاضر على الغائب) أي بالنسبة لموسى وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة
 صوته بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع أنهما اثنتان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات
 معكم) أي معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) أي تعظيما لهما (قوله أي كلامنا) قدر ذلك لتحصل
 بين اسم إن وخبرها الذي هو الرسول حيث أفرد (قوله أن) (١٥٩) أرسل معنا بني إسرائيل) أي خلصهم

وأطلقهم (قوله فأتياه الخ) أشار بذلك إلى أن قوله
 قال ألم تر بك الخ مرتب
 على محذوف روى أنهما
 لما انطلقا إلى فرعون لم
 يؤذن لهما سنة في الدخول
 عليه فدخل البواب على
 فرعون وقال له ههنا
 إنسان يزعم أنه رسول
 رب العالمين فقال له
 فرعون أئذن له لعلنا
 نضحك معه فدخلوا عليه
 فوجداه قد أخرج سباعا
 من أسد وغور وفهود
 يتفرج عليها يخاف خدامها
 أن تبطش موسى وهرون

لتي فيه (فَأَرْسِلْ إِلَى) أَخِي (هَرُونَ) مَعِيَ (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ) بقتل القبطي منهم
 فُ أَنْ يَقْتُلُونِ) بِهِ (قَالَ) تَعَالَى (كَلَّا) أَي لَا يَقْتُلُونَكَ (فَاذْهَبَا) أَي أَنْتِ وَأَخُوكَ ،
 لِيَبِ الحَاضِرِ عَلَى الغَائِبِ (بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) مَا تَقُولُونَ وَمَا يُقَالُ لَكُمْ
 مَجْرَى الجَمَاعَةِ (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا) أَي كَلَّا مَنَا (رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إِلَيْكَ
 أَي بَأْنِ (أَرْسِلْ مَعَنَا) إِلَى الشَّامِ (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فَأْتِيَاهُ فَقَالَا لَهُ مَا ذَكَرَ (قَالَ)
 لِمُوسَى (أَلَمْ تَرُبُّكَ فِينَا) فِي مَنَازِلِنَا (وَلِيدًا) صَغِيرًا قَرِيبًا مِنَ الْوِلَادَةِ بَعْدَ نِطَامِهِ
 تَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) ثَلَاثِينَ سَنَةً يَلْبَسُ مِنْ مَلَابِسِ فِرْعَوْنَ وَيَرْكَبُ مِنْ مَرَاكِبِهِ
 سَمَى ابْنَهُ (وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ أَتَى فَعَلْتُ) هِيَ قَتَلَهُ الْقَبْطِي (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)
 يَنْ لِنَعْمَتِي عَلَيْكَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعَدَمِ الْإِسْتِعْبَادِ (قَالَ) مُوسَى (فَعَلْتُهَا إِذَا) أَي حِينَئِذٍ
 مِنَ الضَّالِّينَ) عَمَّا آتَانِي اللَّهُ بَعْدَهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالرَّسَالَةِ (فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
 لِي رَبِّي حُكْمًا) عَلَمَا (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) أَصْلُهُ تَمُنُّ
 (أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بَيَانٌ لَتِلْكَ أَي اتَّخَذْتُهُمْ عِبِيدًا

وا إليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهرون فأقبلتا ناحس أقدامهما وتباصق خدودها بفخذيها ففجع فرعون من
 ما لهما قال ما أتتهما قال لا إن رسول رب العالمين فعرف موسى لأنه نشأ في بيته فقال ألم تر بك فينا وليدا الخ فأتين عليه أولا بنعمة
 . وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطي (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ماورد على الآية بأن
 يطلق على الولود حال ولادته وأبس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم أخذه فرعون بعد الفطام والأولى بإبقاء
 على ظاهرها لأن موسى وإن كان عند أمه إلا أنه تحت نظر فرعون فهو في تربيته من حين ولادته (قوله من عمره)
 من سنين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) أي اتخذك لي عبدا مثل بني إسرائيل (قوله حينئذ) هذا
 في لاجل إعراب وهي حرف جواب فقط ، وقيل حرف جواب وجزاء (قوله هما آتاني الله بعدها الخ) أي فلبس على
 في تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ ، أو المعنى من المخطئين لامن التعمدين (قوله وجعلني من الرسلين) في ذلك
 وبخه به فرعون وهو القتل بغير حق فكانه قال كيف تدعي الرسالة وقد حصل منك مايقدر في تلك الدعوى فأجابه
 بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة ثم أتته بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وأن عبدت الخ
 بيان موضح للبند كما قاله المفسر (قوله أصله تمن ما على) أي لحذف الجار فاقصص الضمير فهو من باب الحذف والإيصال

(قوله ولم تستعبدني) أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إياي لأن استعبادك غيري ظلم وقد نجاني الله منه (قوله وقدم بعضهم) أي وهو الأخفش (قوله أول الكلام) أي والأصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) أي وهو بمعنى النفي (قوله أي شيء هو) أي وذلك لأن ما يستل بها عن الحقيقة . والمعنى أي جنس هو من أجناس الوجودات (قوله وما بينهما) أي جنس السموات والأرض ، فاندفع ما قيل لم نفي الضمير مع أن مرجعه جمع (قوله إن كنتم موقنين) أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها (قوله من أشرف قومه) أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذي لم يطابق السؤال) أي لأن ما يستل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يستل عنها بأي والعدول عن المطابقة لأن السؤال عن الحقيقة عبث (١٦٠) وسفه لاستحالته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الأولين) إنما ذكر ذلك

لأن نفوسهم أقرب الأشياء إليهم (قوله وهذا) أي الجواب (قوله ولذلك) أي لشدة غيظه (قوله قال إن رسولكم) سماه رسولا استهزاء وأضافه إلى مخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويذهب بها من المغرب (قوله إن كنتم تعقلون) أي إن كان لكم عقل ، وفيه رد لقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم المجنون (قوله قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا (قوله له موسى) (أو لو) أي أفعل ذلك ولو (جئت بك بشيء مبين) أي برهان بين على رسالتي (قوله فرعون له) (فأت به) إن كنت من الصادقين) فيه (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فإذا هي بيضاء ذات شعاع) (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قوله فرعون) (السلام حوله) إن هذا ساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) فإذا تأمرون قاتلوا أرحمهم وأخاه) أخر أمرها (وأبعث في المدن حاشرين) جامعين (بأنوك بكل ساحر عليم) يفضل موسى في علم السحر (فجميع السحرة لميقات يوم معلوم) وهو وقت الضحى

ولم تستعبدني لانهمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم ، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذي قلت إنك رسول: أي أي شيء هو ، ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي خالق ذلك (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون (لِمَنْ حَوْلَهُ) من أشرف قومه (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) جوابه الذي لم يطابق السؤال (قَالَ) موسى (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) وهذا وإن كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك (قَالَ) إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . (قَالَ) موسى (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن كنتم تعقلون) أنه كذلك فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون لموسى (لَئِنْ أَخَذْتُ بِالْغَيْرِى لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا (قَالَ) له موسى (أَوْ لَوْ) أي أفعل ذلك ولو (جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) أي برهان بين على رسالتي (قَالَ) فرعون له (فَأْتِ بِهِ) إن كنت من الصادقين) فيه (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضُ ذَاتِ شُعَاعٍ) (لِلنَّازِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ) فرعون (السلام حوله) إن هذا ساحر عليم) فائق في علم السحر (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) فإذا تأمرون قاتلوا أرحمهم وأخاه) أخر أمرها (وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (بِأَنُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) يفضل موسى في علم السحر (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) وهو وقت الضحى

من موسى فزعا شديدا حتى كان

اللعين لا يسك بوله (قوله أي أفعل ذلك) أشار إلى أن الهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله فأت به) إنما أمر فرعون بالاثبات به لظنه أنه يقدر على معارضته (قوله ونزع يده) أي من جيبه قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال هل لك غيرها ؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يفسى الأبصار ويسد الأفق (قوله الأدمة) أي السمرة (قوله حوله) ظرف في محل الحال (قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم) لما رأى تلك الآيات الباهية خاف على قومه أن يتبعوه فتنزل إلى مشاربهم بعد أن كان مستقلا بالرأى والتدبير ، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فإذا تأمرون) أي أي شيء تأمرونني به (قوله إنهم) مجزوم في جواب الأمر (قوله يفضل موسى) أي يفوز ويريد عليه .

قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم ، وقيل كان يوم - وقي (قوله والترجي على تقدير غلبتهم) أى الترجي على فرض الغلبة
تتضمنه الاتباع (قوله على الوجهين) أى تحقيقهما وتسهيل الثانية وكان عليه أن يقول وتركه أى ترك الإدخال على الوجهين
تكون القراءات أربعة (قوله لأجرا) أى أجرة وجعلا (قوله قال نعم) أى لكم الأجرة على عماكم السحر وزادهم بقوله
إنكم إذا الخ (قوله فالأمر فيه) جواب عما يقال كيف يأمرهم بفعل السحر مع أنه لا يجوز الأمر به لأن الأمر به رضا والرضا
لكفر كفر . وحاصل الجواب أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسنا له ، وأما الأمر به للتوسل لا بطلاله فليس فيه
شحن ولا رضا بل هو المدوح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى نقسم ونخلف بعزة فرعون وأقسموا لفرط اعتقادهم
أنفسهم أنهم غالبون (قوله من الأصل) أى أصل الصيغة (قوله) (١٦١) يعلونه) أى يغيرونه عن حاله الأول
من الجمادية إلى كونه

حية تسمى وقوله بتوحيهم
الباء سببية (قوله فالتقى
السحرة) أى خروا
وسقطوا ساجدين لما رأوا
من باهر المعجزة فلم
يتمالكوا أنفسهم (قوله
رب موسى وهرون)
بدل مما قبله للتوضيح
وللاشعار بأن سبب
إيمانهم ما أجراه الله على
يد موسى وهارون (قوله
وابدال الثانية ألفا) صوابه
الثالثة لأنها هي المنقلبة
ألفا وترك قراءة أخرى
وهي حذف الأولى من
الهمزتين وقلب الثالثة
ألفا (قوله فعلمكم شيئا
منه وغلبكم بآخر) أى
أخفاه منكم وأراد فرعون
بهذا الكلام التليس على
قومه لئلا يعتقدوا أن

من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلمنا نتبع السحرة إن كانوا هم
الغالبين) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم
فلا يتبعوا موسى (فلمّا جاء السحرة قالوا لفرعون أئنّا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية
وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لنّا لأجرا إن كنّا نأمن الغالبين . قال نعم وإنكم
إذا) أى حينئذ (لنّ المقرّين . قال لهم موسى) بعد ما قالوا له إما أن تأتى وإما أن نكون
من الملقين (ألقوا ما أنتم ملقون) فالأمر فيه للاذن بتقديم إلقاءهم توسلا به إلى إظهار
الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنأمن الغالبون . فالتقى موسى
عصاه فإذا هي تلقف) بحذف إحدى التاءين من لأصل تتلع (ما يافكون) يعلونه
بتوحيهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى (فالتقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا
رب العالمين . رب موسى وهرون) لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر (قال)
فرعون (أأمنتم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (له) لموسى (قبل أن آذن) أنا
(لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر (فأسوف
تقلمون) ما ينالكم منى (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى يد كل واحد اليمنى
ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين . قالوا لأضرب) لا ضرر علينا فى ذلك (إنا إلى ربنا)
بعد موتنا بأى وجه كان (منقلبون) راجعون فى الآخرة (إنا نطمع) نرجو (أن يغير
لنا ربنا خطايانا) أى بأن (كنّا أول المؤمنين) فى زماننا (وأوحينا إلى موسى)
بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوا (أن أمر

السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حاصله أنهم لما آمنوا باجمعهم اشتد
خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم فى الإيمان فنفر الباقي بقوله لأقطعن الخ (قوله إنا إلى ربنا منقلبون) تعليل لنفى
الضير وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف ولم يرد فى القرآن ما يدل على أنه فعل (قوله فى زماننا) أى من أتباع فرعون فلا
ينافى أن بنى إسرائيل سبقوهم بالإيمان (قوله وأوحينا إلى موسى) يحتمل أن يكون الوحي بتكليم الله له أو على لسان جبريل (قوله
بعد سنين) أى ثلاثين وذلك أن موسى مكث فى مصر أولا ثلاثين ، وفى مدين عشر سنين ثم لما رجع إلى مصر ثانيا مكث
يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة ثم أغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجعله عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله)
أى باقى التسع لأن موسى افتتحهم أولا بالعصا واليد فلم يؤمنوا فجاءهم بالسنين المجدة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس على أموالهم فلم ينفذ فيهم ذلك وقد سبق ذلك مفصلا فى الأعراف .

(قوله بعبادي) الإضافة للتشريف ، والمعنى سر بعبادي المختصين برحمي وإلا فالكل من حيث الحاق عباده (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أي سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله إلى البحر) أي بحر التلزم فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بني إسرائيل يراجع في ذلك فيقول هكذا أمرني ربي فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش (قوله إنكم تتبعون) علة للأمر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روي أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون إن لنا في هذه الليلة عيداً ثم استعاروا منهم حلبيهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) أي وجملة جيشه ألف ألف وستمائة (قوله فاعلون ما يفيضنا) أي حيث خالفوا ذيقنا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبقارنا لما روي : أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبقار القبط وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم يذبحوا (١٦٢) أولاد الضأن ويأطخوا أبوابهم بدمائهم لتمييز الملائكة بيوت

بني إسرائيل من بيوت القبط فذخات الملائكة فقتلت أبقارهم فأصبحوا مشغولين بموتهم وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وإنا لجمع حذر) أي من عادتنا الحذر والحزم في الأمور (قوله وفي قراءة الخ) أي وهي سبعة أيضا بمعنى الأولى ، وقيل الحذر التيقظ والحذر الخائف (قوله كانت على جانبي النيل) أي من أسوان إلى رشيد . قال كعب الأحبار : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا سيحان وجيحان والنيل

بعبادي) بني إسرائيل ، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة في أسرى أي سر بهم ليلا إلى البحر (إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجئون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فِي الْمَدَائِنِ) قيل كان له ألف مدينة واثنان عشر ألف قرية (حَاشِرِينَ) جامعين الجيش قاتلاً (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ) طائفة (قَلِيلُونَ) قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقتلهم بالنظر إلى كثرة جيشه (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) فاعلون ما يفيضنا (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) متيقظون وفي قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أي فرعون وقومه من مصر ليأحقوا موسى وقومه (مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبي النيل (وَعُيُونٍ) أنهار جارية في الدور من النيل (وَكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب والفضة ، وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله تعالى منها (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم (كَذَلِكَ) أي إخراجنا كما وصفنا (وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه (فَأَتْبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ) أي رأى كل منهما الآخر (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به (قَالَ) موسى (كَلَّا) ،

والفرات فسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة والنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الحمر في الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين ، وقيل المراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها بالذرة لأن ما فوق الأرض انطمس وحينئذ فسميتها كنوزاً ظاهر (قوله مجلس حسن للأمرء والوزراء) قيل كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمرء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب ، وقيل القام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله أي إخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمدحهم (قوله وأورثناها) أي الجنات والعيون والكنوز ، وقيل المراد أورثنا بني إسرائيل ما استعاروه من حلي آل فرعون ، والأحسن أن يراد ما هو أعم فإن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الأرض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) أي يوم الملاقاة وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم لأنهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم .

(قوله أي لن يدركونا) أشار بذلك إلى أن كلا للنبي ، والمعنى لا يبذل لهم علينا لأن الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فأوحينا إلى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاج فصار يرمى بوج كالجبال فصار بنو إسرائيل يقولون أين أمرت فرعون من خلفنا والبحر أمامنا وموسى يقول ههنا فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يتزل سرجه ولا لبده (قوله اثني عشر فرقا) أي قطعة بعدد أسباط بني إسرائيل (قوله بينها مسالك) أي بين اثني عشر فرقا (قوله على هيئته) أي وهي انه لاقه اثنتا عشرة فرقة (قوله وحز قيل) هو المذكور في قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى أي وكانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة (قوله التي دلت على عظام يوسف عليه السلام) وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر فسأل على قبره فلم يعرف إذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن في قبر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام .

فائدة — قال قيس بن حجاج : لما فتحت مصر أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بثونة من أشهر القبط فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجري إلا بها فقال لهم وما ذاك فقلوا إذا كان (١٦٣) لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا

الشهر عمدنا إلى حارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحملا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون في الاسلام وإن الاسلام ليهدم ما قبله ، فأقاموا بثونة وأيب ومسرى لايجرى قليلا ولا كثيرا وهما بالجللاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعلمه بالقصة ، فكتب إليه عمر

أي لن يدركونا (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضربه (فَانْفَلَقَ) فانشق اثني عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يتزل منها سرج الراكب ولا لبده (وَأَزَلَقْنَا) قربنا (ثُمَّ) هناك (الْآخِرِينَ) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ) بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي إغراق فرعون وقومه (لَايَةً) عبرة لمن بعدهم (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحز قيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التي دلت على عظام يوسف عليه السلام (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَزُّ الْكَافِرِينَ) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرَّحِيمِ) بالمؤمنين فأنجاهم من الفرق (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ) أي كفار مكة (نَبَأَ) خبر (إِبْرَاهِيمَ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) أي تقيم نهارا على عبادتها زادوه في الجواب افتخارا به (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ

ابن الخطاب : إليك قد أصبت بالذي فعات وإني قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي فالتقها في النيل إذا أتاك كتابي ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجروا وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ إبراهيم) عطف على اذ كر العامل في قوله : وإذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله أي كفار مكة) خصهم بالدكر لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) أي بدل مفصل من مجمل (قوله ماتعبدون) ما سمع استفهام معمول لتعبدون ، والمعنى ما هذا الذي تعبدونه أي ما حقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس أن يقولوا أصناما كقوله : ويسألونك ماذا ينفعون قل العفو . فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه مافيه الافتخار (قوله أي تقيم نهارا على عبادتها) هذا معنى نزل الأصل ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زادوه) أي قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت في الأصنام في الماضي والحال والمستقبل ولا بد من محذوف هنا دل عليه قوله : إذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم .

(قوله إذ تدعون) إذ هنا بمعنى إذا استحضارا للحال المضية وحكاية لها تبكيثا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله إبراهيم وإنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفأنتم) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أنأملتكم فعلمتم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآبأؤكم) عطف على الضمير في تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير المنفصل . قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل

(قوله فأنهم عدو لي) أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فأنهم عدو لكم . قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل ؟ أجيب بأجوبة منها : أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا ، ومن أن الكلام على حذف مضاف : أي فإن أصحابهم عدو لي ، ومنها أن الكلام على القاب : أي فاني عدو لهم (قوله إلا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدو بل هو ولي في الدنيا والآخرة (قوله الذي خلقني) نعمت رب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهديني) أي بالفاء هذا وفي قوله فهو يشفين لترتب الهداية على الحاق والشفاء على المرض بخلاف الاطعام والاسقاء فليس بينهما ترتيب وآتى ثم في جانب الإحياء لبعده زمنه عن زمن (١٦٤) الموت لأن المراد به الأحياء في الآخرة (قوله إلى الدين) أي وغيره من مصاح

دنياي وآخرتي وإنما خص الدين لأن المقام للردة ولأنه هم (قوله والذي هو يطعمني ويسقين) أي في الدنيا والآخرة (قوله وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وإن كان الكل من الله تأديبا كما قال تعالى - بيدك الخير - ولم يقل والشر ، وقال الخضر : فأردت أن أعيبها ، وقال فأراد ربك

أن يبلغا أشدهما (قوله والذي أطعم) عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب مع أنها حاصلة . اهدم اعتماده عليها (قوله أن يغفر لي) ذكر ذلك تواضعا وتعلما للأمة وإلا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لي حكما) لما ذكر تلك الأوصاف قوى رجاءه في ربه فطلب منه معالي الأمور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) أي زيادة في (قوله وألحقني بالصالحين) أي في العمل أو في درجات الجنة (قوله واجعل لي لسان صدق) من إضافة الموصوف للصفة : أي ذكر حسنا من باب تسمية الشيء باسم آله (قوله الذين يأتون بعدي) وقد أجابه الله تعالى فما من أمة من الأمم إلا وهي تحييه ونفا عليه بخير سيما في هذه الأمة لعمدة خصوصا المؤمنين منهم فأنهم يذكرونه بخير في كل تشهد وإعطاء ذلك لينتفع به هو وينتفع به المني لكن بشرط الإيمان ، وأما حديث « من أحب قوما حشر معهم وإن لم يعمل بعملهم » فمعناه إذا اشتراكوا معهم في الإيمان وإن لم يصالحوا لمقامهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أي مندرجا فيهم ومن جملتهم وإضافة جنة النعيم من إضافة المحل إلى الحال في فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك ، وقد أجابه الله في جميع دعواته سوى الدعاء بالغفران لأبيه (قوله بأن تتوب عايه الخ) طاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حي ولكن يناهيه قوله - وهذا قيل أن يتبين له - فإن التبين المذكور إنما حصل بموته كافرا وحينئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان وإنما يصح لو كان المراد الدعاء له بتغفر الذنوب على حاله التي هو عليها . وأجيب بأنه لا مانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافرا وهو حي وحينئذ فقد صح ما قاله المفسر (قوله وهذا) أي الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر في سورة براءة) أي في قوله - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه - الآية (قوله تفضحني

أى تكشف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجوز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لاشرا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ من كلام الله تعالى ويصح أن يكون من كلام إبراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من أتى الله الخ) أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره أحدا فتحصل أن الاستثناء إما منقطع إن جعل من قوله مال ولا بنون أى يكون المعنى لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينتفع أو متصل إن جعل من المفعول الذى قدره المفسر، والتقدير لا ينفع المال والبنون أحدا إلا الذى أتى الله بقلب سليم فإنه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قاب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى أنفقه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (قوله وأزلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف ويعرفون مافىها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وبرزت الجحيم للغاوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع مافىها من أنواع العذاب فتحصل لهم الساءة والأحزان ويوقنون بأنهم واقعوها ولا يجدون (١٦٥) عنها مصرفا (قوله وقيل لهم)

أى على سبيل التوبيخ (قوله أين ما كنتم تعبدون) أين خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد أخرى لأن الكعبة تكرير الكعب وهو الإلقاء على لوجه كأن من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها (قوله والغاوون) عطف على ضمير كعبوا و-وغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف

قال تعالى فيه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أحداً (إِلَّا) لكن (مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك والنفاق وهو قلب للمؤمن فإنه ينفعه ذلك (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) فيرونها (وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ) أظهرت (لِلْغَاوِينَ) الكافرين (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) من دون الله أى غيره من الأصنام (هَلْ يَنْصَرُونَكُمْ) بدفع العذاب عنكم (أَوْ يَنْتَصِرُونَ) بدفعه عن أنفسهم ، لا (فَكُبْكِبُوا) ألقوا (فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس (أُجْمَعُونَ) قَالُوا) أى الغاوون (وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) مع معبوديهم (تَاللَّهِ إِنَّ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (كُنَّا لَنَافِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِذْ) حيث (نُسَوِّيَكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فى العبادة (وَمَا أَضَلُّنَا) عن الهدى (إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) أى الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى يهمة أمرنا (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لو هنا للتمنى ونكون جوابه (إِنْ فِي ذَلِكَ) المذكور من قصة إبراهيم وقومه (لَايَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم له لاشتراكهم فى الجحىء بالتوحيد ، أولأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل ، وتأنيث قوم باعتبار معناه ،

تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال إنها فى الآية مهمة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام . قال ابن مالك * وخففت إن فقل العمل * الخ (قوله إذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله أو أولونا) أى السابقون علينا وهو جمع أول (قوله من الملائكة والنبيين الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لماورد « لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » (قوله ولاصديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان : أى خاصته أو الخالص ويؤيده قول المفسر : أى يهمة أمرنا ، وقوله يهمة بضم أوله وكسر ثانيه ويفتح أوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) أى فهو منصوب فى جواب التنى (قوله لآية) أى عظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فانها على أحسن ترتيب (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الأنبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع أنهم إنما كذبوا - ولا واحدا وهو نوح فأجاب بأن تكذيبهم له تكذيب للباقي فالجمع على حقيقته ، وقوله أولأنه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتأنيث قوم)

أى تأييد الفعل السند إليه وقوله باعتبار معناه أى وهو الأمة والجماعة (قوله وتذكيره) أى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله إذ قال لهم ولا مفهوم لقوم بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لمذكر أو مؤنث كذلك (قوله نسباً) أى لافى الدين (قوله نوح) تقدم أن اسمه عبد الغفار أو يشكر ونوح لقبه (قوله ألا تتقون) ألا للعرض (قوله إني لكم رسول أمين) إنما أخبر بذلك ليتبين وليس قصده الافتخار (قوله فأتقوا الله) أى امتثلوا أوامرهم واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول أى أجره وجعلاً (قوله كرره تأكيذاً) أى وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة والثانى على عدم سؤاله أجراً منهم (قوله قالوا) أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من إيمانهم وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس خالصاً لوجه الله بل هو طمع فى أن ينالهم شئ من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره أنها سبعة وليس كذلك بل هى عشرة ية والمعتمد جواز القراءة بها (قوله وأتباعك) مبتدأ وخبره الأرذلون ، وأما القراءة الأولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال (قوله الأرذلون) جمع أرذل كالأكبرون جمع أكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عوائقهم كالرياسة والغنى فان ذلك موجب (١٦٦) للألفة عن الاتباع (قوله قال وما علمى) يحتمل أن تكون بالاستفهامية

وإليه يشير القصر بقوله أى علم لى ويحتمل أن تكون نافية (قوله بما كانوا يعملون) أى لم أكف العلم بعتائدهم الباطنية وإنما كفت أن أدعوهم إلى الإيمان (قوله إن حسابهم) أى حساب بواطنهم (قوله ما عبتموهم) قدره إشارة إلى أن لو شرطية حذف جوابها (قوله وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما فهمه من طردهم طرد الضعفاء وهذا كما سألت قریش النبي صلى الله عليه وسلم

وتذكيره باعتبار لفظه (إذ قال لهم أخوهم) نسباً (نوح ألا تتقون) الله ، (إني لكم رسول أمين) على تبليغ ما أرسلت به (فأتقوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته (وما أسألكم عليه) على تبليغه (من أجر إن) ما (أجرى) أى ثوابى (إلا على رب العالمين) فأتقوا الله وأطيعون (كرره تأكيذاً) قالوا أنؤمن (نصدق لك) لقولك (وأتبعك) وفى قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ (الأرذلون) السفلة كالحاكة والأسا كفة (قال وما علمى) أى علم لى (بما كانوا يعملون) (إن) ما (حسابهم إلا على ربى) فيجاز بهم (لو تشعرون) تعلمون ذلك ما عبتموهم (وما أنا بطارد المؤمنين) (إن) ما (أنا إلا نذير مبين) بين الانذار (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول لنا (لتكونن من المرجومين) بالحجارة أو بالشم (قال) نوح (رب إن قومى كذبون) فافتح بينى وبينهم فتحة أى احكم (ونجنى ومن معى من المؤمنين) قال تعالى فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون (المملوء من الناس والحيوان والطير) ثم أغرقنا بعد أى بعد إنجائهم (الباقين) من قومه (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) وإن ربك هو العزيز الرحيم . كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم

أن يطردهم الموالى والفقراء كما تقدم فى سبب نزول قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (قوله إن أنا إلا نذير مبين) أى للسكاكين أعزاء وغيرهم فكيف يلبق مقي طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) أى تترك ما أنت عليه من معارضتنا (قوله قال رب إن قومى كذبون) إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم كأنه قال إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك ، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبى وأصرّوا عليه بعد ما كررت عليهم الدعوة وسيأتى تفصيل ذلك فى سورة نوح فى قوله : قال رب إني دعوت قومى ليلاً ونهاراً الخ (قوله فافتح بينى وبينهم فتحة) من الفتاحة بالضم والكسر وهى الحكومة أى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معى من المؤمنين) أثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون فى الاتباع وكان من معه من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء على أحد أقوال تقدمت (قوله ثم أغرقنا بعد) أى بالطوفان حيث التقى ماء السماء على ماء الأرض (قوله الباقين من قومه) أى صغاراً وكباراً فالهلاك الدنيوى عم الكبار والصغار والبهائم وأما فى الآخرة فالخلود فى النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا إلى آخرها فيدخلون الجنة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم أبى قبيلة هود الأعلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد وقوله الراسخين المراد هود وإنما جمع لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع لاشتراك الكل فى الهوى بالتوحيد .

اليم مع فتح النون أو وضعها
 وهو الحوض أو البركة تجعل
 تحت الأرض كالصهاريج
 (قوله كأنكم) فسر لعل
 بكنّ بدليل القراءة
 الشاذة كأنكم تخلدون
 والأولى إبقاء لعل على
 بابها من الترجى ويكون
 المعنى راجين أن تخلدوا
 في الدنيا بسبب عملكم
 عمل من يرجو ذلك لأن
 محسب لعل بمعنى كأن
 لم يرد (قوله وإذا بطشتم)
 أي فعلتم فعل الجبارين
 من الضرب بالسياط والقتل
 بالسيف (قوله فاتقوا الله)

في ذلك) أي فيما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله الذي أمدكم) أي أعطاكم المدد وهو النعم (قوله أمدكم بأنعام) بدل مما قبله بدل
مفصل من مجمل (قوله وبنين) أي ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله إني أخاف عليكم) أي إن دمتم على مخالفتي ولم
تشكروا على هذه النعم بعد بعثتني (قوله في الدنيا) أي بالريح العقيم وقوله وفي الآخرة أي بالخلود في النار (قوله أم لم تكن
من الواعظين) هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ لأن المعنى سواء علينا أوعظت بأمر كنت من أهل الوعظ أم لم تكن أصلا
من أهل الأمر بأن كنت أميا مثانا ولست نبيا (قوله أي لا ترعوى لوعظك) أي لا ترتدع ولا تنكف له (قوله إلا خلق الأولين)
أي من تقدموا قبلك كشيت ونوح فانهم كانوا يختلفون أمورا فاقتديت بهم فاسم الإشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم
به (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا وعاياها فاسم الإشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أي طبيعتهم وعادتهم)
أي عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعدين) أي على ما فعلناه
من الأعمال (قوله فكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أي الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لأماء فيها
وسلطن عليهم سبع ليل وثمانية أيام أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وكانت في أواخر الشتاء وسيقاتي
بسطها في سورة الحاقة .

(قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل أقلهم كانوا مع هود في حظيرة تنسم عليهم ريح لينة حتى مضت تلك المدة ، فأخذهم وهاجر من تلك الأرض إلى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الرحيم) أى النعم على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت ثمود) اسم أبى قبيلة صالح الأعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى أيضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله للرسلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله أخوهم) أى في النسب لاجتماعهم معه في الأدب الأعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (قوله ألا تتقون) تقدم أن ألا أداة عرض كما في قول الشاعر :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فمأواه كمن صمما

وحكمة التعبير أولا بالعرض تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين لقصر عقولهم وجهلهم (قوله أتركون) الاستفهام إنكارى توبيخى وما اسم موصول بينها المفسر بقوله من الخيرات وهنا اسم إشارة للكان القريب والمراد دار الدنيا ، والمعنى أنظنون أنكم تتركون في الدنيا متمتعين بأنواع النعم والشهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون بأوامر ونواه ولا تحاسبون على شيء فيها لا نظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفاني والاشتغال بالباقي (قوله في جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجارة (قوله ونخل) هو اسم جنس جمى واحده نخلة يذكر ويؤث ، وأما النخيل بالياء فهوثة اتفاقا (قوله طلعتها) هو ثمرها في أول ما يطلع الكنصل السيف في جوفه شاربج (١٦٨) القنو وبعده الاغريض ويسمى خلا لا ثم الباج ثم الزهو ثم البسر ثم

لرطب ثم التمر يجمعهما قولك «طاب زبرت» فاطوار النخيل سبعة كاطوار الانسان ولداورد في الحديث «أكرموا عماتكم النخل» وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار (قوله وتنجحون من الجبال) أي أطعموا أمم السرفين الذين يفسدون في الأرض (بالمعاصي) (ولا يصلحون) (أنت) أيضا (إلا بشر مثلنا) فأت بآية إن كنت من الصادقين في رسالتك (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء (وأكرم شرب يوم معلوم) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) معظم العذاب (فمقرؤها) أى عقرها بعضهم برضاهم (فأصبحو

لرطب ثم التمر يجمعهما قولك «طاب زبرت» فاطوار النخيل سبعة كاطوار الانسان ولداورد في الحديث «أكرموا عماتكم النخل» وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار (قوله وتنجحون من الجبال) أي أطعموا أمم السرفين الذين يفسدون في الأرض (بالمعاصي) (ولا يصلحون) (أنت) أيضا (إلا بشر مثلنا) فأت بآية إن كنت من الصادقين في رسالتك (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء (وأكرم شرب يوم معلوم) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) معظم العذاب (فمقرؤها) أى عقرها بعضهم برضاهم (فأصبحو

نادمين

كان يمش ثلثمائة سنة إلى ألف (قوله بطرين) أى لنعم ربكم (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله حادقين) أى ساهرين في العمل (قوله ولا تطيعوا أمر السرفين) الاسناد مجازى في النسبة ، والأصل ولا تطيعوا السرفين في أمرهم (قوله الذين يفسدون في الأرض) صفة للسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك مايتوهم أنه يقع منهم الاصلاح في بعض الأوقات (قوله ما أنت إلا بشر مثلنا) أى فكيف تدعى أنك رسول إلينا (قوله قال هذه ناقة) الإشارة إليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن أبى موسى الأشعرى قال رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) أمرهم صالح بأمرين الأول قوله لها شرب . الثانى قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) أى فهى تشرب منه يوما وأنتم تشربون منه يوما لاتزاحمكم ولا تزاحمونها وفي يومها تشربون من لبنها (قوله فمقرؤها) أى يوم الثلاثاء وأخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على زول العذاب بهم وهو أنهم في اليوم الأول نصفر وجوههم ثم تحمر في اليوم الثانى ثم تسود في اليوم الثالث (قوله أى عقرها بعضهم) أى وهو قدار وكان قصيرا أزرق وكان ابن زنا ضربها في ساقها بالسيف . قال السدى وغيره : أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك ، فلو ما كنا لنعمل فقال لهم صالح إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الاقلنا فولد لثلاثة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان

العاشر أزرق أحمر فنبث نباتا صريحا فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا ، ولغضب
سعة على صالح لأنه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لتبئته وأهله فقالوا نخرج إلى سفر فبصر الناس سفرا فأنكسروا
فخرجوا إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتبعه فقنانه ثم قلنا ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقون ويعلمون
قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم بما دخلوا الغار أرادوا أن
يرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم ، فرأى ذلك ناس من كان قد اطاع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله أما رضى صالح أنه
يقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله نادمين على عقرها) إن قلت لم يرفع عنهم العذاب بسبب
مهم . أجيب بأن ندمهم لحوف نزول العذاب فقط لا توبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة
بذنب الاسمين الإشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار لا يغادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحدا فكل من
لمهر الاسمين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) أى في البلد بسبب السكنى والمجاورة لافى النسب لأنه ابن أخى إبراهيم عليهما
سلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسدوم وقراها (قوله الذكران) جمع
كرأى أدبارهم (قوله أى من الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات غير (١٦٩) العاقلة فهذه الحصلة القبيحة لم تكن

في أحد قبل قوم لوط
ثم لما خسف بهم تنوسيت
حتى ظهرت في هذه الأمة
الحمدية فأن الله وإنا إليه
راجعون (قوله ما خلق
لكم أى أحل وأباح
(قوله أى أقبالهن) أى
لأنه محل نبات البذر قال
تعالى: نساؤكم حرث لكم
فاتوا حرثكم أنى شئتم
(قوله عادون) أى متعدون
(قوله من القالين) متعلق
بمحذوف خبر إن أى لقال
من القالين ومن القالين
صفته ولعملكم متعلق

أدمين) على عقرها (فأخذهم العذاب) الموعود به فهلكوا (إن في ذلك لآية وما كان
كثيرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم. كذبت قوم لوط المرسلين. إذ قال
لهم أخوهم لوط ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم
عليه من أجر إن) ما (أجرى إلا على رب العالمين. أتأتون الذكر أن من العالمين)
ي من الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) أى أقبالهن (بل أنتم
قوم عادون) متجاوزون الحلال إلى الحرام (قالوا لن لم تنفقه يالوط) عن إنكارك علينا
(لتكونن من المخرجين) من بلدنا (قال) لوط (إني لعمليكم من القالين) البغضين
(رب نجني وأهلي مما يعملون) أى من عذابه (فنجيناه وأهله أجمعين. إلا عجوزا)
امراته (في الفارين) الباقين أهلكتناها (ثم دمرنا الآخرين) أهلكتناهم (وأماطرنا
عليهم مطرا) حجارة من جملة الإهلاك (فساء مطر المذرين) مطرم (إن في ذلك
لاية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم. كذب أصحاب
الأينكة) وفي قراءة محذوف الهمزة ،

بالخبر المحذوف ولا يصح أن يجعل قوله من القالين خبر إن فيكون عاملا في لعملكم لتلايلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول
وهوأل مع أنه لا يجوز (قوله أى من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن بقاءه على ظاهره بعيد اعصمته
منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) أى بنفيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) أى في العذاب قيل تبعت لوطا ثم
التفتت لقومها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت تخسف بها مع قومها (قوله أهلكتناهم) أى بقلب قراهم حتى جعل عاليها
سافلها (قوله ، أماطرنا عليهم) أى على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (قوله مطرم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله كذب
أصحاب الأينكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الأينكة في آء بع مواضع في القرآن
في الحجروق وهماوص فالأوليان بال مع الجر لاغير والأخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله
محذوف الهمزة) أى الثانية وقوله على اللام أى لام التعريف ، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام
لأنها همزة وصل أتى بها للتوصل للنطق بالساكن ، وفي كلام المفسر نظر لأنه يقتضى أن اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ
فلا يصح قوله وفتح الهاء لأن المقرون بال يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا . قال ابن مالك :

[٢٢ - صاوى - ثالث] وجر بالفتحة مالا ينصرف مالم يضاف أو بك بعد أل ردف

فالمناسب أن يقول وفي قراءة بوزن ليلة ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية وحينئذ جرت بالفتحة ظاهر والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيا ولا علمية والعجمة إن كان أعجميا (قوله وفتح الهاء) في بعض النسخ وفتح (قوله هي غيضة شجر) بفتح الغين وبالضاد العجمة : أي مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض وكان شجرهم (قوله قرب مدين) هي قرية شعيب ، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم ، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قوله المراد به شعيب وفي جمعه ما علمت ، وقد أرسل شعيب أيضا لأهل مدين لكن أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الأيكة أهل عذاب يوم الظلة (قوله لأنه لم يكن منهم) أي بل كان من مدين . قال تعالى - وإلى مدين أخاهم شعيبا - (قوله الناقصين لحقوق الناس) (قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسروا ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدراهم والدنانير (قوله وغيره) أي كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) أي ولفظهما مختلف (والجبل) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام : أي الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال وقرى شذوذ اضم الجيم والباء وتشديد اللام و بفتح الجيم أو كسرهما مع (١٧٠) وصلاح هذه قراءة العامة

وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء : هي غيضة شجر قرب مدين (المُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ شُعَيْبٌ) لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم (أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوِ الْكَيْلِ) أَمْوَهُ (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) الناقصين (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لا تنقصوهم من حقهم شيئا (وَلَا تَمْسَسْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عنى بكسر المثناة : أفسد ، ومفسدين حال مؤكدة (وَأَتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ) الخليفة (الْأَوَّلِينَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أي إنه (نَظُنُّكَ الْكَاذِبِينَ . فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا) يسكون السين وفتحها قطعة (مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في رسالتك (قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ) هي سحابة أظلمتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل (عَلَى قَلْبِكَ

الباء (قوله وما أنت إلا بشر مثلنا) أتى بالواو هنادون قصة صالح مبالغة في تكذيبه لأنه عند دخول الواو يكون كل من الأمرين التسحير والبشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد إلا التسحير والثاني دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب أن يقول مهملة لا عمل لها لأن المكسورة إذا خففت قل عملها والأولى حمل القرآن على الكثير (قوله يسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) أي استمروا على

تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنفجهم الحَرَّ فخرجوا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلمتهم فوجدوا لها بردا وريحا طيبة ، فنادى بعضهم لبعض اجتمعوا تحت السحابة ألهمها الله عليهم نارا ورجفت الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقل فصاروا رمادا ، وهذا العذاب الذي حل بهم هو الذي طلبوه تهكما بشعيب بقولهم - فأسقنا علينا كسفا من السماء - (قوله أصابهم) أي سبعة أيام ثم لجئوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام (قوله وإنه لتنزيل رب العالمين) شروع في مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه ، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا بسحر كهاية كالمزعمون (قوله نزل به) الباء للابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال نزل في حال ملاسته له على خراج زيد بقيابه (قوله على قلبك) خصه بالدكر لأنه سلطان الأعضاء فكل شيء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء ، ففي الحديث «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» فحيث نزل على قلبه فقد تمسك من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولذا ورد أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل

والمعنى بل عليه ظاهرا حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) ومن البشرين (قوله بلسان) يصح أن يكون بدلا من قوله به باعادة الجار، ويصح أن يكون متعلقا بالمنذرين، والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعية (قوله أى ذكر القرآن) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت فى سائر الكتب مع أنه ليس كذلك، والمراد كره فتنه والاختيار عنه بأنه ينزل على محمد وأنه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أصحابه) أى وكانوا أربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالخسة من علماء اليهود وقد حسن إسلامهم (قوله ويكون تحتانية ونصب آية) أى على أنه خبر يمكن مقدم واسمها قوله أن يعلمه الخ (قوله ورفع آية) أى على أنه فاعل بتسكن وقوله يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) أصله أعجمى بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع ما يقال إن أفعل فعلاء لا يجمع جمع كرسالم (قوله أنفة من اتباعه) أى تكبرا (قوله كذلك) معمول لسلكناه والضمير فى سلكناه للقرآن على حذف مضاف دة للفسر (قوله لا يؤمنون به الخ) الجملة مستأنفة أو حال من الهاء (١٧١) فى سلكناه وقوله حتى يروا العذاب

الآليم مقدم من تأخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغنة وهم لا يشعرون فبرونه فيقولوا هل نحن منظرون أى مؤخرون عن الاهلاك ولو طرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا: أى لا تأخير ولا إهمال (قوله أفعذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ ونهكم حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيقولون ما ينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض

تَكُونُ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (يُنْ) ، وفى قراءة بتشديد نزل ونصب الروح الفاعل الله (وَإِنَّهُ) أى ذكر القرآن المنزل على محمد (لَنِي زُبُرٍ) كتب (الأُولَينَ) كالتوراة الإنجيل (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ) لكفار مكة (آيَةٌ) على ذلك (أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) كمبدأ الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك ، ويكون بالتحتانية ونصب آية وبالفوقانية رفع آية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) جمع أعجم (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أنفة من اتباعه (كَذَلِكَ) أى مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة أعجمى (سَلَكْنَاهُ) أدخلنا التكذيب به (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كفار مكة بقراءة النبي لا يؤمنون به حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْآلِيمَ . قِيَاتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . قَرَأْتِ) أخبرني (إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب (وَمَا) استفهامية بمعنى أى شيء (أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ) فى دفع العذاب أو تخفيفه : أى لم يغن (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) رسل تنذر أهلها (ذِكْرَى) عظة لهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) فى إهلاكهم بعد إنذارهم .

قوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا أول وجاءهم يطلبه فاعلا فأعملنا الأول وأضرنا فى الثانى ضميرا يعود عليه أى ثم جاءهم هو أى الذى كانوا يوعدون ، وجملة ما أغنى عنهم الخ فى محل نصب سدت مسد المفعول الثانى لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) أى به وما اسم موصول (قوله استفهامية) أى استفهام إنكار كما أشار له بقوله أى لم يغن فهذا مساو للمعنى ، لقول بعضهم إنها نافية وهى على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى ، وقوله ما كانوا يمتعون فاعل بأغنى وما مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) أى أنه جرت عادته سبحانه وتعالى أنه لا يهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول إليهم وعصيانهم ذلك تفضل منه سبحانه وتعالى وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لا بعد ظلما لأنه متصرف فى ملكه يحكم لامعقب لحكمه ففعله أثر بين الفضل والعدل (قوله الا لها منذرون) الجملة صفة لقرية . فان قلت لم تركت الواو هنا ، وذكر فى قوله تعالى : ما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . أجيب بأن الأصل ترك الواو ، وإذا زيدت كانت لتأ كيد وصل الصفة بالموصوف كفى قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لأجله أى لأجل تذكريهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) أى لا نفعل فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الانذار بل لانهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإدهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل

(قوله ردا لقول المشركين) مقول القول محذوف تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله وما ينبغي لهم) أى لا يمكنهم (قوله إنهم عن السمع الخ) علة لقوله وما ينبغي لهم وما يستطيعون (قوله لكلام الملائكة) إن كان المراد كلامهم بالوحي الذى يبلغونه للأنبياء فالشياطين معزولون عنه لا يصلون إليه أصلا، وإن كان المراد به المفيبات التى ستقع فى العالم فكانوا أولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بعث سلطت عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين أن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله إلها آخر) نزل ردا لقول المشركين اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) أى فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى إنذاره «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفيه عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا» وفى رواية «أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش قد اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن

خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ألهذا جمعنا فنزلت تبث يدا أبى لهب وتب إلى آخر السورة» (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ من بقى على كفره ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل

ونزل ردا لقول المشركين (وَمَا تَنْزَلَاتُ بِهِ) بِالْقُرْآنِ (الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي) يَصْلَحُ (لَهُمْ) أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذَلِكَ (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ) لِكَلَامِ الْمَلَائِكَةِ (لَمْعَزُولُونَ) بِالشَّهْبِ (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ وَقَدْ أَنْذَرَهُمْ جَهَارًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ) أَلَنْ جَانِبِكَ (لِمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الْمُؤْمِنِينَ (قَالَ عَصَاكَ) أَيْ عَشِيرَتَكَ (فَقُلْ) لَهُمْ (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ (وَتَوَكَّلْ) بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ (عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) اللَّهُ : أَيْ فَوْضَ إِلَيْهِ جَمِيعَ أُمُورِكَ (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) إِلَى الصَّلَاةِ (وَتَقَلُّبِكَ) فِي أَرْكَانِ الصَّلَاةِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا (فِي السَّاجِدِينَ) أَيْ الْمُصَلِّينَ (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . هَلْ أَنْبَأُكُمْ) أَيْ كَفَارُكُمْ (عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ) بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ (تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ) كَذَابٍ (أُثِيمٍ) فَاجِرٍ مِثْلِ

مسيلة

عليه (قوله بالواو والفاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وأنذر وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل إني بريء (قوله على العزيز) أى الغالب على أمره القاهر لكل معارض لأمره (قوله الرحيم) أى بالؤمن المحتل لأمره (قوله حين تقوم) أى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين أى مع الجماعة (قوله إلى الصلاة) لافهم لها بل يراه حين يقوم للجهاد والخطبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته وإنما خص الصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ولأن قرعة عينه فيها لما فى الحديث «وجعلت قرعة عيني فى الصلاة» والمراد برؤيته إياه زيادة تجلى الرحمة عليه والإفروية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر بمعنى مع، وقيل إن فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون . والمعنى يراك متقلبا فى أصلاب وأرحام المؤمنين من آدم إلى عبد الله فأصوله جميعا . وممنون وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فإنه كان كافرا . وأجيب بجوابين : الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارخ . الثانى أنه كان أباه حقيقة وقولهم إن أصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور الحمدي فى الواحد منهم فإذا انتقل لمن بعده فلا مانع من أن يعبد غير الله ، وحينئذ فآزر ما كفر لإبعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده (قوله قل هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم إنه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق بتنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث

إن جعل أنبشكم متعديا ثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعديا لاثنيين (قوله وغيره) أى كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن ، وهو الذى يخبر عن الأمور المستقبلية ، والعراف هو الذى يخبر عن الأمور الماضية (قوله يلقون السمع) يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين ، والمعنى يلقون ماسمعه إلى الكهنة ، ويحتمل أنه عائد على كل أفالك أثيم ، والمعنى يلقون ماسمعه من الشياطين إلى عوام الخلق ، أو المعنى يصفون إلى الشياطين بكائهم حين يسمعون منهم (قوله وأكثروهم كاذبون) الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة والأكثرية باعتبار الأقوال أى أكثر أقوالهم كاذبون فيها والأقل فيها صدق وليس المراد أن الأقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق (قوله وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله : إنهم عن السمع لعزلون . وحاصل ذلك أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيلة بمسيلة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلة ولا غيره شئ من الشياطين (قوله والشعراء) أى الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصدا ، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأميرة بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة قوهم يسمعون أشعارهم (قوله من أدوية الكلام وفنونه) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام فهم مشبهون بالهائم في الأودية

(١٧٣)

فهم

الذى لا يدري أين يتوجه (قوله يعضون) أى يخوضون (قوله أى يكذبون) أى لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليها ولا يفعلون ما ذكر ويذمون ضدها ويصرون عليه ويهجون الناس بأذى شئ صدر منهم (قوله إلا الذين آمنوا آمنوا وعملوا الصالحات)

وغيره من الكهنة (يُلْقُونَ) أى الشياطين (السمع) أى ماسمعه من الملائكة إلى الكهنة (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يضمنون إلى المسموع كذبا كثيرا ، وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْخَاوُونَ) في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من أدوية الكلام وفنونه (رَاجِمُونَ) يعضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فعلنا (مَالًا يَفْعَلُونَ) أى يكذبون (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الشعراء (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أى لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وَأَنْتَصَرُوا) بهجوم الكفار (مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين ،

سبب نزولها «أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل في الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ماترمونهم به نضح النبل» وقوله قد أنزل في الشعر أى أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله (قوله من الشعراء) أى ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم . واعلم أن الشعر منه مذموم وهو مدح من لا يجوز مدحه وذم من لا يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الأولى وقوله عليه الصلاة والسلام «لأن يمتلى جوف أحدكم فيجادما خبره من أن يمتلى شعرا» ومنه مدح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» وقال الشعبي : كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة ، وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشد فروى أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشد قصيدة فأنشده إياها وهي قريب من تسعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى «أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله : إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أوقاخر عن رسول الله» وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجم فهاجم فلم يرض وأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك

بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قریش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يخص لك نسي فأناه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأسئلك منهم كما تسأل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما ناخفت عن رسوله قالت : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هجاهم حسان فشتى واشتقى» فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء	هجوت محمدا برأ نقيبا
رسول الله شيمته الوفاء	فان أبي ووالدتي وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
نكأت بنيتي إن لم تزوها	تثير النقع موعدها كداء	ينازعن الأعنة مصعدات
على أكنافها الأسل الظماء	نظل جيادنا متمطرات	تلطمهن بالجر النساء
فان أعرضتمو عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الفطاء	وإلا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء	وقال الله قد أرسلت عبدا	يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا	هم الأنصار عرضتها اللقاء	تلاقي كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء	فمن يهجو رسول الله منكم	ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا (١٧٤) وروح القدس ليس له خفاء (قوله قال الله تعالى لا يحب الله

قال الله تعالى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشعراء وغيرهم (أَيَّ مُنْقَلَبٍ) مرجع (يَنْقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت ،

(سورة النمل)

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسمون آية مكية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طس) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الْقُرْآنِ) آيات منه (وَكِتَابٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل ، عطف بزيادة صفة هو (هُدًى) أي هاد من الضلالة (وَبُشْرَى ،

الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) استدلال على جواز هجوهم للكفار في مقابلة هجو الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة في المقابلة فلا يجوز للظالم أن يزيد في الذم على ما ظلم به من الهجو (قوله أي منقلب) معمول لينقلبون الذي

بعده لا لما قبله لأن الاستعظام له الصدر وهو

مفعول مطلق : أي ينقلبون أي انقلاب والجملة سادة مسد مفعولي يعلم ، والمعنى يرجعون مرجعا سينالون مصيرهم إلى النار وهو أقبح مرجع وأشره .

[سورة النمل مكية] أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النملة الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقي منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث أو أربع الخ) أي أنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أسلم وعاليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لأنه فرع معرفة المعنى والوضوح أنه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الإشارة عائد على ما في هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى من كما تقول جاست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) أي فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا ولباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متعبدان معنى فأجاب بأنه صوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن (قوله هدى) خبر المحذوف قدره المفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما فائدة الانبيان به وما الثمرة المترتبة عليه فأجاب بأنه هدى وبشرى للمؤمنين (قوله أي هاد من الضلالة) هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى ويحتمل أن المراد ذو هدى أو بولغ فيه حق جعل نفس الهدى على حد ما قبل فزيد عدل

(قوله المؤمنين) حذف من الأول لدلالة الثاني عليه فالقرآن هدى للمؤمنين و بصرى لهم لا للكافرين | بدليل قوله تعالى : والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم همى ، وخص المؤمنين بالدكر لأنهم المعنى بهم للشرك فون بخدمة تعالى (قوله يأتون بها طروجهما) أى بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمل (قوله ويؤتون الزكاة) أى الواجبة للأصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ ويوقنون خبره وبالأخرة متعلق بيقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) أى من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن شك في ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه وبين الخبر) أى بمتعلق الخبر وهو قوله بالأخرة (قوله إن الذين لا يؤمنون بالأخرة) مقابل قوله هدى و بصرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم أعمالهم) أى حسننا لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم وهى فى الواقع ليست حسنة ، وإنما ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا قال الشاعر : يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

(قوله يتحبرون فيها) أى لتعارض تزيين الشيطان وإخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فأهل الكفر متحبرون فى كفرهم لكونهم فى ظلمات ، ومن العلوم أن السائر (١٧٥) فى الظلمات متحبر بخلاف السائر

فى النور ، فأهل الإيمان مصدقون مصممون على اعتقادهم ، وأهل الكفر متشككون متحبرون (قوله هم الأخسرون) أى أن خسراهم فى الآخرة أشد من خسراهم فى الدنيا لدوام العذاب عليهم فى الآخرة (قوله بشدة) أخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) أى من عند من يضع الشئ فى محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العام

لِلْمُؤْمِنِينَ) الْمَصْدَقِينَ بِهِ بِالْجَنَّةِ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يَأْتُونَ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا (وَيُؤْتُونَ) يَعْطُونَ (الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يَعْلَمُونَهَا بِالْإِسْتِدْلَالِ ، وَأَعِيدَ هُمْ لِمَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَيْرِ (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) الْقَبِيحَةَ بِتَرْكِيبِ الشَّهْوَةِ حَتَّى رَأَوْهَا حَسَنَةً (فَهُمْ يَغْتَوُونَ) يَتَحَبَّرُونَ فِيهَا لِقَبِيحِهَا عِنْدَنَا (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أَشَدُّهُ فِي الدُّنْيَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ) لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُتَوَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ (وَإِنَّكَ) خُطَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَتَلَقَّيَ الْقُرْآنَ) أَيْ يَلْقَى عَلَيْكَ بِشِدَّةٍ (مِنْ لَدُنْ) مِنْ عِنْدِ (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) فِي ذَلِكَ . اذْكَرْ (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ) زَوْجَتَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدِينٍ إِلَى مِصْرَ (إِنِّي آنَسْتُ) أَبْصَرْتُ مِنْ بَعِيدٍ (نَارًا سَاءَ تَبِيعُكُمْ مِنْهَا) بِخَبَرٍ (عَنْ حَالِ الطَّرِيقِ وَكَانَ قَدْ ضَلَّهَا) أَوْ آتَيْكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ (بِالْإِضَافَةِ لِلْبَيَانِ وَتَرْكِهَا : أَيْ شَعْلَةٌ نَارٍ فِي رَأْسِ فَتِيلَةٍ أَوْ عُودٍ) لَعَلَّكُمْ تَضْطَلُّونَ (وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْإِفْتِعَالِ مِنْ صَلَّى بِالنَّارِ بِكُسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا تَسْتَدْفِقُونَ مِنَ الْبَرْدِ) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودَى أَنْ (أَيْ بَانَ) (بُورِكَ) أَيْ بَارَكَ اللَّهُ (مَنْ فِي النَّارِ) أَيْ مُوسَى (وَمَنْ حَوْ لَهَا) أَيْ الْمَلَائِكَةُ أَوِ الْعَكْسُ ، وَبَارَكَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِالْحَرْفِ

بعد الخاص (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله إذ قال ظرف لمحذوف . والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له (قوله زوجته) أى بنت شبيب أى وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) أى ليجتمع بأمه وأخيه بمصر وكان فى ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) أى تاه عنها (قوله أو آتيكم) أو مانعة خلوت تجوز الجمع (قوله أى شعلة نار) أى شعلة مقتبسة من النار فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالسكوك (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأنها وقعت بعد الصاد وهى من حروف الاطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) أى من باب تعب وقوله وفتحها أى من باب رمى (قوله نودى) أى ناداه الله (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن مصدرية وما بعدها فى تأويل مصدر وحرف الجر مقدر قبلها أى نودى ببركة من فى النار الخ أى بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوّة والرسالة : أى ناداه الله بأننا قد سنالك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم فى طه حيث قال وأنا اخترتك الخ (قوله من فى النار) هو نائب فاعل بورك وهذا تحية لموسى ونكرمة له (قوله أو العكس) أى فتفسر من الأولى بالملائكة والثانية بموسى ، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) أى فيقال باركك الله (قوله وبالحرّف) أى اللام وفى وعلى .

(قوله ويقدر بعد في مكان) أي على التفسير الأول فيقال أن بورك من في مكان النار ، وإنما احتيج لهذا التقدير لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها- (قوله من جملة ما نودى) أي أتى به وإنما أتى بالتنزيه هنا لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرف وصوت أو كون الله في مكان أوجهة (قوله وألقى عصاك) لم يقل هنا وأن كافي القصص لأنه هنا ذكر بعد أن فعل فحسن عطف ألقى عليه وما يأتي لم يذكر فقصد عطف وأن ألقى على قوله أن ياموسى إني أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) أي في سرعة الحركة فلا ينافي عظم جثتها (قوله يرجع أي لم يرجع على عقبه (قوله لاتخف منها) أي لأنك في حضرتي ومن كان فيها فهو آمن لا يخطر بباله خوف من شيء (قوله لكن من ظلم الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدأ وقوله فإني غفور خيره (قوله أناه) أي عمله (قوله طوق القميص) إنما لم يأمره بإدخالها في كمه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) أي لمعان وإشراق (قوله آية) أشار بذلك إلى أن في تسع آيات في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من (١٧٦) وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك

ويقدر بعد في مكان (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) من جملة ما نودى ، ومعناه تنزيه الله من السوء (يَا مُوسَى إِنَّهُ) أي الشأن (أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقَى عَصَاكَ) فآلقاها (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهُمَا جَانٌّ) حية خفيفة (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ) منها (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ) عندي (الْمُرْسَلُونَ) من حية وغيرها (إِلَّا) لكن (مَنْ ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) أناه (بَعْدَ سُوءٍ) أي تاب (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) أقبل التوبة وأغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق القميص (تَخْرُجْ) خلاف لونها من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) برص لها شعاع يغشى البصر آية (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) مرسلاتها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) أي مضيئة واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (وَجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقرؤا (وَ) قد (أَسْتَقْبَلَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) أي تيقنوا أنها من عند الله (ظَالِمًا وَعُلُوءًا) تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فَانظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وَقَالَا) شكراً لله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشیاطين (عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع (قوله إلى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله إنهم كانوا الخ تعليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) أي جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإثارها كأنها تبصر نفسها (قوله أي مضيئة) أي إضاءة معنوية

في جميعها وحسية في بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) أي ما شاهدته من الخوارق التي أتى بها موسى (قوله واستيقنتها أنفسهم) حال من الواو في جحدوا ، ولذا قدر فيه قد (قوله أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة (قوله راجع إلى الجحد) أي على أنه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة في محل نصب على إسقاط الخاض (قوله من إهلاكهم) أي بالاغراق على الوجه المائل الذي هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمدح بني أعطينا وهو شروع في ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولداً أجلاه سليمان ، وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفاً وخمسين سنة ، وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم ألف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) أي وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) أي تصويته (قوله وغير ذلك) أي كتسبيح الجبال (قوله وقالوا الحمد لله) أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به (قوله الذي فضلنا) أي أعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والإنس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك إلا أن سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) أي الذين لم يؤثروا مثله

هذه منزلة وهي لا تقتضي الأفضلية ، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك الأزايا فالو العزم أفضل منهما لأن التفضل من الله لا بالمزايا قوله وورث سليمان داود) أي قام مقامه في ذلك دون سائر بفيه القسمة عشر مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه ليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء (قوله وقال بأياها الناس) أي قال سليمان لبني إسرائيل شكر الله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) أي فهمنا الله أصوات الطير ، ولا مفهوم للطير ، بل كان الزرع والنبات يكلمه يفهم كلامه ، ورد أن سليمان كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط والنبي لبني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى أفراسي ثم أمرت بك الثانية إنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراسي ثيابا ثم أتيتك فافعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق ، ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل نيه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا بني الله قال إنه يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء ، ومر بهددهد فوق جرة وقد نصب له صبي فخاف فقال له سليمان احذر فقال الهددهد يا بني الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به ثم رجع سليمان وجده قد وقع في حيلة الصبي وهو في يده فقال له ما هذا قال ما رأيته حق وقعت بها يا بني الله قل ويحك فأنت ترى الماء تحت أرض أم ترى الفخ فقال يا بني الله إذا نزل القضاء عني البصر ، وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون ما يقولوا لا قال إنه يقول : لدوا للموت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا ليتهم إذ خلقوا علموا ما خلقوا له ، وصاح عنده طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان ، وصاح عنده هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول إن من لا رحم (١٧٧) لا رحم ، وصاح عنده صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، وقيل إن الصرد هو الذي دل آدم

وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) النبوة والعلم دون باقي أولاده (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ) أي فهم أصواته (وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) تواتره الأنبياء والملوك (إِنَّ هَذَا) المؤتى لَهُوَ أَفْضَلُ الْمَذِينِ) البين الظاهر (وَحُشِرَ) جمع (لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) في مسيره (فَهُمْ يُوزَعُونَ) :

في مكان البيت ، ولذلك يقال له الصرد الصرام ، وصاحت عنده طيطرجي فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول كل حي يت وكل جديد بال ، وصاحت عنده خطافة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله . وقيل إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآتاه الله بالخطاف وأرملها البيوت حتى لا تفارق بني آدم أنسهم ، قال ومعها أربع آيات من كتاب الله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخرها وتعد صوتها بقوله عزيز الحكيم . وهدرت حمامة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان ربي الأعلى عدد ما في السموات الأرض ، وصاح قمرى عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن ، قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار ، والحدأة يقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطاة تقول من سكت سلم ، والببغاء تقول يل لمن الدنيا همه ، والصفدع تقول سبحان ربي القدوس ، والبازي يقول سبحان ربي وبحمده ، والسرطان يقول سبحان لكور بكل مكان ، وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الديك إذا صاح قال اذكروا الله يا غافلون» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «النسر إذا صاح قال يا ابن عم عشت ما شئت فأخرك الموت» وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس راحة ، وإذا صاح القنبر قال إلهي العن مبغص آل محمد ، وإذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين إلى آخرها فيقول ولا الضالين فيمدها صوته كما يد القاري* (قوله وأوتينا من كل شيء) قال ذلك تحديا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس) أي من الأماكن بعيدة وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره ثلاثا يتقدموا في السير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام أمة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير [٢٣ - صاوي - ثالث] وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه

الاحساس والشم حق أنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته ، ومن شدة إدراكه أنه يفاق الحبة فلتتين خوفا من الانبات ويفاق حبة السكريرة أربع فلق لأنها إذا فلتت فلتتين نبتت ، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقى بآقيه عدة (قوله لا يحطمنكم) فيه وجهان أحدهما أنه نهى والثاني أنه جواب الأمر (قوله وهم لا يشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم ، وكان سبب ضحكه شيئين أحدهما ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقهم من قولها وهم لا يشعرون الثاني سروره بما آتاه الله مالم يؤت أحدا من إدراك سمعه ما قالته النحلة (قوله ابتداء الخ) أي فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت والضحك انفتاحه مع صوت خفيف والقهقهة انفتاحه مع صوت قوى وهي لانكون من الأنبياء (قوله في هذا السير) أي في خصوص سيره على وادي النمل وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح (قوله وعلى والدي) إنما ذكر نعمة والديه كثيرا للنعمة ليزداد في الشكر عليها (قوله في عبادك الصالحين) على حذف مضاف أي في جملة عبادك ، أو في معنى مع والمراد السكاملون في الصلاح لأن الصلاح مقول بالتشكيك لها من مقام إلا وفوقه أعلى منه والسكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع في القصة الثالثة والمعنى نظر في الطير فلم ير الهدهد ، وكان سبب سؤاله عن الهدهد أنه كان دليل سليمان على الماء وكان (١٧٩) يعرف موضع الماء ويرى

الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر في الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة ، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له إن الصبي يضع له نخا ويحشو عليه التراب فيجىء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال ابن عباس إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر قيل ولم يكن له في مسيره

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) لَا يَكْسِرَنَّكُمْ (سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم (فَتَبَسَّمَ) سليمان ابتداء (ضَاحِكًا) انتهاء (مِنْ قَوْلِهَا) وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهما حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) ألهمني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَكَلِّي وَالَّذِي) وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره (فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ) أي أعرض لي مامعنى من رؤيته ؟ (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) فلم أره لغيبته ، فلما تحققها قال (لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا) تعذيبا (شَدِيدًا) بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام (أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ) بقطع حلقومه (أَوْ لَيَأْتِيَنِي) بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يبرهان بين ظاهر على عذره ،

إلا الهدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) أي بأن تساخ وجه الأرض عن الماء كما تساخ الشاة (قوله مالي لأرى الهدهد) استفهام استخبار (قوله أم كان من الغائبين) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال مالي لأرى الهدهد ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك وهو إضراب انتقالي (قوله لأعذبه عذابا شديدا) الخاف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فأو بين السكاملتين الأوليين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما فهتفى في الأخير بمعنى إلا (قوله بنتف ريشه) هذا أحد أقوال في معنى التعذيب ، وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه ، وقيل هو أن يطل بالقطران ويوضع في الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أي والقراءتان سبعيتان (قوله بسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أي حجة ظاهرة على غيبته ، والسبب في عيبة الهدهد أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم أي من غير صلاة بالكعبة كراهة في الأصنام ولم يكن مأمورا بتكسيرها فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدم ، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ، وقال لمن حضره من أشرف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيئته مسافة شهر القريب والبعيد عنده

في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يا بني الله قال يدين الله الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قال
كم بيننا وبين خروجه يا بني الله ؟ قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى
قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافي صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء ترعى
خضرها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى ، فلما نزل قال المدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول
الدنيا وعرضها ففعل ذلك فينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا بلقيس فترى إليه فإذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد
سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن
سليمان ؟ قال ملك الانس والجن والشیاطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال عفير أنا من هذه البلاد قال ومن ملك
قال امرأة يقال لها بلقيس وإن صاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تلك اليمن وتحت يدها أربعين
ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد
اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج
الماء قال المدهد الجاني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها . وأما سليمان فإنه
نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد المدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن المدهد
فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى مكان ، فغضب سليمان وقال لأعذبه عذابا شديدا الآية ، ثم دعا بالعقاب
وهو أشد الطير طيرانا فقال له على بالمدهد الساعة فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم
التمت يمينا وشمالا فرأى المدهد (١٨٠) مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم المدهد أن العقاب

يقصده بسوء ، فقال
بحق الذي قواك وأقدرك
على الأمارحمتي ولم تهرض
لي بسوء فتركه العقاب
وقل ويلك شككتك أمك
إن نبي الله قد حاف أن
يعذبك أو يذبحك

(فَكَّتْ) بضم الكاف وفتحها (غَيْرَ بَعِيدٍ) أى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا
برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ
تَحِطُ بِهِ) أى اطلعت على ما لم تطلع عليه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) بالصرف وتركه ، قبيلة باليمن
سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بِنَبَأٍ) خبر (يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ أُورَاقًا تَمْلِكُهُمْ)
أى هى ملكة لهم اسمها بلقيس ،

(وَأَوْتَيْتِ)

فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام ، فلما انتهيا إلى العسكر

تلقاه النسر والطير وقال له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبراه بما قال سليمان ، فقال المدهد أو
ما استثنى نبي الله فقالوا بلى إنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت إذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بعد العصر
فانطلق به العقاب حتى أتيا ساجان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا بني الله فلما قرب منه المدهد رفع رأسه
وأرخی ذنبه وجناحيه يحجرها على الأرض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام ، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له
أين كنت لأعذبتك عذابا شديدا فقال يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، فلما سمع سليمان عليه الصلاة
والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى فقال المدهد أحطت بما لم تحط به إلى آخره (قوله فكَّتْ) أى
المدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قرب والثاني من باب نصر (قوله أى يسيرا
من الزمان) أى وهو من الزوال إلى العصر (قوله فعفا عنه) أى من أول الأمر قبل أن يذكر العذر (قوله وسأله عما لقي
في غيبته) قدره إشارة إلى أن قوله فقال أحطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت ما لم
تعلم أنت ولا جنودك ، وفي هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث
مراحل (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا إلى أنه اسم رجل وتركه نظرا إلى أنه اسم القبيلة
للعامة والتأنيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسر بفت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن فلهذا
وله له أربعون ملكا هى آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها يقول الملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج
منهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ربحانة بنت السككن ، قيل فى سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم أنه

كثير الصيد فرما اصطاد من الجن وم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذها
 بها غطاب ابنته فزوجه إياها (قوله وأوتيت من كل شيء) عطف على قوله تملكهم لأنه بمعنى ملكتهم . قال ابن عباس
 ن يخدمها سبعة امرأة (قوله يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أن قوله من كل شيء عام أريد به الخصوص (قوله
 ما عرش عظيم) أي تجلس عليه أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا ، وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة
 جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما حصل الفرق (قوله طوله ثمانون ذراعا الخ) وقيل طوله ثمانون
 ضة كذلك وارتفاعه في الهواء كذلك (قوله عليه سبعة أبواب) صوابه آيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق
 وله يسجدون للشمس) أي فهم محجوس (قوله فهم لا يهتدون أن لا يسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد
 من غيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع المعلومات
 وله أي أن يسجدوا له) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون أن ناصبة ولا زائدة ويسجدوا فعل مضارع منصوب
 وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ، وعليها فلا يجوز الوقف على (١٨١) يهتدون لأنه من تحت كانه

قال فهم لا يهتدون إلى
 أن يسجدوا الخ وقرأ
 الكسائي بتخفيف ألا ،
 وتوجيهها أن يقال إن ألا
 الافتتاح وياحرف تنبيه
 واسجدوا فعل أمر لكن
 سقطت ألف يا وهمزة
 الوصل من اسجدوا
 خطأ ووصلت الياء بسين
 اسجدوا فأتحدت القراءة نان
 لفظا وخطا ، وهناك وجه
 آخر في هذه القراءة
 وهو أن يا حرف نداء
 والمنادي محذوف والتقدير
 ألا يا هؤلاء وهو ضعيف
 لئلا يؤدي إلى حذف
 كثير من غير ما يدل

وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ) سرير (عَظِيمٌ)
 وله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة
 بكل بالدر والياقوت الأحمر والزرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزرجد
 الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
 لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما
 قوله تعالى : لئلا يعلم أهل الكتاب ، والجملة في محل مفعول يهتدون باسقاط إلى (الَّذِي يُخْرِجُ
 الْحَبَّ) مصدر بمعنى الخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ)
 قلوبهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء
 شتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ
 صَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أي من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت
 به ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته « من عبد الله
 سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ،

الحذرف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالطر هو الخبوء في السموات والنبات هو الخبوء في الأرض
 قوله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اعلم أن ما ذكره الهدهد من قوله الذي يخرج الحب إلى هنا إنما هو بيان
 حقيقة عقيدته وعلومه التي اقتبسها من سايمان وليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به ، وإنما ذكر الهدهد ذلك
 ليرى سليمان على قتالهم وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم بل إنما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) أي فضل
 فزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره فماذا قال سايمان للهدهد حين
 خبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) أي لأنه يفيد أنه إن كان كاذبا في هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين
 محسوبا منهم ، والكذب له عادة ، وليست فلتة يعنى عنه فيها ، لأن الكذب على الأنبياء أمره عظيم (قوله من
 عبد الله) خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وقدم اسمه على البسملة لأنها كانت في ذلك الوقت كافرة يخف أن
 يتخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) أي أمان الله على من اتبع طريق
 الحق وزك الضلال .

(قوله فلا تعلموا على) أي لا تكبروا (قوله مسفين) أي منقادين لدين الله ، وفي هذا الخطاب إشعار بأنه رسول من عند الله يدعوهم إلى دين الله وليس مطاق سلطان وإلا لقال واثنوني طائعين (قوله ثم طبعه بالمسك) أي جعل عليه قطعة مسك كالشمع (قوله فألقه إليهم) إما بسكون الهاء أو كسرهما من غير إشباع أو بإشباع ثلاث قرات سبعيات (قوله ماذا يرجعون) إن جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذي ويرجعون صلته والعائد محذوف ويكون ماضعول يرجعون ، والمعنى انتظر الذي يرجعونه وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وذا بمعنى الذي ويرجعون صلته والعائد محذوف والتقدير أي شيء الذي يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره أي شيء يرجعون (قوله الجواب) بيان لما (قوله وأنها وحولها جندها الخ) وقيل أنها فوجدها نائمة وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فألقى الكتاب على نحرها ، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطاع فلما نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد (١٨٢) فسدت الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس

فلا تعلموا على واثنوني مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد (أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) أي بلقىس وقيومها (ثم تول) انصرف (عنهم) وقف قريبا منهم (فأنظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب فأخذه وأنها وحولها جندها وألقاه في حجره فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه ثم (قالت) لأشرف قومها (يا أيها الملأ إني) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (ألقى إلى كتاب كريم) مختوم (إنه من سليمان وإنه) أي مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم) (أ) (لا تعلموا على واثنوني مسلمين) قالت يا أيها الملأ أفتر في) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا: أي أشيروا على (في أمري ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أي أصحاب شدة في الحرب (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) لنا نطعمك (قالت إن المأوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) بالتخريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) أي مرسلو الكتاب (وإني أرسلت إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) من قبول الهدية أوردتها إن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجرار ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب ، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر .

قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها (قوله فلما رآته ارتعدت) أي حين وجدت الكتاب غنوما ارتعدت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى تعدت على صرير ملكها وجمعت أشرف قومها (قوله بقلبها واوا مكسورة) المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء أوقاها واوا الخ فالتقرا آت ثلاث سبعيات (قوله إني ألقى إلى الخ) لم

تذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على ما فيه المائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها (قوله كريم) أي مكرم معظم (قوله مختوم) أي لأن الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه لما ورد من كتب أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به (قوله إنه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا مضمون (قوله قالت يا أيها الملأ) أي الأشراف ، مما وبذلك لأنهم يماثون العين بمهابتهم وكانوا ثلثمائة واثني عشر لكل واحد منهم عشر آلاف من الأنباغ (قوله ما كنت قاطعة أمرا) أي إن عادت معكم لأفعل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوة الخ) استفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أولا ثم ردوا الأمر إليها (قوله نطعمك) مجزوم في جواب الأمر (قوله قالت إن الملوك الخ) أي فرفض بالحرب الذي أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبيئت سببه (قوله إذا دخلوا قرية) أي عنوة (قوله بم يرجع المرسلون) أي منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلى (قوله إن كان ملكا قبلها) أي وقائلناه (قوله أو نبيا لم يقبلها) أي واتبعناه ، لأنها كانت ليبة عاقلة تعرف سياسة الأمور (قوله ألفا بالسوية) أي خمسمائة ذكورا وخمسمائة أنثى .

قوله فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أي كما يضرب الطين (قوله وأن تبسط من موضعه) أي توضع في الأرض بلاط (قوله إلى تسعة فراسخ) أي وهو مسيرة يوم وثمانون يوم (قوله وأن يبنوا) أي الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) وقصد بذلك إظهار البأس والشدة . وحاصل تفصيل تلك القصة أن بلقيس عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست واري لباس العلمان الأقيية والناطق وألبست العلمان لباس الجواري وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق ذهب وفي آذانهم أقراطه وشنوقا مرصعات بأنواع الجوهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والعلمان على خمسمائة برذون لكل فرس صرّج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج ، وبعثت إليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدرّياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود ، وعمدت إلى حقة جعلت فيها درّة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت لأم من أمّرات قريشها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجلا من قومها أصحاب عقل ورأي سديد وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت إن كنت نبيا فيز الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها وانقب الدرّة ثقباً ثوباً وأدخل في الخرز خيطاً من غير علاج إنس ولا جنّ ، وأمرت بلقيس العلمان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه لأم فيه تأنيث وتحنّث يشبه كلام النساء ، وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه غاظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت سول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظراً فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهوانك منظره فأنا أعزّ منه إن رأيت الرجل هاشا باشا لطيفاً فاعلم أنه نبي فتفهّم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل المهدد مسرعاً إلى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر ، فأمر سليمان الجنّ أن يضربوا لبنات من الذهب والفضة ، ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة وأن يخلوا قدر (١٨٣) تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا

حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان عليه السلام أيّ دواب البر والبحر أحسن ؟ فقالوا يا نبي الله رأينا في بحر

مر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً أن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فلما جاء) الرسول بالهدية ومعه أتباعه سليمان ،

لذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال عليّ بها فاتوه بها قل شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن يا أولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على صريه ووضع أربعة آلاف رسي على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والانس والحيوانات والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله ، فلما ما القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم يروا مثلاً تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم ففسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا ، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعاً على قدر منهم من اللبنات ، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ، فلما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم وكانوا يمرّون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وثلقاهم ملقى حسناً وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب اللسكة فنظر فيه وقال ابن الحقة فأتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها فقال لهم إن فيها درّة ثمينة غير مثقوبة وخرزة فقال الرسول صدقت فانقب الدرّة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا أرسل إلى الأرض فلما جاءت الأرض أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك ؟ قالت تصبر رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من هذه الخرزة ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت لدودة خيطاً في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك ؟ قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك ، ثم ميز بين العلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيده ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره فميز بين العلمان والجواري

ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله - فلما جاء سليمان - الخ (قوله قال أتمدون الخ) استفهام إنكار وثوب يخ : لا ينبغي لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للأولى (قوله أي إن لم يأتوني مسلمين) أفاد بذلك أن يعين سليمان معاق على عدم إتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه أبيات وتقدم أنه داخل سبعة أبيات فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف : أي ملك ، مسمى بذلك لأنه ينفذ ما يقول (قوله إلى أن قربت منه) أي من سليمان (قوله شعر بها) أي علم وذلك أنه خرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا فقال ما هذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملك) الخطأ لكل من عنده من الجن والإنس وغيرها (قوله ماتقدم) أي من التحقيق أو قلب الثانية واوا (قوله أياكم يأتي بعرشها) أي وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس وعرشها في سبأ وبنها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله

قَالَ أتمدون بمالٍ فما آتيني الله) من النبوة والملك (خير مما آتاكم) من الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لغركم بزخارف الدنيا (أرجع إليهم) بما آتيت به من الهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) لاطاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) من بلادهم سبأ ، سميت بأسر أبي قبيلتهم (أذلة وهم صاغرون) أي إن لم يأتوني مسلمين ، فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها (قال يا أيها الملوأ أياكم) في الهمزتين ما تقدم (يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لابعده (قال عفريت من الجن) هو القوى الشديد (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار (وإني عليه لقوى) أي على حمله (أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها ، قال سليمان أريد أمرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل وهو آصف بن برخيا ، كان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب (أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك) إذا نظرت به إلى شيء ، فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه فني نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان (فلم يراه مستقرا) أي ساكنا (عنده قال هذا) أي الاتيان لي به

أخذه قبل ذلك) أي قبل إتيانهم مسلمين لأنهم صاغرون حينئذ (قوله لابعده) أي لأن إسلامهم بعصم ما لهم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الأمر فقصد أن يهر عقلها بالأمور المستغربة لتزيد إيمانها (قوله عفريت) يكسر العين وقرى شدوذا بفتحها (قوله وهو القوى) أي وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل بخر (قوله أنا آتيتك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أتى بهمزتين أبدلت الثانية ألفا ، ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقام (قوله من مقامك) أي بمجاسك (قوله أمرع من

ذلك) أي لأن المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هي والحال أن بين قدومها مسيرة ساعة ونصف ومجلسه من الغداة إلى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أي وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) والقصر ، وكان وزير سليمان ، وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى ، وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل ، وقيل الحضرة ، وقيل ملك آخر ، وقيل سليمان نفسه وعلى هذا الخطاب في قوله : أنا آتيتك للعفريت ، وما مشى عليه المفسر هو الشهاب (قوله كان صديقا) أي مبالغا في الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرارك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أي آصف ، وقوله له : أي سليمان (قوله دعا بالاسم الأعظم) قيل كان الدعاء الذي دعا به إذا جلال والأكرام ، وقيل يا حي يا قيوم ، وقيل يا الله وإله كل شيء إله واحد لا إله إلا أنت اتقنى بعرشها (قوله بأن جرى تحت الأرض) أي بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك (قوله أي ساكنا) أي غير متحرك كأنه وضع من قبل زمن منسحق ، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول وإلا كان واجبا

ف لأن الظرف يكون مستقرا وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لغو عام له خاص مذکور فتدبر (قوله من فضل ربى) أى
 مانه إلى (قوله وإدخال ألف الخ) أى فالفراآت أربع سبعيات و بقيت خامسة وهى إدخال ألف بين المحققين (قوله لأن
 ب شكره له) أى لأن الشكر سبب في زيادة النعم ، قال تعالى - اثن شكرتم لأزيدنكم - (قوله بالافضال على من يكفرها)
 فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف في المعنى على قوله - قال
 من فضل ربى - وكلاهما مرتبط على قوله - فلما رآه مستقرا عنده - (قوله إلى حالة تنكره إذا رآته) أى فالتنكير إبهام
 بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الأمر (قوله قصد
 الخ) أشار بذلك إلى حكمة التغير (قوله لما قيل له إن فيه شيئا) أى نقصا والقائل له ماذكر الجن وقالوا له أيضا إن رجلها
 جلى حمار وقال له أيضا إن في ساقها شعرا لأنهم ظنوا أنه يتزوجها فكروا ذلك لثلاثشئ له أمرار الجن ولثلاث يأتى له منها
 إذ فيخلفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أو مأموره (قوله أهكذا عرشك) الحمزة للاستفهام
 بالالتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر (١٨٥) مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر

وفصل بين ها التنبيه واسم
 الإشارة بحرف الجر وهو
 الكاف اعتناء بالتنبيه
 وكان مقتضاه أن يقال
 أهكذا عرشك (قوله أى
 أمثل هذا) أشار بذلك
 إلى أن الكاف اسم بمعنى
 مثل وقولهم لا يفصل بين
 ها التنبيه واسم الإشارة
 بشئ من حروف الجر
 إلا بالكاف معناه ولو صورة
 وإن كانت في المعنى اسما
 بمعنى مثل (قوله وشبهت
 عليهم الخ) أى فأتت بهذه
 العبارة مشاكلة لكلام
 سليمان والمشاكلة الاتيان
 بمثل الكلام السابق وإن

مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُغَنِي (لِيُخْتَبِرَنِي) (أَشْكُرُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا
 سهيلا وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ أَكْفُرُ) النعمة (وَمَنْ شَكَرَ
 نَمَّا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ) أى لأجلها لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنْ رَبِّي
 عَنْ شُكْرِهِ) (كَرِيمٌ) بالافضال على من يكفرها (قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أى غيره
 حال تنكره إذا رآته (نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي) إلى معرفته (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ)
 معرفة ما يغير عليهم ، قصد بذلك اختبار عفلها لما قيل له إن فيه شيئا فغيروه بزيادة
 نقص أو غير ذلك (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لها (أَهْكَذَا عَرْشُكَ) أى أمثل هذا عرشك
 قَالَتْ إِنَّهُ هُوَ) أى معرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل
 ذَا قَالَتْ نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما (وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ .
 صَدَّهَا) عن عبادة الله (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ
 كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا) أيضا (ادْخُلِي الصَّرْحَ) هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء
 نذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقها وقدمها كقدمي الحمار (فَلَمَّا رَأَتْهُ
 نَسِبَتْهُ لُجَّةً) من الماء (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) لتخوضه وكان سليمان على سريرته في صدر الصرح

يتحد الكلامان كقوله تعالى - ومكروا ومكر الله - (قوله قال سليمان) أى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) أى
 علم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هي العلم بما ذكر ، وكنا مسلمين من قبل أن تسلم فنحن أسبق منها علما وإسلاما (قوله وصدها)
 عن منعها ، وقوله ما كانت فاعل صد ، والمعنى منعها عن عبادة الله الذي كانت تعبد من دون الله وهو الشمس (قوله إنها كانت
 من قوم كافرين) بكسر إن في قراءة العامة استئناف وقرئ شذوذا بفتحها على إسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها أيضا) أى كما
 ل نكروا لها عرشها (قوله هو سطح) وقيل الصرح القصر أو من الدار (قوله من زجاج أبيض) أى وهو المسمى بالبوار (قوله
 اصطنعه سليمان) أى أمر الشياطين به ففروا حفيرة كالصهر يج وأجروا فيها الماء ووضعوا فيها ممكا وضفدعا وغيرها من حيوانات
 البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه
 من كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رآته) أى أبصرته (قوله وكشفت عن ساقها) أى على عادة من أراد خوض
 ماء قبل لما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الفرق فلما لم يكن لها بد من امتثال الأمر سلمت وكشفت عن ساقها (قوله لتخوضه)

أى لأجل أن تصل إلى سليمان (قوله فرأى ساقبها الخ) أى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله مرد) صفة أولى لصرف وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله مماس) ومنه الأمد للملاسة وجهه : أى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غا) أى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التاء فى أسلمت كما أشار لذلك بقوله كائنة ، والمعنى أسلمت حالة كونى ، صاحب فى الدين ولا يصح أن يكون متعلقاً بأسلمت لأنه يومئذ أنها متحدة معه فى الاسلام فى زمن واحد (قوله فعملت له الشياطين النور) أن بعد أن سأل الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسى ، فقالت لم يحس الحديد جسمى فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع من فسأل الجن فقالوا لا ندري ، فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) أى وولدت منه ولد اسمته داود ومات فى حياة أبيه وبقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قوارع وقيل إنها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلاً من قومك حتى أزوجهك إياه ، فقالت ومثلنى يا نبي الله ينكح الرجال وقد لى من قومي الملك والسلطان ؟ قال نعم إنه لا يكون فى الاسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرصى ما أحل الله . قالت إن كان ولا فزوجنى ذاتبع ملك همدان فتزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذاتبع على اليمن ، ودعا سليمان زوبعة ملك وقال له اعمل لى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته ، فأقبل ربه منهم حتى بلغ جوف اليمن (١٨٦) وقال بأعلى صوته يامعشر الجن إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا (قوله وأقرها على ملكها) أى وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقم عندها ثلاثة أيام) أى وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام (قوله روى أنه ملك) أى أعطى الملك (قوله فسبحان من لا انتضاء لدوام ملكه) أى فمساواه يفنى وهو الباقي بلا زوال .

فرأى ساقبها وقدميها حسنا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ) مَمْلَسٌ (مِنْ قَوَارِيرِ) أى زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كأن (مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأراد تزوجه فكره ساقبها فعملت له الشياطين النور فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة ويقم عنده ثلاثة أيام وانتضى ملكها بانتضاء ملك سليمان . روى أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسبحان من لا انتضاء لدوام ملكه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمْ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنْ) أى بَأَنْ (أَعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) فى الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون (قَالَ) للمكذابين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أى بالعذاب قبل الرحمة حيث قلم إن كان ما أتينا به حقاً فائتنا بالعذاب (لَوْلَا) ،

قال العارف : ما آثم فى السكون وما إبليس ما ملك سليمان وما بلقيس الكل إشارة وأنت المعنى يامن هو للقباب مغناطيس

على القصور بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله واقد أرسلنا إلى نود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة ، ونود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعامة والتأنيث ونسعى عاد الثانية ، وأما عاد الأولى فهم قوم نود (قوله أخاهم صالحاً) أى فى النسب لأنه من أولاد نود الذى هو أبو القبيلة ، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله أى بَأَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وحرف الجر محذوف ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحدوه) أى اعتقدوا أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى شىء منها (قوله فإذا هم إذا جائية ، والمعنى ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم فآمن فريق وكفر فريق ، وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الأعراف فى قوله تعالى - قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لعناء (قوله من حين إرساله) أى وبعد ظهور المعجزات (قوله لم تستعجلون بالسينة) أى لآى شىء تستعجلون العذاب وتطالبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة ، ويصح أن يراد بالسينة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة ، والمعنى تؤخرون الإيمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب .

(هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله من الشرك) أي بأن تركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلكم ترحمون) الترجي
 سلام الله بمنزلة التحقيق لأنه صادر من قادر عالم بالمواقب لا يخلف وعده (قوله أدغمت التاء في الطاء) أي بعد قلبها طاء
 واجتلبت همزة الوصل) أي للتوصل للنطق بالسكان (قوله أي تشاء منا) أي أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله
 فخطوا المطر) أي حبس عنهم (قوله قال طأركم عند الله) أي جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم
 مني وصي طأرا لأنه يأتي الظالم بفتة وسرعة كغزول الطائر (قوله تفتنون) أي بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح
 فوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلاً نحن قوم نقرأ ويقرءون (قوله تختبرون بالخير والشر) أي لتعلموا أن
 صابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فيما كسبت أيديكم (قوله مدينة نمود) أي وهي الحجر وتقدم أنه واد بين الشام
 مدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون العشرة من الرجال ، والنفر مادون السبعة إلى الثلاثة (قوله أي رجال) دفع بذلك
 يقال إن تميز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفرداً ؟ فأجاب بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى ، وهؤلاء
 تسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولوداً يولد في شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه ، فقتل التسعة
 أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه ، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً (١٨٧) فكان إذا مرّ بالتسعة حزنوا

على قتل أولادهم فسؤل
 لهم الشيطان أن يجتمعوا
 في غار فاذا جاء الليل
 خرجوا إلى صالح وقتلوه
 وتقدم أنهم اجتمعوا في
 الغار فأرادوا أن يخرجوا
 منه فسقط عليهم الغار
 فقتلهم وعقر الناقة ولد
 العاشر وهو قدار بن
 سالف ، وقيل إنهم جاءوا
 ليلا فقتله شاهر بن سيوفهم
 فرمته الملائكة بالأحجار
 كما أفاده المفسر (قوله أي
 احلفوا) أشار بذلك إلى
 أن قوله تقاسموا فعل أمر

لا (تَسْتَفْقِرُونَ اللَّهَ) من الشرك (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فلا تعذبون (قَالُوا أَطِیرْنَا) أصله
 لميرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل أي تشاء منا (بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ) أي المؤمنين
 حيث فخطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَأْرُكُمْ) شؤمكم (عِنْدَ اللَّهِ) أنا كم به (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
 تَفْتَنُونَ) تختبرون بالخير والشر (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة نمود (تِسْعَةُ رَهْطٍ) أي رجال
 يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصي ، منها قرضهم الدنانير والدرهم (وَلَا يُصْلِحُونَ) بالطاعة
 (قَالُوا) أي قال بعضهم لبعض (تَقَاسَمُوا) أي احلفوا (بِاللَّهِ لَنَدِيَّتَنَّهُ) بالنون والتاء وضم
 التاء الثانية (وَأَهْلَهُ) أي من آمن به أي قتلهم ليلاً (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ) بالنون والتاء وضم اللام
 ثانية (لَوْلِيٍّ) أي وليّ دمه (مَا شَهِدْنَا) حضرنا (مُهْلِكَ أَهْلِهِ) بضم الميم وفتحها أي
 هلاكهم أو هلاكهم فلا ندرى من قتلهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) وَمَكْرُؤًا) في ذلك (مَكْرَأً
 مَكْرَأً) أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فَاظْطَرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 تُكْرِهِمْ إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ) أهلكناهم (وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) بصيحة جبريل ،

قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) أي مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب أن يقول وبالتاء لأن ضم التاء
 يكون إلا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي من آمن به) وسيأتي أنهم أربعة آلاف (قوله بالنون) أي مع
 اللام وقوله والتاء أي فقراءة النون هنا مع قراءة النون في الذي قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله أي
 دمه) أي دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك أهله) أي أهل وليّ الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين
 (قوله بضم الميم) أي مع فتح اللام وقوله وفتحها أي مع فتح اللام وكسرهما فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله أي إهلاكهم)
 راجع للضم لأنه من الرباعي (قوله وهلاكهم) راجع لفتح بوجهيه لأنه من الثلاثي (قوله وإنا لصادقون) أي ونحلف إنا
 صادقون أو المعنى والحال إنا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكراً) أي أرادوا إخفاء ما يبتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله
 مكرونا مكراً) أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقمصا

والإحقيقة المكسر مستحيلة على الله تعالى لأنه التحيل على القدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) أي تأمل
 وتفكر (قوله إنا دمرناهم) بكسر إن على الاستئناف وفتحها على أنه خبر محذوف أي وهي تدميرنا إياهم والقراءتان سبعيتان

أَوْ بِرْمَى الْمَلَائِكَةُ بِحِجَارَةٍ يَرَوْنَهَا وَلَا يَرَوْنَهُمْ (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ) أَيْ خَالِيَةٌ وَنَصَبَهُ عَلَى
الْحَالِ وَالْعَامِلِ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ (بِمَا ظَالَمُوا) بظلمهم أَيْ كَفَرُوا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) لِعِبَادِ
(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قَدَرْتَنَا فَيَتَعَمَّلُونَ (وَأُنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِصَالِحٍ وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ (وَكَانَ
يَتَّقُونَ) الشَّرْكَ (وَأَوْطَا) مَنْصُوبًا بِأَذْكَرٍ مَقْدَرًا قَبْلَهُ وَيَبْدُلُ مِنْهُ (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ) أَيْ اللِّوَاطَ (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أَيْ يَبْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنَّهُمَا كَانَا فِي الْمَعْصِيَةِ (أُنِزَّكُمْ
بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ) لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) عَاقِبَةُ فَعْلِكُمْ (فَكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ أَهْلَهُ) مِنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَا مَنِيتَطَهَّرُونَ) مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ (فَأُنْجَيْنَا
وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا نَهَا) جَعَلْنَاهَا بِتَقْدِيرِنَا (مِنَ الْفَاحِشِ) الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا) هُوَ الْحِجَارَةُ السَّجِيلُ أَهْلَكْتَهُمْ (فَسَاءَ) بُسْ (مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) بِالْعَذَابِ مَطَرُهُمْ (قُلْ) يَا مُحَمَّدُ
(الْحَمْدُ لِلَّهِ) عَلَى هَلَاكِ كَفَّارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ (وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) هُمْ (اللَّهُ) بِتَحْقِيقِ
الْهَمَزَيْنِ وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفًا وَتَسْهِيلِهَا وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِهِ ،

منعول لأجله (قوله عاقبة
فعلكم) أى وهى العذاب
الذى نزل بهم (قوله فما
كان جواب قومه) خبر
كان مقدم ، وقوله إلا أن
قالوا اسمها مؤخر (قوله
آل لوط) المراد هو وأهله
وهم بنتاه وزوجته المؤمنة
(قوله من قرىتمكم)
الاضافة للجنس لأنه تقدم
أن قراهم كانت خمسة
وأعظمها سدوم (قوله
يتطهرون) أى يتنزهون
وقالوا ذلك على سبيل
الاستهزاء (قوله فأنجيناه
وأهله) أى فخرج لوط

وأهل (أى خرج لوط)
بأهل من أرضهم ، طوى الله له الأرض حتى نجا ووصل إلى إبراهيم
(قوله الباقيين فى العذاب) أى الذى حل بهم وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أر
آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) أى على من كان فى ذلك الوقت خارجا عن المدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السج
أى الطين المحروق) (قوله مطرهم) هو الخصوص بالدم (قوله قل الحمد لله) لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بح
والسلام على الصطفين شكرا له على نصرة أهل الحق والإيمان وقطع دابر أهل الكفر والطغيان وتمهيدا لما يذكر من
التوحيد الذى أقامها ردًا على المشركين ، والسر فى ذلك إنصاف العاقل وإصفاؤه ليدخل فى زمرة من سلم الله عليهم (
وسلام) أى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الأنبياء والرسل ، وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل مؤ
هذه الأمة ، وقيل كل مؤمن من مبدئ الدنيا إلى منتهاها ، ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته فى الدنيا ولجنته ونه
فى الآخرة ، فالأصل اصطفاء الله لأعبد فلولا اصطفاؤه له ما وفق العبد لخدمته ربه ، ومن هذا قولهم : لولا السابقة ما كانت الل
(قوله بتحقيق المحرزين الخ) ظاهر الفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم ، والصواب أن هنا قراءتين فقط تسهيل الله
مقصورة وإبدالها ألفا معدودة مدا لازما وتقدم أن هذين الوجهين بحري لأن فى خمسة مواضع فى القرآن غير هذا اثنان فى الأ

مكرين في الومضين ، وثلاثة في بونس الله أدن لاسم ، آآن في الوضمين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو ما اسم تفضيل
 اعتبار زعم الكفار أو صفة لا تفضيل فيها والكلام على حذف مضاف والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن
 عبده فهو تهكم بالمشركين لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله والاختيار للشيء لا يكون إلا خير ومنفعة ولا خير في عبادتها
 كان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم ما يشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ
 الجلالة لوجود العادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهي منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الإنكارى (قوله بالياء
 التاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أهل مكة) تفسر للواو في يشركون (قوله أى الآلهة) تفسر لما والمعنى أم الآلهة التى
 شركونها به خير لعبادتها (قوله أمن خالق السموات والأرض) القراءة السبعية بادغام إحدى الميمين فى الأخرى وأم منقطعة ومن
 لى مبتدأ خبره محذوف تقديره خبر أم ما يشركون وقرى شذوذا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام
 قوله فيه الالتفات) أى وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل إشارة (١٨٩) إلى أن الله تعالى هو المنبت
 للأشجار والزرع لا غيره

ولا خلقها مختلفة الألوان
 والطعوم مع كونها تسقى
 بماء واحد (قوله وهو
 البستان المحوط) أى
 المجموع عليه حائط لعزته
 (قوله ذات بهجة) صفة
 لحدائق وأورد لكونه جمع
 كثرة لما لا يعقل (قوله
 ما كان لكم) أى لا ينبى
 لأنكم عاجزون عن
 إخراج النبات وإن كنتم
 قادرين على السقى والغرس
 ظاهراً (قوله أن تنبتوا
 شجرها) أى فضلا عن
 ثمارها وأشكالها (قوله
 وإدخال ألف بينهما) أى
 وتركه فالقراءات أربع

(خير) لمن عبده (أم ما تُشركون) بالتاء والياء ، أى أهل مكة به ، أى الآلهة خير لعبادتها
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا) فيه التفات من
 لىبة إلى التكلم (به حدائق) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذات بهجة) حسن
 ما كان لكم أن تنبتوا شجرها (لعدم قدرتكم عليه (أله) بتحقيق الهمزتين وتسهيل
 لثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين فى مواضع السبعة (مع الله) أعانه على ذلك ، أى
 يس معه إنه (بل هم قوم يعدلون) يشركون بالله غيره (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا)
 لا تميد بأهلها (وجعل خلاها) فيما بينها (أنهاراً وجعل لها رواسي) جبالا أثبت بها
 لأرض (وجعل بين البحرين حاجزاً) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أله
 مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيده (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ) المكروب الذى مسه
 الضر (إذا دعاه وبكشفت سوءه) عنه وعن غيره (ويجمع لكم خلفاء الأرض) الإضافة
 بمعنى فى ، أى يخلف كل قرن القرن الذى قبله (أله مع الله قليلاً ما تذكرون) تتعظون
 بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء فى الذال ، وما زائدة لتقليل القليل (أَمَّنْ يَهْدِيَكُمْ)
 يرشدكم إلى مقاصدكم (فى ظلمات البر والبحر) وبالنجوم ليلاً ، وبعلامات الأرض نهاراً
 (وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ،

سبعيات (قوله فى مواضع السبعة) أى وضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ أله خمس مرات وأثنا (قوله
 أى ليس معه إله) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) لإضراب انتقالى من
 تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الأرض قراراً) أى مستقراً للإنسان والدواب ، لا تتحرك بما على ظهرها (قوله
 فيما بينها) أشار بذلك إلى أن قوله خلاها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق ويصح أن تكون بمعنى صير وخلاها مفعول ثان
 (قوله حاجزاً) أى معنوا غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى وكفرهم تقليد والأقل يعلم الأدلة وكفرهم عناد (قوله
 المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قابت طاء لوقوعها إثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله إذا دعاه) أشار
 بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقفة على دعائه ، فلا ينبى لمن كان مضطراً ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما أراد
 سبحانه وتعالى لأن الله أرأف على العبد من نفسه ، فالعاقل إذا دعا الله يسلم فى الإجابة لمراد الله (قوله الإضافة بمعنى فى) أى فالله
 يجعلكم خلفاء فى الأرض (قوله وفيه إدغام التاء فى الذال) أى بما قبلها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة
 لتقليل القليل) أى فالمراد تأكيد القلة (قوله وبعلامات الأرض) أى كالجبال

(قوله أى قدام المطر) أى أمامه (قوله وإن لم يعترفوا بالاعادة) أشار بذلك إلى سؤال وترد حاصله كيف يقال لمسم : أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، مع أنهم منكرون للاعادة ؟ وأشار إلى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها . وإيضاحه أن يقال إنهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في إنكار الاعادة بل ذلك محض جهود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحق العبادة غيره (قوله أن مى إلهما) الأوضح أن يقول إن مع الله إلهان النبي مأمور بهذا القول وهو لا يقول لهم إن كنتم صادقين أن مى إلهما (قوله وسألوه) أى الشركون (قوله من فى السموات والأرض) من فاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يعلمه والتقدير لا يعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والأرض كالانس الغيب لكن الله هو الذى يعلمه (١٩٠) (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والأرض على سبيل

الف والمفسر المرتب (قوله لكن الله الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولا يصح جعله متصلا لإيهامه أن الله من جملة من فى السموات والأرض وهو محال (قوله وقت يبعثون) تفسير لآيان ، والمناسب تفسيرها ببق لأن آيان ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت (قوله بمعنى هل) أى الذى للاستفهام الانكارى (قوله أى بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى وقوله أوتابع راجع للثانية ، والمعنى هل بلغ علمهم بالآخرة

أى قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) به غيره (أمن يبدأ الخلق) فى الأرحام من نطفة (ثم يعيده) بعد الموت وإن لم يعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أإله مع الله) أى لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه (قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) حججكم (إن كنتم صادقين) أن مى إلهما فعل شيئا مما ذكر . وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قل لا أعلم من فى السموات والأرض) من الملائكة والناس (الغيب) أى ما غاب عنهم (إلا) لكن (الله) يعلمه (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى كفار مكة كغيرهم (أَيَّانَ) وقت (يُبعثُونَ . بَلِ) بمعنى هل (أدرك) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى أدارك بتشديد الدال وأصله تدراك أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل أى بلغ ولحق أوتابع وتلاحق (علمهم فى الآخرة) أى بها حتى سألوه عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك (بَلِ هُمْ فى شكٍ مِنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) من عمى القلب وهو أبغ مما قبله والأصل عميون استثقلت الضمة عن الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أيضا فى إنكار البعث (أَنَذَا كُنَّا تَرَابًا) وآبَاؤُنَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ) من القبور (لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع أسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب ،

وأتابع علمهم الآخرة حتى سألوا عن وقت مجيئ الساعة ليس عندهم علم بذلك ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة فسؤالهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) أى الآخرة (قوله بل هم منهم لعمرون) أى عندهم جزم بعلمها لعدم إدراكهم دلائلها (قوله بعد حذف كسرتها) أى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر نمة (قوله أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أَنَذَا كُنَّا تَرَابًا) كان فعل ماض ناقص وناصبها وترابا خبرها وآبَاؤُنَا معطوف على اسم كان وسوغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول أول وهذا مفعول ثان ونحن تأكيد لنا وآبَاؤُنَا معطوف على المفعول الأول وسوغه الفصل بالمفعول الثانى والضمير المنفصل ، والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر تهديد لهم إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا نزل بهم منازل من قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى لتعتبروا بهم فتزجروا عن قبائحكم (قوله بانكارهم) أى المجرمين (قوله بالعذاب) أى الدنيوى لأنه هو المشاهد آثاره .

قوله ولا تحزن عليهم) أى لا تنتم على عدم إيمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرم في المستقبل ، فالحزن غم لما مضى والخوف
 من ما يستقبل (قوله ولا تكن) بثبوت النون هنا وهو الأصل وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعا
 سعة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنتان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :
 ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم (قوله في ضيق) بفتح الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان
 أى حرج (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجى في القرآن بمنزلة التحقيق
 (قوله القتل بدر) أى وغيره وهذا هو العذاب العجل (قوله وباقي العذاب الخ) (١٩١) أى وهو العذاب المؤجل (قوله

ومنه) أى الفضل (قوله
 ليعلم ما تكن صدورهم)
 أى فالتأخير ليس لحفاء
 حالهم عليه (قوله الهاء
 للبالغة) أى كراوية
 وعلاوة وصماها هاء
 باعتبار الوقف ولو قال
 التاء لكان أسهل ،
 وقيل إنها كالتاء الداخلة
 على المصادر نحو العاقبة
 والعافية ونظيرها الذبيحة
 والنطيحة في أنها أسماء
 غير صفات (قوله ومكنون
 علمه) الواو بمعنى أو لأنه
 تفسير ثان قسميته كتابا
 على سبيل الاستعارة
 التصريحية حيث شبه
 بالكتاب كالسجل الذى
 يضبط الحوادث ويحصيها
 ولا يشد عنه شئ منها
 (قوله أ كثر الذى هم فيه
 يختلفون) أى فقد نص
 بالتصريح على الأ كثر
 فلا ينافى قوله : ما فرطنا

(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى
 لا تنهم بمكرهم عليك فأنا ناصر لك عليهم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ) فيه (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ) قرب (اَكُمُ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) فحصل
 لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه تأخير
 العذاب عن الكفار (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب
 لإنكارهم وقوعه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تخفيه (وَمَا يُعْلِنُونَ) بالسنتهم
 (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الهاء للبالغة : أى شئ في غاية الخفاء على الناس (إِلَّا
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (إِنَّ هَذَا
 الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) الموجودين في زمان نبينا (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)
 أى ببيان ما ذكر على وجه الرفع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا (وَإِنَّهُ لَهْدَى) من
 الضلالة (وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) كغيرهم يوم القيامة
 (بِحُكْمِهِ) أى عدله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْعَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته
 كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ)
 أى الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالعمى
 فقال (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل
 الثانية بينها وبين الياء (وَلَوْ أَمْدَرِينَ) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنَّ) ما
 (تُسْمِعُ) مسمع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْمِعُونَ) مخلصون
 بتوحيد الله ،

في الكتب من شئ من جملة اختلافهم في شأن المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا
 (قوله أى عدله) دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقتضى بقضائه أو يحكم بحكمه . فأجاب بأن المراد
 بالحكم العدل (قوله فلا يمكن أحدا مخالفته الخ) تقرير على العزيز فكان المناسب تقديمه بلسقه (قوله فتوكل على الله الخ)
 تقرير على كونه عزيزا علما أى فإذا ثبت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه تعالى والثقة به
 (قوله إنك على الحق المبين) علة للتوكل وكذا قوله إنك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) أى فتقرأ متوسطة بين الهمزة
 والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) أى معرضين (قوله بهادي العمى) ضمنه معنى الصرف فعدها بمن (قوله إلا من
 يؤمن بآياتنا) أى من سبق في علم الله أنه يكون مؤمنا ومن هنا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة .

(قوله و إذا وقع القول) أى قرب وقوعه وإنما عبر بالماضى لحصوله فى علم الله لأن الماضى والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحاطته بها ، والمراد بالقول ما عيّد القرآن بالفضائح والحزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسيرا لوقع ، والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الأرض) أى وهى الجساسة ، ورد فى الحديث « أن طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب » . وروى « أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان » وعن ابن جريج فى وصفها : رأس ثور وعين خنزير وأذن فيسل وقرن إيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخصرة هرة وذنب كبش وخف بغير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه « فيها كل لون ما بين قرنها فرسخ للراكب » وعن على رضى الله عنه « أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها » وعن النبی صلى الله عليه وسلم « أنه سئل من أين تخرج الدابة ؟ فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى » يعنى المسجد الحرام ، وروى « أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرًا طويلا ، فبينما الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن بين الحارج من المسجد » وقيل تخرج من الصفا لما روى « بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه السامون إذ تضطرب الأرض تحتم أى تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسمى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب المؤمن (١٩٢) فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء بها وجهه

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) حق العذاب أن ينزل بهم فى جملة الكفار (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أى تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (إِنَّ النَّاسَ) أى كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أى لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب ، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (وَ) اذكر (يَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (رِجْمَنٌ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا) وهم رؤسائهم المتبعون (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أى يجمعون برد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم :

وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالحاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يافلان من أهل الجنة وأنت يافلان من أهل النار » وروى « أن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها

وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها » واختلاف أيضا فى تعيين هذه الدابة فقيل هى فصيلة ناقة صالح وهو أصح الأقوال فإنه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج بأذن الله عز وجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسيرا لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف أى حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بأن تقول قال الله إن الناس الخ (قوله أى كفار مكة) المناسب لهم الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء) أى للتعدية أو للسببية ، وأما على قراءة الكسرة فهو مستأنف من كلامه تعالى نقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) أى لا ينفع أمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، ووجد فى بعض النسخ ولا يبق منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر : أى لا يوجد فى هذا الوقت من ينوب إلى الله أى يرجع إليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا إيمان كافر (قوله ويوم نخشروا) أى الحشر الخاص بهم للعذاب بعد انقضاء الحشر العام لجميع الخلق (قوله من كل أمة) من تبعيضية وقوله ممن يكذب بآياتنا للفوج (قوله فوجا) الفوج فى الأصل الجماعة المارة السريعة ثم أطلق على الجماعة مطلقا (قوله وهم رؤسائهم) أى كآبى جهل وأبى بن خلف وفاروق وقارون والفرزدق وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نخشروا على حدة (قوله يرد آخرهم إلى أولهم) المناسب أن يقول يرد أولهم على آخرهم أى يحبس أولهم ويوقف حتى يأتى آخرهم ويحتمون ثم يساقون .

له (أَكْذَبْتُمْ بآيَاتِي) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى أنكروا ما جحدتموها (قوله ولم تحيطوا بها علماً) الجملة حالية كدة للأنكار والتوبيخ ، والمعنى أنكروا ما من غير فهمها وتأملها فهم ، وأخذون بالجهل والكفر (قوله أم ماذا) أم منقطعة بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم في ما فقوله فيه إدغام الاستفهامية أي الإدغام فيها (قوله حق العذاب) أي نزل بهم وهو كبرهم النار (قوله فهم لا ينطقون) أي بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أي يعلموا (قوله أنا جعلنا الليل) أي مظلماً بدلالة قوله والنهار سراً عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصراً بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه في الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر) أي فالاستناد مجازي من الاستناد إلى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) أي بالسمي في مصالحهم (قوله إن في ذلك) أي الجمل كور (قوله دلالات على قدرته تعالى) أي من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ في الصور) طوف على قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجاً (قوله النفخة الأولى) أي وتسمى نفخة الصعق ونفخة الفرع فحشر عنها هنا بالفرع سورة الزمر بالصعق قال تعالى - ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض - الخ فعند حصولها يموت كل شيء ، وأما النفخة الثانية فعندها يحيا من كان ميتاً فالنفخة (١٩٣) اثنتان وبينهما أربعون سنة ،

وقيل إنها ثلاث : نفخة الزلزلة ، وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها ونفخة الموت ونفخة الأحياء ، والقول الأول هو المشهور ، والصحيح في الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إصرا فيل فهو واضع على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض ويسمى بالبوق في لغة اليمن (قوله من إصرا فيل) أي وهو أحد الرؤساء الأربعة

أَكْذَبْتُمْ (أَنْبِيَائِي) بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا (بِهَا عِلْماً أَمْ) فِيهِ إِدْغَامُ الْاِسْتِفْهَامِيَةِ (ذَا) مُوصُولٌ : أَيِ مَا الَّذِي (كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) بِمَا أَمَرْتُمْ بِهِ (وَوَقَعَ الْقَوْلُ) فِي الْعَذَابِ (عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا) أَيِ أَشْرَكُوا (فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) إِذْ لَاحِجَةٌ لَهُمْ (أَلَمْ يَرَوْا) أَنَّا جَعَلْنَا (الْأَيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) كَفِيرُهُمْ (وَالنَّهَارَ مُبْصِراً) بِمَعْنَى يَبْصُرُ فِيهِ يَتَصَرَّفُوا فِيهِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خُصُوا لَذِكْرٍ لانتفاعهم بها فِي الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْكَافِرِينَ (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) الْقَرْنُ النَّفْخَةُ أَوَّلَى مِنْ إِسْرَافِيلَ (فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) أَيِ خَافُوا الْخَوْفَ الْمَفْضَى إِلَى الْمَوْتِ كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى : فَصَعِقَ ، وَالتَّعْبِيرُ فِيهِ بِالْمَاضِي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) أَيِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمَلَكِ الْمَوْتِ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : هُمُ الشَّهَدَاءُ ، إِذْ هُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ (وَكُلٌّ) تَنْوِينُهُ عَوَاضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ : أَيِ وَكُلُّهُمْ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (أَتَوْهُ) بِصِيغَةِ الْفَعْلِ وَاسْمِ الْفَاعِلِ (دَاخِرِينَ) صَاغِرِينَ وَالتَّعْبِيرُ فِي الْإِتْيَانِ بِالْمَاضِي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ (وَتَرَى الْجِبَالَ) تَبْصُرُهَا ،

جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَعِزْرَائِيلَ (قوله من في السموات ومن في الأرض) أي من كل من كان حياً في ذلك الوقت (قوله أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت) أي استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به (قوله والتعبير بالماضي الخ) جواب عما يقال إن الفرع مستقبل فلم عبر بالماضي . فأجاب بأنه لتحقيقه نزل منزلة الواقع ، لأن الماضي والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به (قوله أي جبريل الخ) أي فهو لاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى بخلاف باقي الملائكة وإعما يموتون بين النذختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخرزنة الجنة والنار ، وقيل موسى ، وقيل جميع الأنبياء (قوله إذ هم أحياء) أي حياة برزخية لا تزول ولا تحول ولكن ليست بحياة الدنيا (قوله أي كلهم) أي المخالقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) أي الماضي فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) أي فيقرأ بعد الهمزة وضم التاء وسكون الواو وأصله آتون له حذفت اللام للتخفيف والذون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرین) أي أذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والعاصي وليس المراد ذل المعاصي ، والمعنى أن إصرا فيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التي بها يكون إحياء الخلق يأتي كل إنسان ذليلاً لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ .

(قوله وقت النفخة) أى الثانية لأن تبدل الأرض وتسير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد قوله تعالى - ويستألفونك عن الجبال فقل ينفخها ربى نفسا - الآية وقوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض - الآية (لعظمها) أى وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت مرة واحدة لانكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب إبقاء اللفظ ظاهره لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف ، والأصل من السحاب بالمطر (قوله حتى) أى الجبال على الأرض (قوله مبسوسة) أى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) أى الصوف المنفوش (قوله مؤلف) لضمون الجملة قبله (أى لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسير الجبال وغير ذلك إنما هو من صنع الله لا غير) (قوله الذى) كل شئ (أى وضعه فى محله على أكمل حالاته) (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى لا إله إلا الله) حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لأن الكبر فى النار ليس بمطلق سبته بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان وحده قال فى الحسنة للعهد أى الحسنة (١٩٤) اليهودية وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر (قوله فله خير منها) أى وهو الخلود فى الجنة (قوله أى بسببها) أشار بذلك إلى أن من السببية وأنصح أن تكون للتعليل أى من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) أى ليس خير أفعال تفضيل لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله ويؤيد ما قاله الفسر ماروى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب ولأن من العذاب أما من يكون له شئ خير من الإيمان فلا لأنه لا شئ خير

وقت النفخة (تحسبها) تظنها (جامدة) واقفة مكانها لعظمها (وهى) تمر مرة السحاب (وهى) إذا ضربته الريح أى تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوى بها مبسوسة ثم تصير كالسحاب ثم تصير هباء منثورا (صنع الله) مصدر مؤكد لضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أى صنع الله ذلك صنعا (الذى أتقن) أحكم (كل شئ) صنعه (إنه خير مما يفتالون) بالياء والتاء أى أعداؤه من العصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أى لا إله إلا الله يوم القيامة (فله خير) ثواب (منها) أى بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها وفى أخرى عشر أمثالها (وهم) أى الجاهلون بها (من فزع يومئذ) بالإضافة وكسر الميم وفتح منون متوناً وفتح الميم (آمنون . ومن جاء بالسيدة) أى الشرك (فكبت وجوههم فى النار) بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال تكبكتا (هل) أى ما (تجزون إلا) جزاء (ما كنتم تعملون) من الشرك والمعاصى قل لهم (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) أى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم إنسان ، ولا يظلم فيها أحد ، ولا يصطاد صيدها ، ولا يختلى خلاها ، وذلك من النعم على قريش أهلها فى رفع الله عن بلادهم العذاب والفتن الشائعة فى جميع بلاد العرب (وله) تعالى (كل شئ) فهو ربه وخالقه ومالكه ،

من لا إله إلا الله (قوله بالإضافة) أى إضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) (وأمرت) أى الأعراب وقوله وفتحها أى فتحة بناء وهى قراءة ثانية فى الإضافة وقوله وفزع منوناً معطوف على قوله بالإضافة فتكررت القراءات ثلاثا سبعيات فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو فى الأخير (قوله آمنون) أى لا يصيبهم منه شئ والمراد بالفتن هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة فى ذلك اليوم فلا تنافى بين إثباته فيما تقدم وهنا (قوله فكبت وجوههم) أى ألقوا عليها فى النار (قوله ويقال لهم) أى وقت كبرهم على وجوههم فى النار ، والقائل خزنتها (قوله أى ما تجزون الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قل لهم إنما أمرت الخ) أمر الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل فى العباد إشارة إلى أن عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا أو كفوا فينسب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرمها) صفة للرب ، ولا يعارضه قوله الله عليه وسلم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة لأن إسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه وإسناد التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك وإظهاره (قوله ولا يختلى خلاها) أى لا يقطع حبشها الرطب

له وأمرت أن أكون من المسلمين) أى أثبت على ما كنت عليه (قوله وأن أنزل القرآن) أى أواظب عليه لتكشف لي
قته ورقائقه لأن علوم القرآن كثيرة فينكرار التلاوة أزداد علوما ومعارف ، وفي هذه الآية إشعار بأن تلاوة القرآن أعظم
دات قدرا عند الله (قوله فمن اهتدى له) أى للإيمان (قوله فقل إنما أنا من المذنبين) هو جواب الشرط والرابط محذوف
المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) أى على ما أعطاني من النعم العظيمة
أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم (قوله سير بكم آياته) أى في الدنيا (قوله وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) أى
الذين قتلوا أدبارهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى هو وعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائفتين
يد للعاصين. [سورة القصص] سميت بذلك لاشتغالها على الحكايات والأخبار المروية عن الله لأن القصص مصدر بمعنى الأخبار
مى أيضا سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) أى حين خرج رسول الله (١٩٥) صلى الله عليه وسلم من الغار

ليلا مهاجرا في غيب
الطريق مخافة الطلب فلما
رجع إلى الطريق ونزل
بالجحفة عرف الطريق
إلى مكة فاشتاق إليها
فنزلت تلك الآية تسلية
وتبشيرا له بأنه يرجع إلى
مكان عوده وهو مكة
أحسن مرجع ومن هنا
صح استعمال هذه الآية
للعارفين عند توديع
المسافر وقيل المعاد الموت
وقيل الآخرة وكل صحيح
وهذه الآية ليست مكية
ولا مدنية لأنها لم تنزل
قبل الهجرة ولم تنزل بعد
استقرارها بل نزلت
بالطريق (قوله إلى قوله
لا تبتغي الجاهلين) أى
وهو أربع آيات (قوله أى
هذه الآيات) أى آيات هذه

أمرت أن أكون من المسلمين) الله بتوحيده (وأن أنزلوا القرآن) عليكم تلاوة الدعوة
الإيمان (فمن اهتدى له) (فإنما يهتدى لنفسه) أى لأجلها فإن ثواب اهتدائه له
من ضل) عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فقل) له (إنما أنا من المذنبين) الخوفا
س على إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال (وقل الحمد لله سير بكم آياته فتعرفونها)
إم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار (وما
لك بغافل عما تعملون) بالياء والتاء ، وإنما يعلمهم لوقتهم .

(سورة القصص)

مكية إلا - إن الذي فرض - الآية ، نزلت بالجحفة وإلا «الذين آتيناهم
الكتاب - إلى قوله - لا تبتغي الجاهلين» وهى سبع أو ثمان وثمانون آية
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طس) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات
آيات الكتاب) الإضافة بمعنى من (المؤمنين) المظهر الحق من الباطل (تتلوا) نقص
عليك من نبي) خبر (موسى وفرعون بالحق) الصدق (لقوم يؤمنون) لأجلهم لأنهم
ينتفعون به (إن فرعون علا) تعظم (في الأرض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعة)
رقا في خدمته (يستضعف طائفة منهم) هم بنو إسرائيل (يذبح أبناءهم) المولودين
ويستحي نساءهم) يستيقين أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولودا يولد في بني إسرائيل
يكون سبب زوال ملكك .

سورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله تتلوا عليكم) مفعوله محذوف أى شيئا وقوله من نبأ صفة لذلك المحذوف
يصح أن تكون من اسم بمعنى بعض هى المفعول أو زائدة على مذهب الأخفش ونبأ هو المفعول (قوله بالحق) حال إما من فاعل
تلاوا أو من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق أو كون الخبر ملتبسا بالصدق (قوله لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل
أى أن المقصود بالذكر المؤمنون لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى - ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين - (قوله إن
فرعون) كلام مستأنف بيان للنبا (قوله تعظم) أى تكبر وافتخر (قوله وجعل أهلها شيعة) أى أصنافا فجعل الصنائع الشريفة والامارة
لقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل من بناء وحرق وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح
أبناءهم) بدل اشتغال من قوله يستضعف الخ وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي فسلط
الله عليهم القبط فاستضعفهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون . قيل إنه ذبح سبعين ألفا إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام

(قوله إنه كان من المفسدين) أى الراسخين فى الفساد (قوله بالقتل وغيره) أى كدعوى الألوهية (قوله وزيد أن نمن) أى تنفضل عليهم بأنجاهم من بأسه (قوله يقتدى بهم) أى بعد أن كانوا أدلاء مسخرين (قوله وتمكن لهم فى الأرض) أى تمكنهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاءون (قوله ونرى فرعون) أى نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول أول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفى قراءة) أى وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله : ما كانوا يحذرون ، وعلى هذه فتجب إمامة الراء إمالة محضة (قوله ورفع الأسماء الثلاثة) أى على الفاعلية (قوله منهم) أى المستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) أى وقد حصل ماخافوه حين أنهم معجزات موسى عليه السلام وحين أدركهم الغرق (قوله وحى إلهام أو منام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان ملك تمثل لها واعترض بأنها ليست بنبيه . وأجيب بأن المنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع وأما بقية جاز كنزول الملك على البار بأمره التى تقدمت قصته فى البقرة (قوله إلى أم موسى) أى واسمها يوحنا بضم الياء وكسر النون وبالدال المعجمة ، وقيل لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب ، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما أرضعيه وألقيه ونهييه وهما لا تخافى ولا تحزنى وخبرين وبشارتين وهما إنا رادوه إليك وجاعلوه من الرسلين فهما خبران تضمننا بشارتين (قوله أن أرضعيه) يصح أن تكون أن مفسرة أو مصدرية (قوله فاذا خفت عليه) أى من الذبح (قوله ولا تخافى غرقه) دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه (١٩٦) فالثبت هو خوف الذبح والنفي هو خوف الغرق (قوله إنا رادوه إليك) أى لتأمنى عليه وهو علة للذهاب عن الخوف والحزن (قوله فوضعت فى تابوت) أى وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك وجعات المفتاح فى التابوت (قوله مطلى بالقار) أى الزفت (قوله ممد) أى مفروش له فيه ففرشت فيه قطنا محاجا (قوله وأغلقتة) أى وقبرت رأسه . وحاصله أن أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوايل التى وكاهن فرعون بحبالى بنى إسرائيل مصافية

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ (وَزَيْدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَمَلَهُمْ أَئِمَّةً) بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْالِ الثَّانِيَةِ يَاءُ : يَقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ (وَنَجَمَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) مَلِكُ فِرْعَوْنَ (وَتُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أَرْضُ مِصْرَ وَالشَّامِ (وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) فِي قِرَاءَةٍ وَيَرَى بَفَتْحِ التَّحْتَانِيَةِ وَالرَّاءِ وَرَفْعِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) يَخَافُونَ مِنَ الْمَوْلُودِ الَّذِي يَذْهَبُ مَلِكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ (وَأَوْحَيْنَا) وَحَى إِلَهُامٍ أَوْ مَنْامٍ (إِلَى أُمِّ مُوسَى) وَهُوَ الْمَوْلُودُ الْمَذْكُورُ وَلَمْ يَشْعُرْ بِوِلَادَتِهِ غَيْرَ أَخْتِهِ (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) الْبَحْرِ أَيْ النَّيْلِ (وَلَا تَخَافِي) غَرَقَهُ (وَلَا تَحْزَنِي) لِفِرَاقِهِ (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فَأَرْضَعْتَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَا يَبْكِي وَخَافَتْ عَلَيْهِ فَوَضَعْتَهُ فِي تَابُوتٍ مَطْلَى بِالْقَارِ مِنْ دَاخِلٍ مَمْدُودٍ فِيهِ وَأَغْلَقْتَهُ وَأَلْقَيْتَهُ فِي بَحْرِ النَّيْلِ لَيْلًا ،

ولادتها وكانت قابلة من القوايل التى وكاهن فرعون بحبالى بنى إسرائيل مصافية

(فالنقطة) لأم موسى ومصاحبة لها فلما ضربها الطاق أرسلت إليها ، فقالت قد نزل بي منزل فليسهفني حبك إياي اليوم فما لجتها ، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ، ثم قالت القابلة لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شي مثل حبه فأحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى ، فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقه وألقتة فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع . قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن ، فقالوا ما أدخل عليك القابلة ؟ فقالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبي ؟ فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته . ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله فى نفسها أن تتخذ تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل ، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا ، فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت ؟ فقالت لى ابن أخبته فى التابوت وكرهت الكذب ولم تقبل أخشى عليه كيد فرعون ، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الدباحين ليخبرهم بأمر أم موسى ، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الأماء ما يقول فأعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فلما انتهى النجار إلى موضعه

الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمناء فاتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا ففزع به فخرجوه ، فبقى حيران بفعل الله عليه إن ردة لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا وعرف الله الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فغفر الله ساجدا وقال يارب دافى على هذا العبد الصالح فدلّه الله عليه فأمن به وصدقته . بل لما حملت أم موسى به كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خاق الله وذلك شيء ستره الله تعالى أراد أن يمنّ به على بنى إسرائيل ، فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل إليهن ففتشن النساء فتفتشوا لم يفتشن ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته رقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم ، وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو البحر ، وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه أن بهارص شديد وكان فرعون قد جمع له الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا : أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر فيوجد شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيطبخ به برصها فبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس ، فلما ن ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جوارها جلست على شاطئ النيل مع جوارها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتأبوت تضربه الأمواج ، فقال فرعون إن هذا شيء في البحر قد تعلق بشجرة اتئوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدرُوا عليه ، فدنت آسية فرأت في جوف التأبوت (١٩٧) نور المير غيرها فعاجلته ففتحت

الباب فاذا هي بصبي صغير في التأبوت وإذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منها لبنا فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي

قَالَتْ طَهَ () بِالتَّابُوتِ صَبِيحَةَ اللَّيْلِ (آل) أَعْوَان (فِرْعَوْن) فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفَتَحَ أَخْرَجَ مُوسَى مِنْهُ وَهُوَ يَمُصُ مِنْ إِبْهَامِهِ لَبَنًا (لِيَكُونَ لَهُمْ) فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ (عَدُوًّا) يَقْتُلُ جَاهِلَهُمْ (وَحَزَنًا) يَسْتَعْبِدُ نَسَاءَهُمْ ، وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الزَّاي لِقَتَانِ فِي الْمَصْدَرِ ، وَهُوَ هُنَا مَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ حَزَنِهِ كَأَحْزَنِهِ (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) وَزِيرَهُ (وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) مِنَ الْخَطِيئَةِ : أَيِ عَاصِينَ فَعَوَّقُوا عَلَى يَدَيْهِ (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) وَقَدْ هَمَّ مَعَ عَوَانِهِ بِقَتْلِهِ :

ن التأبوت عمدت إلى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت في الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته إلى صدرها ، فقال فرعون من قوم فرعون أيها الملك إن انظر أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بنى إسرائيل هو هذا رمى به في البحر خوفا منك بهم فرعون بقتله ، فقالت آسية - قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا - أي فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت آسية لا تله فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها « فقل لآسية ممية فقالت سميت موسى لأنا وجدناه في الماء الشجر لأن مو هو الماء وشا هو الشجر فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة (قوله قَالَتْ طَهَ آل فرعون) عطف على ما قدره ففسر بقوله فأرضعته الخ (قوله صَبِيحَةَ اللَّيْلِ) أي وكان يوم الاثنين (قوله وَفَتَحَ) أي فتحت آسية بعد أن عالجوه بالفتح الكسر فلم يقدرُوا (قوله فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ) أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والصيرورة لالاعلة لأن علة التقاطع أن يكون حبيبا وابنا ، ففي الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب الأعم من الطرفين فالترتب الثاني متعلق معنى اللام فقد استعارة الترتب الكلّي المشبه به بالترتب الكلّي المشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذي هو الترتب الجزئي فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئي والعداوة والحزن قرينة لفاده المألوف (قوله فِي قِرَاءَةِ الْح) أي وهي سبعة أيضا (قوله مِنْ حَزَنِهِ) هو من باب ضرب ونصر (قوله فَعَوَّقُوا عَلَى يَدَيْهِ) أي مع أنه تربى على أيديهم فهو أبلغ في إذلالهم (قوله وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) أي وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام ، وقيل من بنات الأنبياء من بنى إسرائيل من سبط موسى عليه السلام ، وقيل كانت عمته فقالت فرعون وهي قاعدة إلى جنبه هذا الولد أكبر من ابن

سنة وأنت تذبح ولهمان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل إنها قالت له إنه آتى من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل (قوله هو قرت عين) أشار المفسر إلى أنه خبر محذوف (قوله عسى أن ينفعنا الخ) أى لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجاة والبركة (قوله فأطاعوها) أى على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون الفساء فيما يقلنه (قوله وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون (قوله وأصبح فؤاد أم موسى) يصبح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلاً أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهاراً (قوله فارغاً مما سواه) أى من التفكير في غيره لما ورد: أنه أتاها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فأغرقتيه في البحر فخرنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به إليها (قوله لتبدي به) ضمنه معنى نصح فعدها بالبلاء ويصح أن يبقى على ظاهره وتكون البلاء زائدة: أى نظيره (قوله لولا أن ربطنا على قلبها) جوابها محذوف: أى لأبدت به كما أشاره المفسر (قوله بوعد الله) أى المدلول عليه بقوله - إن أرادته إليك - الخ (قوله لأخته) أى شقيقته (١٩٨) (قوله مريم) هو أحد أقوال، وقيل اسمها كلثمة، وقيل كلثوم (قوله عن

هو) (قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) فأطاعوها (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بعاقبة أمرهم معه (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى) لما علمت بالتقاطه (فَارِغًا) مما سواه (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف. أى إنها (كَادَتْ لَتَبْدِي بِهِ) أى بأنه ابنها (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) بالصبر أى سكناه (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبلها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ) مريم (قُصِّيهِ) أى اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فَبَصُرَتْ بِهِ) أبصرته (عَنْ جُنُبٍ) من مكان بعيد اختلاصاً (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أنها أخته وأنها ترقبه (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل رده إلى أمه أى منعناه من قبول ثدى مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدى واحدة من المراضع المحضرة له (فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ) لما رأت حنوهم عليه (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) بالارضاع وغيره (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) وفسرت ضمير له بالملك جواباً لهم فأجيب فجاءت بأمه فقبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها في إرضاعه في بيتها فرجعت به كما قال تعالى (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلفظاته (وَلَا تَحْزَنَ) حينئذ ولتعلم أن وعد الله (برده إليها) (حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى الناس (لَا يَعْلَمُونَ) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فكث عنها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وهم له ناصحون) أى

جنب) حال إمامن الفاعل أو من الضمير المحرور بالبلاء أى أبصرته مستخفية كائنة عن جنب أو أبصرته أى اختفاء (قوله اختلاصاً) أى اختفاء (قوله وأنها ترقبه) أى ننظره (قوله وحرمتنا عليه) أى على موسى (قوله من قبل) هو ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أى منعناه) أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لأن الصبي ليس من أهل التكليف (قوله من المراضع المحضرة) أى التى أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أى

وأخذتها

مخلصون في العمل من شوائب الفساد (قوله حنوهم عليه)

أى عطفهم وميلهم إليه (قوله وغيره) أى كالتربية وإصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أى بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدى مرضعة أصلاً، قيل إن هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال إنها تعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت إنما أردت وهم له: أى لئلا ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكي طالبا للرضاع وهو بعاله شفقة عليه فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا نديك؟ فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي إلا قباني تدفعه إليها وقال لها أقمي عندنا لإرضاعه فقالت لا أقدر على فراق يتي فأن رضيت أرضعته في يتي وإلا فلا حاجة لي فيه وأظهرت الزهد فيه نفياً للهمة عنها فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأحففها بالذهب والجواهر (قوله كي تقر عينها) أى تبرد وتسكن من ألم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بأن مضرة بعد كي (قوله فكث عنها إلى أن فطمته) أى وهو سنتان.

قوله وأخذتها لأنها مال حربى (جواب عما يقال كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها (قوله أو ثلاث)
 لتوزيع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كل عقله وانتهى شبابه لأن موسى أقام في مصر ثلاثين
 سنة ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقعة قتل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه)
 أى مثل ذلك الذى فعلناه بموسى وأمه نجزى الحسينين على إحسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية
 التأنيت أو العجمة ، وهى من أعمال مصر ، وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر ، وقيل هى مدينة عين الشمس ،
 وقيل هى مصر (قوله وقت القبولة) وقيل بين المغرب والعشاء . وسبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن
 رهون وكان يركب مراكبه ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما قدم قيل له إن فرعون قد ركب فركب
 موسى فى أثره فأدركه القليل فى أرض منف فدخلها وليس فى طرقها أحد (قوله وهذا من عدوه) أى

وكان طبائخا لفرعون
 واسمه فايثون أراد أن
 يسخر الإسرائيلى لحمل
 الحطب (قوله فاستغاثه)
 أى طاب غوثه ونصره
 (قوله أن أحمله) أى
 الحطب (قوله فوكزه
 موسى) أى دفعه بجمع
 كفه ، وأما الكز فهو
 الضرب بأطراف الأصابع
 (قوله بجمع كفه) أى
 بكفه مجموعة فهو من
 إضافة الصفة للموصوف
 (قوله فقصى عليه) أى
 أوقع عليه القضاء وهو
 الموت (قوله ولم يكن قتله)
 جواب عما يقال كيف
 تجرأ على قتل القبطى
 وحاصل إيضاح الجواب
 أن قتله كان خطأ ، وقد يقال
 قتله من باب دفع الصائل

وأخذتها لأنها مال حربى فأتى به فرعون فترى عنده كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة
 الشعراء - ألم تر بك فىنا وليدا ولبثت فىنا من عمرك سنين - (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون
 سنة أو وثلاث (وَأُسْتَوَى) أى بلغ أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) حكمة (وَعِلْمًا) فقها
 فى الدين قبل أن يبعث نبيا (وَكَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (وَدَخَلَ
 مُوسَى (الْمَدِينَةَ) مدينة فرعون ، وهى منف بعد أن غاب عنه مدة (عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ
 أَهْلِهَا) وقت القبولة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ) أى إسرائيلى (وَهَذَا
 مِنْ عَدُوِّهِ) أى قبطى يسخر الإسرائيلى ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ
 شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) فقال له موسى خل سبيله فليل إنه قال لموسى لقد هممت أن
 أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَى) أى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فَقَضَى
 عَلَيْهِ) أى قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه فى الرمل (قَالَ هَذَا) أى قتله (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)
 للهييج غضبى (إِنَّهُ عَدُوٌّ) لابن آدم (مُضِلٌّ) له (مُبِينٌ) بين الإضلال (قَالَ) نادما (رَبِّ
 إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتله (فَاعْفُرْ لِي فَغْفَرَ لَهُ) إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (أى المتصف بهما
 أزلا وأبدا) (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ) بحق إنعامك (عَلَى) بالمغفرة اعصمنى (فَلَنْ أَكُونَ
 ظَاهِرًا) عونا (لِلْمُجْرِمِينَ) الكافرين بعد هذه إن عصمتنى (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا
 يَتَرَقَّبُ) ينتظر ما يناله من جهة القتل (فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ)
 يستغيث به على قبطى آخر (قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) بين الغواية ،

وهو واجب ، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقر بين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث إنه
 لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له أن قتله خلاف الأولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرحه الفتن (قوله إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِي)
 الحق أن هذا تواضع منه وحسنات الأبرار سيئات المقر بين (قوله بحق إنعامك على) أشار بهذا إلى أن ماصدرية والكلام على
 حذف مضاف وأشار بقوله أعصمنى إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن أكون جواب شرط قدره بقوله أن عصمتنى
 وأراد بمظاهرة المجرمين محبة فرعون وانتظامه فى جماعته وتكثير سواده (قوله فإذا الذى) إذا فجائية والذى مبتدأ نعت
 المحذوف أى فإذا الإسرائيلى الذى واستنصره صلاته ويستصرخه خبر المبتدأ (قوله على قبطى آخر) أى يريد أن يستخدمه
 والاستصراخ الاستغاثه وصحبت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ فى طلب النوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس إن
 القبط قالوا لفرعون إن بنى إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذلنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن شهد عليه فمناهم يطوفون لا يجدون بينه

(الح) أى خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (قوله) ولما توجه تلقاء مدين) أى بالهام من الله لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها وأن يئنه وبين أهل مدين قرابة لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك (قوله ابن إبراهيم) أى الحليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مداين فأولاده أربعة إسماعيل وإسحق ومدين ومداين ، وإنما لم يصرح فى القرآن بمدين ومداين لأنهما لم يكونا نبيين (قوله) ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى ريمت خضرته

في باطنه من خارج وما وصل إلى مدين حتى وقع

Marfat.com

(جمع راع) أى على غير قياس وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله فى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وأبونا شيخ) أى فهذا وجه مباشرتنا للسقى بأنفسنا قال الأجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل : [تمة] عاش شعيب نبي الله ﷺ ألف سنة ذكره الشيخ زروق ، وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب ، وفى رواية أنه عاش ثلاثة آلاف وستمائة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهورى (قوله لا يقدر أن يسقى) أى ملنا اضطرارا (قوله فسقى لهما) أى سقى أغنامهما لأجلهما (قوله إلا عشرة أنفس) وقيل سبعة ، وقيل ثلاثون ، وقيل عيون ، وقيل مائة (قوله لسمرة) بضم اليم ، وهى شجرة عظيمة من (٢٠١) شجر الطلح وهى التى أمر صلى

الله عليه وسلم ليلة الإسراء بالنزول والصلاة عندها (قوله إني لما أنزلت إلى) إن حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعاق بفقير وهو خبر إن وأنزلت بمعنى نزل والمعنى إني فقير ومحتاج لما تنزله إلى من أى شئ كان قليلا أو كثيرا (قوله ادعيه لى) أى اطلبه ليحضر عندي (قوله فجاءته الخ) عطف على ما قدره المفسر بقوله فرجعتا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد ، وهو حالة تعترى الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) أى قميصها (قوله منكرا فى نفسه) أخذ الأجرة) أى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ

مع راع ، أى يرجعون عن سقيهم خوف الزحام فسقى وفى قراءة يصدر من الرباعى أى يصرفون اشقيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقى (فسقى لهما) من بئر أخرى بها رفع حجرا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس (ثم تولى) انصرف (إلى الظل) لسمره شدة حر الشمس وهو جاثع (فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير) طعام (فقير) حاج ، فرجعتا إلى أيهما فى زمن أقل مما كنا ترجعان فيه فسالهما عن ذلك فأخبرناه بمن لهما فقال لإحدهما ادعيه لى ، قال تعالى (فجاءته) إحداهما تمشى على استحياء) أى ضمة كم درعها على وجهها حياء منه (قالت إن أبى يذعوك ليحزبك أجر ماسقت لنا) بابها منكرا فى نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافاة إن كان ممن يريدتها فمشت بين فجعلت الريح تصرب ثوبها فتكشف ساقها فقال لها امشى خلفي ودليني على الطريق فت إلى أن جاء أباه وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف يكون عوضا مما سفت لهما وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا ، قال : لا ، عادنى دة أبائى تقرأ الضيف ونظم الطعام فأكل وأخبره بحاله ، قال تعالى (فلما جاءه وقصص به القصص) مصدر بمعنى القصص من قتله القبطى وقصدم قتله وخوفه من فرعون (قال غف نجوت من القوم الظالمين) إذ لا سلطان لفرعون على مدين (قالت إحداهما) وهى سلة الكبرى أو الصغرى (يأبى استأجره) اتخذه أجيرا يرعى غنمنا أى بدلنا (إن من استأجرت القوى الأمين) أى استأجره لقوته وأمانته ، فسالها عنهما فأخبرته تقدم : من رفعه حجر البئر ، ومن قوله لها امشى خلفي وزيادة أنها لمساواة وعلم بها صوبه فلم يرفعه فرغب فى إنكاحه (قال إني أريد أنكحك إحدى أبنيتي هاتين) وهى الكبرى أو الصغرى ،

أجرة بل للتبرك بأبيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح ، وقيل هو يثرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات ، وقيل رجل ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن متبعون بن عنفاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام (قوله وهى الرسالة) أى وهى تزوجها موسى عليه السلام (قوله إن خبر من استأجرت) تعليل للأمر بالاستئجار (قوله فسالها عنهما) أى بأن قال لها أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) أى على ما ذكرته من القوة والأمانة ، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة (قوله صوب رأسه) أى خفضه (قوله فرغب فى إنكاحه) أى رغب شعيب فى إنكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه أنه كان له غيرها قيل كان له سبع بنات . [٢٦ - صاوى - ثالث]

(قوله على أن تأجرني) حال من الفاعل أو المفعول ومفعول تأجرني محذوف . والمعنى تأجرني نفسك ، وقوله ثماني حين ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره إشارة إلى أن قوله فمن عندك خبر المحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا إلزاما (قوله للتبرك) أي فالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليل لأن صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الاشياء مبتدأ و بيني وبينك خبره ، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا ويصح أن يكون ذلك مفعولا محذوف أي قبلت ذلك ، وقوله بيني وبينك الخ حال من اسم الإشارة . والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كان بيني وبينك لم يكن لدينا شهيد إلا الله (قوله أيما الأجلين) أي شرطية وجوابها فلاعدوان على وما زائدة كما قال المفسر (قوله الثمان أو العشر) بالنصب تفسيرا لأي (قوله فتم العقد) أي عقد النكاح والاجارة . إن قلت إن الذي وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام وأيضا لم يبين المنكوحة وأيضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها . أجيب بجوابين الأول أن هذا كان في شرعه جائزا . الثاني أن يمكن تنزيلة على شرعنا بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة ، وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك ، وبأنه يمكن (٢٠٣) أنه بين المنكوحة بإشارة مثلا وبأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكا

(عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) تكون أجيرا لي في رعي غنمي (ثَمَانِي حِجَجٍ) أي سنين (فَإِنْ أُنْمِتَ عَشْرًا) أي رعي عشر سنين (فَمِنْ عِنْدِكَ) التمام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) باشرط العشر (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (مِنَ الصَّالِحِينَ) الوافين بالعهد (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) الذي قلته (بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ) الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه (قَضَيْتُ) به أي فرغت منه (فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ) بطلب الزيادة عليه (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ) أنا وأنت (وَكَيْلٌ) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك ، وأمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه ، وكانت عصي الأنبياء عنه فوق في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) زوجته بإذن أبيها نحو مصر (آنَسَ) أبصر من بعيد (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) هنا (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) عن الطريق ، وكان قد أخطأها (أَوْ جَذْوَةٍ) بتثليث الجيم : قطعة وشعلة (مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها ،

فتمرة الرعي عائدة عليها (قوله فوق في يدها عصا) (آدم) قيل إنه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب فأمر ابنته أن تأتية بهما فأتته به فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها ودعة عنده فتبعه فاغتصبا فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاها الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجهما الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آس الجنة)

أي ونوارثها الأنبياء بعد آدم فصارت منه إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصات لشعيب وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته (قوله وهو المظنون به) أي وإن لم يصرح القرآن به لكمال مروءة فالمعول عليه أنه وفي العشر (قوله بأهله) أي زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) أي لصلوة رحمه وزيارة أمه وأخيه . وإن كان لما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل أباقي و بقاء فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء وأسق منه الغنم ففعل ذلك فما أخطأ واحدة إلا وضعت حملها ما بين أباقي و بقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنياء (قوله من جانب الطور) أي الأيمن بدليل ما يأتي (قوله عن الطريق) أي لنستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) أي وكما سبعة فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) أي عود غليظ كان في رأسه أولا ، وقيل هو ماني رأسه نار فقوله من النار وصف مخصوص على الأول وكاشف على الثاني (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) أي فاصله تصطلون وقعت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلت طاء (قوله بكسر اللام) أي من باب رضى وقوله وفتحها أي من باب ر

قوله نودى من شاطئ الواد الخ) قيل إن موسى لما رأى النار مشتعلة في الشجرة الحضراء علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله فلما
 رأى علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الأيمن) صفة للشاطئ أو للوادي ، من اليمن وهو الحركة أو اليمين مقابل اليسار ،
 عن الشاطئ الذي يلي عين موسى (قوله في البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) أى لأنه في ذلك المحل حصلت له
 ركة التامة فذلك الليلة أسعد لياليه كليلة الاسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير في نودى
 بتقدير نودى موسى والحال أنه كائن في جهة الشجرة ، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على
 سمع الكلام بجميع أجزائه بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته جل شأنه بلا كيف
 انحصار (قوله بدل) أى بدل اشمال (قوله أو عوسج) أى شوك (قوله مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون
 وفه (قوله لا مخففة) أى لعدم إفادتها المعنى المقصود (قوله إني أنا الله رب العالمين) هكذا قال هنا ، وفي سورة طه : إني أنا
 لك ، وقال في النمل : نودى أن يورك من في النار ومن حولها (٢٠٣) ولا تنافي بل الكل قاله الله له (قوله

وأن ألق) عطف على
 قوله أن ياموسى (قوله
 من سرعة حركتها)
 أى فهو وجه شبهها
 بالجان وقوله في الآية
 الأخرى : فإذا هي تعبان
 بين ، أى في عظام الجثة
 فتحصل أنها باعتبار
 الجثة كالتعبان العظيم
 وباعتبار الحفة وسرعة
 الحركة كالحية الصغيرة
 (قوله ولي مدبراً) أى
 باعتبار الطبع البشرى
 حين رآها بهذه الصفة ،
 ورد أنها لم تدع شجرة
 ولا صخرة إلا ابتلعتها حق
 إن موسى عليه السلام
 سمع صرير أسنانها وقعة
 الشجر والصخر في جوفها

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ (لِمُوسَى) (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) لِمُوسَى
 سَمِعَهُ كَلَامَ اللَّهِ فِيهَا (مِنَ الشَّجَرَةِ) بَدَلَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ، وَهِيَ شَجَرَةُ عَنَابٍ
 عَلِيقٍ أَوْ عَوْسَجٍ (أَنَّ) مَفْسُورَةً لِمَخْفَفَةٍ (يَا مُوسَى) إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنَّ أَلْقِ
 صَاحَكَ) فَأَلْقَاهَا (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ) تَتَحَرَّكُ (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وَهِيَ الْحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ سُرْعَةِ
 حَرَكَتِهَا (وَلَىٰ مُدَبِّرًا) هَارِبًا مِنْهَا (وَلَمْ يَعْزُبْ) أَيَّ رَجَعَ فَنُودِيَ (يَا مُوسَى) أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ
 لَكَ مِنَ الْآيَاتِ . أَسْلُكُ) أَدْخَلَ (يَدَكَ) الْيَمْنَى بِمَعْنَى الْكَفِّ (فِي جَيْبِكَ) هُوَ طَوْقُ
 قَمِيصٍ وَأَخْرَجَهَا (تَخْرُجُ) خِلَافَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدَمَةِ (بَيَاضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أَيَّ
 بَيَاضٍ ، فَأَدْخَلَهَا وَأَخْرَجَهَا تَضِيءُ كَشَعَاعِ الشَّمْسِ تَفْشَى الْبَصَرَ (وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ
 رَهَبٍ) بَفَتْحِ الْحَرْفَيْنِ وَسُكُونِ الثَّانِي مَعَ فَتْحِ الْأَوَّلِ وَضَمِّهِ : أَيَّ الْخَوْفِ الْحَاصِلِ مِنْ إِضَاءَةِ
 يَدِ بَأَنٍ تَدْخُلُهَا فِي جَيْبِكَ فَتَعُودُ إِلَىٰ حَالَتِهَا الْأُولَى ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْجَنَاحِ لِأَنَّهَا لِلْإِنْسَانِ كَالْجَنَاحِ
 لِطَائِرٍ (فَذَانِكَ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ أَيَّ الْعَصَا وَالْيَدِ وَهَامُوثَانِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمَشَارِبَ إِلَيْهِمَا
 لِبَتْدَاءِ تَذْكِيرِ خَبَرِهِ (بُرْهَانَانِ) مَرْسَلَانِ (مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
 نَاصِقِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) هُوَ الْقَبْطِيُّ السَّابِقُ (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) بِهِ (وَأَخِي
 هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أَيْبِنِ (فَأَرْسَلْهُ مَعَ رِدْأٍ) مَعِينَا وَفِي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ الدَّالِ بِالْهَمْزَةِ

فَيَنْتُزِعُ يَدَيْهِ مِنْ جَيْبَيْهِ (قوله من لادمة) أى الحمرة (قوله تفضي البصر) أى تغطيه (قوله واضمم إليك جناحك) جعل الجناح
 لنا مضموماً وفي آية طه مضموماً إليه حيث قال : واضمم يدك إلى جناحك ، لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح
 المضموم إليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح (قوله من الرهب) متعاقب باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) أى بالقراءة ثلاث
 سمعيات (قوله بأن تدخلها) أى تدخل اليد اليمنى التي حصل فيها البياض في جيبك فتعود لحالتها الأولى فيزول عنك الخوف
 والفرع الذي حصل لك (قوله كالجناح للطائر) أى لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه (قوله
 التشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمشدة تنبيه ذلك بلام البعد والتخفيف تنبيه ذلك بالتشديد عوض عن اللام
 للفرد (قوله وإنما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال إن العصا واليد مؤنثتان فكان اللاحق الإشارة إليهما بتان . فأجاب
 بأنه روي الخبر (قوله مرسلا) أشار بذلك إلى أن قوله : من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائه) أى جماعته
 (قوله لساناً) أى كلاماً (قوله رداً) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) أى مع التنوين وهي سبعة أيضاً .

(قوله يصدقني) أى يقوّننى فى الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) أى الذى هو قوله فأرسل
موسى لأن طاب الأدنى من الأعلى دعاء (قوله أن يكذبون) أى بسبب العتدة التى كانت فى فيه بسبب الجحرة التى يضعها وهو مصفى
فى فيه (قوله نقويك) أى فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب وإرادة السبب لأن شد العضد يستلزم شد اليد
وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق بوصول وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهباً بدليل الآية الأخرى
اذهباً إلى فرعون ، وجمعهما فى ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضراً مجلس المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لأن الله
أرسل جبريل إلى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت ، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة
جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم
ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) أى فرعون وقومه (قوله محتلق) أى مخترع من قبل نفسه (قوله وما سمعنا بهذا الخ) هذا
محض عناد وكذب إذ هم يعرفون أن قبله الرسل كإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم (قوله بواو وبدونها) أى فهما قراءتان
سبعيتان فعلى الواو يكون تابعا لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفاً فى جواب سؤال (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن
لامفاضلة فى أوصاف الله تعالى لأن (٢٠٤) التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته

(يُصَدِّقُنِي) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجملته صفة ردءاً (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) نقويك (بِأَخِيكَ وَنَجْمُلُ لَكَ سُلْطَانًا) غلبة (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ) بسوء ، اذهباً (بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ) لهم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا
بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى) محتلق (وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا) كائناً (فِي)
أَيَّامِ (آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ) بواو وبدونها (مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ جَاءَ بِأُلْهُدَى
مِنْ عِنْدِهِ) الضمير للرب (وَمَنْ) عطف على مَنْ قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية
(لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ، أى وهو أنا فى الشقين فأنا محق فى
جئت به (إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ) فاطبخ لى الآجر (فَأَجْمَلْ لِي صَرْحًا)
قصرًا عاليًا ،

مع بعضها ولا مع صفات
خلقه (قوله عطف على
من قبلها) أى فهمى فى
محل جر والعلم مساط
عليها (قوله بالفوقانية
والتحتانية) أى فهما
قراءتان سبعيتان فله
خبر تكون مقدم وعاقبة
اسمها مؤخر على كلا
الوجهين ، وذكر الفعل
على قراءة التحتانية
للهصل ولأنه مجازى
التأنيث (قوله أى العاقبة
المحمودة الخ) أشار

بذلك إلى أن المراد بالدار الآخرة وأن الإضافة على معنى فى ويصح أن المراد
بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة إذ العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله
وهو أنا فى الشقين) تفسير للوصول كأنه قال إن لم تشهدوا لى بالصدق وبأن العاقبة المحمودة لى فالله عالم بأنى جئت بالهدى وبأن
العاقبة المحمودة لى (قوله إنه لا يفلح الظالمون) تعاميل لقوله ربى أعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) أى بعد أن شاهد لى أن السحر
وما وقع منهم (قوله ما علمت لكم من إله غيرى) أى ليس لى علم بوجود إله غيرى وليس مراده بالهية نفسه كونه خالقاً للسموات
والأرض وما فيها إذ لا يشك عاقل فى أن الله هو الخالق لكل شئ وكان اعتقاده أن العالم العلوى أثر فى العالم السفلى فلاحاجة للصالحين
(قوله على الطين) أى بعد اتخاذه لبناً ، قيل إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به وهو الذى علم صنعته لهامان ولما أمر وزير
هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء فطبخ الآجر والجير
ونشر الخشب وسبك السامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بناء أحد من الخلق ، فلما فرغوا ارتقى فرعون فوق
وأمر بنشابة فضربها نحو السماء فردت إليه ردى ملطخة دماً فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً
على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقطعة وقعت على عسكر
فرعون فقتلت منهم ألف ألف وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد عمل فى الصرح عملاً إلا هلاك .

(قوله لعل أطعم) كأنه من قبضه نوح أن إله موسى في السماء يمكن الرقي إليه (قوله وأنه رسوله) أي أن موسى رسول الإله
(قوله واستكبر) أي تكبر (قوله في الأرض) أي أرض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله
أخذناه) أي عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به المشركين
مراجعتهم عن كفرهم وعنادهم (قوله وإبدال الثانية ياء) أي فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الإبدال من طريق الطيبة
من طريق الشاطبية (قوله بدعائهم إلى الشرك) أي المؤدى للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي المطرودين أو
وسومين بعلاوة منكورة كزرقاء العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) إخبار من الله لترش بامتثاله
بنو إسرائيل حين أهلك الأمم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسوله وصاروا في زمن فترة بانزال التوراة ليعبدوا بها والمقصود
ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية ، والمعنى كما أنزل على موسى (٢٠٥) التوراة وقومه في فترة وجهل

أنزل على محمد القرآن
وقومه في فترة وجهل
ليتسودوا به (قوله وعاد
ونوح) عطف على قوم
نوح ولم ينونه لأنه علم
على القبيلة وهو بهذا
الاعتبار ممنوع من
الصرف للعامة والتأنيث
(قوله وغبرهم) أي
كفروا (قوله ال من
الكتاب) أي إما نبي
حذف مضاف أي إله أو
أو مبالغة على حد ما قيل
في زيد عدل وكذا يقال
في قوله هدى ورحمة
(قوله أي أتوارا للقلوب)
أي تبصر به القلوب كما أن
إنسان العين تبصر به العين
(قوله لعلهم يتذكرون)
أي فالعاقل إذا علم أن

لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى) أَنْظِرْ إِلَيْهِ وَأَقِفْ عَلَيْهِ (وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)
أدعائه إلهاً آخر وأنه رسوله (وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (بِغَيْرِ
حَقٍّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ)
لمرحلتهم (فِي الْيَمِّ) البحر الملح ففرقوا (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا
إلى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ) فِي الدُّنْيَا (أُمَّةً) بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم
وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً خزيًا (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) المبعدين
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) قوم نوح
يعاد ونوح وغيرهم (بَصَّارٌ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً
للقلوب (وَهَدَى) من الضلالة لمن عمل به (وَرَحْمَةً) لمن آمن به (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)
يتعظون بما فيه من المواعظ (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادي أو المكان
(الْقُرْبَى) من موسى حين المناجاة (إِذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) بالرسالة إلى
فرعون وقومه (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا)
أُمَّا بَعْدَ مُوسَى (فَتَطَاوَلُ عَائِمُهُمُ الْعُمُرُ) أي طالت أعمارهم ففسدوا اليهود واندurst العلوم
وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا) :

كتاب الله من أوصافه أنه منور للقلب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى
نفسه بالتواني والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربي الخ) المقصود من ذلك إقامة الحجّة على من كذبه صلى الله عليه
وسلم يعني كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضراً ذلك ولا مشاهدته
(قوله وما كنت من الشاهدين) إن قلت إن هذا معلوم نفيه من قوله وما كنت بجانب الغربي فما مرة ذكره عقبه . أجب
بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ، ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته مشاهدت
ما وقع فيه (قوله بعد موسى) أي لأن أنبياء بني إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذو الكفل
كانت بعد موسى (قوله واندurst العلوم) أي فكيف يأتيك الخبر من غير وحى (قوله وأوحينا إليك خبر موسى وغيره)
أي ليكون معجزة لك وتذكيراً لقومك (قوله وما كنت ثاورياً) إن قلت إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال ، فكان
مقتضى الترتيب ذكرها قبلها . أجب بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب إشارة إلى أن أي واحدة تكفى

في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (قوله مقيا) أي إقامة طويلة تشعير بمعرفة فك قصتهم (قوله في أهل مدين) متعلق بشاؤهم (قوله ولكننا كنا مرسلين) أي وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أي كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون ، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسماني لإقامة الحجة على الخصم ، وأما بالنظر للعالم الروحاني فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف ولكن لا يخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) أي لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستائة سنة (قوله ولولا أن تصيبهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وأن وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا (٢٠٦) تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) عطف على تصيبهم والفاء للسببية

(قوله وجواب لولا) أي الأولى وأما الثانية فهي تحضيضية (قوله أو لولا قولهم الخ) أي فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الإرسال بثبوت ضده وهو الإرسال لوجود السبب والمسبب معا ، والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشئ من السبب فتدبر (قوله لما أرسلناك إليهم رسولا) أي فالخامل على إرسالك تعالىهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا أرسلناك إلينا رسولا إن فات إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نزول

مقيا (في أهل مدين تتأولوا عليهم آياتنا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (ولكننا كنا مرسلين) لك وإليك بأخبار المتقدمين (وما كنت بجانب الطور) الجبل (إذ) حين (نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أرسلناك (رحمة من ربك لتنذروا قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) وهم أهل مكة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر وغيره (فيقولوا ربنا لولا (هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (ونسكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ ، والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم ، أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا (فلما جاءهم الحق) محمد (من عندنا قالوا) (ولا) (أو تي مثل ما أوتي موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرها أو الكتاب جملة واحدة ، قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) حيث (قالوا) فيه وفي محمد (ساحران) وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاونا (وقالوا إنا بكل من النبيين والكتابين) كافرين . قل لهم (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) من الكتابين (أتبعه إن كنتم صادقين) في قولكم (فإن لم يستجيبوا لك) دعاءك بالإتيان بكتاب (فأعلم أنما يتبعون أهواءهم) في كفرهم (ومن أضل ممن أتبع هواءه بغير هدى من الله) ،

أي

تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا . أجيب بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير ،

فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما أرسلناك إليهم فهو بمعنى قوله تعالى - ولو أنا أهلكتهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلناك إلينا رسولا - الآية (قوله قالوا) أي تعنتا (قوله أو الكتاب جملة) أشار بذلك إلى قول آخر في تفسير المثل (قوله من قبل) أي قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر محذوف أي هما (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تعاونا) أي بتصديق كل منهما الآخر وذلك أن كفار مكة بعثوا رهطا منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ماذا ذكر (قوله والكتابين) الواو بمعنى أو (قوله قل فأتوا بكتاب الخ) أي إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق فإن أتيتهم به أتبعته ، وهذا نزل للخصم زيادة في إقامة الحجة عليهم (قوله أتبعه) مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره إن أتيتهم به أتبعه (قوله فإن لم يستجيبوا لك) أي لم يفعلوا ما أمرتهم به (قوله أنما يتبعون أهواءهم) أي ليس لهم

سُئِدَ لَا تَبَاعَ هَوَاهُمُ الْفَاسِدُ (قوله أي لأضل منه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ولقد وصلنا) العامة تشديد الصاد وهو مأخوذ إما من وصل النسي بالشيء بمعنى جعله تابعا له لأن القرآن تابع بعضه بعضا قال تعالى - ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا، أو من وصل الحبل جعله أوصالا أى أنواعا لأن القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر المواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون ويؤمنون ليرتضى الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله أيضا) أى كما آمنوا بكتابهم (قوله نزلت في جماعة أسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، وقيل إنها نزلت أربعين رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة الخاصة قالوا يا رسول الله: إن لنا أموالا فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم، فانصرفوا فاتوا مواليهم فواسوا بها المسلمين، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله إنا كنا من قبله مسلمين) فإسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عندنا لأن في كتبهم صفة النبي ونعته فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا في صفاته وأحواله، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الإسلام (قوله بصبرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية وقوله على العمل بهما أى أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم

(قوله ويدرمون بالحسنة السيئة) أى يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة: أى الكامة الطيبة الجميلة، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالتوبة (قوله وذا سمعوا اللغو الخ) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب

ي لأضل منه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الْكَافِرِينَ (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا) بَيْنَا (لَهُمُ الْقَوْلَ) الْقُرْآنَ (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يَتَعَذُّونَ فَيُؤْمِنُونَ (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) أى الْقُرْآنَ (هُمْ يَهْدِيهِمْ) أَيْضاً نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةِ أَسْلَمُوا مِنَ الْيَهُودِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَغَيْرِهِ وَمِنْ نَصَارَى قَدِمُوا مِنَ الْحَبَشَةِ وَمِنْ الشَّامِ (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) الْقُرْآنَ (قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) مُوحِدِينَ (أُولَئِكَ يُتَوَنَّجَّرُهُمْ مَرَّتَيْنِ) بِإِيمَانِهِمْ بِالْكِتَابَيْنِ (بِمَا صَبَرُوا) بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِمَا (وَيَذَرُونَ) يَدْفَعُونَ (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) مِنْهُمْ (وَمِمَّا زَقَنَاهُمْ يَنْفَقُونَ) يَتَصَدَّقُونَ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الشَّتْمَ وَالْأَذَى مِنَ الْكُفَّارِ (أَعْرَضُوا عَنْهُ) قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سَلَامٌ مَتَارِكَةٌ أَيْ سَلِمْتُمْ مِنَّا مِنَ الشَّتْمِ وَغَيْرِهِ (لَا تَنْتَفِي أَلْجَاهِلِينَ) لَا نَنْصَحُهُمْ. وَنَزَلَ فِي حَرْصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِيْمَانِ عَمْرِو أَبِي طَالِبٍ (إِنَّكَ لَا يَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هِدَايَتِهِ (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ) أَيْ عَالِمٌ (بِالْمُهْتَدِينَ) .

يقولون تبنا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (قوله سلام متاركة) أى راض وفراق لاسلام تحية (قوله لانصحبهم) الأوضح أن يقول لا نطلب صحبتهم (قوله ونزل في حرصه الخ) وذلك أنه لما تنصرت له وفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال يا ابن أخي قد كنت إنك لصادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة بعدى لقاتلها ففرت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ثم أنشد:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني صحاحا بذاك مبينا

لكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطالب وهاشم وبني عبد مناف، ثم مات فأتى على ابنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقال عمك الضال قد مات، فقال له اذهب فواره وما تقدم من أنه لم يؤمن حق مات هو الصحيح، وقيل إنه أحيى وأسلم ثم مات قل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله إنك لاتهدى من أحببت) أى لاتقدر على هدايته. إن قلت إن بين هذه الآية وآية إنك لاتهدى إلى صراط مستقيم تنافيا. أجيب بأن المنفى هنا خلق الاهتداء والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم (قوله لكن الله يهدي من يشاء) أى فسلم أمرك لله فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولا يبالى بأحد.

(قوله أي قومه) أي وهم بعض أهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أنت على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا (قوله الهدى) أي وهو دين الإسلام (قوله) يمكن لهم حرماً آمناً أي نجعل مكانهم حرماً ذا أمن وعدى بنفسه لأنه بمعنى جعل يدل عليه الآية الأخرى وهي أولم يروا جعلنا حرماً آمناً (قوله بأمنون فيه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً (قوله تجبى) أي تحمل وتساق (قوله بالقرى) والتحتانية (أي فهم قراءتان سبعيتان) (قوله ثمرات كل شيء) مجاز عن السكرة كقوله وأوتيت من كل شيء قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله الحرام ويسمى إليه فهو من خيار الخلق لقوله في الآية يجبى إليه ثمرات كل شيء (قوله من كل أوب) أي ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) إما بمعنى مرزوقاً فيكون منصوباً على الحال من ثمرات أو باق على مصدريته فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً للمعنى يجبى أي رزقهم رزقا (قوله أن مانقوله حق) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله) وكم أهلكننا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم أن العبارة بالعكس وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالإيمان وأنهم ماداموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) أي كفرت نعمة ربها في زمعيشتها أي حياتها (قوله فتلك مساكنهم) أي خربة بسبب ظلمهم والاشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فإن السفار على تلك المساكن وتنزل (٣٠٨) في بعض الأوقات (قوله للمارة يوماً أو بعضه) أي لأن المارة في الطريق

وَقَالُوا أَي قَوْمِهِ (إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا) أَي نَنْتَزِعُ مِنْهَا بِسُرْعَةٍ، قَالَ تَعَالَى (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَرَمٌ آمِنٌ) يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنَ الْإِغَارَةِ وَالْقَتْلِ الْوَاقِعِينَ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضٍ (تَجْبَىٰ بِالْفَوْقَانِيَةِ وَالتَّحْتَانِيَةِ) إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ أُوبٍ (رِزْقًا) لَهُمْ (مِنْ لَدُنَّا) أَي عِنْدَنَا (وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أَنْ مَا نَقُولُهُ حَقٌّ (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتْ مَعِيشَتَهَا) أَي عَيْشَهَا وَأَرِيدَ بِالْقَرْيَةِ أَهْلِهَا (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلٌ) لِلْمَارَةِ يَوْمًا أَوْ بَعْضُهُ (وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) مِنْهُمْ (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) بِظُلْمٍ (حَتَّىٰ يَبْهَتَ فِي أَهْمٍ) أَي أُعْظِمَهَا (رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) بِتَكْذِيبِ الرِّسْلِ (وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا) أَي تَتَمَتَّعُونَ وَتَتَزَيَّنُّونَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ ثُمَّ يَفْنَى (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) أَي ثَوَابُهُ (خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْتَمِلُونَ)

نزل للاستراحة إنما يستمر في الغالب يوماً أو بعضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الألفية التي سبقت بها مشيئة تعالى والمعنى ما نبت في حكمه أن يهلك قرية قبل الانذار (قوله أي أعظمها) أي وهي المدن بالنسبة لما حوالها جرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل الدائن لأنهم

أعقل وأفطن ويتبعهم غيرهم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثاً لجميع الخلق كانت بلده أفضل البلاد على الإطلاق وقبيلته أشرف القبائل على الإطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) أي لقطع الحجج والمعان (قوله) (إلا وأهلها ظالمون) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال ما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين (قوله) وما أوتيتهم من شيء الخ) ما اسم موصول مبتدأ وأوتيتهم صاته ومن شيء بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء في المبتدأ من معنى العموم ويصح أن تكون ما شرطية وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفتنهم) أي يذهب بفنائكم فجميع ما في الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب أهله ولا يبقى إلا جزؤه خلال الدنيا حساب وحرام عقاب (قوله وهو ثوابه) أي ثواب الأعمال التي قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خبر وأبقى) أي دائم بدوام الله (قوله) أفلا تعقلون) الحمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر في أحوالكم فلا تعقلون فمن أثر الفاء على الباقي فلا عقل عنده لما في الحديث «الذي يدار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» والله در الامام الشافعي حيث قال إن الله عبادة فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلم يعلوها أنها ليست لحي وطننا جعلوها لجة واتخذوها صالح الأعمال فيها صفنا وليس المراد من ترك الدنيا رأساً والخروج عنها بالمرء بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مباح علمه وإنما يطلب الدنيا ليعلمين بها على خدمة ربه لتسكون مزرعة آخرته لما في الحديث «إن المال الصالح في يد الرجل الصالح فالنفس شغل القلب والنية السوء»

بالتاء والياء) أى فهما قرأتان سبعتان (قوله أن الباقي خير من الفانى) قدره إشارة إلى أن مفعول به قلوب محذوف
يد منه أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقي على الفانى، ومن هنا قال الامام الشافعى رضى الله عنه:
وصى بثالث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ) من مبتدأ وحمله وعدناه
وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدأ، والمعنى أيستوى من وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية بمن اتهمك في طلب الفانى حق
يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى - أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون - (قوله مصيبه) أى مدركه لا محالة لأن وعده لا يتخلف (قوله متاع
الدنيا) أى الشوب بالأكدار (قوله الأول) أى وهو من وعدناه والثانى وهو من متعناه (قوله أى لاتساوى بينهما)
بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ويوم يناديهم) أى المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة
أو النداء من الله لهم، والنفي فى آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلا ينافى أنه يكلمهم كلام غضب وسخط
فيقول ابن شركاؤى) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركاؤى) أشار بذلك (٣٠٩) إلى أن مفعولى تزعمون

محذوفان (قوله قال الذين
حق عليهم القول) كلام
مستأنف واقع فى جواب
سؤال مقدر تقديره ماذا
قالوا، وجواب هذا
السؤال أنه حصل التنازع
والخاصم بين الرؤساء
والأتباع، فقال الأتباع
إنهم أضلونا وقال الرؤساء
ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى
قوله تعالى - وبرزوا لله
جميعا - الخ، وبمعنى وإذا
يتحاجون فى النار الخ
(قوله حق عليهم القول)
أى ثبت وتحقق وهو قوله
لأملأن جهنم من الجنة

والياء أن الباقي خير من الفانى (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) مصيبه وهو الجنة
مَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيزول عن قريب (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)
، الأول المؤمن، والثانى الكافر، أى لاتساوى بينهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ)
(فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) هم شركاؤى (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
(بَدْخُولِ النَّارِ) وهم رؤساء الضلالة (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) هم مبتدأ وصفه
يُنَادِيهِمْ) خبره ففؤوا (كَمَا غَوَيْنَا) لم نكرهمهم على الفى (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) منهم (مَا كَانُوا
يُعْبُدُونَ) مانافية وقدم المفعول للفاصلة (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أى الأصنام الذين
تزعمون أنهم شركاء الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) دعاءهم (وَرَأَوْا) هم
ذئاب) أبصروه (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) فى الدنيا لما رأوه فى الآخرة (وَ) اذكر
يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) إليكم (فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) الأخبار
فى الجواب (يَوْمَئِذٍ) أى لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) عنه
لثون (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) من الشرك (وَأَمَّنَ) صدق بتوحيد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) أذى الفرائض

أجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) أى الذين أطاعوهم فى كل ما أمرهم به ونهواهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين
الخ) اسم الإشارة مبتدأ والموصول نعته وأغويننا صلتها والعائد محذوف قدره المفسر، وأغويناهم خبر وضح الاخبار به
به بقوله كما غويننا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم فى الفى فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل عليهم من
بالتى فيها المواعظ والأوامر والنواهي فلم نخبرهم عن أنفسنا بل اخترناهم ما اختارنا لأنفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله
إليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) أى وهو قوله إيانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) أى استغيثوا
كم إلى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم وهذا القول للهكم والتبكييت لهم (قوله ورأوا العذاب) أى نازلا
قوله مارأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ما قبله فتحصل أنهم يستلون هن لإشراكهم وجوابهم
(قوله فعمية عليهم الأنباء) أى خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم، أو الكلام على القلب والأصل فعموا
الأنباء: أى ضلوا ونخبروا فى ذلك فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم (قوله فهم لا يتساءلون عنه) أى عن الخبر المنجى
لدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فأما من تاب الخ) أى رجع عن كفره فى حال الحياة .

قل يا أيها الكافرون والإخلاص فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء ثلثين خري واختري كجروي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما . واعلم أن هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح ، وأما الاستخارة بالنام أو المصحف أو السبحة فليس واردا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كرهه العلماء وقالوا إنه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم إن جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا في الليل أحمل الثاني وأضر في الأول وحذف وهو مفعوله الأول ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده وإن حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول أول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا يفعلون وتقدم الكلام على نظيرتها في الأنعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائما) أي بأن يسكن الشمس تحت الأرض (قوله إلى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من إله غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال إن المقام لهل لأنها الطلب التصديق لامن التي لطلب التعيين لأنه يوم وجود آلهة غيره عالي ، فأجاب بأنه مجازة للشركين في زعمهم وجود آلهة معه (قوله صماع تفهم) أي تدبر واعتبار لأن مجرد الإصدار لا يفيد (قوله إن جعل الله عايكم النهار سرمدا) أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء (قوله ومن رحمته) أي تفضله وإحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) أي لأن المرء في الدنيا لابد وأن يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج إليه في معاشه فجعل الله له محل نكسب وهو النهار ومحل راحة وسكون ليسترخ (٢١١) من ذلك التعب وهو الليل (قوله ولتبتغوا من فضله)

(قل) لهم (أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله) بزعمكم (يأتيتكم بليال تشكنون) تستريحون (فيه) من التعب (أفلا تبصرون) ما أنتم عليه من الخطأ في الاشرار فترجعون عنه (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بالكسب (ولعلكم تشكرون) النعمة فيهما (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) ذكر ثانياً لينبئ عليه (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على ما قلتم من الاشرار (فعلموا أن الحق) في الإلهية (لله) لا يشاركه فيه أحد (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) في الدنيا من أن معه شريكاً ، تعالى عن ذلك (إن قارون كان من قوم موسى) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فبغى عليهم) بالكبر والعلو وكثرة المال (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء) تثقل (بالهضبة) الجماعة (أولى) أصحاب (القوة) أي ثقاهم فالباء للتعدي ، وعدتهم قيل سبعون ، وقيل أربعون

أن الحق لله) أي التوحيد لله خاصة لا غيره (قوله من أن معه شريكاً) بيان لما (قوله إن قارون كان من قوم موسى) هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (قوله ابن عمه) أي واسم ذلك الم يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهت بتاف وهاء مفتوحة وناه مثناة ، ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان ولدا قاهت ابن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقيل إن قارون عم موسى (قوله وآمن به) أي وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للنجاة فسمع كلام الله ثم حسده موسى على رسالته وهرون على إمامته (قوله بالكبر) أي احتقار ما سواه ومن جملة تكبره أن زاد في ثيابه شبرا ، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسعى النور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل إنه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما إن مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وإن حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز الشيء مفاتحه تثقل العصبية أولى القوة ، وكانت مفاتحه أولا من حديد فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدي ، والمعنى لتثقل المفاتيح العصبة .

(قوله فرح بطر) أى لأنه هو المذموم ، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة وإطعام
الجانع وغير ذلك فلا بأس به (قوله بأن تنفقه في طاعة الله) أى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنفس نصيبك من الدين)
أى بأن تصرف همرك في مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما في الحديث « اغتتم خمساً قبل
خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك » وقيل المراد بالنصيب
الكفن ومؤون التجهيز . قال الشاعر :
نصيبك مما تجمع الدهركه رداً آن تدرج فيهما وحنوط

(قوله وأحسن للناس بالصدقة) المناسب عمله على العموم ويكون تفسير القوله - ولا تنفس نصيبك من الدنيا - وقوله - كما أحسن
الله إليك - الكاف للتشبيه ومصدرية ، والمعنى وأحسن إحساناً كإحسان الله إليك أو للتعليل (قوله قال إنما أوتيته على
عندي) جواب لما قالوه من الجمل الخمس كأنه ينكر محض الفضل ، والمعنى إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي فأعطاني
الله تلك الأموال لكوني مستحقاً (٢١٢) لها لفضلي وعلمي (قوله وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذي

فضل به هو علم الكيمياء
فإن موسى علمه ثلثه
ويوشع ثلثه وكاب ثلثه
غداهما قارون حتى
أضاف ما عندهما إلى
ما عنده فكان يأخذ من
الرصاص فيجعله فضة ومن
النحاس فيجعله ذهباً
فكثر بذلك ماله وتكبر
وعلى هذا فقوله على علم
عندي المراد به علم
الكيمياء ويكون المعنى
اكتسبته بعلمي الذي
عندي لامن فضل الله
كانقولون (قوله أولم يعلم)
الهمزة داخلة على محذوف
والواو عاطفة عليه ،
والتقدير أيدعى ولم يعلم
أن الله الخ والاستدغام

وقيل عشرة ، وقيل غير ذلك ، اذكر (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) المؤمنون من بنى إسرائيل (لَا تَفْرَحْ)
بِكثرة المال فرح بطر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) بذلك (وَأَبْتَغِ) اطلب (فِيمَا آتَاكَ
اللَّهُ) من المال (الْعَارَ الْآخِرَةَ) بأن تنفقه في طاعة الله (وَلَا تَذْسِ) تترك (نَصِيبَكَ مِنَ
الدُّنْيَا) أى أن تعمل فيها للآخرة (وَأَحْسِنِ) للناس بالصدقة (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْتَغِ) تطلب (الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) بعمل المعاصي (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه
يعاقبهم (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) أى المال (عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) أى في مقابلته وكان أعلم بنى إسرائيل
بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أَوَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ)
الأمم (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) للمال ، أى هو عالم بذلك ويهلكهم الله
(وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لعله تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فَخَرَجَ) قارون
(عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحليين بملابس الذهب والحريز على خيول
وبغال متحلية (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا: يَا) للتنبية (لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ
قَارُونَ) في الدنيا (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ) نصيب (عَظِيمٍ) وافٍ فيها (وَقَالَ) لهم (الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ) بما وعد الله في الآخرة (وَبِلَاكُمْ) كلمة زجر (ثَوَابُ اللَّهِ) في الآخرة بالجنة (خَيْرٌ
لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ،

للتوبيخ ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون)
أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم . إن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى - فوريك لنفسائهم أجمعين -
كانوا يعملون - أجيب بأن السؤال قسمان سؤال استعتاب وسؤال توبيخ وتقريع فالمنق سؤل الاستعتاب الذي يعقبه العفو
والعفوان كسؤال السلم المعاصي والثبت سؤل التوبيخ الذي لا يعقبه إلا النار (قوله فخرج على قومه) عطف على قوله إنما
أوتيته على علم وما يدرى اعتراض ، وكان خروجه يوم السبت ، وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفاً عليهم
المعصرات ، وهو أول يوم رى فيه المعصرات وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الحلى والديباج
وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها
الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون
(قوله كلمة زجر) أى وهي منصوبة بمقدر : أى أزمكم الله ويلكم والأصل في الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع

عما أوتي قارون في الدنيا) أي لأن الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أي يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة المصيبة) أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى (قوله فحسبنا به) (قوله وبداره الأرض) قال أهل العلم بالأخبار والسيرة: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأقربهم للتوراة وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبنى وطنى واعتزل أتباعه وجعل موسى به للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا اعتقوا ونجبروا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب جدرانها صفائح الذهب، وكان الملا من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه. قال عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على دينار واحد عن كل ألف دينار وعلى درهم عن كل ألف درهم شاة عن كل ألف شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل أنت كبيرنا فمرنا فلما قال أمركم أن تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جملا على أن تقذف موسى بنفسها فادفعت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل سوه فدعوهما فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل جعل لها طشتا من ذهب، وقيل قال لها قارون أموالك وأخاطبك على أن تقذف موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بنو إسرائيل ثم أتى إلى موسى له إن بنو إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنههم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجناه حتى قال قارون وإن كنت أنت؟ قال ولم يكن كنت أنا. قال قارون فان بنو إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية. قال فدعوهما فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة ألا فعلت بك ما يقول هؤلاء (٢١٣) وعظم عليها وسألها بالذى فاق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت؟ فتداركها الله بالتوفيق، فقالت في نفسها أحدث نوبة أفضل من أن أؤذى رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لي قارون

أوتي قارون في الدنيا (وَلَا يُلْقَاهَا) أي الجنة المثاب بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعة المصيبة (فَحَسْبُنَا بِهِ) بقارون (وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ دُونَ اللَّهِ) أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) منه (وَأَصْبَحَ يَنْ تَمَنُّوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) أي من قريب (يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ) يوسع (الرِّزْقَ) يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) يضيق على من يشاء ووى اسم فعل بمعنى أعجب أي أنا والكاف بمعنى اللام

لا على أن تقذفك بنفسى، فخر موسى ساجدا يبكي وقال اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت أن تطيعك فمرها بما شئت، فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليثبت ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى يا أرض خذهم فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الأعناق وأصحابه في كل ذلك ينصرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك تنفست إليه لشدة غضبه. ثم قال يا أرض خذهم فانطبقت عليهم، قال قتادة: خسفت به فهو يتجأجل في الأرض كل يوم قامة لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة، وفي الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة نفخ إسرافيل في الصور، وأصبح إسرائيل يتحدثون فيما بينهم أن موسى إن عاد على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض. قال بعضهم: مقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسمه فيمكن أن يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد موت وهو قارون (قوله من فتنه) من زائدة وفتنه اسم كان إن كانت ناقصة والجار والمجرور خبرها أوفاعل بها إن كانت تامة (قوله من المنتصرين) أي الممتنعين بأنفسهم (قوله أي من قريب) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت الماضي القريب يوم الذي قبل يومك (قوله ويكن أن الله الخ) ويكن أن فيها خمسة مذاهب: الأولى أن وى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب فكاف للتعليل وأن وما دخلت عليه مجرور بها: أي أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ فالوقف على وى وهو قراءة الكسائي. الثاني أن التشبيه غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وى كاللدى قبله. الثالث أن وى كلمة برأسها والكاف رفع خطاب وأن معمولة لمخدوف: أي أعلم أن الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على وى وك وهو قراءة أبي عمرو. الرابع

أَنْ أَصْلَهَا وَبَلَّكَ حَذَفَ اللَّامَ وَحِينَئِذٍ فَالْوَقْفُ عَلَى الْكَافِ أَيْضًا . الْخَامِسُ أَنْ وَيَكُنْ كُلُّهَا كَلِمَةً بَسِيطَةً وَمَعْنَاهَا أَلَمْ تَرَ أَنَّ
يَسِطُ لِرِزْقِ الْخِ وَحِينَئِذٍ فَالْوَقْفُ عَلَى النَّونِ (قوله لولا أن من الله علينا) أَيْ بِالْإِيمَانِ وَالرَّحْمَةِ (قوله بالبناء للفاعل والمفعول)
أَيْ فهُمَا قَرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ (قوله ويكأنه) تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ وَيَجْرِي فِيهَا مَا يَجْرِي فِي الَّتِي قَبْلَهَا (قوله تلك الدار الآخرة) لِّلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي السَّمَاءِ (قوله لا يريدون علوا) تَكْبِيرًا وَتَجْبِيرًا وَاحْتِجَاجًا
(قوله أي الجنة) أَيْ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ وَرُؤْيَا وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَسَمَاعِ كَلَامِهِ الْقَدِيمِ (قوله لا يريدون علوا) تَكْبِيرًا
بِالْإِرَادَةِ أَيْ لِيُغْنِيَ فِي النَّفْسِ لِأَنَّهُ نَفَى لِلْفِعْلِ وَزِيَادَةً (قوله نجعلها) أَيْ نَصِيرُهَا (قوله بالبغي) أَيْ الظُّلْمَ وَالْكِبْرَ كَمَا وَقَعَ لِفِرْعَوْنَ وَقَارُونَ
وَجُنُودِهِمَا (قوله بعمل المعاصي) أَيْ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرِقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَخَالِفُ أَوْامِرَ تَعَالَى (قوله للمتقين) أَيْ
فِي مَقَامِ الْأَضْمَارِ إِيْظَارًا لِشَأْنِهِمْ وَمَدْحًا لَهُمْ بِسَبْتِهِمْ لِلتَّقْوَى وَتَسْجِيلًا عَلَى ضُدِّهِمْ (قوله من جاء بالحسنة) تَقَدَّمَ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِالْحَسَنَةِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ الْجَنَّةُ وَمَنْ لِلتَّعْلِيلِ وَلَيْسَ فِي الصِّيغَةِ تَفْضِيلٌ ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا مَطْلَقُ طَاعَةِ فَلِلْمُرَادِ بِالْخَيْرِ مِنْهَا عَمَلٌ
أَمْثَلُهَا كَمَا جَاءَ مَفْسُورًا بِهِ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ أَلْفَ عَشْرٍ أَمْثَلُهَا فَقَوْلُ الْمَفْسُورِ ثَوَابٍ بِسَبَبِهَا الْخِ إِشَارَةٌ لِلْمَعْنَى الثَّانِي (قوله
وهو عشر أمثالها) هَذَا أَقَلُّ الْمَضَافَةِ (٢١٤) وَتَضَاعَفَ لِسَبْعِينَ وَلِسَبْعِمِائَةٍ وَاللَّهُ يَضَافُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَهَذَا فِي الْحَسَنَةِ

(أَوَّلًا أَنْ مَنْ اللَّهُ دَلَمْنَا لِحَسَفَ بِنَا) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (وَيَكُنْ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)
لِنِعْمَةِ اللَّهِ كَقَارُونَ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أَيْ الْجَنَّةُ (نَجْمَلَهَا لِّلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي السَّمَاءِ) بِعَمَلِ الْمَعَاصِي (وَالْعَاقِبَةُ) الْحَمُودَةُ (لِلْمُتَّقِينَ) عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَةِ
(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا وَهُوَ عَشْرُ أَمْثَلِهَا (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا) جَزَاءُ (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أَيْ مِثْلُهُ (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أَنْزَلَهُ (لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ) إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ قَدْ اشْتَقَّهَا (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ
بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) نَزَلَ جَوَابًا لِقَوْلِ كِفَارِ مَكَّةَ لَهُ إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
فَهُوَ الْجَانِي بِالْهُدَى وَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَأَعْلَمُ بِمَعْنَى عَالِمٍ (وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُبَلِّغَ إِلَيْكَ
الْكِتَابُ) الْقُرْآنُ (إِلَّا) ،

الَّتِي تَعْلَمُ بِنَفْسِهِ أَوْفَعَتْ
مِنْ أَجَلِهِ كَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ
إِذَا تَعَلَّمَ وَأَهْدَى ثَوَابَهُ
لِلْمِثْلِ مِثْلًا ، وَأَمَّا الْحَسَنَةُ
الَّتِي تُوْخَذُ فِي نَظَرِ الظَّلَامَةِ
فَلَا تَضَاعَفُ بَلْ تُوْخَذُ
الْحَسَنَةُ لِلْمُظَاوَمِ ، وَأَمَّا
الْمَضَاعَفَةُ فَتَكْتَبُ لِلظَّالِمِ
لَأَنَّهَا مَحْضُ فَضْلٍ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ
فِعْلٌ وَالْمَضَاعَفَةُ مَخْصُوصَةٌ
هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ

فَلَا مَضَاعَفَةَ لَهُ (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات الخ) أَظْهَرَ فِي مَقَامِ الْأَضْمَارِ تَسْجِيلًا
وَتَقْبِيحًا عَلَى فَاعِلِ السَّيِّئَاتِ لِيَنْزَجِرَ عَنْ فِعْلِهَا (قوله أي مثله) أَشَارَ بِذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مَضَافٍ (قوله أنزله)
أَوْفَرَضَهُ بِمَعْنَى أَوْجَبَ عَلَيْكَ تَبْلِيغُهُ لِلْعِبَادِ وَالتَّحْسُّنَ بِهِ (قوله إلى مكة وكان قد اشتاقها) تَقَدَّمَ أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ
لِلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَذِنَ لَهُ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَخَرَجَ مِنَ الْغَارِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ لِيَلْجَأَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ فَلَمَّا نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ بَيْنَ
وَالْمَدِينَةِ وَعَرَفَ طَرِيقَ مَكَّةَ اشْتَقَّ إِلَيْهَا وَذَكَرَ مَوْلَاهُ وَمَوْلِدَ أَبِيهِ فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ وَقَالَ لَهُ أَتَشْتَقُّ إِلَى بَلَدِكَ وَمَوْلَاهُ
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعَمْ فَقَالَ جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ يَعْنِي إِلَى مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهِ
وَمَحْضًا لِلْبَلَدِ مَعَادًا لِأَنَّ شَأْنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ بَلَدِهِ وَيَعُودَ إِلَيْهَا وَتَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ يَنْبَغِي قِرَاءَتَهَا لِلْمَسَافِرِ تَفَاوُلًا بِعَوْدِهِمْ
لِوَطَنِهِمْ ، وَلَا يَقَالُ إِنَّ الْآيَةَ قِيَامٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ تَقَالُ لغيره لِأَنَّهُ يَقَالُ إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِلتَّعْبِيدِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ فَكَيْفَ
قَالَ كَمَا صَدَقَتْ وَعْدُ نَبِيِّكَ فَاصْطَقِ وَعْدِي (قوله جوابًا لقول كفار مكة الخ) أَيْ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى مِثْلَ ذَلِكَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِتَوَلَّاهُ : وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ نَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ (قوله وأعلم بمعنى عالم) إِنَّمَا احتِجَّاجٌ
تَحْوِيلُهُ لِمَعْنِيَةِ الْمَفْعُولِ بِنَفْسِهِ وَإِلَّا فَكَانَ مُقْتَضِي الظَّاهِرِ تَعْدِيَّتَهُ بِمَنْ (قوله وما كنت ترجوا) أَيْ قُلْ بِحُجَّتِي ، أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ (قوله
أَنْ يُلْقِيَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ) أَيْ فَانْزَلْهُ عَلَيْكَ لَيْسَ عَنْ مِيعَادٍ وَلَا تَطَابُؤٍ مِنْكَ ، وَمَنْ هُنَا قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ النَّبَوَّةَ لَيْسَتْ مَكْتَسِبَةً لِأَنَّ
قَالَ فِي الْجَوْهَرَةِ : وَلَمْ تَكُنْ نَبَوَّةً مَكْتَسِبَةً وَلَوْ رَقِيَ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقْبِهِ

لكن ألقى إليك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء سقط (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد غيره
 مالة ذلك عايه (قوله حذف نون الرفع للجازم) أي وهو لا الناهية (قوله لالتقاءها مع النون الساكنة) أي ووجود
 يدل عليها وهو الضمة وما مشى عليه المفسر في تصريف الفعل إنما يأتي على ندور وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب
 أن يقول وأصله يصدونك دخل الجازم فحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان حذف الواو لالتقاءهما ووجود الضمة
 عليها (قوله بعد إذ أنزلت إليك) أي بعد وقت إنزالها عليك (قوله أي لا ترجع إليهم) أي لا تركن إلى أقوالهم (قوله
 تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم في الفعل) أي لفظا وإن كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه)
 بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدونك فتأثر بالجازم وإن كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فإنه
 بينهما يواو الجماعة قال ابن مالك : وأعربوا مضارعا إن عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) أشار بذلك
 المراد بالدعاء العبادة وحيث فليس في الآية دليل على مازعهم الخوارج من أن الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فإنه جهل
 لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضرر على يده قد يكون (٢١٥) واجبا لأنه من التمسك بالأسباب
 ولا ينكر الأسباب إلا

ولا ينكر الأسباب إلا
 جحود أو جهول (قوله
 كل شيء هالك إلا وجهه)
 أي كل ما سوى الله تعالى
 قابل للهلاك وجاز عليه
 لأن وجوده ليس ذاتيا له
 قال بعض العارفين :

الله قل وذر الوجود وما
 حوى

إن كنت مرتادا بلوغ
 كمال

فالكل دون الله إن حقيقته
 عدم على التفصيل والاحمال
 من لا وجود لذاته من
 ذاته

فوجوده لولاه عين محال

أعرفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى التكبر المتعالى ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال
 المراد بالهلاك الانعدام بالفعل ، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله :

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
 هي العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم
 ومعنى قول صاحب الجوهرة : وكل شيء هالك قد خصصوا عمومها فاطلب لما قد لحصوا

مفهوم لماعده السيوطي بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحدود والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن
 ادبالوجه الذات ويصح أن المراد به ما همل لأجله سبحانه وتعالى فإن ثوابه باق (قوله وإليه ترجعون) أي في جميع أحوالكم .
 سورة العنكبوت مكية [مبتدأ وخبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدأ
 الخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيفية وقوله مكية
 كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فإنها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم
 مرة أن هذا القول أسلم لأنه من التشابه الذي يفوض عامه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستفهام بصح أن يكون للتقرير

ن ألقى إليك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا) معينا (لِلْكَافِرِينَ) على دينهم الذي
 ك إليه (وَلَا يَصُدُّنَكَ) أصله يصدونك حذف نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقاءها مع
 ن الساكنة ر عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ (أي لا ترجع إليهم في ذلك (وَأَدْعُ)
 ن (إِلَى رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بإعتابهم ولم يؤثر الجازم
 لفعل لبنائه (وَلَا تَدْعُ) تعبد (مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ
 وَجْهَهُ) إلا إياه (لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ (وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ) بالنشور من قبوركم .

(سورة العنكبوت)

مكية، وهي تسع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الله أعلم بمراده به (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ
 يُؤْتُوا) أي يقولهم (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) يختبرون ،

وحينئذ فيكون المعنى يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لا يتركون سدى ، بل يمتحنون و يبتلون لأن الدنيا دار بلاء و امتحان أو التوبيخ ، وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان أى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد مفعولى حسب وأن يقولوا علة للحسبان ، وقوله لا يفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس ويكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا من خبر افتتان بمجرد فطقتهم بالشهادتين أو من أجل نطقهم بالشهادتين بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين لتمييز الراسخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أى من الشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال (قوله نزل فى جماعة) أى كعمار بن ياسر وعياض ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد و سلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود من الآية تسليية هؤلاء وتعليم من يأتى بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) إما حال من الناس وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أو من فاعل يفتنون . والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الأمم السابقة روى البخارى عن خباب بن الأرت قال « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستصبر ألا تدعونا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فىحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمة وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم كنتم تستعجلون » (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى (٢١٦) وفى جانب الكذب باسم الفاعل إشارة إلى أن الكاذبين وصغهم مستم

لم يظهر منهم إلا ما كان حجاباً وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال إن علم الله لا تجدد فيه والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس

بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل فى جماعة آمنوا فأذا هم المشركون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم علم مشاهدة (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فيه (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الشرك والمعاصى (أَنْ يَسْبِقُونَا) يفوتونا فلا ننتقم منهم (سَاءَ نَسْ) الذى (يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا (مَنْ كَانَ يَرْجُوا) يخاف (لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ) به (لَا تِ) فليستعد له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوال العباد (الْمَكِينُ) بأفعالهم (وَمَنْ جَاهَدَ) جهاد حرب أو نفس (فَأِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فإن منفعة جهاده له لا لله ،

بيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ إلى توبيخ (إن) فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان من غير مشقة ولا تعب . والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه مع دواهم على الكفر (قوله الذى يحكمونه الخ) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول فاعل ساء و يحكمون صلتة والعائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا ويصح أن تكون ما ميمزا والفاعل ضمير مفسر بما ، قال ابن مالك : وما يميز وقيل فاعل فى نحو نعم ما يقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد ويجزم بأنه يلاقى الله فيرجو رحمته ويخاف عقابه وهذا التفسير أتم عما قاله المفسر لأن المؤمن الصادق بلقاء الله لا بد له من الرجاء والخوف معا ويؤيد ما قلناه جواب الشرط الذى قدره بقواه فليستعد له أى يتم أو يستحضر الرحمة والنجاة من العذاب (قوله فإن أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط والإلزام أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آنيا له بل الجواب ما قدره المفسر (قوله بأفعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الأصغر وقوله أو نفس أى وهو الجهاد الأكبر وذلك لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس أخيه ولا تغيب عن الإنسان أبدا وهى خفية تظهر المحبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وأيضا إذا قتله الكافر مات شهيدا ، وأما إذا قتله نفسه فاما عاص أو كافر فلا شك أن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار ولذا ورد فى الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وأى جهاد أكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان» (قوله فأنا يجاهد لنفسه) أى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له فى توفيقكم لعبادته فالخصر إضافى فلا ينافى أنه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بإصلاح الأولاد فالمقصود نفع النفع عن الله

تعالى عليه (قوله إن الله لنفى عن العالمين) أى فلا يصل له منهم تقع ولا ضرر لما فى الحديث القدسى « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم
نكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا
على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكي شيئا » (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية
هذا وعد حسن للتصديق بالآيمان (قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم) أى لا نؤاخذهم بها وهذا ظاهر فى غير المعصومين ، وأما
المؤمنون فلا سيئات لهم فامعنى تكفيرها ؟ أجيب بأن الكلام على الفرض والتقدير يعنى أنه لو وجدت منهم سيئات تكفر
لراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقرئين (قوله بمعنى حسن) أى
م التفضيل ليس على بابيه لأنه يومئذ أنهم يجازون على الأحسن لا على الحسن ، وقديقال المراد بالأحسن الثواب الواقع فى مقابلة
لعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب فى نظير أعمالهم الصالحة فتأمل (قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا)
ب نزولها هى وآية لقمان والأحقاف أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الاسلام
أسلم آلت أمه حمزة بنت أبى سفيان أن لاتأكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فأبى سعد أن
يها صبرت ثلاثة أيام لاتأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشى عليها فاتاها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا
أما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلى ، فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية بالوصية
بها وإنما أمر الله الأولاد ببر والديهم دون العكس لأن الأولاد جبالوا (٢١٧) على القسوة وعدم طاعة الوالدين
فكافهم الله بما يخالف

طبعهم ، والآباء مجبولون
على الرحمة والشفقة بالأولاد
فوكاهم الله لما جبالوا عليه
(قوله أى إيصاء ذاحسن)
أشار بذلك إلى أن
حسنا صفة لمصدر محذوف
على حذف مضاف ويصح
أن يبقى على مصدريته
مبالغة على حد زيد
عدل (قوله بأن يرهما)

نَ اللَّهُ لَنَنفِيَنَّ عَنِ الْعَالَمِينَ (الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ) وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بِمَعْنَى حَسَن
بِهِ نَزَعَ الْخَائِضُ الْبَاءَ (الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَهُوَ الصَّالِحَاتِ (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا) أَيْ إِيْصَاءَ ذَا حَسَنَ بَأْنَ يِرْهَ (وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) بِإِشْرَاكَ
(مُؤَافَقَةً لِلْوَاقِعِ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ) (فَلَا تُطِعْهُمَا) فِي الْإِشْرَاكِ (إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فَأَجَارِيكُمْ بِهِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)
نَبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ ، بَأْنَ نَحْشُرْهُمْ مَعَهُمْ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
اللَّهُ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) أَيْ أَذَاهُمْ لَهُ (كَمَذَابِ اللَّهِ) فِي الْخَوْفِ مِنْهُ ،

محسن إليهما وأوجه البر كثيرة جدا : منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما فى غير معاصى الله وغير
(قوله وإن جاهدك لتشرك بى) أتى هنا باللام وفى لقمان بعلى حيث قال - وإن جاهدك على أن تشرك بى - لأن
ما وافق لما قبله فى قوله : ومن جاهد فأنما يجاهد لنفسه وما فى لقمان ضمن جاهدك معنى حملاك (قوله ما ليس لك به علم)
مؤول تشرك أى إلها لا علم لك به (قوله موافقة لواقع) علة لمحذوف تقديره ذكر هذا التيمد موافقة لواقع أى إن الواقع أن الإله
مد فليس إله لك به علم وإله لا علم لك به ، وأما الأصنام فأشركا كهمع الله فى العبادة هزؤ وسخافة عقل إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل
إلها غير الله ولا ظنه ولا توهمه (قوله إلى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن بر بوالديه واتبع الهدى ووعيد لمن عقى والديه وانبع
الردى (قوله بما كنتم آماون) أى بالصالح والسى فيترتب على كل جزاؤه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم وصول
بأ وآمنوا صلاته وقوله اندخلهم الخ خبره (قوله بأن نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل وبجتمهم بهم فى البرخ فاذا مات المؤمن
لم اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة حينئذ يكون مرافقا لهم فى الدرجات العالية قال تعالى :
يُجْتَنَّبُوا كِبَارُ مَا تَهْوُونَ عَنْهُ نَكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا (قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ) لما بين حال
الذين والكافرين فيما تقدم بين هذا حال المنافقين وهم من أظهروا الاسلام وأخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ
بر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فاذا أودى فى الله) أى آذاه الكفار على إظهار الآيمان (قوله جعل فتنة للناس كعذاب
أى لم يصبر على لاذى بل ترك لدين الحق والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك الله فقون جعلوا أذاهم
٢٨ - صاهى - ثالث] مانعا لهم من الآيمان وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالآيمان

(قوله فيطيعهم) أي ظهرا وباطنا ، وأما السكره فقد أطاع ظاهرا لباطنا والواحدة مرجعها القلب (قوله والواو الخ) عطفا على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أي ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله إنا كنا معكم الإيمان) أي وإن الذي وقع منا إنما هو على سبيل الإكراه (قوله أي بعالم) أشار بذلك إلى أن التفضيل في صفات المؤمنين وأسماؤه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أي ليظهر متعلق علمه للناس فيفتضح المنافق ويظهر شرف المؤمنين الخالص (قوله إن كانت) أي على فرض حصولها وإلا فهم ليسوا مسلمين أن في اتباعهم خطايا (قوله والأمر بمعنى الخبر) أي فالإني ليكون منكم الاتباع ومنا الحمل (قوله وأثقالا مع أثقالهم) أي لأن الدال على الشر كفاعله من غير أن ينقص من وزن الأنواع شيء (قوله عما كانوا يفترون) أي يخلقون من الأباطيل التي من جملتها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى (٢١٨) تكاليف هذه الأمة وبين أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار

بين هنا أن هذه التكاليف ليست محنة بهذه الأمة بل من قباهم كانوا كذلك وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار ، وقيل يشكروا كان يسمى السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوم ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روى أنه مر بكاب فقال في نفسه ما أقبحه فأوحى الله إليه أعبتني أم صبت الكلب أخا أنت أحسن منه ، ونوح هو ابن ملك بن منوشاخ ابن إدريس بن برد بن أهليل بن قبنان بن نوح ابن شيث بن آدم عليه

فيطيعهم فينافق (وَلَيْتَن) لام قسم (جاء نصر) للمؤمنين (مِنْ رَبِّكَ) فغنموا (لِيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) في الإيمان فأشركونا في الغنيمة قال تعالى (أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أي بعالم (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) قلوبهم من الإيمان والنفق ؟ بلى (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيجازي الفريقين واللام في الفعلين لام قسم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) ديننا (وَلْنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) في اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى (وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في ذلك (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم (وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام في الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمر أربعين سنة أو أكثر (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) أي الماء الكثير طاف بهم وعلامم ففرقوا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون (فَأَنجَيْنَاهُ) أي نوحا (وَأَنجَيْنَا السَّفِينَةَ) أي الذين كانوا معه فيها (وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً) عبرة (لِلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم ، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس . (وَ) اذكر (إِبْرَاهِيمَ) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

السلام (قوله وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدم أنه اختلف في الأكثر فقل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ، وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم ألف سنة الخ) الحكمة في ذكر لبثه هذه المدة تسليفا صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار في الاسلام فكان الله يقول لنبيه لا تحزن فإن نوحا لبث هذا العدد الكثير يؤمن من قومه إلا القليل فصبر وماضجر فأتى أولى بالصبر أقل مدة منك وكثرة من آمن من قومك ، والحكمة في المغيرة في العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالخمسين إشارة إلى أن نوحا لما غرقوا استراح وبقي في زمن حسن والعرب تعبر عن الحصد بالعام وعن الجذب بالسنة (قوله طاف بهم وعلامم) أي أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أو بهين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة ، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك (قوله ستين أو أكثر) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله وإبراهيم) قرأ العامة بالنصب عطفا على نوحا أو معمول لخدوم كما درج عليه المفسر حيث قدر اذكر وقرئ شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين إبراهيم

(قوله اعبدوا الله) أى امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) أى اجنبوا نواهيته (قوله ذلكم) أى ما ذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما أتم عليه الخ) أى فى زعمكم أن فيه خيراً والأحسن أن يقال ذلكم خير لكم من جميع المخلوقات المعجزة (قوله الخير) أى وهو عبادة الله وقوله من غيره أى وهو عبادة غيره (قوله أوئانا) جمع وثن وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً (قوله وتخلقون إفكا) أى تخلقونه وتختصونه (قوله لا يملك لكم رزقاً) أى لا يستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطبوه منه) أى ولا تطلبوه من غيره لأنه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - (قوله واعبدوه واشكروا له) أى لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى - لنن شكرتم يزيدنكم - (قوله إليه ترجعون) أى تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصي (قوله وإن تكذبوا)

(٣١٩)

شرط حذف جوابه

تقديره فلا يضرنى

تكذيبكم وإنما تضرون

أنفسكم وقوله فقد كذب

أهم من قبلكم دليل

الجواب ومن هنا إلى قوله

فما كان جواب قومه جمل

معترضة بين كلام إبراهيم

وجواب قومه له إشارة

إلى أن المقصود بالخطاب

أمة محمد صلى الله عليه

وسلم (قوله من قبلى) من

أهم موصول مفعول

كذب ، والمعنى فلم يضرن

الرسول تكذيب قومهم لهم

(قوله فى هاتين القصتين)

أى قصة نوح وإبراهيم

(قوله وقد قال تعالى) أى

رداً على منكرى البعث

(قوله بالياء والتاء) أى

فهما قراءتان سبعيتان

(قوله كيف يبدى الله

أُعْبِدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ) خافوا عقابه (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) مما أتم عليه من عبادة الأصنام (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير من غيره (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) تقولون كذباً إن الأوثان شركاء لله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يقدرُونَ أن يرزقوكم (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) اطلبوه منه (وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وَإِنْ تُكَذِّبُوا) أى تكذبونى يا أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ أَئِمُّ مِنْ قَبْلِكُمْ) من قبلى (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإبلاغ البين فى هاتين القصتين تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى فى قومه (أَوَلَمْ يَرَوْا) بالياء والتاء ينظروا (كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) هو بضم أوله وقرئ بفتحها من بدأ وأبدأ بمعنى ، أى يخلقهم ابتداء (ثُمَّ) هو (يُعِيدُهُ) أى الخلق كما بدأهم (إِنَّ ذَلِكَ) المذكور من الخلق الأول والثانى (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فكيف ينكرون الثانى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) لم كان قبلكم وأماهم (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) مدّاً وقصراً مع سكون الشين (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه البدء والإعادة (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ) رحمته (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تردون (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ربكم عن إدراككم (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لو كنتم فيها ، أى لا تفوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يمنعكم منه (وَلَا نَصِيرٍ) ينصركم من عذابه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ) أى القرآن والبعث (أُولَئِكَ يَنْسَوْنَ رَحْمَتِي) أى جنتى (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ، قال تعالى فى قصة إبراهيم :

الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر ، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحها) أى شذوذاً (قوله من بدأ وأبدأ) لف ونشر مشوش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها بل هى مستأنفة (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمنكرى البعث ما ذكر ليأشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على إنشائها بدءاً يقدر على إعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصص والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) أى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء أى فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتهمما ويصح أن يراد بهما جهة السفلى والعلو (قوله أى القرآن والبعث) لف ونشر مرتب فالأول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك ينسوا) من رحمتى (أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقيق وقوعه

(قوله فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه الخ) أى لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم على من عبادة الأوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك ، فإن النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدين حتى تسيء إلى من أحسن إليها ، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والنبي يتولى ذلك الصغار وإنما أجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أتى هنا باتريد وقنصر في الأنبياء أحد الأمرين وهو الذى فعلوه إشارة إلى أن ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم وما فى الأنبياء عن عزوهم وتصميمهم على ما فعلوه (قوله فأنجاه الله من النار) فى الكلام حذف والتقدير فحذفوه فى النار فأنجاه الله الخ وإلى هذا أشار المفسر بقوله التى قدفوه (قوله هو) أى الآيات (قوله وإخمادها) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الإخماد فهو طفاء النار بالمرّة (قوله فى زمن يسير) أى مقدار طرفة عين (قوله لأنهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير خصوا بالدكر لأنهم الخ (قوله وقال إبراهيم عطف على قوله فأنجاه الله من النار) قوله إنما اتخذتم من دون الله أوثانا (إن حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذت صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن (٢٢٠) وأوثانا مفعول أول والمفعول الثانى محذوف قدره المفسر بقوله تعبدون

(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) التى قدفوها فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى إنجائه منها (آيَاتٍ) هى عدم تأثيرها فيه مع عظمتها وإخمادها وإنشاء روض مكانها فى زمن يسير (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها (وَقَالَ) إبراهيم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) تعبدونها وما مصدرية (مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ) خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة ، المعنى تواددتكم على عبادتها (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من الأتباع (وَيُبَلِّغُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) يعلن الأتباع القادة (وَمَأْوَاكُمْ) مصيركم جميعاً (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ما نعين منها (فَأَمَّنَ لَهُ) صدق بإبراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وَقَالَ) إبراهيم (إِنِّي مُهَاجِرٌ) من قومي (إِلَى رَبِّي) أى إلى حيث أمرنى ربى وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَوَهَبْنَا لَهُ) بعد إسماعيل (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) بعد إسحق (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ) فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (وَالْكِتَابَ) بمعنى الكتب أى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ) فى الدنيا وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى

ومودة خبر إن ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله على قراءة النصب مفعول له وما كافة أى سواء قرئ بتثنية مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاثنتين والثانى هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلتها والعائد محذوف والتقدير إن الذى اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لأجل المودة بينكم ونقل عن عاصم أنه رفع مودة

غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة الظرف وبنى لضافته (١) لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذا جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراءات أربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبغى (قوله المعنى) أى الحاصل من تلك القراءات (قوله يتبرأ القادة) أى ينكرونها ويقولون لا نعرفكم (قوله صدق إبراهيم) أى بنبوته وإن كان مؤمنا قبل ذلك ، ويجب الوقف على لوط لأن قوله وقال إني مهاجر من كلام إبراهيم فلو وصل اتوهم أنه من كلام لوط (قوله أى إلى حيث أمرنى ربى) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) أى فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه ، ثم انتقل من فنزل بفلسطين ونزل لوط بسدوم وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) أى بعد هجرته (قوله بعد إسماعيل) أى بأربع عشرة سنة (قوله فى ذريته) أى إبراهيم (قوله فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته) أى لأنحص الأنبياء فى إسماعيل وإسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان) أى لجمع أهل الأديان محبوا ويذكرونه بخير وينتمون إليه (قوله لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح .

(قوله ولوطا) معقول المحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) أى أهل سدوم ونواحيها (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وعندهم فالقراءات أربع سبعيات (قوله الانس والجن) أى من عهد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن ربكم) قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فإذا مرت بهم عابر سبيل حذفوه فأمرهم صابه كان أولى به فيأخذ مامعه وينكحه ويغمره ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) أى والضراط وكشف عورات وغير ذلك من القبائح (قوله إلا أن قالوا اتنا الخ) أى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) أى وفعل بقية فواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) أى فأمر الملائكة بأهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين ، فبشروا إبراهيم بالذرية طيبة وأنذروا قوم لوط بالعذاب (قوله بأسحق ويعقوب) أى وبهلاك (٢٢١) قوم لوط (قوله قال إن فيها لوطا) هذا بعد المجادلة التى تقدمت في قوله :

يجادلنا في قوم لوط حيث قال لهم أنهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا إلى أن قال أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقيين في العذاب) أى الذين لم يخلصوا منه لأن الدال على الشر كفاعله وهى قد دلت القوم على أضياف لوط نصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما أن جاءن) أن زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أن الباء في بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول

(و) اذكر (لوطا إذ قال لقومه أنيكنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أُنِيْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المر بكم (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ) أى متحدثكم (الْمُنْكَرَ) فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه (قَالَ رَبِّ نَصُرْنِي) بتحقيق قولى في إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسِدِينَ) العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) بأسحق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُمْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أى قرية لوط (إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا، قَالُوا) أى الرسل (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) بالتخفيف والتشديد (وَأَهْلُهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقيين في العذاب (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرًا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ) بالتشديد والتخفيف (وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا) بالفعل الذى (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أى بسبب فسقهم (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هى آثار خرابها (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (و) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) اخشوه هو يوم القيامة

عن الفاعل أى ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسيرا لحاصل المعنى وإلا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محل الكاف) أى وهو النصب على أنها مفعول منجوا (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف ، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هى آثار خرابها) وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة ، وقيل هى ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (قوله لقوم يعقلون) متعلق بتركنا أو بيينة وخصهم لأنهم المنتفعون بالانعاظ بها (قوله وإلى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا فى قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) أى لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذى هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله وارجوا اليوم) يصح أن يبقى الرجاء على معناه ويكون المعنى ارجوا رحمة الله فى اليوم الآخر وبصح أن يكون بمعنى خافوا ، والمعنى خافوا عقاب الله فى اليوم الآخر واليه يشير المفسر بقوله اخشوه .

(قوله من عني بكسر المثناة) أى من باب تعب ويصح أن يكون من باب قال (قوله فكذبوه) إن قلت مقتضى الظاهر أن يقال فلم يمثلوا أو امره لأن التكذيب إنما يكون في الأخبار . أجيب بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للخبر كأنه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع إلى الأخبار (قوله فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم في هود فأخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فإن سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب في هلاكهم فتارة يضاف الأخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه العلية التي هي إحدى عاتى منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبى القبيلة فقد وجدت فيه علتان (قوله إهلاكم) أشار بذلك إلى أن فاعل تبين ضمير عائد على الإهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لعاد (قوله وكانوا مستبصرين) أى بواسطة الرسل فلم يكن لهم (٢٢٢) عذر في ذلك لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى

بصار) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون اشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أى تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لايكون ظالما لأنه الخالق المتصرف في ماله على ما يريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو

(وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عني بكسر المثناة : أفسد (فَكَذَّبُوا فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (وَأَهْلَكْنَا) عاداً واثموداً بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) إهلاكم (مِنْ مَسَاكِينِهِمْ) بالحجر واليمن (وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) من الكفر والمعاصي (فَصَدَّاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوى بصار (وَأَهْلَكْنَا) قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم من قبل (مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا (فَكُلًّا) من المذكورين (أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) كقارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ) فيعذبهم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناما يرجون نفعها (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوى إليه (وَإِنْ أُوْهَنَ) أضعف (الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنكَبُوتِ) لا يدفع عنها حراً ولا برداً كذلك الأصنام لا تنفع عابديها (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما عبدوها (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

وجه الشبه أى مثل الذين اتخذوا من دون الله أصناما

يعبدونها في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً لا يفسى عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين في خدمة ربهم فإن اتخذهم بمعنى التبرك بهم والاتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم خلافاً لمن جهل وعائد وزعم أن التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال إنه أقنع الحيوانات جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الدباب والبق ونوته أصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم في الجمع عناكب وفي التصغير عنكب (قوله وإن أوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الأصنام لا تنفع عابديها) أى لمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شئ ومن التجأ لله وقا بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل النار بالعنكبوت وببيض الحمار مع كونهما أضعف الأشياء (قوله ما عبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف .

(قوله بمعنى الذي) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول وجملة يدعون صلتها والوصول وصلته معمول ليعلم (قوله أي يفهمها) أي يفهم صحتها وفائدتها (قوله إلا العالمون) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) أشار بذلك إلى أن الباء في بالحق للابسة والجار والمجرور حال (قوله خصوا بالذكر) جواب عما يقال إن في خلق السموات والأرض آية لكل عاقل (قوله أتل ما أوحى إليك) أي ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل به ، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته فترداده أنت وأمتك لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله وأقم الصلاة) أي دم على منها بأركانها وشروطها وآدابها فانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والخطاب للنبي والمراد هو وأمته بدليل مدحهم في آية إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن بور الآية (قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي الواظبة عليها تكون سببا في تطهيره من الفحشاء والمنكر إذا متوفت شروطها وآدابها لأن الواجب حين الإقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والمعنوى وتجديد التوبة فإذا وقف بين يدي الله وخشع وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه وأنه مطلع عليه يراه فينشد يظهر على جوارحه هيئتها وقوله مادام المرء بها هذا أحد قولين والثول الصحيح أنها تنهى عنها في سائر الأوقات لما روى أن فتي من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه فوصف للنبي (٢٢٣) صلى الله عليه وسلم حاله فقال إن صلاته ستناه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ، وروى عن بعض الساف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال إني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك . وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بأن كانت لا خشوع فيها ولا تذكر

(يَدْعُونَ) يعبدون بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) غيره (مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ التَّزْيِيرُ) ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ) في القرآن (نَضْرِبُهَا) نجماها (لِلنَّاسِ مَا يَعْقِلُهَا) أي يفهمها (إِلَّا الْعَاوُنَ) المنتدبون (خَاقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي محقا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) دلالة على قدرته تعالى (لِلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين (أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) شرعا : أي من شأنها ذلك مادام المرء فيها وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ من غيره من الطاعات (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) فيجازيكم به وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَاقِي أي المجادلة التي (هِيَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بأن حاربوا وأبوا أن يقرؤا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا

أما لا تكون سببا في نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ما هو عليه من البعد لما ورد «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا» (قوله ولذكر الله) أي بسائر أنواعه أكبر أي أفضل الطاعات على الإطلاق لما روى عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا يا رسول الله قال ذكر الله» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال إذا كروا الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب بما لكان إذا كروا الله كثيرا أفضل منه درجة» فالذكر أفضل الأعمال وهو القصد من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالاكثر منه فتنور قلوبهم (قوله والله يعلم ما تصنعون) أي من خير وشر فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالباقي هي أحسن) أي لاتدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلمهم بهتدون ، وقوله إلا الذين ظلموا أي فادعوهم إلى دين الله بالاغلاظ والشدّة وقالواهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بأن حاربوا الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع عما يلزمهم شرعا فلا يقال إن الكفار ظالمون لأنهم كفار .

(قوله أو يعطوا الجزية) أي يلتزموا بها طائها (قوله وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) أي لما روى أنه كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية ، وفي رواية « وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم » وحمل ذلك مالم يتعرضوا لأموالهم فوجب نقض عهدهم كأن يظهروا أن شرعهم غير منسوخ وأن نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاتلهم ، وحمل أيضا مالم يخبرونا بخبر موافق لما في كتابنا وإلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) أي نفعناهم به بأن أعطيناهم نوره وظهرت ثمرته عليهم هم الذين يؤمنون به وإلا فجميع علمائهم أوتوا الكتاب ولم يسلم منهم إلا القليل ويصح أن يكون المراد ففريق من أهل الكتاب الخ (قوله وما يجحد بآياتنا) أي ينكرها بعد معرفتها (قوله أي اليهود) لا مفهوم له بل النصارى والمشركون (٢٢٤)

كذلك فالمناسب أن يقول إلا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) شروع في إثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنه معجز للبشر كأن الله يقول لأهل الكتاب أتم لا عذر لكم في إنكار القرآن ولا في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لأن من جملة صفاته في كتبهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ووجد بهذه الصفة فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك في نبوته وفي القرآن لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم (قوله من كتاب) مفعول تتلوا ومن زائدة (قوله أي

أو يعطوا الجزية) (وقولوا) لمن قبل الاقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم (آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك (وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها (فالذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) بالقرآن (ومن هؤلاء) أي أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا) بعد ظهورها (إلا الكافرون) أي اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائي به محقق وجحدوا ذلك (وما كنت تتلوا من قبله) أي القرآن (من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا) أي لو كنت قارئاً كتاباً (لازتاب) شك (المبطلون) اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب (بل هو) أي القرآن الذي جئت به (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي المؤمنون يحفظونه (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وقالوا) أي كفار مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) أي محمد (آية من ربه) وفي قراءة كفاة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قل) لهم (إنما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء (وإنما أنا نذير مبين) مظهر إنذارى بالنار أهل المعصية (أو لم يكفهم) فيما طلبوا (أنا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلى عليهم) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات (إن في ذلك) الكتاب (لوحمة وذكرى) عظة (لقوم يؤمنون) قل كفى بالله يدني وبينكم شهيدا

بصدق

لو كنت قارئاً كتاباً) لفـ ونشر مرتب (قوله اليهود) لا مفهوم له

(قوله بل هو آيات بينات) إضراب عما تقدم من الارتباب (قوله أي المؤمنون يحفظونه) أي لفظا ومعنى لما ورد « وجمعات من أمته أقواما قلوبهم أناجيهم » أي كالأناجيل ، والمعنى أن القرآن محفوظ في صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتا في أناجيهم (قوله وما يجحد بآياتنا) أي القرآن (قوله اليهود) تقدم مافيه (قوله وفي قراءة آيات) أي وهما سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) أي على ما يريد ولا دخل لأحد في ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بفضل الله (قوله أو لم يكفهم) المعجزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أجهلوا ولم يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أنا أنزلنا) أن وما دخلات عليه في تأويل مصدر فاعل يكف ، والتقدير أولم يكفهم أنزلنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله يتلى عليهم (قوله بخلاف ما ذكر من الآيات) أي فانقضت بموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك

قوله ومنه حالى وحالككم (أى من جملة ما فى السموات والأرض (قوله والذين آمنوا بالباطل) أى خضعوا له وعبدوه
قوله حيث اشترى الكفر بالإيمان (أى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان (قوله ولولا أجل مسمى له) أى للعذاب
قوله وليأتينهم بفتة) أى كوقعة بدر فانها أتتهم على حين غفلة (قوله وهم لا يشعرون) أى لا يظنون أن العذاب يأتهم أصلا
قوله ويستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فطنهم ومن تعنتهم ، والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة
بهم يوم القيامة لا مفر لهم منها (قوله يوم يغشاهم العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال : أى ستحيط بهم فى ذلك
يوم (قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم) تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش -
قوله أى نأمر بالقول) إنما أوله جمعا بين ما هنا وبين قوله فى الأخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك
أن الكلام على حذف مضاف (قوله يا عبادى الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام
مكة كما قال المفسر والإضافة لتشريف المضاف (قوله فإياى فاعبدون) (٢٢٥) إياى منصوب بفعل محذوف دل

عليه المذكور (قوله كانوا
فى ضيق الخ) أى فوسع الله
لهم الأمر والعبرة بهموم
اللفظ لا بخصوص السبب
فمن تعسرت عليه العبادة
فى بلد فعليه أن يهاجر
منها لبلد تيسر له فيها قوله
تعالى - وما خلقت الجن
والانس إلا ليعبدون -
فالمهم العبادة فى أى مكان
تيسر ولا يعول على مكان
فى الدنيا لأنهادار عمر لا مقر
والسار فى طريق لا يعول
على مسكن ولا قرار
فى طريقه (قوله كل نفس
ذائقة الموت) أى لا تقيموا
بدار الشرك خوفا من
الموت فان كل نفس ذائقة
الموت فالحكمة فى تخويفهم

صدق (يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومنه حالى وحالككم (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ)
هو ما يعبد من دون الله (وَكَفَرُوا بِاللَّهِ) منكم (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فى صفقتهم حيث
اشترى الكفر بالإيمان (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَهُ (لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ)
اجلا (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَفْتَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانه (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ)
الدنيا (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ . يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ
جُلُوبِهِمْ وَنَقُولُ) فيه بالنون ، أى نأمر بالقول ، وبالياء أى يقول الموكل بالعذاب (ذُوقُوا مَا كُنتُمْ
تَكُونُونَ) أى جزاءه فلا تفوتونا (يَا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَإِياى فاعبدون)
أى أى أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تيسر فيها . نزل فى ضعفاء
سلى مكة كانوا فى ضيق من إظهار الإسلام بها (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)
لقاء والياء بعد البعث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) تنزلهم وفى قراءة بالمثلثة
عدالتون من الثواء : الإقامة وتعديته إلى غرضا محذوف فى (مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الأنهار خالدين) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعَمٌ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) هذا الأجر ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا)
على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث
لا يحتسبون (وَكَأَيِّنْ) كم (مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) اضعفها ،

من الموت كون مفارقة الأوطان تهون عليهم فان من أيقن بالموت هان عليه كل شئ فى الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا
صالحات) لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وفى قراءة بالمثلثة)
الساكنة بعد النون وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرضا على هذه القراءة إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر
ومفعول به بتضمنين مشوى معنى نزل فيتعدي لاثنتين (قوله تجرى من تحتها) أى الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) أشار بذلك
أن قوله : خالدين فيها حال مقدرة ، أى أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم فى النعيم اسماعهم النداء من قبل الله : يا أهل الجنة
خلود بلاموت (قوله هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعت للعاملين أو خبر المحذوف
كما قال المفسر (قوله لإظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم
لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بهادر ولا مال فمن بطعننا بها ويسقينا ، وقوله لا تحمل رزقها :
أى لا تدخره لئلا كالبهاشم والطير . قال سفيان بن عيينة : ليس شئ من الخلق

محباً إلا الإنسان والفأرة والخنزير (قوله الله يرزقها وإياكم) أى فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوى فى أمر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى . قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - فينبى للإنسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى ولا ينافى هذا أخذه فى الأسباب لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها فالأسباب لا تنكر ومن أنكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم) أى كفار مكة (قوله من خالق السموات والأرض الخ) أى فى جانب السموات والأرض بالحق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير إشارة إلى أن الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينفى عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم بخلاف السموات والأرض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فأتى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله ينسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى فلا تركز لغيره فليس مالكا لضر ولا نفع (قوله فأحيى أى بالنبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) أى جذبها وقحط أهلها (قوله فكيف يشركون به) أى بعد إقرارهم (قوله بل أكثرهم لا يعقلون) أى والأقل (٢٢٦) يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وما هذه الحياة الدنيا) أى

بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا وزن جناح بعوضة فينبى للعاقل التجافى عنها ويأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة . قال بعض العارفين :

تأمل فى الوجود بعين فكر

تر الدنيا الدنية كالخيال ومن فيها جميعا سوف ينفى

ويبقى وجه ربك ذو الجلال

(قوله إلهو ولعب) اللهو

الاشتغال بما فيه نفع عاجل

واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه أصلا (قوله وأما

القرب) أى كالتوحيد

والذكر والعبادة (قوله

(الله يرزقها وإياكم) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بضمائرهم (ولئن) لام قسم (سألتهم) أى الكفار (من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأتى يؤفكون) يصرفون عن توحيدهم بإقرارهم بذلك (الله ينسط الرزق) يوسع (لمن يشاء من عباده) امتحانا (ويقدر) يضيء (له) بعد البسط أى لمن يشاء ابتلاء (إن الله بكل شئ عليم) ومنه محل البسط والتضييق (ولئن) لام قسم (سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) فكيف يشركون به (قل) لهم (الحمد لله) على ثبوت الحجة عليكم (بل أكثرهم لا يعقلون) تناقضهم فى ذلك (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) بمعنى الحياة (لو كانوا يعلمون) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) أى الدعاء أى لا يدعون معه غيره لأنهم فى شدة لا يكشفها إلا هو (فلما نجحهم إلى البر إذا هم يشركون) به (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عباد الأصنام وفى قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك (أولم يروا) يعلموا (أنهم جعنا) بلدهم مكة (حرما آمنا) ويتخطف الناس من حوله لهم) قتلا وسبياً دونهم ،

(أفعال باطل)

بمعنى الحياة) أى الدائمة الخالدة التى لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا

عليها) جواب لو : أى ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فإذا ركبوا فى الفلك الخ) أى وذلك أن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله إذا يشركون) جواب لما ، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم بأعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصبورية ، وقوله وليتمتعوا عطف عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام أى فهما قراءتان - بعيتان) أى فى الفعلين بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله : فسوف يعلمون . فالجاء أنه إذا سكنت اللام فى الثانى نعين كونها للأمر فى الفعلين وإن لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصبورية (قوله أولم يروا الحمزة داخل على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أمموا ولم يروا الخ) (قوله ويتخطف الناس) الجملة حالية على تقدير التبتدأ : أى وهم يتخطف الخ .

(قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية ، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس . قال الحسن : الجهاد مخالفة لهوى . وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به . وقال سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ، وقيل والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا لما في الحديث « من عمل بما علم الله علم ما لم يعلم » (قوله لنهدينهم سبلنا) أي طرق الوصول إلى مرضاتنا فالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى - وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا - (قوله لمع الحسين) به إقامة الظاهر مقام الضمر لإظهار شرفهم بوصف الإحسان ، والمعنى وإن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة فهي معية خاصة ، إليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به » الحديث .

سورة الروم [مبتدأ وستون خبر أول ومكية خبر ثان ، وظاهر المفسر أن كلها مكي وقيل إلا قوله تعالى - فسبحان الله حين سون - الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا أصح التفاسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم جدها هو روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم وصي عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاكما وأراد كل أن يخرج بل الآخر ، فقال عيصو ليعقوب إن لم أخرج قبلك وإلا خرجت من جنبها (٢٢٧) فتأخر يعقوب شفقة منه ،

فإن هذا كان أبا الأنبياء وعيصو أبا الجبارين . وسبب نزول هذه الآية أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل

(أَقْبَالَ بَاطِلٍ) الضم (يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) بإشراكهم (وَمَنْ) أي لأحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بأن أشرك به (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) النبي أو الكتاب (لَمَّا جَاءَهُ) أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى (مَأْوًى) (لِلْكَافِرِينَ) أي فيها ذلك وهو منهم (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) في حقنا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أي طرق السير إلينا (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين بالنصر والعون .

(سورة الروم)

مكية ، وهي ستون أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ) الله أعلم بمراده بذلك (غَلِبَتِ الرُّومُ) ،

عليهم رجلا يقال له شهر بزان وبعث قيصر جيشا وأمر عايهم رجلا يدعى بنخس ، فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم ، فباع ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال : فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي وقال كذبت ، فقال له الصديق أنت أكذب يا عدو الله ، فقال اجعل أجلا أناحبك : أي أقامرك وأراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر ، فقال أبي بن خلف إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين ، فجاء أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر ومادده في الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبيا ، فقال لهلاك ندمت ؟ فقال لا . قال فتعال أزايدك في الخطر وأماددك في الأجل فأجعاها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين ، وقيل إلى سبع سنين ، فقال قد فعلت ، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلة ، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر ، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال لا والله لا أذهبك حتى تعطيني كفيلة

فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم إياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناجبتهم ، وقد كان يوم بدر ووربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فأخذ أبو بكر مال الخطر من وريثه وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نصتق به (قوله وهم أهل كتاب أى نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل كتاب أى بل هم مجوس فنصرتهم علامة على نصرة كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون) (قوله بل يعبدون الأوثان) أى التى من جعلتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة) (قوله أقرب أرض الروم) أى فأدنى أفضل تفضيل وأل عوض عن المضاف إليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وحمله سيفلون خبره (قوله فى بض سنين) متعلق بيغلبون وهو على (٢٢٨) حذف مضاف أى فى انتهاء بضع سنين ، وأبهم البضع لإدخال الرعدة

وهم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن تغلبكم كما غلبت فارس الروم (فى أدنى الأرض) أى أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التى فيها الجيشان والبادى بالغزو الفرس (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أضيف المصدر إلى المفعول أى غلبة فارس إياهم (سيفلون) فارس (فى بضع سنين) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لله الأمر من قبل ومن بعد) أى من قبل غلب الروم ومن بعده . المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله أى إرادته (ويومئذ) أى يوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعللوا به يوم وقوعه يوم بدر بنزل جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (ينصرون) يشاء وهو المزى (الغالب) (الرحيم) بالمؤمنين (وعد الله) مصدر بدل من اللفظ بفعل والأصل وعدم الله النصر (لا يخلف الله وعده) به (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة (لا يؤمنون) وعده تعالى بنصرهم (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) أى معاشهم من التجارة والزراعة والبناء والفراس وغير ذلك (وهم عن الآخرة هم غافلون) إعادة هم تأكيد ،

والخوف عليهم فى كل وقت (قوله فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الأول) أى يوم بدر إن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فأقبل فى خمسمائة ألف رومى إلى الفرس وغابوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله لله الأمر) أى لا لغيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة بيناء قبل وبعد على الضم

لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أى من قبل غلب الروم) أى من قبل كونهم غالبين (أولم) وقوله ومن بعده أى من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلب الروم . وحاصل الجواب أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوباً أن يكون ضعيفاً فلو كانت الغلبة بخولهم وقوتهم لما غلبوا أولاً (قوله أى يوم تغلب الروم) أشار بذلك إلى أن تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) أى فاستبشروا المؤمنون بنصر الروم على فارس وعللوا أن الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هم أحد قولين وهو مبنى على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل يوم الحديبية بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) أى مؤكداً لمضمون الجملة التى تقدمت وعامله محذوف أى وعدمهم الله وعدا (قوله به) أى النص (قوله لا يؤمنون) أى لجهلهم وعدم تفكيرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) أى الأكثر (قوله ظاهراً من الحياة الدنيا) أى وأما باطنها منها وهو كونها مجازاً إلى الآخرة يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله إعادة) أى لفظ هم .

(قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اعلموا ولم يتفكروا (قوله إلا بالحق) أى بالحكمة لا عبثاً (قوله تفتى عند انتهائه) أى تنعدم السموات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل (قوله بقاء ربهم) متعلق بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر إن (قوله أولم يسيروا في الأرض) الهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أقعدوا ولم يسيروا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة أولم يتفكروا عطف سبب على مسبب لأن السير سبب للتفكير (قوله وأناروا الأرض) بالقصر لعامة القراء وقرئ شذوذاً وأناروا بأنف بعد الهمزة (قوله أكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف أى عمارة أكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى فلم يذعنوا لها بل كذبوا بها (قوله فما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم - معاملته ملك (٢٣٩) ظالم جبار بل معاملته ملك عدل

رحيم ، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالماً إذ لا مشارك له في خلقه ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يازمه (قوله ثم كان عاقبة الذين أساءوا السواى) بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم في الدنيا (قوله خبر كان على رفع عاقبة) أى وعاقبة اسمها وهى مضافة للموصول وأساءوا صاته والسواى صفة لموصوف محذوف أى المجازاة السواى وهى جهنم خبر كان وقوله واسم كان على نصب عاقبة أى فالسواى اسم كان مؤخر وعاقبة خبر كان مقدم وعلى كل فقولهُ أن كذبوا خبر محذوف

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) ليرجعوا عن غفلتهم (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَوَّلَ مُسَمًّى) لذلك تفتى عند انتهائه وبعده البعث (وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) أى كفار مكة (بِلِقَاي رَبِّهِمْ لِكَافِرُونَ) أى لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم وهى إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) كعاد ونمود (وَأَنَارُوا الْأَرْضَ) حرقوها وقلبوها للزرع والفرس (وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) أى كفار مكة (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الظاهرات (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) بإهلاكهم بغير جرم (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بتكذيبهم رسلهم (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السَّوَاى) تأنيث الأسواى الأقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم وإساءتهم (أَنْ) أى بأن (كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ) الله يبدوأ الخلق أى ينشئ خلق الناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) أى خلقهم بعد موتهم (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) يسكت المشركون لا تقطع حججهم (وَلَمْ يَكُنْ) أى لا يكون (لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليسفعوا لهم (شَفَعَوْا وَكَانُوا) أى يكونون (بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ) أى متبرئين منهم (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ) تأكيد (يَتَفَرَّقُونَ) أى المؤمنون والكافرون (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ) جنة ،

تقديره وإساءتهم أن كذبوا فهى جملة مستأنفة بيان لصفة الموصول فيصح الوقف على السواى ، وهذا ما اختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازى التأنيث (قوله والراد بها) أى السواى (قوله أى بأن كذبوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهى تاسيية (قوله الله يبدوأ الخلق) عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء متجدد شيئاً فشيئاً مادامت الدنيا (قوله أى ينشئ خلق الناس) أى يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويوم تقوم الساعة) أى وهو يوم الإعادة (قوله يسكت المشركون) أى عن جواب يدفع عنهم العذاب (قوله أى لا يكون) أشار بذلك إلى أن الماضى بمعنى المضارع لأن المنى بلم ماضى المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين (قوله تأكيد) أى لفظى (قوله أى المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولاً - الله يبدوأ الخلق ثم يعيده - (قوله فهم في روضة) الروضة كل أرض ذات نبات وماء وروث ونضارة .

(قوله يحبرون) أى يكرمون وينعمون بما تشبهه الأنفس ولله الأعين . روى « أن في الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما تروا طربا » (قوله وأما الذين كفروا) مقابل قوله : فأما الذين آمنوا (قوله وغيره) أى كالجنة والنار (قوله محضرون) أى حاضررون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أولا أنه يبدؤا الخلق ويعيده وأن الخلق يكونون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ذكر هذا أنه منزه عن النقائص إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) إنما فسر التسبيح بالصلاة لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان ولا شيء أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله أى تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن تمسون وتصبحون فعلا تامان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس ، وخصها بالذكر دون سائر العبادات لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين (قوله اعتراض) أى بين المعطوف والمعطوف عليه ، والحكمة في ذلك الإشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يحمد عليها (٢٣٠) (قوله وكذلك تخرجون) أى فالقادر على إخراج الحي من البيت

وعكسه وإحياء الأرض قادر على إحياء الخلق بعد موتهم في ذلك رد على منكري البعث (قوله للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومن آياته أن خلقكم من تراب) شروع في ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وذكر لفظ : ومن آياته ست مرات تنهى عند قوله : إذا أنتم تخرجون وابتدأه بذكر خالق الإنسان ثم بنى العالم علويا وسفاليا

(يُحْبَرُونَ) يسرون (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (وَلِقَائِ الْآخِرَةِ) البعث وغيره (فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ) أى سبحوا الله بمعنى صلوا (حِينَ تُمْسُونَ) أى تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وَحِينَ تُمْسُونَ) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمداه أهلها (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُمْسُونَ) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان من النطفة والطيور من البيضة (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها (وَكَذَلِكَ) الإخراج (تَخْرُجُونَ) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى الدالة على قدرته (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) أى أصلكم آدم (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ) من دم ولحم (تَنْتَشِرُونَ) في الأرض (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وتألفوها (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ) جميعاً (مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنع الله تعالى .

إشارة إلى أن الإنسان هو المنتفع بها ، والحكمة في ذكر تلك الآيات ليهتدى بها من أراد الله هدايته (ومن) وتقوم الحاجة على من لم يهتد (قوله أى أصلكم آدم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره لأن النطفة ناشئة من الغذاء وهوناشي من التراب - (قوله ثم إذا أنتم بشر) عبر بتم إشارة إلى تراخي أطواره لكونه أولا نطفة ثم عاقبة ثم مضافة إلى آخر أطواره وأتى بعدها بإذا الفجائية إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل وإن كان الكثير الانبثاق بها بعد الفاء (قوله أزواجا) أى زوجات (قوله من ضلع آدم) أى الأيسر القصير وهوناشي فلما استيقظ ورآها مال إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها فقال ومأهرها فقيل له أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) أى باقيةن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد ، وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فإذا تخلف هذا الأمر بأن لا توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله إن في ذلك) أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) أى يتأملون في تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان سيما إذا تأمل في خلق الله إياهم من نطفة ثم جعله بشرا - ويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة وأسكن بينهما المحبة والشفقة - فإذا أراد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة فإذا أنزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من أنواع التفكرات

فإذا تأمل الانسان في ذلك كان سببا في زيادة معارفه وأدبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى ومنه ما روى «حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» (قوله ومن آياته خلق السموات والأرض) أى إنشاؤها من العدم إلى الوجود (قوله أى لغاتكم) أى بأن خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضهم على اختلافها (قوله وألوانكم) أى فجعلكم ألوانا مختلفة منكم الأبيض والأسود والمتوسط وغاير بين أشكالكم حتى إن التوأمين مع توافق موادها وأسبابهما يختلفان في شئ من ذلك وإن كانا في غاية التشابه وإنما قرن هذا بخلق السموات والأرض وإن كان من جملة خلق الانسان إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات من صانعها بل يشهدون الصانع في المصنوعات . قال العارف :

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد (قوله منامكم بالليل (٢٣١) والنهار) قيل في الآية تقديم

وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغواكم من فضله بالنهار حذف حرف الجر لانه لا اتصاله بالليل والأحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لاسيما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة (قوله بإرادته) أى فلا قدرة لأحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) أى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غايرين رؤوس الآي تفننا فان أهل العقل هم أهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويرىكم مؤول

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها (وَأَلْوَانِكُمْ) من بياض وسواد وغيرها وأتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِلْعَالَمِينَ) بفتح اللام وكسرهما: أى ذوى العقول وأولى العلم (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بإرادته راحة لكم (وَأَبْتِغَاؤُكُمْ) بالنهار (مِنْ فَضْلِهِ) أى تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واعتبار (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ) أى إراءاتكم (الْبَرْقَ خَوْفًا) للمسافر من الصواعق (وَطَمَعًا) للمقيم في المطر (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها بأن تنبت (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بإرادته من غير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) منها أحياء فخرجكم منها بدعوة من آياته تعالى (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبيداً (كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ) للناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد هلاكهم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشئ أسهل من ابتدائه وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

بمصدر مبتدأ مؤخر وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم وما يأتي (قوله أن تقوم السماء والأرض) أى ثبتت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أوصيتين جمع عمود كرسول ورسول (قوله من الأرض) متعلق بدعائكم (قوله في الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها لأن فيه طاقات بعدد الأرواح فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله إذا أنتم تخرجون) عبر في ابتداء خلق الانسان بثم حيث قال ثم إذا أنتم بشر تنفثون وتركها هنا لأنه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تدريج فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) أى لأفعاله طاعة انقياد لاطاعة عبادة وقيل المعنى قائلون للحساب وقيل مقرون بالعبودية إما بالسان أو الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله يعيده وذ كر الضمير مراعاة للخبر (قوله بالنظر إلى ما عند المخاطبين) أى فهو مبني على ما يقتضيه عقولهم لأن من أعاد منهم شيئا كان أهون عليه وأسهل من إنشائه وهو جواب عما يقال إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابيه فأهون بمعنى هين .

(قوله أى الصفة العليا) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة والأعلى بمعنى العليا أى المرتفعة المنزهة عن كل نقص (قوله وهى أى لا إله إلا الله) أى فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولو ازمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلاً) أى صفته وشكلاً تقيسون عليه (قوله كائناً من أنفسكم) أشار بذلك إلى أن من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة مثلاً (قوله هل لكم من ماله ما كنتم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومن زائدة ومما ملكت أيمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبيضية فتحصل أن من الأولى ابتدائية والثانية تبضية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) أى ما كنناكم وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، وإيضاح هذا المثل أن يقال إذا لم يصح أن تكون ممالككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله فلا يصح بالأولى جعل بعض ممالكك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فأنتم فيما سواهم) أى مستون معهم فى التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم تخيفتكم أنفسكم) من جملة النفي فهو صريح عليه فالمراد نفي الثلاثة الشراكة والاستواء مع العبيد وخوفهم تخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم ممالككم فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض ممالكك الله (قوله بمعنى النفي) أى فهو استفهام إنكارى (قوله لقوم يعقلون) أى فهذا المثل (٢٣٢) إنما ينفذ العاقل الذى يتدبر الأمور (قوله بل اتبع الذين ظاهروا الخ) اضرب

أى الصفة العليا وهى أنه لا إله إلا الله (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ضرب) جعل (لكم) أيها المشركون (مثلاً) كائناً (من أنفسكم) وهو (هل لكم مما ملكت أيمانكم) أى من ممالككم (من شركاء) لكم (فما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فأنتم) وهم (فيه سواهم تخافونهم تخيفتكم أنفسكم) أى أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النفي، المعنى ليس ممالككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض ممالكك الله شركاء له (كذلك تفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعقلون) يتدبرون (بل اتبع الذين ظهروا) بالاشراك (أهواءهم بغير علم فمن يهتدى من أضل الله) أى لا هادى له (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فأنتم) يا محمد (وجهمك للدين حنيفاً) ماثلاً إليه أى أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فطرت الله) خلقته (التي فطر الناس عليها) وهى دينه أى الزمواها (لا تبدل الخلق الله) لديه أى لا تبدلوه بأن تشركوا (ذلك الدين القيم) المستقيم توحيد الله (ولكن أ كثر الناس) أى كفار مكة،

عما ذكر أولاً إشارة إلى أنهم لا حاجة لهم فى الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لا هادى له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله فأقم وجهك) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد بإقامة الوجه بذل المهمة ظاهراً وباطناً فى الدين (قوله أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب لاني صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته (قوله

فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزمواها وهى ترمم بالثناء المجرورة وليس فى القرآن غيرها وقوله وهى دينه أى دين الاسلام، وطى هذا فالخلق جميعاً مجبولون على توحيد يوم ألتبر بكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم «كل ما ولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه» وهذا غير ما سبق فى علم الله وأما هو فعلم أن قوما يكفروا وقوما يؤمنون فمن سبق فى علم الله إيمانه فقد استمر على فطرته الأصلية ومن سبق فى علم الله كفره فقد رجع عن فطرته وإن كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم أنت ومن تبعك الفطرة التى فطرك ربك عليها وهى التوحيد وهذا أحد أقوال ثلاثة فى معنى الفطرة وقيل المراد بها الحاقة الأصلية التى ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة وإلى ما يصبرون إليه من الباطل فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال الضلالة، وقيل إنها الحاقة والطبيعة التى فى نفس الطفل يكون بها مهياً لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للسموعات والمبصرات فمادت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه إلا وساوس الشياطين بعد الباطل ولذا كان كل من مات من آدم قبل بلوغه فى الجنة وإن كان من أولاد المشركين وهذا القول قريب من قول الأول (قوله أى لا تبدلوه) أشار بذلك إلى أن قوله لا تبدل الخلق الله خبر والمراد منه الأمر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك

قوله لا يعلمون توحيد الله) أى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) أى وما بينهما اعتراض (قوله وما أريد) أى بالخطاب فإنه أريد به حمد ومن تبعه (قوله أى أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله وانقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) أى ف أهل السعادة فرحون بسعادتهم وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان فظنهم أنهم على حق (قوله وفي قراءة فارقوا) أى وهى سبعية أيضا (قوله وإذا مس الناس) إذا شرطية وجوابها قوله : دعوا بهم. وقوله أى كفار مكة خص ذلك بهم لأنه سبب النزول وإلا فالعبرة بهموم اللفظ (قوله إذا فریق) إذا لخائية قائمة مقام الفاء أى رابطة للشرط (قوله أريد به التهديد) أى فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقرير على حد : اعملوا ما شئتم (قوله عاقبة تمتعكم) مره إشارة إلى أن ، فاعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) (٢٣٣) أى إلى الخطاب لأجل المبالغة

في زجرهم (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى فهى منقطعة تفسر تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة وبل (قوله فهو يشكك) داخل في حيز النفي (قوله أى يأمرهم بالاشراك) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والأحسن أن يجعلها موصولة أى بالامر الذى كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) أى عجب وكبر فيصرفونها فيما يفضيه تعالى ولو فرحوا بها فرح مرور لصرفوها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكسرهما سبعيتان (قوله ومن شأن المؤمن) أى من خصلته وهيئته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) أى لأنه يشهد أنه لا كاشف

(لَا يَعْلَمُونَ) توحيد الله (مُنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أى أقيموا (وَأَتَّقُوهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بدل باعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيَعًا) فرقا في ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم (فَرِحُونَ) مسرورون وفي قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ) أى كفار مكة (ضُرٌّ) شدة (دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) دون غيره (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) المطر (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ (أريد به التهديد فَمَتَّمَعُوا نَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة تمتعكم ، فيه التفات عن الغيبة (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) حجة وكتبا (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) تكلم دلالة (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) أى يأمرهم بالاشراك ؟ لا (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) كفار مكة وغيرهم (رَحْمَةً) نعمة (فَرِحُوا بِهَا) فرح بطر (وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ) شدة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) يياسون من الرحمة ، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسمه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها (فَاتِ ذَا الْقُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) المسافر من الصدقة ، وأمة النبي تبع له في ذلك (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى ثوابه بما يعملون (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَا آتَيْتُمُ مِنْ رَبًّا) بأن يعطى شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه ،

لما غيره ولا رحيم سواء (قوله امتحانا) أى اختبارا لينظر أيشكر أم يطنى (قوله ابتلاء) أى فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو (قوله فات ذا القربى حقه) هذه الآية في صدقة التطوع لافي الزكاة الواجبة لأن السورة مكية والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) أخذ أبوحنيفة من الآية أن النفقة على الأرحام عموما واجبة على القادر وعند مالك والشافى النفقة على الأصول والفروع واجبة وماعدا ذلك مندوب (قوله وأمة النبي الخ) أشار بذلك إلى أن الأمر وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد هو وأمته (قوله وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بمقصودهم (قوله وما آتيتهم) بالمد والقصر فرائدان سبعيتان (قوله بأن تعطى شيئا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب وهى أن يريد الرجل بهديته أكثر منها وهى مكروهة في حقنا ، وأما في حقه صلى الله عليه وسلم فمحترمة لقوله تعالى : ولا تمنن تستكثر ، والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وإن لم يشترط عليه فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله

مَنْ يَطْلُبُ الثَّوَابَ مِنَ الْوُحُوبِ لَهُ لَاقٍ نَحْوُ غَنَى لِفَقِيرٍ (قوله فسمى) أى المعطى وهو الهدية (قوله باسم المطلوب) أى الذى يأخذ من المهدى إليه فى مقابلة ما أعطاه (قوله فى أموال الناس) أى فى تحصيلها (قوله المعطين) أى الآخذين للهبة والهدية (قوله أى لاثواب فيه للمعطين) أى الدافعين لما ذكر فالأول اسم مفعول والثانى اسم فاعل (قوله صدقة) أى صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق (قوله هم المضعفون) أى الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى تعظيما لحالهم أو قصدا للعموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون (قوله الله الذى خالقكم) جملة من مبتدأ وخبر وهى تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعية ومن يفعل مبتدأ مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شئ لكونه نعت نكرة تقدم عليها ومن شئ مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذى يفعل شيئا من ذلكم من شركائكم واسم الإشارة يعود على ما ذكر من الأم والأربعة وهى الخلق والرزق والإمالة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله سبحانه وتعالى) هـ نتيجة ما قبله أى فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولا شريك له فى شئ منها فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص (قوله أى القفار) بكسر القاف جمع (٢٣٤) قفر وهى الأرض التى لاماء بها ولا نبات ، وأما القفار بفتح القاف

فسمى باسم المطلوب من الزيادة فى المعاملة (لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) المعطين أى يربوا (فَلَا يَرْبُوا) يركو (عِنْدَ اللَّهِ) أى لاثواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أرادوه ، فيه التفات عن الخطاب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) من أشركتم بالله (مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ) لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ) أى القفار بقحط المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أى البلاد التى على الأنهار بقلة ماؤها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من المعاصى (لِيَذِيقَهُمْ) بالياء والنون (بِمَعْصِيَتِهِ) الذى عملوا (أى عقوبته) (أَعْلَهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ) دين الإسلام (مِنْ قَبْلُ) يَأْتِي يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) هو يوم القيامة (يَوْمَ يُذِيقُ الصَّادِقُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد

الحيز الذى لا آدم معه (قوله بقحط المطر) أى منعه من النزول (قوله أى البلاد التى على الأنهار) وقيل إن قلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتحلو أجواف الأصداف وتعمى دوابه فإذا أمطرت السماء فتفتحت الأصداف فى البحر فتواقع فيها من السماء فهو لؤلؤ ونكسر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية ومصدرية أى بسبب كسبهم (قوله من المعاصى)

أى ومبدؤها قتل قابيل هابيل لأن الأرض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة لا يأتى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الأسد لا يصول على الغنم ونحوها فلما قتله اقشعرت الأرض ونبت الشوك فى الأشجار وصار ماء البحر مالحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذى عملوا) لعاقبة والصبرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد ونكبر وتجب وكفر وإلا فالمصائب للصالحين رفع درجهم ومصاة المؤمنين تكفير سيئات (قوله أى عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى وهى الدمار والهلاك إن لم يتوبوا وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا ، قال تعالى : كذلك نجزي الظالمين (قوله أقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأمتة ، والمعنى ابذل همتك فى دين الله واشتغل به ولا تحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) أى وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله بل كل إنسان جزاء ما عمله قبل ذلك ، قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة (من الله) متعلق بياى (قوله يومئذ يصدعون) التنوين عوض عن جملة أى يوم إذ يأتى هذا اليوم (قوله فيه إدغام الأصل فى الصاد) أى فأصد تصدعون أبدلت التاء صادًا وأمرغمت فى الصاد .

قوله يتفرقون بعد الحساب) أى عند صماع قوله تعالى - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - (قوله وبال كفره) أشار بذلك إلى
الكلام على حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) أى فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تهيأ المنازل في الجنة (قوله متعلق
صدعون) أى والتقدير يتفرقون ليجزى الدين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) أى الشمال والسماء والجنوب
بها رياح الرحمة ، وأما الدبور فهي ريح العذاب يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
بحا » (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبييضية : أى بعض
رحمته (قوله يا أهل مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله ولقد أرسلنا من قبلك رسلا) هذه الآية
قرينة بين الآيات المفصلة والمفصلة لأن قوله - الله الذي يرسل الرياح - تفصيل لقوله (قوله ٢٣٥) ومن آياته أن يرسل الرياح

وحكمة ذلك تسليته صلى
الله عليه وسلم وتأنيسه
حيث وعده بنصر المؤمنين
عموما (قوله فاتتقنا من
الذين أجرموا) عطف
على محذوف قدره بقوله
فكذبوهم (قوله وكان حقا
علينا نصر المؤمنين) كان
فعل ماض ناقص ونصر
اسمها مؤخر وحقا خبرها
مقدم وعلينا متعلق بحقا
أو بمحذوف صفة وهذا
وعد حسن من الله
للمؤمنين بنصرهم على
أعدائهم في الدنيا والآخرة
وهو لا يتخلف (قوله الله
الذي يرسل الرياح)
مبتدأ وخبر وهو تفصيل
لما أجمل أولا كما تقدم
التنبية عليه (قوله تزججه)
أى تهيججه وتحركه (قوله
فيسطه في السماء) أى
ينشره في جهتها متصلا

يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ
فَعَلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يُبَشِّرُون) يوطئون منازلهم في الجنة (لِيَجْزِيَ) متعلق بصدعون
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى يعاقبهم
وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيَذِيقَكُمْ)
بِهَا (مِنْ رَحْمَتِهِ) المطر والخصب (وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكُ) السفن بها (بِأَمْرِهِ) بإرادته (وَلِيَتَّبِعُوا)
طَلَبُوا (مِنْ فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة في البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة
توحدونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج
واضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَأَنفَقْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أهلكتنا
الَّذِينَ كَذَّبُوا (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين
اللَّهِ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُخْرِجُ السَّحَابَ) تزججه (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة
وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كِسْفًا) بفتح السين وسكونها : قطعا متفرقة (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ
بِلَالِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) بالودق (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)
فرحون بالمطر (وَإِنْ) وقد (كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ) تأكيد (لِلْبَاسِ)
يسين من إنزاله (فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ) وفي قراءة آثار (رَحْمَتِ اللَّهِ) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ
عَمِيَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبيها بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ) الحجي الأرض (لَخِي الْمَوْتَى
هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (وَلَا يَنْ) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرّة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا)
نَالُوا) صاروا جواب القسم (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفراره (يَكْفُرُونَ) يجحدون النعمة بالمطر

بعض (قوله بفتح السين وسكونها) أى هما قراءتان سبعيتان فالفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين
قوله إذا هم يستبشرون) إذا فجائية ، والمعنى فاجأهم الفرح (قوله وإن كانوا) فسر إن بقدر تبعا لغيره قالوا للحال وقد للتحقيق
بمضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة خبرها بدليل اللام في لباسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تأكيد)
إشارة إلى أنه أنهم الفرج بعد تمادى بأسهم (قوله فانظر إلى أثر رحمة الله) أى ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها
ببركتها ونضارتها (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله مضرّة) أى وهي ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) أى بعد
مضرته (قوله جواب القسم) أى وقد ستمست جواب الشرط للقاعدة المعلومة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب
شأنه (قوله يجحدون النعمة) أى فشأنهم يفرحون عند الخصب فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جحدوا سابق نعمة الله عليهم

(قوله فانك لاتسمع الموتى) تعاميل المحذوف ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فهم موتى صم عمى وأنت لاتسمع من كان كذلك (قوله بتحقىق الهمزتين الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله إلامن يؤمن بآياتنا) أى يصدق بها (قوله من ضعف) أى أصل ضعيف (قوله ماء مهبين) أى حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) أى وهو بياض الشعر الأسود ويحصل أوله غالبا فى السنة الثالثة والأربعين وهو أول سن الكهولة والأخذ فى النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد وهو أول سن الشيخوخة فيزيد الضعف فى الجسم والعقل إلى آخر العمر وهذا فى غير أهل التقوى والصلاح ، وأماهم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم (قوله بضم أوله وفتحها) أى فهم قراءتان (٢٣٦) سبعيتان (قوله تقوم الساعة) أى تحصل وتوجد ، والمراد بها القيامة سميت

بذلك لحصولها فى آخر ساعة من ساعات الدنيا (قوله الكافرون) أى المنكرون للبعث (قوله مكثوا فى القبور) إنما استقلوا تلك المدة لأن عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار ، وقيل المراد مكثوا فى الدنيا فاستدلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة (قوله بصرفون عن الحق) أى الإقرار والاعتراف به فى الدنيا (قوله وقال الدين أوتوا العلم) أى ردا عليهم وتكذيبا لهم (قوله وغيرهم) أى كالأنبياء والمؤمنين (قوله أنكرتموه) أى فى الدنيا (قوله فى الدنيا) أى فى الدنيا (قوله فى يومئذ) أى فى يومئذ (قوله حذوفة) أى يوم لا قامت الساعة وحلف الشركون كاذبين وردعاهم الملائكة وغيرهم

(فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (وَلَوْ أُمْدِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ) ما (تَسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) ماء مهبين (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) آخر وهو ضعف الطفولية (قُوَّةً) أى قوة الشباب (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) ضعف الكبر وشيب الهرم ، والضعف فى الثلاثة بضم أوله وفتحها (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من الضعف والقوة والشباب والشيخية (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتقدير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ) يحلف (الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (مَا لَبِثُوا) مكثوا فى القبور (غَيْرَ سَاعَةٍ) قال تعالى (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق : البعث ، كما صرفوا عن الحق الصدق فى مدة البعث (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) من الملائكة وغيرهم (أَقَدْ لَبِثْتُمْ فى كِتَابِ اللَّهِ) فيما كتبه فى سابق علمه (إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) الذى أنكرتموه (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وقوعه (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ) بالياء والتاء (الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) فى إنكارهم له (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لا يطلب منهم العتبي أى الرجوع إلى ما رضى الله (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فى هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) تنبيها لهم (وَلَئِنْ) لام قسم (جِئْتَهُمْ) يا محمد (بآية) مثل العصا واليد لموسى (لَيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لاتنقام الساكنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِنْ) ما (أَنْتُمْ) أى محمد وأصحابه (إِلَّا مُبْطِلُونَ) أصحاب أباطيل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء (فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ) بنصره عليهم (حَقٌّ) ولا يستخفك الذين لا يؤمنون بالبعث . أى لا يحملنك على الخفة والطيش ،

و يبنوا كذبهم لا تنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أى فهم قراءتان سبعيتان (قوله معذرتهم) أى اعتذارهم (قوله العتبي) كالجحى وزنا ومعنى ، والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا (قوله من كل مثل) من للتبعيض : أى بعض كل صفة لأجل إرشادهم (قوله ولئن جئتكم بآية) أى مما اقترحوا (قوله حذف منه نون الخ) هذا سبق قلم من المفسر ، فالصواب أن يقول هو فعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لأن الله مفتوح باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) أى إذا علمت حالهم وأهم لا يؤمنون لوجود الطبع فى قلوبهم فاصبر الخ (قوله إن وعد الله حق) تعليل الأمر بالصبر (قوله والطيش) عطف مرادف على الخفة .

قوله (أى لا تتركه) أى لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم [سورة لقمان مكية] مبتدأ وخبر سميت بذلك
 كـ قصة لقمان فيها (قوله إلا ولو أن ما فى الأرض الخ) هذا أحد أقول ثلاثة ، وقيل مكية كلها ، وقيل إلا ثلاث آيات من
 قوله - ولو أن ما فى الأرض إلى خير - وهذا القول الثالث للبيضاوى (قوله أى هذه الآيات) أى آيات السورة وأشير إليها
 إشارة البعيد لما تورنتها ورفع قدرها عند الله وإن كانت قريبة من الأذهان (قوله ذى الحكمة) أى الشتمل على الحكمة
 هى العلم النافع ويصح أن يراد بالحكيم الحكم : أى المتقن الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويصح أن يراد
 بالحكيم قائله حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور فبانقلابه مرفوعاً استكن في الصفة المشبهة (قوله بالرفع)
 أى لحزة على أنه خبر محذوف قدره بقوله هو (قوله وفى قراءة العامة) أى (٢٣٧) وهم السبعة ماعدا حمزة (قوله

بترك الصبر : أى لا تتركه ،

(سورة لقمان)

مكية إلا « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ، الآيتان »

وهى أربع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ) الله أعلم بمراده به (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ
 الْكِتَابِ) القرآن (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة والإضافة بمعنى من ، هو (هُدًى وَرَحْمَةً) بالرفع
 (الْمُحْسِنِينَ) وفى قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها ما فى تلك من معنى
 الإشارة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) بيان المحسنين (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
 يُوقِنُونَ) هم الثانى تأكيد (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون
 (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ) أى ما يلهى منه عما يعنى (لِيُضِلَّ) بفتح الياء
 وضمها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الإسلام (بغير علم ويتخذها) بالنصب عطفاً على يضل
 وبالرفع عطفاً على يشتري (هُزُوا) مهزوءاً بها (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (وَإِذَا
 تَنَزَّلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أى القرآن (وَلَّى مُسْتَكْبِرًا) متكبراً (كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي
 أُذُنِهِ وَقرأ) صمماً ، وجعلنا التشبيه حالاً من ضمير ولَّى أو الثانية بيان للأولى (فَبَشِّرْهُ)
 أعلمه (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم ، وذكر البشارة تهكم به ، وهو النضر بن الحرث كان يأتى الحيرة
 فيجرب يشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد
 ونمود ، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن ،

الآية وروى معناها فى قوله أولئك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) إمامن إضافة الصفة للموصوف : أى الحديث اللهو : أى الشغل
 عما يعنى أو الإضافة على معنى من وإليه يشير المفسر بقوله : أى ما يلهى منه (قوله بفتح الياء) أى ليستمر على الضلال ، وقوله وضمها :
 أى لا يقع غيره فى الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الإسلام) أى الأمور الموصلة للإسلام فاللهو كل ما يشغل
 عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغاني والزامير وغيرها من الأمور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل
 يشتري : أى حالة كونه جاهل القلب وإن كان عايم اللسان (قوله ويتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب الخ) أى والقراءتان
 سبعيتان (قوله مهزوءاً بها) أى لها كانه لها بالخرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر وإن
 لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك ما يقال إن الاخبار بالعذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة ، وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر
 فكان المناسب أن يذكره بأو (قوله النضر بن الحرث) أى ابن كعدة كان صديقاً لقريش (قوله فيستمعون حديثه) أى يعدونه

مليحاً فيصنون له (قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لاخصرص السماء بهذا الاسم (قوله أي مقدرًا خلودهم) أي فهم عند دخولهم يقدرّون الخلود لسماعهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلاموت (قوله وعد الله حقاً) مصدران مؤكّدان لمضمون الجملة الأولى والعامّة مختلف والتقدير وعد ذلك وعدا وحقه حقاً (قوله الذي لا يغلبه شيء) أي لا يقهره أحد (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على أنه عزيز حكيم لا يمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيدته (قوله أي العمدة) أشار بذلك إلى أن جملة ترونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) أي كأهب جمع إهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهي السارية (قوله وهو صادق الخ) أي لأن السالبة تصدق في الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثاني وهو أن يكون لها عمد لا ترى وهي قدرة الله تعالى (قوله رواسي أي ثوابت) قوله جبلاً مرتفعة) قال ابن عباس : هي سبعة عشر جبلاً منها قـ وأبوقبيس والجودي ولبنان وطور سينين (قوله أن تميد بكم) قدر المفسر لام التعليل ولا النافية إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال عدم تحركها بأهائها (قوله وبث فيها) أي نشر ، وقوله : من كل دابة (٢٣٨) من زائدة (قوله فيه النفثات) أي من العيبة إلى التكلم زيادة في التبكي.

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أي مقدرًا خلودهم فيها إذا دخلوها (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) أي وعدهم الله ذلك وحقه حقاً (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته (الْحَكِيمُ) الذي لا يضيع شيئاً إلا في محله (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أي العمدة جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبلاً مرتفعة لـ (أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنْزَلْنَا) فيه النفثات عن العيبة (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) صنف حسن (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) أي مخلوقه (فَأَرْوِنِي) أخبروني يا أهل مكة (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها بالله تعالى وما استفهام إنكار مبتدأ وإذا بمعنى الذي بصلته خبره وأروني معلق عن العمل وما بعد سد مسد المفعولين (بَلِ) للانتقال (الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين بإشراكهم وأتم منهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ)

والإرام الحجة (قوله هذا خلق الله) أي ما ذكر من السموات والأرض وما فيها (قوله استفهام إنكار) وتو يسخ وتقر يع (قوله معلق عن العمل) أي في اللفظ وأما في المحل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل الياء وجملة الاستفهام التي سدت مسد الثاني والثالث وهذا غير ما ذكره من أن أرى إن كان بمعنى أخبر فانها تعدى لمفعولين الأول

مفرد صريح والثاني جملة الاستفهام ، فالمناسب للمفسر أن يقول سدت مسد الثاني (قوله للانتقال) أي من تبكيتهم إلى الاخبار بتقبيح الظالمين عموماً (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف في لقمان فقيل اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية ، وقيل عربي ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون واختلف فيه أيضاً فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر ، فعلى هذا هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقيل كان ابن أخت أيوب ، وقيل كان ابن خالته ، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته ، وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وروى أنه كان ناعماً وسط النهار فتودى بالقمان هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربي قبل العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم أن الله تعالى إن فعل بي ذلك أعاني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لإبراهيم لم بالقمان قال إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان إن عدل نجوا وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ومن يخر الدنيا على الآخرة نفثته الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة بحسن منطقته فنام نومة فأعطى الحكمة فانقبه وهو تسكلم بها ثم تودى بهاد داود بعده فقيلها، وكان لقمان يوازر داود لحكمته ، وقيل

كان خباطا وقيل كان راعي غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة ، فقال ألسنت فلانا الراعي ؟ قال بلى ، قال فهم بلغت
البلغت ؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني (قوله منها العلم والديانة) أي بالحكمة هي العلم والعمل ولا يسمى
رجل حكما حتى يجمعهما ، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة ، وقيل هي نور في القلب يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر (قوله
حكيمه كثيرة) قال وهب نكاح لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم (قوله وقال في ذلك) أي
شأن الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقلنا له أن اشكر الخ) أشار بذلك إلى أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والأنسب
أن تفسيره لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أي فهي نعمة يجب الشكر عليها
فصرفها في مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تعليل للأمر بالشكر (قوله محمود في صنعه) أي فهو حقيق بأن يحمد من دون
خلوقات (قوله وإذ قال لقمان لابنه) أي واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم . قيل كان ابنه وامرأته كافرين لما زال يعظهما
حتى أسلما . قيل وضع لقمان جرابا من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل ،
قال يا بني وعظمتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر ، فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يا بني) بكسر الياء
فتحها قراءتان سبعيتان (قوله إشفاق) أي محبة (قوله فرجع إليه) أي إلى دين أبيه وهو الاسلام ، وقال له أيضا : يا بني اتخذ
نوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة ، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكرك الآخرة والعرس
شبهك الدنيا ، يا بني لا تكن أعجز من هذا الذي يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك ، يا بني لا تؤخر

(٢٣٩)

التوبة فان الموت يأتي بغتة
يا بني لا ترغب في ود الجاهل
فيري أنك رضى عمله ،
يا بني اتق الله ولا تر الناس
أنك تخشى ليكرموك بذلك
وقابلك فاجر يا بني ما ندمت
على السممت قط فان
الكلام إذا كان من فضة
كان السكوت من ذهب
يا بني اعتزل الشر كما

منها العلم والديانة والإصابة في القول ، وحكمه كثيرة مأثورة ، كان يفتي قبل بعثة داود وأدرك بعثته
وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال في ذلك ألا أكتفي إذا كفيت ، وقيل له أي الناس شر ؟ قال
لنبي لا يبالي إن رآه الناس مسيئا (أن) أي وقلنا له أن (أشكر الله) على ما أعطاك من
الحكمة (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة
(فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن خلقه (حميد) محمود في صنعه (و) اذكر (إذ قال لقمان لابنه وهو
يعظه يا بني) تصغير إشفاق (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فرجع
إليه وأسلم ،

عزلك ون الشر للشر خلق ، يا بني عليك يجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة
كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ، ونقل الصخور من موضعها أيسر من
فهام من لا يفهم ، يا بني لا ترسل رسولا جاهلا ، فان لم تجد حكما فكن رسول نفسك ، يا بني لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك
نونا طويلا ، يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم ، يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجالس يذكر فيه الله
عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما ينفعك علمك وإن تك غبيا يعلموك وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة نصيبك
مهم ، يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل فانك إن تكن عالما لا ينفعك علمك وإن تك غبيا يزيدوك
غبوة وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم ، يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك العلماء ، يا بني إن
الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير ، فاجعل سفينتك فيها تتوى الله وحشوها بالإيمان بها وشرعها بالتوكل على الله
فإنك إن تنجو ، يا بني إني حمات الجندل والحديد فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر ،
يا بني إن الحكمة أجاست الساكنين مجالس الملوك ، يا بني لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم ، يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلا
فأضربه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره ، يا بني إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ،
فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل ، يا بني عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا ترد ، يا بني
إياك والدين فانه ذل النهار وهم الليل ، يا بني ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته إلى غير
ذلك من الواعظ المأثورة عنه عليه السلام .

(قوله ووصينا الانسان الخ) هاتان الآيتان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم فهما معترضتان بين كلامي لقمان والعبر
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال في الانسان للجنس (قوله أن يبرها) أي يحسن إليهما (قوله فوهنت) قدر الفعل إشارة إلى
أن وهنا مفعول مطلق والأحسن جعله حالا من أمه أي ذات وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أي ضعفا كائنا على ضعف
والمراد التوالى لا خصوص وهنين بدليل قول المفسر أي ضعفت للحمل الخ (قوله أي فطامه) أي ترك رضاعه (قوله في عامين) أي
في انقضائهما (قوله أن أشكر لي) أن يحتمل أنها مفسرة بجملة وصينا أو مصدرية (قوله أي المرجع) أي فأجازي المحسن على
إحسانه والسيء على إساءته (قوله موافقة للواقع) أي فلا مفهوم له وهو جواب عما يقال إن الشريك مستحيل على الله تعالى
فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبهما في الدنيا) أي أمورها التي لاتعلق بالدين (قوله أي بالمعروف) أشار بذلك
إلى أنه منصوب بنزع الخافض (قوله وانبع سبيل من أناب إلى) قيل إن الخطاب للكافرين عموما ويراد بمن أناب النبي وأصحابه
ومن على قدمهم ، وقيل الخطاب لسعد بن أبي وقاص ، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك أنه حين أسلم أتاه
عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق
فآمنوا ثم جاءهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا ف هؤلاء سابقون للإسلام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله
(٢٤٠) عليه وسلم حتى أسلموا ف هؤلاء سابقون للإسلام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله

(وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أمرنا أن يبرهما (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ) فوهنت (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أي
أي ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة (وَفِصَالُهُ) أي فطامه (فِي عَامَيْنِ) وقلنا
له (أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ) أي المرجع (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) موافقة للواقع (فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي بالمعروف
البر والصلة (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ) طريق (مَنْ أَنْابَ) رجع (إِلَيَّ) بالطاعة (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم عليه ، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا
أَيُّ الْخَصْلَةِ السَّيِّئَةِ) إن تلك مثقال حبة من خردل فتكُن في صخرة أو في السموات
أو في الأرض (أَيُّ فِي أَخْفَى مَكَانٍ مِنْ ذَلِكَ) يأت بها الله (فِيحَاسِبُ عَلَيْهَا) (إِنَّ اللَّهَ
لَطِيفٌ) باستخراجها (خَبِيرٌ) بمكانها (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) ،

عنه (قوله فأجازيكم
عليه) أي على العمل
الحسن والسيء (قوله
وجملة الوصية) أي وهي
قوله: ووصينا الانسان الخ
وقوله وما بعدها أي وهو
قوله وإن جاهدك الخ
وقوله اعتراض أي بين
كلامي لقمان (قوله يا بني
إنها إن تلك مثقال حبة
الخ) رجوع لذكر وصايا
لقمان لولده ، وسبب تلك
المقالة أنه قال له ولده :
يا بُنَيَّ إن عمات الخطيئة
حيث لا يراني أحد كيف

يعلمها الله ؟ فقال له تلك المقالة ، وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه
إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليه خافية وإنما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والشاهدة ولذا مات من استبد
الحسنة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو أصغر حب ، والمراد أصغر شيء بدليل ضرب المثل بالدرة في الآية (قوله
في صخرة) قيل المراد بها التي تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الأرض
على حوت والحوت في الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك ، وقيل على ظهر نور وهو على الصخرة وهي التي ذكر
لقمان فلبست في السماء ولا في الأرض (قوله أي في أخفى مكان من ذلك) أي من الصخرة والسموات والأرض فأخفى الصخرة
باطنها وأخفى السموات أعلاها وأخفى الأرض أسفها (قوله يأت بها الله) جواب الشرط (قوله إن الله لطيف) أي عالم بخفي
الأمور (قوله خبير) أي عالم ببواطن الأشياء كظواهرها ، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت صرارة
من هيبتها وعظمتها ، فمات مسلما شهيدا رضي الله عنه (قوله يا بني أقم الصلاة) أي بشروطها وأركانها وآدابها لسكونها
الدين ومناجاة الله تعالى (قوله وأمر بالمعروف) أي بكل ما عرف شرعا لأن الدال على الخير كفاعله (قوله وأنه عن المنكر)
باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة فإن لم يجد فالهجر أولى بالمعروف .

له بسبب الأمر والنهي) المناسب حمله على العموم ، فالصبر على الصائب سواء كانت من الخلق أو الخالق أسره عظيم لأن
بل في الحقيقة من الله ، والمراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه قال تعالى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة
إنا لله وإنا إليه راجعون - (قوله التي يعزم عليها لوجوبها) أي تحتملها على المكافئين فلا ترخيص في تركها (قوله
تصبر خذك للناس) الصبر بفتح الحاء في الأصل : داء يصيب البعير يلوى عنقه ، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد
الطرفين لأجل الفخر على الناس ، والمراد لا تكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك (قوله وفي قراءة تصاعر)
وهما سبعتان ومعناها واحد (قوله أي خيلاء) أي عجباً وتكبراً قال تعالى - إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا -
له غفور على الناس) أي لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها فتكبر بها على الناس (قوله واقصد في مشيك)
أمره أولاً بحسن الباطن أمره ثانياً بحسن الظاهر ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الديب) أي وهو
الشيء جداً ، قال الشاعر :
زمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيوخ من بدب ديبها

والاسراع) أي وهي قوة الشيء وهي مذمومة لما ورد «سرعة الشيء تذهب بهاء المؤمن» . إن قات ورد في الحديث «كنا نجهد
ثنا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم» فيقتضى أنه كان يسرع في مشيه . أجيب بأنه صلى الله عليه

وسلم في نفسه مشيه
متوسط وبالنسبة
للصحابة هو أعلى مشياً
منهم لما في الحديث المتقدم
«وهو غير مكثرت كأن
الأرض تطوى له» (قوله
من صوتك) يحتمل أن
من تبعية -ية أو الجار
والجرور متعلق بمحذوف
صفة لمحذوف أي شيئاً
من صوتك (قوله لصوت
الحجر) أي هذا الجنس
لما فيه من العلو المفرط من
غير حاجة فإن كل حيوان
يصيح من ثقل أو تعب أو

ب الأمر والنهي (إن ذلك) المذكور (من عزم الأمور) أي معزوماتها التي يعزم
ها لوجوبها (ولا تصمر) وفي قراءة تصاعر (خذك للناس) لا تمل وجهك عنهم تكبراً
لا تمش في الأرض مراحاً أي خيلاء (إن الله لا يحب كل مختالٍ) متبختر
مشيه (فخور) على الناس (واقصد في مشيك) توسط فيه بين الديب والاسراع وعليك
كينة والوقار (وأغضض) اخفض (من صوتك إن أنكر الأصوات) أقبحها
صوت الحمير) أوله زفير وآخره شهيق (ألم تروا) تعلموا يا مخاطبين (أن الله سخر
كم ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وما في الأرض) من
الأنهار والدواب (وأسبغ) أوسع وأنعم (عليكم نعمة ظاهرة) هي حسن الصورة
وبية الأعضاء وغير ذلك (وباطنة) هي المعرفة وغيرها (ومن الناس) أي أهل مكة
ن يجادل في الله بغير علم ولا هدى) من رسول (ولا كتاب منير) أنزله الله بل
ليد (وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا على آباءنا) قال تعالى

ذلك والجار يصيح لغير سبب ، وصياح كل شيء تسبيح لله تعالى إلا الحمار . إن قات إن دقة النحاس بالحديد أشد صوتاً
لحجر . أجيب بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء بخلاف الصوت الحالى عن الثمرة والفائدة وهو صوت الحمار (قوله
زفير) أي صوت قوى ، وقوله وآخره شهيق : أي صوت ضعيف وهما صفة صوت أهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر
الح) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يا مخاطبين) القياس بالواو لأنه منادى مفرد وهو مبنى
ما يرفع به إلا أن يقال إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان أو الأفراد
التأنيث نكرة فهما نعتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هي حسن الصورة الح) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة
، وقيل الظاهرة ما ترى بالأبصار كالجمال والجاه والجمال في الناس ، والباطنة ما يجده الإنسان في نفسه من حسن اليقين
بالله تعالى وكل صحيح (قوله ونسوية الأعضاء) أي تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت في النضر بن الحرث وأبي بن
ومن هذا حذوهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) أي بل بالجهل وعدم
العلم (قوله ولا هدى) أي من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) أي نير واضح الدلالة (قوله وإنا قيل لهم)
[٣١ - صاوى - ثالث]
الجمع باعتبار المعنى .

(قوله أتبعونه) أشار بذلك إلى أن هذا الشرط للحال والتقدير أتبعونه والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب وحينئذ فلا
 لو (قوله يدعوهم إلى عذاب السعير) أي يدعو آباءهم لأن مدار إنكار الأتباع كون لرؤساء تابعين للشيطان (قوله)
 أي لا يليق منهم ذلك (قوله أي يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الدات ، والمعنى من يبذل ذاته في طاعة
 والحال أنه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فالإقبال على الله ظاهراً و باطناً موجب للأمن من عذاب
 ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى - الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون
 (قوله موحد) إنما فسر به ذلك ليشمل الاسلام في حق العامة وهو التوحيد وإلا فالاحسان الكامل أن تعبد الله كأنك
 (قوله بالطرف الأوثق) أي الموصل إلى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاطئ
 فتمسك بأوثق حبل فهو تشبيه تمثيلي بذكر طرفي التشبيه (قوله مرجعها) أي فيجازي عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا
 الفريق الأول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاي وضم الياء وكسر الزاي قراءة ثان سبعيتان أي فقتل ولا
 على ذلك (قوله فننبئهم بما) (٢٤٣) عماوا) أي نخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا (قوله ثم نضطرهم)

(أ) يتبعونه (ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) أي موجباته ؟ لا (و)
 يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أي يقبل على طاعته (وهو مُحْسِنٌ) موحد (فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعِزِّ
 الْوُثْقَى) بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) مرجعها (و)
 كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ) يا محمد (كُفْرُهُ) لاتهم بكفره (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي بما فيها كغيره فبجاز عليه (نُفْتِنُهُمْ) في الدنيا رقبته
 أيام حياتهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) في الآخرة (إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) وهو عذاب النار لا يجزى
 عنه محيصاً (وَلَكِنَّ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ)
 حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)
 ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وجوبه عليهم (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ) ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ)
 خلقه (الْحَمِيدُ) الحمود في صنعه (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ
 عطف على اسم أن (يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مداد ،

ثم إشارة إلى أن العذاب
 الغليظ إنما يكون لهم
 في الآخرة لا في الدنيا كما
 أن المؤمن إذا نعم في الدنيا
 بأنواع النعم فليس ذلك
 جزاء لأعماله الصالحة
 (قوله لا يجردون عنها
 محيصاً) أي ما جأ (قوله
 ليقولن الله) الجملة جواب
 القسم وحذف جواب
 الشرط للقاعدة ولفظ
 الجلالة مرفوع إماماً على أنه
 فاعل بفعل محذوف
 تقديره خلقهن الله بدليل
 آية خلقهن العزيز العليم
 أو خبر لمحذوف تقديره

(قوله واو الضمير) أي لالتقاءها ساكنة
 الخالق لمن (قوله بل أكثرهم لا يعلمون وجوبه عليهم) أي بل يعتقدون أن الإشراف
 مع نون التوكيد وبقية الضمة دليلاً عليها (قوله بل أكثرهم لا يعلمون وجوبه عليهم) أي بل يعتقدون أن الإشراف
 إلى الله مع كونهم ينسبون الخالق لله وحده (قوله لله ما في السموات والأرض) هذا نتيجة ما قبله : أي فثبت أنه
 لها تحقق أنه المالك لها (قوله الحمود في صنعه) أي المنتصف بالسكالات أزلاً وأبداً لا يستحق الحمد غيره (قوله ولو أن
 الأرض) أن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول في محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن
 بيان لما وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال لو أن كل شجرة تجعل أقلاماً الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والله
 أي المحيط لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم أن) أشار بذلك إلى توجيه قراءة
 وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال إما عطف على جملة أن واسمها وخبرها لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل
 والتقدير لو ثبت أن ما في الأرض الخ أو مبتدأ خبره يمد والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد
 جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الأبهر فأجاب بقوله مداد بدل على ذلك قوله في الآية الآخر
 قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي الخ

كلمات الله (أى مدلولات كلامه النفسى القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله المعبر بها فان مدلول الكلام القديم هو به العلم القديم ، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك مبدأ وغاية (قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) سبب نزولها أن أنبي بن خلف وجماعة قالوا للنبي صلى الله وسلم إن الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم تقول إنا نبعث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فنزلت . أن الله لا يصب عليه شيء بل خاق العالم وبعثه برمته كخاق نفس واحدة وبعثها (قوله خلقا وبعثا) لف ونشر مرتب (يا مخاطبا) نصبه لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) أى بالجزء الذى نقص من الآخر وهو أربع دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيد بها الليل وتارة يزيد بها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) على يولج وعبر فى الأول بالمضارع لأن الالاج متجدد بخلاف التسخير (قوله إلى أجل مسمى) (٢٤٣)

عبر هنا بالى وفى فاطر والزمر باللام تفننا لأن اللام وإلى للاتهاء (قوله ذلك المذكور) أى من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بأن الله هو الحق (قوله الثابت) أى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله ألم تر أن الفلك الخ) هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) أى إحسانه (قوله أى علا الكفار) أى أحاط بهم ، فعلا فعل ماض لا حرف جر (قوله أى لا يدعون معه غيره) أى كالأصنام لأنهم فى ذلك الوقت فى غاية الشدة والهول فلا يجدون

كلمات الله (المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك معلوماته تعالى غير متناهية (إن الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج شيء عن وحكمته (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) خلقا وبعثا لأنه بكلمة كن (إن الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن (ألم تر) تعلم يا مخاطبا (أن الله يولج) يدخل (الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وسخر الشمس والقمر كل) (يجرى) فى فلكه (إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة (وأن الله بما تعملون خبير) المذكور (بأن الله هو الحق) الثابت (وأن ما يدعون) بالياء والتاء : يعبدون (من الباطل) الزائل (وأن الله هو العلي) على خلقه بالقهر (الكبير) العظيم (ألم تر) السفن (تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكهم) يا مخاطبين بذلك (من آياته فى ذلك آيات) عبرا (لكل صبار) عن معاصى الله (شكور) لنعمته (وإذا هم) أى علا الكفار (موج كالظلل) كالجبال التى تظل من تحتها (دعوا الله مخاضين) أى الدعاء بأن ينجيهم أى لا يدعون معه غيره (فلمّا نجّيهم إلى البرّ فمنهم مقتصد) مطين الكفر والإيمان ، ومنهم باق على كفره (ومّا يجحد بآياتنا) ومنها الإنجاء من (إلا كل ختار) غدار (كفور) لنعم الله تعالى (يأيتها الناس) أى أهل مكة فوا ربكم وأخشوا يومًا لا يجزى) يغنى (والد عن ولده) فيه شيئا ،

الكشف ما نزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفى بما عاهد الله من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت فى عكرمة بن أبى جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح فقال عكرمة لن أنجنا الله من هذا لا أرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا ضمن يدي فى يده فسكن الريح فرجع عكرمة مكة فأسلم وحسن إسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) أى وهو المشار إليه بقوله وما يجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) أى لأنه العهد ورجع إلى ما كان عليه (قوله انقوار بكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لا يجزى والد عن ولده الخ) من الجاهلین نعمت يومًا ، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان نفسى لأهلك غيرها ولا يهتم بقريب إلا بعيد وهذه الآية قصة بالكفار ، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالأولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الأولاد قال تعالى - والذين آمنوا واتبعهم هم بإيمان أحقنا بهم ذرياتهم - وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته «أنا لا أغنى عنك من الله شيئا» فهو

نحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب (قوله ولا مولود) مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبر الثاني وهو خبره خبر الأول أو معطوف على والد (قوله في حلمه وإمهاله) أشار بذلك إلى أن الباء سببية والكلام على حذف مضاف والأصل ولا يغفر لكم بسبب حلم الله وإمهاله الغرور (قوله إن الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فمضى السماء تمطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم أنثى وأى شيء أعمله غدا وأقصد علمت أن أرض ولدت فبأى أرض أموت (قوله متى تقوم) أى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) أى وفى أى مكان ينزله (قوله وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) أى من حيث ذاتها وأما بإعلام للعبد فلا مانع منه كالأنبياء وبعض الأولياء قال تعالى - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - وقال تعالى - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول - قال العلماء وكذا ولّى فلا مانع من كون الله يطالع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات فتكون معجزة للنبي وكرامة لولى ولذلك قال العلماء : الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلع على تلك الحس ولكن أمر (٢٤٤) بكتبتها والحكمة في كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول

(وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ) فِيهِ (شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بِالْبَيْتِ (فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) هُنَا الْإِسْلَامُ (وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ) فِي حِلْمِهِ وَإِمِهَالِهِ (الْغُرُورُ) الشَّيْطَانُ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) مَتَى تَقُومُ (وَيُنْزِلُ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (الْغَيْثُ) بَوَقْتِ يَكُونُ (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى وَلَا يَعْلَمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَا تَذَرُ نَفْسٌ مَّا ذَا تَكْسِبُ غَدًا) مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا تَذَرُ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بِكُلِّ شَيْءٍ (خَبِيرٌ) بِبَاطِنِهِ كَظَاهِرِهِ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»

(سورة السجدة)

مكية، وهى ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) الْقُرْآنُ مِنْهُ (لَا رَيْبَ) شَكٍّ (فِيهِ) خَيْرٌ أَوَّلٌ،

العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها أن الثلاثة الأول أمرها عظيم لا يتوهم في الخلق علمها بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فإذا اتقى عنهم علمهما كان انتفاء علمهم بغيرها أولى (قوله بأى أرض تموت) لم يقل بأى وقت تموت فيه لأن انتقال الانسان من مكان إلى آخر في وسعه واختياره فتوهمه علم

مكان موته أقرب بخلاف الرمان ففيه تنبيه على انتفاء

علم الأقرب ليفهم منه علم الأبعد بالأولى (قوله إن الله عليم خبير) أشار بذلك إلى أن علمه تعالى ليس مختصاً بهذه الأشياء المتفردة بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها .

[سورة السجدة] أى التى ذكرت فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره أن جميعها مكية وقال غيره إلا ثلاث آيات وقيل إلا خمس آيات أولها قوله : تتجافى جنوبهم وآخرها قوله الذى كنتم به تكذبون ، وورد فى فضلها أحاديث : منها ما فى الصحيح عن ابن عمر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل الكتاب السجدة وهل أتى على الإنسان حين الدهر» وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعى رضى الله عنه ولم يأخذه مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها «أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك» وتسمى أيضا المنجية لأنها أحد المنجيات السبع وهى السورة ويس والذخان والواقعة وهل أتى والملك والبروج ، ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال : اقروا المنجيات ألم تنزيل فإنه بلغنى أن رجلاً كان يقرأ شيئاً غيرها وكان كثير الخطايا ففشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له كان يكثر قراءتها فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ، (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله وم

(قوله من رب العالمين) أى لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا أحسن الأعراب فى هذا الموضع ويصح أن يكون حالا من ضمير الخبر (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة نفس ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل قوله : لا ، فانه إشارة إلى أن الاستفهام إنكارى مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ البيضة (قوله بل هو الحق) لإضراب انتقالى من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته ويصح أن يكون إبطاليا لقولهم كأنه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما فى القرآن من الاضراب انتقالى يحمل على غير هذا ، والمعنى أن القرآن محصور فى الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد المحصر من الجملة المعرفة الطرفين (قوله لتنذر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الأول قوما ، والثانى محذوف قدره المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوما ، واختلاف فى القوم فقيل المراد بهم العرب لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ، وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لعاهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لتنذر قوما راجيا لاهتدائهم لا آيسامنه (قوله الله الذى خلق السموات والأرض) مبتدأ وخبر وهو شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله أولها الأحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع نخلق الأرض أولا فى الأحد والاثنين وخلق ما فيها فى الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات فى الخميس والجمعة ، وفى ذلك إشكال وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس والأفلاك التى بها تعرف الأيام ، وأجيب بأن المراد فى مقدار ستة أيام كائنة فى علمه تعالى بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن ، وقال ابن عباس والضحاك اليوم منها مقداره ألف سنة (قوله سرير الملك) أى ومنه : قال نكروا (٢٤٥) لهاعرشها ، والمراد به هنا الجسم

النورانى المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمشابهة ويفوضون عامه لله تعالى وهو أسلم ولذا سلكه المفسر ، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء

(مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خبر ثان (أَمْ) بل (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) محمد ؟ لا (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ) به (قَوْمًا ، مَا) نافية (أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) بإنذارك (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُمْ) يا كفار مكة (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) اسم ما بزيادة من ، أى ناصر (وَلَا شَفِيعَ) يدفع عذابه عنكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)

والقهر إذ هو أحد معنى الاستواء . ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq

وتقدم الكلام فى هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله أى خفيث ثبت أنه الخالق للسموات والأرض وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اسم ما) أشار بذلك إلى أن ما حجازية وولى اسمها مؤخر ومن دونه خبرها مقدم وفيه أن شرط إعمالها الترتيب وهو مفقود هنا إلا أن يقال إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه فى عملها والأحسن جعلها تميمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لأن القرآن لا يذنبى حمله على ضعيف (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الأمر) أى الشأن والحال ، والمعنى يتصرف فى الخلق على طبق علمه وإرادته وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهورى :

إرادة الله مع التعاقب فى أزل قضاؤه فحقق والقدر الإيجاد للأشياء على وجه معين أرادته علا وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق فى الأزل والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن فانتصرف الذى يظهر فى الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء بكل شئ بقضاء وقدر (قوله من السماء إلى الأرض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر ، وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى أنه يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملاك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين ، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود ، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء ، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح

وأما إسرائيل فهو ينزل بالأمر عليهم» وقد قيل إن العرش موضع التدبير كما أن مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى : ثم استوى على العرش يدبر الأمر بفصل الآيات ، ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أى وهى كالورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألف السادس ومدة أمته تزيد على الألف سنة ولا تبليغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطى فى [الكشف عن مجازة هذه الأمة الألف] وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله يرجع الأمر والتدبير إليه) أى ينتقل التصريف الظاهرى من أيدى العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا وباطنا قال تعالى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - (قوله لشدة أهواله الخ) هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين : أى فالمراد من ذكر الألف وذكر الحسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه ، وجمع أيضا بأن موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف ، فهذه الآية بينت أحد المواقف وآية سأل بينت المواقف كلها ، وهذا هو الأقرب ، وجمع أيضا بأن العذاب مختلف فيعذب الكافر بحسب من العذاب ألف سنة ثم ينقل إلى (٢٤٦) جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة

مدة الدنيا (ثُمَّ يَرْجُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ يَمَّا تَعْدُونَ) فى الدنيا ، وفى سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها فى الدنيا كما جاء فى الحديث (ذَلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى ما غاب عن الخلق وما حضر (الْعَزِيزُ) المنيع فى ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتغال (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (مِنْ طِينٍ) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ (مِنْ ذُرِّيَّتِهِ) (مِنْ سُلَالَةٍ) علقه (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف هو النطفة (ثُمَّ سَوَّاهُ) أى خالق آدم (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أى جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا (وَجَعَلَ لَكُمُ) أى لذريته (السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (فَلْيَلَّا مَاتَشْكُرُونَ) مازائدة مؤكدة للقلة (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (أَنَّا ضَالَّةَا فِي الْأَرْضِ) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) استفهام إنكارى بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين قال تعالى (بَلْ هُمْ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ) بالبعث (كَافِرُونَ) قل لهم (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ) أى بقبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء ،

الصحيح فهم فى حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر أول والعزير خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذى أحسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخاض العزيز الرحيم على أنهما بدلان من الماء فى إليه وقرئ أيضا بجر عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الإشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير فى إليه (قوله الذى أحسن) أى أحكم وأتقن (قوله صفة) أى لكل أو لشيء (قوله وبسكونها) أى وهما

قراعتان سبعيتان (قوله بدل اشتغال) أى من كل شيء (قوله ذريته) سميت نسلا لأنها تنسل أى فصل (قوله أى خالق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير فى سواء عائد على آدم ويصح أن يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى أعضائه فى الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجواد حيث كان نطفة ثم علقه ثم مضغه (قوله من روحه) الإضافة للشريف (قوله أى الذرية) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والنسبة أن الخطاب إنما يكون مع الحى فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أننا ضالنا) حكاية لبعض قبائلهم وأباطيلهم وقرأ العامة ضلنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فتكون القراءات أربعة سبعيات (قوله فى الموضعين) أى وهما أننا ضلنا أننا (قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون) انتقل من جحدهم البعث إلى جحدهم إقناع الله بالمرء (قوله قل لهم) أى للكفار وخصهم بالذكور لوجود التشديد بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى فيها الآية ملك الموت وفى آية الأنعام للرسول وفى الزمر لله تعالى ولا منافاة بينهما لما هنا محمول على مباشرة أخذها حق نصل للحلوف

وما في الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن امر بقبض روحه فان المباشرة لاجراجها من الظفر إلى الحلقوم أعوانه وما في الزمر محمول على الحقيقة فان المتوفى حقيقة هو الله تعالى روى «إن الدنيا جعلت ملك الموت مثل راحة اليد يأخذ منها من شاء أخذ من غير مشقة» فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها ، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى «أن خطوته ما بين المشرق والمغرب» وروى «أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء» وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض ، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة ، وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أي عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل أحد ممن يصلح له (قوله ناكسوارهم) أي خافضوها (قوله وسمعنا منك تصديق الرسل) أي فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله إنا موقنون الآن) أي آمننا في الحال ، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم : والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرأيت أمرا فظيما) أي شنيعا عجيبا (قوله هداها) أي إيمانها . والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول مني) أي ثبت وتقرر وعيدي (قوله من الجنة) قدمهم (٢٤٧) لأن دخول الجن النار أكثر من

فيجازيكم بأعمالكم (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (نَا كَسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ) مطأطئوها حياء يقولون (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وَسَمِعْنَا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون ، وجواب لو رأيت أمرا فظيما ، قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) قهتدى بالإيمان والطاعة باختيار منها (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي بترككم الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم في العذاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) الدائم (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والتكذيب (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) ملتبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي قالوا سبحان الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها ،

الكفر محبولون على عدم الاتماظ به فالخلق فريقان في علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بأنه يقتضي مدح كل من سمع القرآن واتعظ به ويسجد لله وإن لم يكن له موضع سجود . وأجيب بأن السنة بينت مواضع السجود في القرآن فمدح المتعظين بالقرآن في كل آية الساجدين في مواضع السجود (قوله خروا سجدا) أي على وجوههم تعظيما لآياته وامتنالا لأمره وخص السجود بالذكر لأنه غاية للذل والخضوع وهو لا يكون إلا لله وفعله لغيره كفر ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما في الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله ملتبسين بحمد ربهم) أي جمعوا في سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض وبقولهم سبحان الله ، والحمد لله حاصل بتولهم وبحمده فالسجود يطالب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه أيضا الدعاء ، ومما ورد فيما يقال في سجودات القرآن : اللهم اكتب لي بها أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) أي لا يتكبرون ولا يأنفون (قوله تتجافى جنوبهم) أسند التجافى للجنوب لأن الواعظ الذي يكون سببا في القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالإنسان إذا كان مشغولا بربه سلط عليه وأعظ في قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والمجموع . قال تعالى - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون - فاذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة

وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والندوب (قوله اصلانهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما إلى الحديث «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون» (قوله فلا تعلم نفسك) أى لذلك مقرب ولأنني مرسل فضلا عن غيرهم ، والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلا وإلا فتحن نعلمه إجمالا كالأشجار والأنهار والغرف والخور والولدان وغير ذلك لأن عطاء الجنة لا تحيط به العقول ففي الحديث «لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» (قوله من قرءة أعين) أى سرورها وفرحها فلا يلتفتون لغيره (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله مضارع) أى والفاعل مستتر تقديره أنا ففي الحديث «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (قوله جزاء) مفعول مطلق أو مفعول لأجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط نزاع فقال الوليد بن عقبة لعلي «اسكت فانك صبي وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي «اسكت فانك فاسق ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : أفجعل المسلمين كالمجرمين ، أم حسب الذين اجتروا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان (٢٤٨) فاسقا) أى كافرا (قوله لا يستوون) أى في المال ، وقد راعى

المعنى فجمع لأن المراد الفرق في كل ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتمد الوقف على قوله فاسقا ويتسدى بقوله لا يستوون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) أى مهبأة ومعدة لا كرامهم كما نهى التحف للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) أى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل

لصلاتهم بالليل تهجداً (يَعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وطمعاً) في رحمته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ) خبي (لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءُ) بما كانوا يعملون . أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (أى المؤمنون والفاسقون) (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجَلٌ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) هو ما يعد للضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بالكفر والتكذيب (فَأُولَئِكَ لَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجذب سنين والأمراض (دُونَ) قبل (الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) عذاب الآخرة (لَعَلَّهُمْ) أى من بقى منهم (يَرْجِعُونَ) إلى الإيمان (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) القرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أى لا أحد أظلم منه (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) أى المشركين (مُفْتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ لِقَائِهِ) وقد التقيا ليلة الإسراء (وَجَعَلْنَاهُ) أى موسى أو الكتاب (هُدًى) هادياً (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) ،

وجعلنا

وعملا السيئات إشارة إلى أن مجرد الكفر كاف في الخلود في النار فلا الصفات إلى الأعمال معه

وأما العمل الصالح فله مع الإيمان تأثير فلذا قرنه به (قوله فأولئك لهم النار) أى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم . روى «أن النار تضر بهم فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضر بهم لها بها فيهرون إلى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا» (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقاتل لهم الحزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفي سبأ بالتأنيث نظرا للمضاف إليه وهو النار (قوله والجذب سنين) أى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب (قوله أى من بقى منهم) أى بعد القحط وبعد يوم بدر والفرجى في القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان إجمالى لحال المكذب إثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) أى ترك الإيمان بها (قوله أى لأحد الخ) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة في ذكر موسى قرنه من النبي ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الإسراء) أى في الأرض عند الكتيب الأحمر وهو قائم على قبره وفي السماء السادسة كما ورد بذلك الحديث ، وفي كلامه إشارة إلى أن الضمير في لقائه قائم على موسى والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائك موسى ليلة الإسراء ، هذه أقوى الاحتمالات في هذا الموضع .

(قوله وجعلنا منهم أئمة) أى وهم الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل أو أتباع الأنبياء (قوله وإبدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعة لكن من طريق الطيبة لامن طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) أى تحملوا الشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل : الصبر كالصبر مر فى مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية أى جعلناهم أئمة لأجل صبرهم (قوله بينهم) أى المؤمنين والمشركين أو بين الأنبياء وأتباعهم (قوله أولم يهد لهم) الهمة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أضلوا ولم يتبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله إن فى ذلك) أى المذكور من كثرة إهلاك الأمم الحالية (قوله اليابسة التى لانبات فيها) أى التى (٢٤٩) قطع وأزيل بالمرّة فالجرز معناه القطيع ، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها ، وقيل المراد بالجرز موضع باليمن (قوله تأكل كل منه أنعامهم وأنفسهم) قدم الأنعام لأن أكلها مقدم لكونها تأكل قبل أن يجر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها أن المسلمين كانوا يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعواهم يقولون بطريق الاستعجال تكذبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم) الفتح) المراد به يوم القيامة لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لا ينفع الذين كفروا)

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا يَتَّبِعُونَ لِمَا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يُوقِنُونَ) وفى قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ) أى يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِينِهِمْ) فى أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) اليابسة التى لانبات فيها (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم (وَيَقُولُونَ) المؤمنون (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) بيننا وبينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قل يوم الفتح (بِإِزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ) (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ) إزال العذاب بهم (إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الأمر بقتالهم ،

(سورة الأحزاب)

مدنية ، ثلاث وسبعون آية

إيمانهم) أى لأن الإيمان المقبول هو الذى يكون فى الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها (قوله ولا هم ينظرون) أى يؤخرون وقوله أو معذرة أى اعتذارا (قوله فأعرض عنهم) أى أتركهم ولا تعرض لهم (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أى فهو منسوخ بآية الجهاد ، ويحتمل أن الآية محكمة ، ومعنى فأعرض عنهم أى أقبل عذر من أسلم منهم وأترك ما هو عليه ، وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشى حين أسلم بعد قتله حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح .

[سورة الأحزاب] أى التى ذكر فيها قصة الأحزاب ، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والتشجيع على للنافقين وذمهم ، وكانت هذه السورة قد رُسورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها ألفة نكالا من الله والله عزيز حكيم فأبقى الله منها ما هو بأيدينا ورفع الزائدة خلافا للروايت حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فأكلها الداجن (قوله مدنية) أى باجماع .

(قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال ياموسى يا عيسى يادود لكونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والجلال حيث قال يا أيها النبي يا أيها الرسول وإن ذكر اسمه صريحا أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال : محمد رسول الله ، وما محمد إلا رسول إلى غير ذلك (قوله أى دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال إن في الآية تحصيل الحاصل ، وسبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي راس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكاموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله إنذن لنا في قتلهم فقال إنى أعطيتهم الأمان فقال عمر أخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة (قوله إن الله كان عليا حكما) تعليل الأمر والهي (قوله إن الله كان بما يعملون خيرا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة الاحتانية وضمير النبي وأتمته على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أى اعتمد عليه (٢٥٠) وفوض أمورك إليه (قوله وكفى بالله وكيفا) الباء زائدة في فاعل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) دم على تقواه (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون قبل كونه (حَكِيمًا) فيما يخلقه (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرًا) وفي قراءة بالفوقانية (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فى أمرك (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) حافظا لك ، وأتمته تبع له فى ذلك كله (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ردًا على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي) بهمزة وياء وبلا ياء (تَظَاهَرُونَ) بلا ألف قبل الهاء وبها ، والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء (مِنْهُمْ) بقول الواحد مثلا لزوجته : أنت على كظهر أمى (أُمّهَاتِكُمْ) أى كالأمهات فى تحريمها بذلك لمد ذلك فى الجاهلية طلاقا ، وإنما تجب الكفارة بشرطه كما ذكر فى سورة المجادلة (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ) ،

كفى ووكيلا حال (قوله تبع له فى ذلك) أى فيما ذكر من قوله : اتق الله إلى هنا (قوله من قلبين فى جوفه) أى لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لأنه يؤدى للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال الخ) أى وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهرى كان رجلا لييبا حافظا

لما يسمع فقالت قریش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين ، وكان هو يقول : جمع لى قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقبه أبو سفيان واحدى نعله بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس ؟ قال انهزموا فقال ما بال إحدى نعليك فى يدك والأخرى فى رجلك ؟ فقال أبو معمر ما شئت إلا أنهما فى رجلى ، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله فى يده (قوله بهمزة وياء وبلا ياء) أى فى قراءتان سبعيتان وهو جمع التى ، قال ابن مالك * باللات واللاء التى قد جمعها * (قوله بلا ألف قبل الهاء) أى فأتى قراءتان سبعيتان وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء (قوله وبها والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء) أى فهاتى تظاهرون بتاءين سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت فى الظاء (قوله وبها والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء) أى فهاتى قراءتان سبعيتان وبقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذف إحداهما وضم الآخر وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر ، وهذه القراءات واردة فى قد سمع أيضا غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء لأن المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تنأتى فيه وفى الماضى ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كقتاتل وظاهر كقتاتل (قوله بقوله الواحد مثلا لزوجته الخ) أى وضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهر مؤبدة التحريم (قوله أمهاتكم) مفعول ثان لجمع (قوله بشرطه) أى وهو العزم على العود فان لم يعزم على العود فلا تجب عليه الكفارة مالم يمسه وإلا تحتمت عليه ولو طلق بعد ذلك (قوله وما جعل أدعياءكم) نزلت فى حق زيد بن حارثة ، وهو كما روى كان من سببايا الشام فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد

فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وبنياه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: خيرا فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرية وقومه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه ، وكان يطوف على حاق قريش يشهدهم على ذلك فرفض ذلك عمه وأبوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فسكنت معه مدة ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب فلما طاقها زيد تزوجها رسول الله فتكلم المنافقون وقالوا تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها فزلت هذه الآية ردا عليهم ، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة (قوله جمع دعي) أي دعني مدعو وأصله دعيو اجتمعوا الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أي اليهود) تفسير للكاف في أنفواهم (قوله ادعواهم لآبائهم) روى أن عمر بن الخطاب قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت - ادعواهم لآبائهم - (قوله هو أقسط) أي دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق (قوله فإخوانكم في الدين) أي فادعواهم بمادة الأخوة بأن تقولوا له يا أخي مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للوالى فإنه يطلق على معان من جملتها ابن العم ، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمي مثلا (قوله وليس عليكم جناح) أي إثم (قوله ولكن ما نعدمت) أي ولكن الجناح (٢٥١) فيما نعدمته قلوبكم (قوله النبي

أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أنه صلى الله عليه وسلم أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولا فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس في كل شيء من أمور الدين والدنيا لأنها طاعة الله . قال تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وإذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى فحقه صلى الله عليه

جمع دعي وهو من يدعي لغير أبيه ابناله (أبناءكم) حقيقة (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ) في ذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق ، لكن (أَذْهَبَهُمْ لِبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أعدل (عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) بنو عمكم (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) في ذلك (وَلَكِنْ) في (مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) فيه وهو بعد النهي (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما كان من قولكم قبل النهي (رَحِيمًا) بكم في ذلك (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) في حرمة نكاحهن عليهم (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) ذوو القربات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) في الإرث (فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) أي من الارث بالايان والمهجرة الذي كان أول الاسلام ففسخ (إِلَّا) اكن (أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا)

وسلم على أمته أعظم من حق السيد على عبده ، وهذه الآية أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل أمة وصات لخلق (قوله فيما دعاهم إليه) أي من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة فاذا طاب النبي شيئا من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه فالحق في الطاعة للنبي وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يتداین من اليهود ويشترى الشيء بالثمن ، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا عن هوى نفسه بل عن وحى جميع أفعاله وأقواله عن ربه (قوله وأزواجه أمهاتهم) أي من عقد عليهن سواء دخل بهن أولا مات عنهن أو طلقهن وسراريهن اللاتي تمتع بهن كذلك (قوله في حرمة نكاحهن عليهم) أي والتعظيم والاحترام والبر لا في غير ذلك من النظر والخلوة فانهن في ذلك كالأجانب (قوله وأولوا الأرحام) مبتدأ وبعضهم بدل أو مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله في الارث) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير الأقارب أولى بآرث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب (قوله أي من الارث بالايان والمهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله من المؤمنين متعلق بأولى ، يعني أن الأقارب أولى بآرث بعضهم من الارث بسبب الايمان والمهجرة الذي كان في صدر الإسلام ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حق نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله إلا أن تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بالسكن (قوله إلى أوليائكم) أي من

والونه من الأجانب (قوله بوصية) أى فلما نسخ الارث بالايمن والهجرة توصل إلى نفع الأجانب بالوصية وهى خارجة من ذلك المال (قوله مسطوراً) أى مكتوباً (قوله وإذ أخذنا) ظرف لمحذوف قدره بقوله اذ كر (قوله وهى أصغر النمل) أى فكل أر بعين منها أصغر من جناح بوضة (قوله بأن يعبدوا الله) أى يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا إلى عبادته) أى يبلغوا وأشارته للخلق فعهد الأنبياء ليس كعهد مطاق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والذكتة كونهم أولى العزم ومشاهير الرسل وقدمه صلى الله عليه وسلم ليزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهو عبادة الله والدعاء إليها (قوله وهو اليمين) أى الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته فالميثاق الثانى غير الأول لأن الأول إيضاح على التوحيد والدعوة إليه من غير يمين والثانى مغلظ باليمين والشئ مع غيره غيره فى نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق بأخذنا وفى الكلام النفات من التكلم للغيبة كما أشار له المفسر بقوله ثم أخذ الميثاق والراد بالصادقين الرسل (قوله نبكىنا للكافرين) أى تقبيحنا عليهم : أى فالحكمة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما أمروا به مع علمه تعالى أنهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على أخذنا) ويصح أن يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما أثبت فى الأول ، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعد لهم نعيماً مقبلاً ويسأل الكافرين عما أجابوا ، رسلهم وأعد لهم عذاباً أليماً (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الأحزاب (٢٥٢) وكانت فى شوال سنة أربع ، وقيل خمس ، وسببها أنه لما وقع إجلاء بنى النضير

بوصية فحاز (كَانَ ذَلِكَ) أى نسخ الارث بالايمن والهجرة بارث ذوى الأرحام (فى الكتاب مسطوراً) وأريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ (و) اذ كر (إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهى أصغر النمل (وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته ، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق (لِيَسْأَلَ) الله (الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) فى تبليغ الرسالة تبكىنا للكافرين بهم (وَأَعَدَّ) تعالى (لِلْكَافِرِينَ) بهم (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً هو عطف على أخذنا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ،

من أما كنهم سار منهم جمع من أ كبرهم منهم حين بن أخطب وكناته ابن الربيع وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير إلى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقال أبو سفيان مرحباً وأهلاً وأحب الناس

إلينا من أعانتنا على عداوة محمد ، ثم قالت قريش لأولئك اليهود يامعشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا بل أنتم على الحق فأنزل الله - ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب إلى قوله - وكفى بجهنم سعيراً - فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد . ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حذاف ومنهم الكليل للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه فشرع فى حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي فقال له يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا فعمل فيه النبي والمسلمون حتى أحكموه وكان النبي يقطع لكل عشر أربعين ذراعاً ومكثوا فى حفره ستة أيام ، وقيل خمسة عشر ، وقيل أربعة وعشرين ، وقيل شهراً . قال عمرو بن عوف كنت أوسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الأنصار فى أربعين ذراعاً فحفرنا وإذا بطن الخندق صخرة كسرت حديد وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فأتى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بأمرك فأنجب أن نجاوز خطتك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق وأخذ المول من سلمان وضربها بهضبة صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لائتيها : يعنى المدينة حتى كأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الأول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم

فكسرها فبرق منها برق مثل الأول وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال أرايتم ما يقول سلمان ؟ قالوا نعم . قال ضربت ضربتي البرق البرق رأيتم فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ثم ضربت نية فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها . ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها . ثم ضربت الرابعة فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون ألا تعجبون بمنىكم ويعدكم ظل ويخبر أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون تبرزوا فنزل قوله تعالى - وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا - وقوله تعالى - قل سم مالك الملك - الآية ، فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجماعتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين ، فلما رآته قريش قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فجعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم وخرج عدو الله بن أخطب رئيس بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة ، فلما سمع كعب حيا أغاق دونه حصنه فاستأذن به فأبى أن يفتح له وقال له ويحك يا حي إنك امرؤ مبدوم إني عاهدت محمدا فليست بناقض فاني لم أرمه إلا وفاء وصدقا فما زال يبه به ويقول له جئتكم بعز الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله بعث لهم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوهم وقالوا لهم لا عهد بيننا وبينكم ورجعوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر أبشروا يا معشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوما ، وقيل أربعة عشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف . ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي (٢٥٣) من غطفان جاء إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال له إني أسلمت وإن قومي

... ..

يصلوا بإسلامي فمرتني بمأثرت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا إن استطعت فان الحرب خدعة ، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بهم ، فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهروهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيتئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدر على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبنائهم ونسأؤهم بغيره إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخاؤا بينكم وبين هذا الرجل ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم لا تقتالوه مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتأخروا ، قالوا لقد شرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودي إياكم وفراق محمدا فقد باغى مر رأيت حقا على أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل ، قل تأمرون أن معشر يهود قد نددوا على ما صنعوا فيما بينهم بين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد نددنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلا من أشرفهم فنتعطيكهم تضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم فان بعثت إليكم يهود يلبتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهتموني قالوا صدقت . قال فاكتموا على . قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم ، إنما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورموس غطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم إنا سنأبدا مقام قد هلك الحبيب والخافر فأعدوا للاقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم ما لم يخف عايكم ولنا من الذين نقاتل معكم (١) حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى تناجز معكم محمدا فانا نخشى إن ضرمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسبوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله أن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود

(١) قوله : ولنا من الذين نقاتل معكم ، هكذا في النسخ ، والذي في الزرقاني على المواهب : ولنا من ذلك بمقاتلين معكم .

لحق فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لاندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطوا رهننا ، فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفاً وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة ، فقام بيوتهم وقطعت أظنابهم وكفأت قدورهم وصارت تنقي الرجل على الأرض ، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت في قلوبهم الرعب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتيهم بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويماً من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم ومقام منا أحد ، ثم صلى هويماً من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم ومقام أحد منا من شدة الخوف والجوع والبرد ، ثم قال يا حذيفة فقلت ليلتي يا رسول الله وقت حق أتيته ، فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال : أنت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تتحدثن حتى ترجع إلي ، ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فأخذت سهمي انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لأنهم لم قدرا ولا ناراً ولا بناءً وأبوسفیان قاعد يصطلي ، فأخذت سهمي فوضعت في كبدي قوسي فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبت فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٥٤) عليه وسلم لا تتحدثن حدثاً حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي ، فلما رأوا

إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ) مِنَ الْكُفَّارِ مَتَحْزِبُونَ أَيَّامَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) مِنَ الْمَلَائِكَةِ (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بِالتَّاءِ مِنْ حَفْرِ الْخَنْدَقِ ، وَبِالْيَاءِ مِنْ تَحْزِيبِ الْمُشْرِكِينَ (بَصِيرًا) . إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) مِنَ أَعْلَى الْوَادِي وَأَسْفَلِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ) مَالَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى عَدُوِّهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) جَمْعُ حَنْجَرَةٍ وَهِيَ مُنْتَهَى الْخَلْقِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا) الْخُتْلَفَةُ بِالنَّصْرِ وَالْيَأْسِ (هَذَا لِكَيْ أَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ) اخْتَبَرُوا لِيَتَّبِعُوا الْخَلَصَ مِنْ غَيْرِهِ (وَزَلْزَلُوا) حَرَكُوا (زَلْزَلًا شَدِيدًا) مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ ،

أبوسفیان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا ناراً ولا بناء قام فقال : يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جايسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت ؟ فقال سبحان الله أمانع ربي أنا فلان بن فلان رجل من هوازن

فقال أبو سفیان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك السكران والحف وأخافتنا بنو قريظة (و) وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب فؤد على ثلاث فما أطاق عقاله إلا وهو قائم ، سمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمرروا راجعين إلى بلادهم . قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنني أمشي في حمام فأتيت به وهو قائم يصلي ، لما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل ، لما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفء ، فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم قائماً عندي عند رجائي وألقى علي طرف ثوب وألقى صدرى ببطن قدميه ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان (قوله إذ جاءكم) بدل من نعمة والعامل إذكروا (قوله متحزون) أي محتمون ، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفاً وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف والمنافقون من جماتهم (قوله ريحاً) أي وهي الصبا التي تهب من الشرق ولم تجاوزهم (قوله ملائكة) أي وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم (قوله وبالبياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله إذ جاءكم) بدل من إذ جاءكم (قوله من أعلى الوادي) أي وهم أسد وغطفان (قوله وأسفله) أي وهم قريش وكنانة (قوله من الشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) أي المحيط من كل جانب (قوله وهي منتهى الخلقوم) أي من أسفله (قوله الظنوننا) بألف بعد النون وصلاً ووقفاً وبدونها في الحالين وبأثبتها وقفاً وحذفها وصلاً ثلاث قراءات سبعيات وتجري في قوله أيضاً السبيل والرسول في آخر السورة (قوله بالنصر) أي من المؤمنين وقوله واليأس أي من المنافقين وبعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان أي في ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالاً) بكسر الزاي في قراءة العامة وقرئ شذوذاً بفتح الزاي وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعال كصلصال

القتال (قوله وإذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير ، وقال أيضا يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحمدنا لا يقدر أن
 يفر فرقا وخوفا ما هذا إلا وعد غرور (قوله وإذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيطي بكسر الظاء المعجمة من
 ساء المنافقين (قوله هي أرض المدينة) أي فسميت باسم رجل من العمالة كان نزلها قديما ، وقد نهى النبي صلى الله عليه
 وسلم عن تسميتها بذلك وسمّاها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) أي فهي على وزن يضرب (قوله
 بضم اليم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) أي تمكنا فهو بمعنى الإقامة (قوله جبل خارج المدينة) أي
 بها وبين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع
 تحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) أي من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أي تكذبا لهم (قوله
 ودخات عليهم) أي دخلها الأحزاب (قوله الشرك) أي ومقاتلة المسلمين (٢٥٥) (قوله بالمد والقصر) أي فهما
 قراءتان سبعيتان (قوله
 أي أعطوها وفعالوها)
 لف ونشر هرب (قوله
 وما تلبثوا بها إلا
 يسيرا) أي ما أقاموا
 بالمدينة بعد نقض العهد
 وإظهار الكفر وقتل
 المسلمين إلا زمنا قليلا
 ويهلكون فالحزة لله
 ورسوله والمسلمين ، فالمعنى
 لو دخل الكفار المدينة
 وارتد هؤلاء المنافقون
 وقاتلوكم مع الكفار لأخذ
 الله بأيديكم سريرا بقطع
 دابرهم فلا تخشوا منهم
 داخل المدينة أو خارجها
 (قوله من قبل) أي قبل
 غزوة الخندق (قوله
 لا يولون الأدبار) أي بل
 يثبتون على القتال حتى
 وتوا شهداء (قوله مسئولوا عن الوفاء به) أي مسئولوا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله إن فررتم من الموت أو القتل) أي لأنه
 صيبكم لا محالة (قوله وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زمنا قليلا (قوله
 أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله أو يصيبكم بسوء لأنه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على
 مد علفتها تبنا وماء باردا (قوله المشبطين) أي المكساين غيرهم عن القتال في سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين)
 يطف على المعوقين وقوله لاخوانهم : أي في الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والراد بالقائلين اليهود من
 أي قريظة (قوله هلم إلينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة للواحد والثني والجمع والذكر والمؤنث وهذه لغة أهل الحجاز وعندنا
 هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بفعالوا ويصح جعله
 تعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير أنفسكم إلينا (قوله رياء وسمعة) أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله
 إلا قليلا لغرض خبيث (قوله أشعة عليكم) أي مانعين للخير عنكم .

(وَ) اذْكَر (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (مَا وَعَدَنَا
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ) بالنصر (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أي المنافقين (يَا أَهْلَ
 يَثْرِبَ) هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بضم اليم وفتحها
 أي لا إقامة ولا مكانة (فَارْجِعُوا) إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله
 عليه وسلم إلى سلع، جبل خارج المدينة للقتال (وَيَسْتَنْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ) في الرجوع
 يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) غير حصينة يخشى عليها ، قال تعالى (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ) ما
 يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) من القتال (وَلَوْ دُخِيتْ) أي المدينة (عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) نواحيها
 تُسْمَسُ سُلُوكًا) أي سألهم الداخلون (الْفِتْنَةَ) الشرك (لَا تَوْهَا) بالمد والقصر أي أعطوها
 فعالوها (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ
 كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) عن الوفاء به (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ
 وَالْقَتْلِ وَإِذَا) إن فررتم (لَا تُنْتَعُونَ) في الدنيا بعد فراركم (إِلَّا قَلِيلًا) بقية آجالكم (قُلْ
 مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) ينجيكم (مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) هلاكًا وهزيمة (أَوْ) يصيبكم
 سُوءٌ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ (بِكُمْ رَحْمَةً) خيرًا (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (وَلِيًّا)
 يَنْفَعُهُمْ (وَلَا نَصِيرًا) يدفع الضر عنهم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ) المشبطين (مِنْكُمْ) والقائلين (لَاخِوَانِهِمْ)
 قُلْ) تعالوا (إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ التَّبَاسُ) القتال (إِلَّا قَلِيلًا) رياء وسمعة (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بالمعاونة

وتوا شهداء (قوله مسئولوا عن الوفاء به) أي مسئولوا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله إن فررتم من الموت أو القتل) أي لأنه
 صيبكم لا محالة (قوله وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زمنا قليلا (قوله
 أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله أو يصيبكم بسوء لأنه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على
 مد علفتها تبنا وماء باردا (قوله المشبطين) أي المكساين غيرهم عن القتال في سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين)
 يطف على المعوقين وقوله لاخوانهم : أي في الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والراد بالقائلين اليهود من
 أي قريظة (قوله هلم إلينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة للواحد والثني والجمع والذكر والمؤنث وهذه لغة أهل الحجاز وعندنا
 هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بفعالوا ويصح جعله
 تعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير أنفسكم إلينا (قوله رياء وسمعة) أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله
 إلا قليلا لغرض خبيث (قوله أشعة عليكم) أي مانعين للخير عنكم .

(قوله جمع صحيح) هذا هو السموع فيه وقياسه أفعلاء تخليل وأخلاء والشح البخل (قوله أنهم ينظرون إليك الخ) وصف لهم بابن لأن شأن الجبان الخائف ينظر عينا وشمالا شاخصا يبصره (قوله كنظر أو كدوران) أشار بذلك إلى أن كالدی يغشى عليه نعت المصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالدی يغشى على من الموت) أى لأنه يشخص يبصر ويذهب عقله (قوله ساقوكم) الساق بسط العضو ومدة للقهر كان يدا أو لساها ، ففي الآية استعاره الكناية حيث شبه الساق بالسيف وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو الساق بمعنى الضرب فائباته تخييل والحداد ترشيح (قوله أش على الخير) أى مانعين له فلا نفع في أنفسهم ولا في مالهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) أى بقلوبهم وإن أسلموا ظاهرا (قوله فأحبط الله أعمالهم) أى أظهر بطلانها (قوله يحسبون) أى المنافقون لشدة جنهم (قوله الأحزاب) أى قريشا وغطط واليهود (قوله لو أنهم بادون في الأعراب) أى ساكنون في البادية خارج المدينة ليكونوا في بعد عن الأحزاب (قوله يستأمنون عن أنبيائكم) يصح أن يكون حالا من الواو في بادون أو جملة مستأنفة ، والمعنى يستأمنون كل قادم من جانب المدينة عما جر بينهم وبين الكفار قائلين فيما (٢٥٦) بينهم إن غلب المسلمون قاسمناهم في الغنيمة وإن غلب الكفار فنحن

(قوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها إلى قوله - وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب - من تمام قصة الأحزاب وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمنافقين (قوله بكسر الهمزة وضمتها) أى فهم اقراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الاقتداء يقال اتقى فلان

جمع صحيح وهو حال من ضمير يأتون (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي) كنظر أو كدوران الذي (يغشى عليه من الموت) أى سكراته (قوله ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) آذوكم أو ضربوكم (بالسنة حداد أشجة على الخير) أى الغنيمة يطلبونها (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة (فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا) بإرادته (يحبسون الأحزاب) من الكفار (يذهبوا) إلى مكة لخوفهم منهم (وإن يأت الأحزاب) كرة أخرى (يؤدوا) يتمن (أو أنهم بادون في الأعراب) أى كائنون في البادية (يستأمنون عن أنبيائكم) أخبار مع الكفار (وأن كانوا فيكم) هذه الكرة (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وخوفا من التبع (لقد كان لكم في رسول الله أسوة) بكسر الهمزة وضمتها (حسنة) اقتداء به في القتال والثبات في موطنه (لمن) بدل من لكم (كان يرجوا الله) يخافه (واليوم الآخر) وذكر الله كثيرا بخلاف من ليس كذلك (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) من الكفار (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) من الابتلاء والنصر (وصدق الله ورسوله) في الوعد

بفلان أى اقتدى به (قوله في القتال) لا مفهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (وما واجب في الأقوال والأفعال والأحوال ، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ، ولذا قال العارف : وخصك بالهدى في كل أمر فليست تشاء إلا ما يشاء وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب (قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى فالتصاف بهذه الأوصاف ثبتت الأسوة الحسنة في رسول الله وأما من لم يكن متصفا بتلك الأوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) أى بلسانه أو جنانه ما هو أتم (قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أى أبصروهم محذوفين حول المدينة (قوله قالوا هذا ما وعدنا الله) أى بقوله أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب - وقوله ورسوله أى بقوله إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر والعاقبة لكم عليهم (قوله وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله ، وأظهر محل الاضمار زيادة في تعظيم اسم الله ولأنه لو أضمر لجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم عاب على من قال من يطلع الله ورسوله فتبشروا ومن يعصها فقد غوى فقال له ليس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله

وما زادهم ذلك) أى الوعد أو الصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى وفى نذره بموته فى القتال يحب ينحب من باب قتل : نذر ، ومن باب ضرب : بكى (قوله ومنهم من ينتظر ذلك) أى قضاء النحب بالموت فى سبيل الله بخلاف حال المنافقين) أى فقد بدلوا وغيروا فكان الواحد منهم إذا أراد القتال إنما يقاتل خوفاً على نفسه وماله لا طمعا لما الله (قوله ليجزى الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خاف المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزى الله الخ بأن يعيهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف ودفع بذلك ما يقال إن عذابهم متعمد فكيف عاق على فالتعليق بحسب علمنا ، وأما فى علم الله فالأمر محتم إما بالسعادة أو الشقاوة وسيظهر ذلك للعباد (قوله بغيظهم) الجملة أى متبسين بالغيظ (قوله لم ينالوا خيراً) حال ثانية (قوله وكفى الله المؤمنين القتال) أى لم يحصل بينهم اختلاط فى الحرب ما كان بينهم ضرب بالسهم والخنق بينهم (قوله بالريح) أى فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) أى الرعب فى قلوبهم وتقدم بسط ذلك فى القصة (قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب الخ) شروع فى ذكر قصة بيضة وذكر عقب الأحزاب لكون بنى قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأما عهده وحاربوه . قال العلماء بالسير : لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التى انصرف فيها الأحزاب راجعين

(٢٥٧)

إلى بلادهم انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق راكباً على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه الأيمن

ما زادهم ذلك) (إلا إيماناً) تصديقاً بوعده الله (وأسليماً) لأمره (من المؤمنين رجال قواماً عاهدوا الله عليه) من الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (فمنهم من قضى) مات أو قتل فى سبيل الله (ومنهم من ينتظر) ذلك (وما بدلوا تبديلاً) فى العهد بخلاف حال المنافقين (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء) يعيهم على نفاقهم (أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً) لمن تاب (رحيماً) به رد الله الذين كفروا) أى الأحزاب (بغيظهم لم ينالوا خيراً) مرادهم من الظفر منين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قوياً) على إيجاد يده (عزيراً) غالباً على أمره (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أى قريظة (صياصية) حصونهم جمع صيصية : وهو ما يتحصن به (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف

بارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت إلا من طلب القوم فقال إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة فانقض إليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم يرزأون وألقيت الرعب فى قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى إن من كان مطيعاً فلا يصلى العصر إلا فى قريظة فحاصروهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلون على حكمى فأبوا فقال أنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به فحكمه فيهم فقال سعد أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبي الذراري والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج إلى سوق المدينة هو سوقها اليوم فخذق فيه خندقاً ثم بعث إليهم فأتى بهم إليه وفيهم حبي بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد بن بنى قريظة وكانوا ستاً أو سبعين فأمروا علياً والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم فى ذلك الخندق ، فلما فرغ من قتلهم مضى شأنهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه فى وقعة الأحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرى قالت وكانوا كما قال الله تعالى

بينهم (قوله وهو ما يتحصن به) أى سواء كان من الحصون أولاً حتى الشوكة والقرن وباب الداء ونحو ذلك تسمى صيصية

(قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أي وكانوا ستمائة ، وقيل سبعمائة (قوله أي الدراري) أي وكان سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أي الآن وعبر بالماضي لتحقيق الحصول (قوله وهي خير) أي وغيرها من كل أرض وكل عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أي بستين أو ثلاث على الخلاف المتقدم في قريظة هل في الرابعة أو الخامسة وخير كانت في السابعة في أول الحرم وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل فأقبل عليها صبيحة النهار وفي تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشر آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها وبنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من غلها أربع مائة نخلة وسبي أهلها وأصاب من صبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي فتنازع بعض الصحابة في شأن ذلك فأخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخي موسى فأسلمت ثم أعتقها وزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله يأبها النبي قل لأزواجك) اختاف المفسرون في هذا التخيير هل كان تفويضا في الطلاق إليهن أم لا فذهب الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضا في الطلاق وإنما خبرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى : فتعالين أمتعن وأسرحكن ، وذهب قوم إلى أنه كان تفويضا وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) أي وهن اللاتي مات عنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله توفي رسول الله عن تسع نسوة

(٢٥٨)

إلهن تعزى المكرمات وتنسب

(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) منهم وهم المقاتلة (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) منهم أي الدراري (وَأَوْزَنَّا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْمُثُوهَا) بعد وهي خير أخذت بعد قريظة (وَكَاذَبَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) أي ما أريدن الطلاق (وَأُمَرِّخْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) أطلقكن من غير ضرار (وَأِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ) أي الجنة (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) بإرادة الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أي الجنة :

وحفصة تلوهن هند وزينب جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمن مهذب فاعاشة هي بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب من

بني النضير وهند هي أم سلمة بنت أبي أمية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية ورملة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وسودة هي بنت زمعة (قوله إن كنتن تردن الحياة الدنيا أي التمتع فيها) (قوله وزينتها) أي زخارفها ، روى أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس حوله يباه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم حوله واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة خارجة سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة فقلت لأبي بكر إلى عائشة بجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة بجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن والله لا يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ما ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية : يأبها النبي قل لأزواجك حواشي الحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة : إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه تستشيرين أبايوك ؟ قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أباي ؟ بل أختار الله ورسوله والآخرة وكاهن قلن كما قالت عائشة فشكرهن ذلك فانزل الله : لا يحل لك النساء من بعد ، ثم رفع ذلك الحرج بقوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ويقول ترجى من تشاء منهم وتؤوى إليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل أمر على السكون وتون النسوة فاعل (قوله أمتعن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض ويصح أن يكون مجزوما في جواب

فاخترن الآخرة على الدنيا) أى ودمن على ذلك فكان زاهدات في الدنيا حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف من بيت المال فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها في مجلس واحد ، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئاً تفطر به وكانت صائمة معها شيئاً (قوله يانساء النبي من يأت منكناً بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي إظهاراً لفضلهن من قدرهن عند الله تعالى لأن العتاب والتشديد في الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهن ضجيعاته في الجنة فيقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافاً لمن شذوزعم أن حب النبي والقرب منه لاقى به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا ، والمعنى لو وقع من واحدة منكناً هذا الفعل لحدت حدين لعظم قدرها بالفسبة للأمة ، على هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا ، ولذا قال ابن عباس ما بعت امرأة نبي قط ، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة ، وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق ، وقيل فاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا والواط وإن وردت منكراً فهي سائر المعاصي وإن وردت منعوتة كما هنا فهي عقوب ج ومساء عشرينه ، وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الأظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد : لئن أشركت يحبطن آياتي وإلا ففساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بينت آيات ونشر ربك) (قوله وفي قراءة يضعف) أى الثلاث سبعيات (قوله العذاب) أى عذاب الدنيا

وعذاب الآخرة (قوله أى مثليه) أى فضعف الشيء مثله وضعفاه مثله وأضعافه أمثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيراً) أى سهلاً فلا يبالي الله بأحد وإن عظمت رتبته فليس أمر الله كأمر الخاق بترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم بل المكرم عند الله هو التقى (قوله

زنا الآخرة على الدنيا) (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء سرها : أى بينت أو هى بينة (يُضَافُ) وفي قراءة يضعف بالتشديد ، وفي أخرى نضعف ن معه ونصب العذاب (لَمَّا الْعَذَابُ ضَعُفَيْنِ) ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه (وَكَانَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنُتْ) يطع (مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مِمَّا قَدَرْنَا) أى مثلى نواب غيرهن من النساء ، وفي قراءة بالتحتية فى تعمل وتؤتها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا كَرِيمًا) فى الجنة زيادة (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ) فإنكن أعظم (لَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) نفاق (قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) من غير خضوع (وَقِرْنَ) بكسر القاف وفتحها (فِي بُيُوتِكُنَّ) من

ار ، وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها ،

لصالحا) أى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) أى مرة على لغة والتقوى ومرة أخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التى لا تيسر من غيرهن (قوله يانساء النبي لستن كأحد للنساء) تقدم أن حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم من فلا يليق منهن التوغل فى الشهوات وتطلب زينة الدنيا لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «لست من الدنيا وليست بيأمنى» والمقربون منه كذلك ، والمعنى ليست الواحدة منكناً كالواحدة من آحاد النساء فالتفاضل فى الأفراد (قوله إن كن واحدة من سائر النساء) (قوله فلا تخضعن) كلام مستأنف مفرع على التقوى (قوله بالقول) أى بأن تتكلمن بكلام فى عيب قلوب الرجال إلىكن إذ لا يليق منكناً ذلك لكونكن أعظم النساء (قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض) فى ذلك راس عما يقال إنهن أمهات المؤمنين والإنسان لا يطمع فى أمه ، فأجاب بأن الذى يقع منه الطمع إنما هو المنافق لأن ربه حاصلة معه وهو منزوع الحشية والخوف من الله والىكن نهين عموماً سدا للذريعة (قوله قولاً معروفاً) أى حسناً تعظيم الكبير ورحمة الصغير لارغبة فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من القرار) أى بات بيان لمعنى القراءتين (قوله وأصله اقررن بكسر الراء) أى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم فمضى الأول روح والأمر مكسور والثانى بالعكس .

(قوله نقلت حركة الراء) أى الأولى وحركتها إما كسرة على الأول أو فتحة على الثانى (قوله مع همزة الوصل) أى للاستغناء
بتحريك القاف ، والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الأولى) اختلفت في زمنها ف قيل هى ما قبل
بعثة إبراهيم وقيل ما بين آدم ونوح وقيل ما بين نوح وإدريس وقيل ما بين نوح وإبراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى وقيل
ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى ما قبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر المفسر وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كثر
وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى (قوله من إظهار محاسنهن للرجال) أى فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير
الجانبين وكانت النساء يظهرن ما يبيح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار وينت
زوجها بما دون الازار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البذل (قوله والاطهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال
إظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى فأجاب بأنه تقدم النهى عنه فى قوله ولا يبد
زيتن الخ (قوله وأقمن الصلاة) أى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) أى لمستحقها (قوله وأطعن الله ورسوله)
فى جميع الأوامر والنواهي فلا (٢٦٠) تليق منسكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) أى الذنب المذنب

نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل (وَلَا تَبْرَجْنَ) بترك إحدى التام
من أصله (تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى) أى ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال
والاطهار بعد الاسلام مذكور فى آية « وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) (الْأَهْلَ الْبَيْتِ) أى نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وَيُطَهِّرَكُم) منه (تَطْهِيراً) وَأَذْكُرْ
مَا بُتِلَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَالْحِكْمَةُ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليا
(خَبِيرًا) بجميع خلقه (إِنَّا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
الطَّائِعَاتِ) وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ (فِي الْإِيمَانِ) وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ (عَلَى الطَّاعَاتِ)
(وَالْحَاشِيِينَ) المتواضعين (وَالْحَاشِمَاتِ) وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِعِينَ وَالصَّامِعَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) عن الحرام (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا) وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ
لَهُمْ نَجْفَةً) للعاصي (وَأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات ،

لعرضكن (قوله أهل البيت) منصوب على أء منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر (قوله أى نساء النبي) قصره على من ارعاة السياق و إلا فقد قيل الآية عامة فى أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركم تطهيرا) أكده إشارة إلى الزيادة فى التطهير بسبب التكليف بالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهى الخلوص من دنس المعاصي فمن ادعى الطهارة

مع ارتكابه المعاصي فهو ضال كذاب (قوله واذا كن مايتلى فى بيوتكن) (وما
أى لتذكرن به أنفسكن أو غيركن وفيه تذكيرهن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من أهل بيت النبوة وشاهدن
الوحي وكل ذلك موجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) أى عالما بخفيات الأمور (قوله خبيرا)
مطاعا على كل شئ (قوله إن المسلمين والمسلمات الخ) سبب نزولها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم جالسن يتذاكرن
بينهن ويقلن إن الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخبرها فبنا خبر نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فسأله
سلعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال فى كتابه ولا يذكر
النساء فنخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت جبر الخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) إنما عطف وصفهما بالإيمان
وصفهما بالاسلام وإن كانا متعدين شرعا نظرا إلى أنهما مختلفان مفهومهما إذ الاسلام التفاضل بالشهادتين بشرط تصديق
بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان الادعان القلبي بشرط النطق باللسان وبكى فى العطف أدنى آثار (قوله والحافظين
حذف المفعول له لدلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروعهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) أى أى ذكر كان من ت
أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والكثرة هنا بختلاف الأشخاص فالكثرة فى حق العامة

ثالثاً ، وفي حق الزبيرين اثنا عشر ألفاً ، وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض :
ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوماً حكمت بردتني

قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي لا ينبغي ولا يصح ولا يليق وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والنهي كما هنا وتارة في الامتناع
تلا كما في قوله تعالى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة في الامتناع شرعاً - كقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله
وحياً - (قوله إذا قضى الله ورسوله أمراً) ذكر اسم الله للتعظيم وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق
بن الهوى وإذا يصح أن تكون ظرفاً معمولاً لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقراً للمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله
رسوله أمراً كون الخبر لم يصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله (قوله أن تكون) اسم كان مؤخر
الجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة والياء نظراً إلى أن الخبر مجزئ
تأنيث أو للفصل بين العامل والمعمول (قوله الخبر) بفتح الياء وقرئ شذوذاً بـ (قوله وأخته زينب) أي بنت جحش وأما أمية
الاختيار) أشار بذلك إلى أن الخبر مصدر (قوله من أمرهم) حال من الخبر (قوله وأخته زينب) أي بنت جحش وأما أمية
انت عبدالمطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبي وعنى (قوله) (زيد) أي بعد أن كان زوجه

أولاً أم أين بركة الحبشية
بنت ثعلبة بن حصن
كانت لعبد الله أبي النبي
صلى الله عليه وسلم فأعتقها
وقيل أعتقها النبي صلى الله
عليه وسلم وعاشت بعده
صلى الله عليه وسلم خمسة
أشهر وقيل سنة وولدت
زيد أسامة وكانت ولادته
بعد البعثة بثلاث سنين
وقيل بخمس (قوله
فكرها ذلك) أي كون
الخطبة لزيد وقالت
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أنا بنت عمك فلا

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ) بالتاء والياء (لَهُمُ
الْخَيْرَةُ) أي الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله ؛ نزلت في عبد الله بن جحش
وأخته زينب خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وعنى لزيد بن حارثة فكرها فذاك حين علما
لظنها قبل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضياً للآية (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) بيدنا فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره
عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها ، وفي نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (وَإِذْ) منصوب باذكر
(تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة
كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَّقِ اللَّهَ) في أمر طلاقها (وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) مظهره ،

رضاه لنفسه وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود (قوله ثم رضياً للآية) أي حين نزلت الآية توبيخاً لهما (قوله ومن يعص الله
ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل في شأنهما فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) أي أخطأ
طريق الصواب (قوله فزوجها النبي لزيد) أي وأعطاه رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً وخمسة دراهم وخمسين مداً
من طعام وثلاثين صاعاً من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى - وتخفي في نفسك ما الله مبديه هو حبها
الذي درج عليه المفسر تبعاً لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف وأيضاً يبعد أن النبي يخفي عليه حالها
مع كونها بنت عمته وفي حجره (قوله فقال أمسك عليك زوجك) أي لا تنارقها (قوله منصوب باذكر) أي فهو معمول المحذوف
(قوله اشتراه رسول الله) فيه تسميح بل الذي في السير أن خديجة اشتريته بأربعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا الشراء صوري وإلا فهو كان حراً لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعاً لكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلماء
صرفوا الرق بآته عجز حكى سببه الكفر ، روى أن عمه لقيه يوماً بكفة فعرفه وضمه إلى صدره وقال له لمن أنت قال لمحمد بن عبد الله
قالوا هذا ابننا فردده عابنا فقال اعرضوا عليه فإن اختاركم فخذوه فبعث إلى زيد وخبره فقال يا رسول الله ما أختار عايتك أحداً
لدي عمه وقال يا زيد اخترت العمودية على أهلك وعمك قال نعم هي أحب إلي من أن أكون عندكم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قوله من محبتها) بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه ينزه عنه رسول الله والصواب أن يقول: إن الذي أخفاه في نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكا زيد للنبي خاف زينب وأنها لا تطيق وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جهة الأدب والوصية اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذي أخفى في نفسه وخشى رسول الله أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبذيه فعاتبه الله على السكتم لأجل هذا القليل والحكمة في تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بإبطال حكم التبني والتفرقة بين ولد الصاب وولد التبني من حيث إن ولد الصاب يحرم التزويج بزوجه وولد التبني لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر وفي نسخة وتزوجها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أي بأن لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها وفي ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة بهير وتأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى في الدنيا والآخرة على السنة البشر والملائكة وزاد في الآية أن قال وإذ تقول للذي (٢٦٢) نعم الله عليه أي بالآيمان فدل على أنه من أهل الجنة فعلم ذلك قبل موته

من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها (وتخشى الناس) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (وَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) في كل شيء وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) حاجة (زَوْجِنَا كَمَا) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن وأشبع المسلمين خيرا ولحما (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) مقضيه (مَفْعُولًا) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ (أَحَلَّ) (اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ) أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) فعله (قَدْرًا مَقْدُورًا) مقضيا (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) حافظا لأعمال خلقه ومحاسبته (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) فليس أبا زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب (وَلَكِنْ) كان (رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) ،

فهذه فضيلة أخرى (قوله) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن أي ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التي لم يشارك فيها أحد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات بعده من زوجاته مائة بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفخر على أزواج النبي وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع

سموات وكانت تقول للنبي جدي وجدك واحد وليس من أسائك من هي كذلك غيري وقد أنكحنيك الله فلا والسفير في ذلك جبريل (قوله وأشبع المسلمين خيرا ولحما) أي فذبح شاة وأطعم الناس خيرا ولحما حتى تركوه ولم يولم النبي على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أي فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وآله وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) أي موجودا لا محالة (قوله من حرج) أي إثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم في النكاح) أي فقد كان لداود مائة امرأة واسلمان ولده سبع مائة امرأة وثلاثمائة سرية (قوله قدرا مقدورا) هو من التأكيد كظلل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أي أبوة حقيقية فلا ينافي أنه أبوهم من حيث إنه شقيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على أنه خير لكان المحذوفة وقرئ شذوذا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير ورائه إذ لم يعش له ولد ذكر وقرئ أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أي هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من أن الأبوة عنه أن حقه ليس أكيدا فأفاد أن حقه أكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة

له فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) الذي في الحقيقة متوجه للوصف أي كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده وإلا فقد
 له من الله كور أولاد ثلاثة إبراهيم والقاسم والطيب ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا . يبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين
 منه عدم وجود ولد بالغ له ، وأورد عليه بمنع الملازمة إذ كثير من الأنبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء . وأجيب
 الملازمة ليست عقلية بل على مقتضى الحكمة الإلهية وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالحليل ونبينا
 إسماعيل وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمع الزايات المتفرقة في غيره فتدبر (قوله وإذا نزل السيد
 عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى - وخاتم النبيين - وعيسى ينزل بعده وهونبي ؟ ولا يرد على هذا وضع الجزية
 لم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة
 سلام (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) في هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وأمرهم بذكره
 تسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وأفاض عليهم الأنوار وحياهم ، والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكركم قال
 لي - فاذكروني اذكركم - وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضرر قال تعالى
 إن تكفروا فإن الله غني عنكم - فذكروا لأنفسنا لأنه لا غنى لنا عن ربنا طرفه عين ، وإذا كان كذلك فلا تابق الغفلة
 أبدا بل المطلوب ذكره دائما وأبدا . واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر لها
 حال العذر غير الله كمن لم يعمل له حدا ولم يعذر أحدا في تركه إلا من (٢٦٣) كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم

به في جميع الأحوال
 قال تعالى : فاذكروا الله
 قياما وقعودا وعلى جنوبكم
 فقيه إشارة إلى أن
 الذكر أمره عظيم
 ونضله جسيم (قوله
 وسبحوه بكرة وأصيلا)
 خص التسبيح بالذكر
 وإن كان داخلا فيه
 لكونه أعلى مراتبه ،
 وحكمة تخصيص التسبيح

لا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم : أي به ختموا (وَكَانَ
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) منه بأن لا نبي بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (يَأَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أول النهار وآخره (هُوَ
 الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ) أي يرحمكم (وَمَلَائِكَتُهُ) أي يستغفرون لكم (لِيُخْرِجَكُمْ) ليديم
 خواجه إياكم (مِنَ الظُّلُمَاتِ) أي الكفر (إِلَى النُّورِ) أي الإيمان (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَحِيمًا . تَحِيَّتُهُمْ) منه تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا) بلسان الملائكة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)
 والجنة (يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على من أرسلت إليهم (وَمُبَشِّرًا) من صدقك
 الجنة (وَنَذِيرًا) منذرًا من كذبك بالنار (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) إلى طاعته (يَا ذُنُورِ)

الذين الوفتين لكونهما أشرف الاوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما (قوله هو الذي يصلي عليكم) استئناف في معنى التعليل
 الأمر بالذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر في يصلي والفاصل موجود (قوله أي يستغفرون لكم)
 في يطالبون لكم من الله المغفرة ، قال تعالى : ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمنا فاغفر للذين تابوا
 اتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم إخراجهم إياكم) جواب عما يقال إن إخراجهم إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الإيمان .
 لإيضاح الجواب أن المراد دوام هذا الإخراج لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت ربما أخرجت العبد من النور والعباد بالله تعالى
 قوله من الظلمات إلى النور) جمع الأول لتعدد أنواع الكفر وأورد الثاني لأن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه فمن ادعى الإيمان
 أثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أي يقبل القليل من أعمالهم
 يعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا في إيمانهم (قوله تحييتهم منه تعالى) أي التحية الصادرة منه تعالى زيادة
 الاعتناء بهم وتعظيمهم (قوله يوم يلقونه) اختاف في وقت اللقي فقبل عند الموت ، وقبل عند الخروج من القبور ،
 قيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أي لما ورد « إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له ربك بقرئك
 سلام » وفي الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى - سلام قولا من رب رحيم - وقال تعالى
 والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بمصيرتم - وقال تعالى : لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيلا لإقلا سلاما سلاما
 قوله هو الجنة) أي وما فيها من النعيم المقيم (قوله على من أرسلت إليهم) أي اتقرب أحوالهم وتكون مشاهدا لمصدر منهم من الأعمال

الحسنة والقبیحة فالأهمال تعرض عليه حیا ومیتا ، ویصح أن یكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنین وعلى الكفارین فهو مقبول الددوی لا یحتاج فی دعواه إلى شهادة أحد فیشهد للأنبیاء بالتبلیغ وعلى الأمم إماما بالتصديق أو التکذیب (قوله بأمره) دفع بذلك ما یقال إن الإذن حاصل بقوله أرسلناک ، فأجاب بأن المراد بالإذن الأمر ، والحكمة فی الإذن تسهيل الأمر وتيسيره لأن الدخول فی الشیء من غیر إذن متعذر فاذا حصل الإذن سهل وتيسر ، ومن هنا أخذ الأشیخ استعمال الاجازة للمريدین فمن أجازہ أشیاءه بشیء من العلم والارشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغیره وانستت علیه الطرق (قوله وسراجا منیرا) یحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ویحتمل أن المراد به المصباح وحينئذ فیقال إنما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم ، لأن السراج یسهل اقتباس الأنوار منه وهو صلى الله علیه وسلم یتقاسم منه الأنوار الحسية والمعنویة (قوله وبشر المؤمنین) أى حیث كنت متصفا بالصفات الخمسة فبشر المؤمنین (قوله ولا تطع الکفارین) أى لاتدار الکفار ولا تان لهم جانبک فی أمر الدین بل اثبت على ما أوحى إليك وبلغه ولا تسکنم منه شیئا (قوله ودع أذاهم) إما من إضافة المصدر لفاعله أى أذیتهم إیاک فلا تقاثلهم جزاء على ما صدر منهم أو لمفعوله أى اترك أذیتک لهم فی نظیر کفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة ، وهذا مذوخ بآیه القتال (قوله ونوکل على الله) أى ثق به فی أمورک واعتمد (٢٦٤) علیه بکفک أمور الدین والدنیا (قوله وکنی بالله وکیلا) الباء زائدة

بأمره (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) أى مثله فی الاهتداء به (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) هو الجنة (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فیما یخالف شریعتک (وَدَعْ) اترك (أَذِيهِمْ) لا تجازم علیه إلى أن تؤمر فیهم بأمر (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فهو کافیک (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) مفوضا إلیه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) وفى قراءة تماسوهن أى تجمعهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) تحصونها بالأقراء وغیرها (فَتَمْسُوهُنَّ) أعطوهن ما یستمتعن به ، أى إن لم یسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعی (وَسَرَّحُوهُنَّ مَرَّاحًا جَمِيلًا) خلوا سبیلهن من غیر إضرار (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) مهورهن (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ،

فی الفاعل أى أن الله تعالى كاف من توکل علیه أمور الدنیا والآخرة وفى الآیه إشارة إلى أن التوکل أمره عظیم فاذا عجز الإنسان عن أمر فاعله بالتوکل على الله والتفويض إلیه فإن الله یكفيه ما همه من أمور الدنیا والآخرة (قوله إذا نکحتم المؤمنات) المراد بالنکاح العقد

بدلیل قوله : ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وذکر المؤمنات خرج مخرج الغالب بما إذا نکح المؤمنات بالذکر إشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن ینکح المؤمنات ، وأما نکاح الکتابیات فمكرره أو خلاف الأولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى ولوطال زمن العقد (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان (قوله أى تجمعهن) تنسیر لکل من القراءتین (قوله تعتدونها) إما من العدد أو من الاعتداد أى تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عد الدراهم فاعتدها أى استوفى عددها (قوله وعليه الشافعی) أى ومالك فالمطلقة قبل الدخول وإن سمى لها صداق فلا متعة لها ولا عدة عندها وإن لم یسم لها صداق بأن نکحت تفویضا فلا عدة علیها ولها المتعة إما وجوباً كما هو عند الشافعی أو ندباً كما هو عند مالك (قوله خلوا سبیلهن) أى اتركوهن (قوله من غیر إضرار) أى بأن تمسکوهن تعنتا حتى یفتدین منکم أو تؤذیهن وتکلموا فی أعراضهن (قوله یا أيها النبی إنا أحللنا لك الخ) اختلف المفسرون فی المراد بهذه الآیه فقيل المعنى أن الله أحل له أن یتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون الآیه ناسخة لأنحریم الکائن بعد التخیير المدلول عامه بقوله - لا یحل لك النساء من بعد - ، فهذه الآیه وإن كانت متقدمة فی التلاوة فهى متأخرة فی النزول عن الآیه المنسوخة بها كآیه الوفاة فی البقرة ، وقيل المراد أحللنا لك أزواجک الکائنات عندک لأنهن اخترنک على الدنیا ، ویؤيده قول ابن عباس : کان رسول الله صلى الله علیه وسلم یتزوج من أى النساء شاء وكان یشق على نسائه فلما نزلت هذه الآیه وحرم علیه بها النساء إلا من سمى سرّاً نساؤه بذلك ، والقول الأول أصح (قوله اللاتی آتیت أجورهن) بیان لما کان فعله من مکارم الأخلاق

والإفاء أهل له أن يتزوج بلا مهر (قوله ما أفاء الله عليك) بيان لما ملكك يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل الملك
بأشهر. كذلك (قوله كصفيه) هي بنت حبي بن أخطب من نسل هرون أخى موسى وتقدم أنها كانت من سبي خيبر أذن النبي
صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبي في أخذ جارية فأخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أعطيتها سيده بن قريظة والنضير وهي
لا تصلح إلا لك غشي عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة ، وفي رواية « أنه صلى الله
عليه وسلم قال لما هل لك في » قالت نعم يا رسول الله إني كنت آتني ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت إنها كانت
نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها فرأت قمر اوقع في حجرها فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال تمدين ملك يثرب » ماتت في رمضان
سنة خمسين ودفنت في البقيع (قوله وجويرة) أي وهي بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس
الأنصاري فكاتبها فجاءت نساء النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك إلى ما هو خير من ذلك أودى عنك كتابك
وأزوجهك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما
وأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله وبنات عمك وبنات عماتك) أي نساء قریش المنسوبات لأبيك وقوله وبنات
خالك وبنات خالك أي نساء بنى زهرة المنسوبات لأمك ، (٢٦٥) وحكمة أفراد العلم والحال دون العمه والحالة

أن العم والحال يعلمان إذا
أضيفا لكونهما مفردين
خاليين من تاء الوحدة
والعمه والحالة لا يعلمان
لوجود التاء (قوله بخلاف
من لم يهاجرن) أي فلا
يحللان له وهذا الحكم
كان قبل الفتح حين
كانت الهجرة شرطا في
الاسلام فلما نسخ حكم
الهجرة نسخ هذا الحكم
(قوله وامرأة مؤمنة)

يُما أفاء الله عليك من الكفار بالسبي كصفيه وجويرة (وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالك اللاتي هاجرن معك) بخلاف من لم يهاجرن (وامرأة
مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها) يطلب نكاحها بغير صداق
(خالصة لك من دون المؤمنين) النكاح بلفظ الهبة من غير صداق (قد علمنا ما فرطنا
عليهم) أي المؤمنين (في أزواجهم) من الأحكام بالألا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا
إلا بولي وشهود ومهر (و) في (ما ملكت أيمنائهم) من الإماء بشراء وغيره بأن تكون
الأمه ممن تحمل لما لكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء (استكثلا)
متعلق بما قبل ذلك (يَكُونُ عَائِلُكَ حَرَجٌ) ضيق في النكاح (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا)
لما يصير التحرز عنه (رَحِيمًا) بالتوسعة في ذلك ،

مطوف على معمول أحلنا أي وأما غير المؤمنة فلا تحل له وظاهر الآية أن النكاح يهتقد في حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ
يكون من خصوصياته ، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم
شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث « سألت ربي أن لا أزوج
إلا من كان مني في الجنة فأعطني » وقوله تعالى : وأزواجه أمهاتهم ، ولا يائق أن تكون الشركة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا
نكاح الأمة ولو . لأن نكاحها مشروط بأمر بن خوف الفتنة وعدم وجود مهر الحرة وكلا الأمرين مفقود منه صلى الله عليه وسلم
وأما تبرئة الأمة الكتابية ففيه خلاف (قوله إن وهبت نفسها للنبي) أظهر في محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف واطهارا لعظمة قدره
عنده (قوله إن أراد النبي أن يستنكحها) هذا الشرط قيد في الشرط الأول فإن وهبت نفسها لا توجب حلها إلا إذا أراد نكاحها بأن يحصل
منه القبول بعد الهبة أو يسألها في ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خالصة) مصدر معمول المحذوف أي خالصة لك خالصة ومحبي المصدر
على هذا الوزن كثير كالهبة والعادية والكاذبة (قوله من غير صداق) أي ومن غير ولي وشهود (قوله وغيره) أي كهبة (قوله بخلاف
المجوسية الخ) أي فلا تحل لما لكها إلا إذا استسلمها وذلك كجوارى السودان والحبشة والمغرب لأنهن يجبرن على الاسلام ولذا
لا يجوز لكسار شرائهن كما هو مقرر في النكاح (قوله وأن تستبرأ قبل الوطء) أي كتابية كانت أو مجوسية (قوله متعلق
بما قبل لك) أي وهو قوله : إنا أحلنا لك ، والمعنى أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لتلا يكون
[٣٤ - صاوي - ثالث] عليك ضيق (قوله لما يصير التحرز عنه) أي لقولهم إذا ضاق الأمر اتسع .

(قوله رَجِيْ مِنْ نِّسَاءِ مَنْهِنْ الْح) اتفق المفسرون على أن القصد من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاشرته لنسائه واختلافوا في تأويلها ، وأصح ما قيل فيها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغار على النبي صلى الله عليه وسلم على اللاتي وهن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أوتيهن المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل رَجِيْ مِنْ نِّسَاءِ مَنْهِنْ وَتَوَوِيْ إِلَيْكَ مِنْ نِّسَاءِ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ قَاتِ وَاللَّهُ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يَسَارِعُ فِي هَوَاكَ ، وقيل إن ذلك في الواهبات أنفسهن وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن وتترك من شئت ، فالمعنى لك طلاق من شئت منهن وإمساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء (قوله والياء بدله) أي بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمه مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) أي من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) أي التي طابت ردها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسم فلا جناح عليك (قوله بعد أن كان القسم واجبا عليه) هذا أحد قولين ، وقيل كان محيرا من أول الأمر ولم يكن واجبا عليه ابتداء (قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن) هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه ، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لأن التخيير أقرب إلى سكون أعينهن وعدم حزنهن وأقرب إلى رضاهن بما حصل (٢٦٦) لمن لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبي شيئا من القسم وحصل منه

(رَجِيْ) بالهمز والياء بدله: تؤخر (مَنْ نِّسَاءِ مَنْهِنْ) أي أزواجك عن نوبتها (وَتَوَوِيْ) تضم (إِلَيْكَ مَنْ نِّسَاءِ) منهن فتأتيها (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ) طلبت (يَمْنُ عَزَلْتَ) من القسم (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) في طلبها وضمها إليك ، خير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه (ذَلِكَ) التخيير (أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) ما ذكر الخير فيه (كُلُّهُنَّ) تأكيد للفاعل في يرضين (وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) من أمر النساء والميل إلى بعضهن ، وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً) بخلقه (حَلِيماً) عن عقابهم (لَا تَحِلُّ) بالتاء والياء (لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) بعد التسع اللاتي اخترتك (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ) بترك إحدى التامين في الأصل (بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجِ) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) من الاماء فتحل لك ، وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية ،

القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تأكيد للفاعل) أي هو بالرفع وهذه قراءة العامة وقري مشدودا بالنصب توكيدا للمفعول (قوله والله يعلم ما في قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم ويحتمل أن يراد العموم (قوله والميل إلى بعضهن) أي بالطبع فكان يميل إلى بعضهن أكثر وكان يقول «اللهم إن هذا حظي فيها أملك

فلا تؤاخذني فيما لا أملك» ، واتفق العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات غير سودة رضي الله عنها فأنها وهبت لياتها لعائشة رضي الله عنها (قوله حلما عن عقابهم) أي يعلم العيب ويستتره فينبغي للإنسان أن لا يفرط في حقوقه لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما في الحديث «انقوا غيظ الحليم» ففي الآية ترغيب وترهيب (قوله بالياء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) أي بعد اجتماعهن في عصمتك فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة ، فقد أصر الله نبيه عليهن جزاء لمن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتي توفى عنهن ، وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا أن تبدل بين من أزواج) البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل : تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك ، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال بأي وجه (قوله من أزواج) من زائدة في المفعول (قوله ولو أعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله إلا ما ملكك يمينك) استثناء متصل من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء ، وقيل منقطع لإخراجه من الأزواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) أي القبطية أهداها المقوقس ملك القبط ، وهم أهل مصر والاسكندرية ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن أبي بلتعة مكتاب يدعو فيه إلى الاسلام ، صورته : بسم الله

الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الاسلام
 أسلم وسلم وأسلم يؤتلك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإني عليك إثم القبط - ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
 وبينكم - الآية . فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده في الاسكندرية ، فدفعه إليه فقرأه ثم جعله في حق من عاج
 وختم عليه ودفعه إلى جارية ، ثم كتب جوابه في كتاب صورته : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم
 القبط سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وعلمت أن نبيا قد بقي وما كنت أظن إلا
 أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك : أي فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أنواب ، وبعثت لك بحاريتين لهما مكان في
 القبط عظيم أي وهما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطي مصر وطيبا وعودا ونداء ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب ومع
 قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين وخصيا يقال له مأبور والبغلة هي دلدل وكانت
 شهباء وفرسا وهو الزاز ، فانه سأل حاطبا ما الذي يحب صاحبك من الخيل ؟ فقال له الأشقر ، وقد تركت عنده فرسا يقال لها
 الرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الوصوفة فأمرج وأجم وهو فرسه الميمون ، وأهدى إليه عسلا من عسل بنها قرية من
 قرى مصر ، فأعجب به صلى الله عليه وسلم وقال : إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له إبراهيم)
 أي في ذي الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما ، وقيل سنة وعشرة أشهر ، وقوله ومات في حياته : أي ولم يصل عليه بنفسه بل
 أمرهم فصلوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الخ) هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين
 نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك قال « كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين

أنزل وكان أول ما أنزل
 في بناء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم زينب بنت
 جحش حين أصبح النبي
 صلى الله عليه وسلم بهاء عروسا
 فدعا القوم ، فأصابوا من
 الطعام ثم خرجوا وبقى رهط
 عند النبي صلى الله عليه وسلم

وولدت له إبراهيم ومات في حياته (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) حفيظا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) في الدخول بالدعاء (إِلَى طَعَامٍ)
 (غَيْرِ نَازِلِينَ) منتظرين (إِنَاهُ) نضجه مصدر أنى يأتي (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا
 طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا، وَلَا) تمكثوا (مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) من بعضكم لبعض (إِنْ ذَاكُمْ)
 الْمَكْتُ (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أن يخرجكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ)
 أن يخرجكم : أي لا يترك بيانه وقرى يستحي ،

فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء
 عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي
 صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا ، فضرب
 النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر وأنزل الحجاب (قوله إلا أن يؤذن لكم) أي لإسباب الاذن لكم (قوله إلى طعام)
 متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين إناه) هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضي أن الدخول
 مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع أنه يهوز فالمناسب حذف هذا التقدير إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من
 غير إذن وينتظرون نضج الطعام فهام الله عن كل من الأمرين . والحاصل أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت منها أن
 قوما كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوة وينظرون نضج الطعام ، ومنها أن قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد
 ما طعموا مستأنسين لحديث ، ومنها مؤاكلة الأجانب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب
 ونهى عن ذلك كله ، وآيات الحجاب هذه لخصوص أمهات المؤمنين ، وأما لعموم الأمة فقد تقدم في سورة النور تأمل (قوله
 مصدر أنى يأتي) أي من باب رمي وقياس ، صدره أنى ولكنه لم يسمع وإنما المسموع إلى بالكسر والقصر (قوله فاذا طعمتم)
 أي أكلتم الطعام (قوله فانتشروا) أي اذهبوا حية ، شتم في الحال ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب (قوله ولا تمكثوا مستأنسين)
 أشار بذلك إلى أن مستأنسين حال من محذوف و تلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذي النبي) أي لتضييقه
 عليه (قوله فيستحي منكم) أي من إخراجكم (قوله والله لا يستحي من الحق) الراد بالحق إخراجكم من منزله وأطاق الاستحباب
 في حق الله وأريد لازمه وهو ترك البيان .

(قوله بيا واحد) أى قراءة شاذة فى الثانى (قوله فسئلوهن من وراء حجاب) روى أن عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل ومعه بعض أصحابه فأصاب يد رجل منهم يد عائشة وهى تأكل معهم فذكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) أى ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر المريبة) أى أنى وأبعد لدفع الريبة والتهمة وهو يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا يحل له فإن مجانبته ذلك أحسن لحاله وأحسن لنفسه (قوله وما كان لكم) أى ما صح وما استقام لكم وقوله أن تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وأن تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال فى سره : إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشى إلى مكة على رجله وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله وأعتق رقبته فكفر الله عنه (قوله من بعده) أى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لأن كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد تحريمها على أمته وأما إمامه فلا يحرم على غيره إلا بمسه لهن (قوله إن ذلكم) أى ما ذكر من إيدائه ونكاح أزواجه من بعده (قوله إن تبدوا شيئا) أى تظهروه على أنفسكم وقوله أو تخفوه : أى فى صدوركم وقوله فيجازيكم عليه جواب الشرط وقوله فإن الله كان بكل شئ علما تعليل الجواب (٢٦٨) وهو بمعنى قوله تعالى - إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله -

بيا واحد (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) أى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ستر (ذَلِكَمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر المريبة (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) بشئ (وَلَا أَنْ تَنكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا) (إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ) من نكاحهن بعده (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فيجازيكم عليه (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ) أى المؤمنات (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (وَأَتَقِينَ اللَّهَ) فيما أمرتن به (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لا يخفى عليه شئ (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ،

(قوله لا جناح عليهن فى آبائهن الخ) هذا فى المعنى مستثنى من قوله - وإذا سألتوهن متاعا - الآية . روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن وأخواتهن وأبناء أخواتهن : أو نكاحهن أيضا من وراء حجاب فنزلت هذه الآية وقوله فى آبائهن : أى أصولهن وإن علون وقوله ولا أبناؤهن المراد فروعهن

وإن سفلوا (قوله ولا نساؤهن) الاصابة من حيث المشاركة فى الوصف وهو الاسلام فقول المفسر وسلموا أى المؤمنات تفسير للمناف ومفهومه أن النساء الكافرات لا يجوز لهن النظر لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لأزواج النبي بل جميع النساء السلمات كذلك فلا يحل للسلمة أن تبدى شيئا منها للكافة لئلا تصفها لزوجها الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ما أمرتن به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين وإن تقدم فى سورة النور عموما دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه فأقاد هذا أنهن كالأمهات فى التعظيم والتوقير لا فى الخلوة والنظر فانهن كالأجانب بل هن أشد فذكر لهن حجابا مخصوصا فلا يقال إنه مكرر مع ما تقدم فى النور (قوله لا يخفى عليه شئ) أى من الطاعات والمعاصى الظاهرة والخفية (قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمت وأفضل الخلق على الإطلاق إذا الصلاة من الله على نبيه رحمة المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبي وطاقت الرحمة قوله تعالى - هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور - فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم إن ، وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره إن الله يصلى وملائكته يصلون وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين ، والمراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحيفئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شئ تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمت ومنبع التجليات (قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشریفهم بذلك

ت اقتدوا بالله في مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكانة أبعض حقوقه على الخلق لأنه الواحدة العظمى في كل
 صلات لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه .
 قالت إن صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه وهو مصل عليه مطاقا طلبوا أولا . أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن
 فائته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك أن يكافئه ، ولأشك أن الصلاة الواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لا تنقف
 حد فكمما طلبت من الله زادت على نبيه فهي دائمة بدوام الله (قوله وسلموا تسليما) إن قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله
 لأنك . أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذى النبي والأذى إنعاشي من البشر فناسب التخصيص بهم لأن في
 سلام سلامة من الآفات ، وأكد السلام دون الصلاة لأنها لما أسندت لله ولا نسكته كانت غنية عن التأكيد . واعلم أن العلماء
 نوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر
 مرة ، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة ، وقيل تجب عند ذكره ، وقيل يجب
 كثر منها من غير تقييد بعدد ، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم وفضلها جسيم وهي من أفضل الطاعات وأجل القربات
 قال بعض العارفين : إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلي على
 على بخلاف غيرها من الأذكار فلا بد فيها من الشيخ العارف وإلا دخلها (٢٦٩) الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها

(قوله أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم)
 على محمد وسلم أي اجمعوا
 بين الصلاة والسلام وصيغ
 الصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم كثيرة لا تحصى
 وأفضلها ما ذكر فيه لفظ
 الآل والصحب فمن تمسك
 بأي صيغة منها حصل له
 الخير العظيم (قوله إن
 الذين يؤذون الله ورسوله)
 الإيذاء في حق الله معناه
 تعدى حدوده وفي حق
 الرسول ظاهر (قوله وهم

سَلُّوا تَسْلِيمًا) أي قولوا : اللهم صل على محمد وسلم (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهم
 كفار يصفون الله بما هو منزّه عنه من الولد والشريك وبكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة وهو النار (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كُتِبَ لَهُمْ) يرمونهم بغير ما عملوا (فَقَدْ أَخْتَمَلُوا بِهِنَّ)
 عملوا كذبا (وَإِنَّمَا مُبِينًا) بينا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
 الَّذِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ) جمع جلباب ، وهي اللبنة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين
 مضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عينا واحدة (ذَلِكَ أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ يُعْرَفْنَ)
 أنهن حرائر (فَلَا يُؤْذِينَ) بالتعرض لهن ، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون
 يعرضون لهن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما سلف منهم من ترك الستر (رَحِيمًا) بهن إذ سترهن
 (لَنْ) لام قسم (لَمْ يَفْتَحْهُ الْمُنَافِقُونَ) عن نفاقهم ،

كفار أي اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله في الدنيا) أي حجبهم عن الطاعة والتوحيد ، وقوله والآخرة : أي
 عذبهم في العذاب الدائم (قوله أبعدهم) أي عن رحمته (قوله ذا إهانة) أي هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين
 الخ) قيل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه ، وقيل نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها ، وقيل نزلت في شأن
 منافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل اقتضاء حوائجهم فان سكنت المرأة اتبعوها وإن زجرتهم
 اتبعوها ، وفي هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهي بمعنى قوله تعالى - يا أيها
 الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ) سبب نزولها أن المنافقين كانوا
 يعرضون للنساء بالأذى يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء واسكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الأمة لأن زى السك
 واحد تخرج الحرّة والأمة في درع وخمار فشكون ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله
 الذين) أي يرخين ويغطين (قوله التي تشتمل بها) أي تغطي وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار (قوله فلا يغطين وجوههن)
 أي فسكن لا يغطين وجوههن ، وهذا في الماضي وأما الآن فالواجب على الحرّة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة (قوله
 لما صنف منهم من ترك الستر) ورد أن عمر بن الخطاب مرّ بجارية متفجرة فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر بالكاع
 إلى القناع (قوله لئن لم ينته المنافقون) أي كعبد الله بن أبي وأصحابه .

(قوله والذين في قلوبهم مرض) أى فجور ، وهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله والمرجعون في المدينة) أى بالكفر ، وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سراياهم صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسأطنك عليهم) أى فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم ، وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزل سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم» فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله أى الحكم فيهم هذا) أى الأخذ والقتل (قوله على جهة الأمر به) أى أن الآية خبر بمعنى الأمر (قوله أى سن الله ذلك) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم : أى فلا تحزن على وجود المنافقين في قومك فانه سنة قديمة كما كان في قوم موسى منهم موسى السامري وأتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييرا ونسبا لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الأحكام التي تتبدل وتنسخ (قوله يستلك الناس) أى على سبيل الاستهزاء والسخرية لأنهم ينكرونها . واعلم أن (٢٧٠) السائل للنبي عن الساعة أهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال

(وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بِالزَّانِ (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ : قَدْ أَتَاكُمْ الْعَدُوُّ وَسَرَايَاكُمْ قَتَلُوا أَوْ هَزَمُوا (لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ) لَنَسْطُنَّكَ عَلَيْهِمْ (ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ يَمَا كُنْتَ) (فِيهَا إِلَّا قَالِيلًا) ثُمَّ يَخْرَجُونَ (مَلْعُونِينَ) مَبْعَدِينَ عَنِ الرَّحْمَةِ (أَيْنَمَا تَقِفُوا) وَجَدُوا (أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) أَيْ الْحُكْمُ فِيهِمْ هَذَا عَلَى جِهَةِ الْأَمْرِ بِهِ (سُنَّةَ اللَّهِ) أَيْ سُنَّ اللَّهِ ذَلِكَ (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي مَنَاقِبِهِمُ الْمُرْجِفِينَ الْمُؤْمِنِينَ (وَلَنَجْذِثَنَّ اللَّهُ تَبْدِيلًا) مِنْهُ (يَسْتَلُكُ النَّاسُ) أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ (عَنِ السَّاعَةِ) أَيْ تَكُونُ (قَوْلُ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ) يَعْلَمُكُ بِهَا : أَيْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ) تَوْجِدُ (قَرِيبًا . إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أَبْعَدَهُمْ (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) نَارًا شَدِيدًا يَدْخُلُونَهَا (خَالِدِينَ) مُقَدَّرًا خُلُودَهُمْ (فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يُخَفِّضُهُمْ عَنْهَا (وَلَا نَصِيرًا) يَدْفَعُهَا عَنْهُمْ (يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : يَا) لِلتَّنْبِيهِ (لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) (وَقَالُوا) أَيْ الْأَتْبَاعُ مِنْهُمْ (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) وَفِي قِرَاءَةِ سَادَاتِنَا جَمْعُ السَّادَةِ (وَكُفِّرْنَا فَاذْلُونا السَّبِيلَ) طَرِيقَ الْهُدَى (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) أَيْ عَذَابِنَا (وَالْعَذَابُ) عَذَابُهُمْ ،

اليهود امتحان لأن الله أخفى علمها في التوراة فان أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه وإن أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقه ، فتول للمفسر أى أهل مكة : أى واليهود (قوله عن الساعة) أى عن أصل نبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل إنما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحدا وهذا إنما هو وقت السؤال وإلا فلم يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعه الله

على جميع الغيبات ومن جعلها الساعة لكن أمر بكنم ذلك (قوله وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام إنكارى (قوله لعل الساعة تكون قريبا) لعل حرف ترجى ونصب ، والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريبا حال وتكون تامة ولذا فسرنا بتواجد ، والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد «إن الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الألف الأولى فلم يبق من الدنيا إلا القليل» (قوله أبعدهم) أى عن رحمته (قوله مقدرًا خلودهم) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين مقدر (قوله فيها) أى في السعير وأنه مراعاة لمعناه (قوله أبدا) تأكيد لما استفيد من قوله : خالدين (قوله يوم تقال بما ظرف لخالدین أو ليقولون مقدم عليه ، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوم يقولون باليقنا) مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا صنعوا عند ذلك ف قيل يقولون متحسرين على ما فاتهم باليقنا الخ (وأطعنا الرسول) بألف بعد اللام ودونها هنا ، وفي قوله السبيلا قراءتان سبعيتان وتقسم التنبيه على ذلك (قوله ساداتنا جمع إما سيد أو لسائد على غير قياس (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالألف والسادات الذى مفرد إما سيد أو سائد (قوله أى مثلى عذابنا) أى لأنهم ضلوا وأضلوا

في قراءة بالوحدة) أي وهما سبعيتان (قوله ما يمنعه أن يغتسل معنا الخ) أي لما روى «أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون
 نظر بعضهم إلى سوء بعض وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا والله ما يمنعه موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب يوما
 ووضع ثوبه على حجر ففرا الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت
 راثيل سوءة موسى ، فقالوا والله ما بموسى من بأس ، فقام الحجر حتى نظروا إليه فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا
 هريرة : والله إن به ندبا : أي أرا ستة أو سبعة من ضرب موسى» (قوله فبرأه الله) أي أظهر براءته لهم (قوله وهي
 الحصية) أي بسبب انصباب مادة أوريج غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان
 فغضب النبي من ذلك) أي وقال كما في رواية «إن لم أعدل من يعدل خسرت وندمت إن لم أعدل» (قوله قولاسديدا) المراد
 رضا الله بأن يكون مما عني الإنسان فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير أتم من غيره (قوله يتقبلها)
 كم عليها (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) أي يمحوها من الصحف أو يسترها عن الملائكة (قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات
 والجبال) اختلف في المراد بالأمانة ، فأحسن ما قيل فيها أنها التكليف (٢٧١) الشرعية ، وقيل إنها قواعدها

لدين الحس ، وقيل هي
 الودائع ، وقيل الفرج ،
 وقيل غير ذلك روى «أن
 الله تعالى قال للسموات
 والأرض والجبال اتحمأن
 هذه الأمانة بما فيها قلن
 وما فيها؟ قال إن أحسنن
 جوزيتن وإن عصيتن
 عوقبتن . قلن لا يارب
 نحن مسخرات لأمرك
 لا نريد ثوابا ولا عقابا» وقيل
 ذلك خوفا وخشية وتعظيما
 لدين الله لئلا يقمن بها
 لامعصية ولا مخافة لأمره
 وكان العرض عليهن
 تخيرا لا إلزاما ولولأنهن

كثيراً) عدده وفي قراءة بالوحدة: أي عظيما (يُأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا) مع نبيكم
 (ذِينَ آذَوْا مُوسَى) بقولهم مثلاً : ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر (فَبَرَأَهُ اللهُ مِمَّا
 آذَوْا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففرا الحجر به حتى وقف بين ملا من بني إسرائيل
 موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فأراه لا أدرة به ، وهي نفخة في الحصية (وَكَانَ عِنْدَ اللهِ
 ذَا جَاهٍ) ومما أودى به نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة
 بد بها وجه الله تعالى فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال «يرحم الله موسى لقد
 بأكثر من هذا فصبر» رواه البخاري (يُأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)
 (يُصَاحِّكُمْ أَعْمَالُكُمْ) يتقبلها (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَآزَ فَوْزًا عَظِيمًا) نال غاية مطلوبه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الصلوات وغيرها مما في فعلها
 ثواب وتركها من العقاب (عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) بأن خلق فيها فهما ونطقا
 (بَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ) خفن (مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) آدم بعد عرضها عليه (إِنَّهُ
 ظَلَمَ) لنفسه بما حمله (جَهُولًا) به ،

ن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما : أي عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات الخ (قوله بأن خاق فيها فهما)
 في عقلت الخطاب ، وقوله ونطقا : أي حتى ردت الجواب (قوله فأبين أن يحملنها) أي استصغارا وخوفا من عدم الوفاء
 بس إياهن كما ياء إبليس من السجود لآدم لأن السجود كان فرضا والأمانة كانت عرضا وإياؤه استكبارا وإياؤه استصغارا
 وأشفقن منها) أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها (قوله وحملها الإنسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها
 إنسان فحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى أن الله عز وجل قال لآدم «إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال
 فحملها أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال إن أحسنن جوزيت وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال بين أذني
 . قال الله تعالى أما إذ تحمات فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحل فأرخ عايه حجابا وأجعل
 لك الحيين وغلافا فاذا خشيت فأغلق عليه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك» قال مجاهد : لما كان بين
 حملها وبين أن أخرج من الجنة إلامقدار ما بين الظهر إلى العصر (قوله إنه كان ظالوما لنفسه) أي حيث حملها مالا تطيقه ،
 جهولا به : أي بما حمله ، وقيل جهولا بقدر ربه لأنه لا يعلم قدره غيره ، وهذا يناسب تفسير الإنسان بآدم وعود الضمير عليه
 أراد بالضمير ما يشمله وأولاده فيكون في الكلام استخدام فيقال في الأنبياء والصالحين مشهم كذلك وفي غيرهم الظلم والجهل

من حيث خيائته في الأمانة ومجاوزته حد الشرع (قوله ليعذب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصيرورة على حد - وما خفي
الجن والإنس إلا ليعبدون - (قوله وكان الله غفورا لئلا يؤمنين) أي حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيماً بهم) أي حيث
أنابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات ، وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا أنه
متحملون أمراً عظيماً لم تقدر على حمله الأرض والسموات والجبال ، وقيل في حق المعصوم إنه كان ظلوما جهولا .
[سورة سبأ] بالصرف وتركه كما سيأتي ، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه (قوله
حمد تعالى) من باب فهم (قوله المراد به) بالجر نعت لاسم الإشارة (قوله الثناء بضمونه) أي إنشاء الثناء بضمونه وهو
الوصف بالجميل وليس المراد إنشاء المضمون لأن اتصافه بالجميل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى وإنما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد
موافق للحمد الأزلي ، وهذا يؤيد قول بعض العلماء إن آل في الحمد عهدية لأن الله سبحانه لما علم عجز خلقه عن كنه حمد
حمد نفسه بنفسه أزلا وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلا
(٢٧٢)

(لِيُعَذِّبَ اللَّهُ) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ) المضيعين الأمانة (وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) المؤدين الأمانة
(وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً) للمؤمنين (رَحِيماً) بهم .

(سورة سبأ)

مكية إلا : ويرى الذين أوتوا العلم الآية ، وهي أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بضمونه
من ثبوت الحمد ، وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَلَكًا وَخَلْقًا) (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) كالدنيا بحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الْحَكِيمُ
فِي فَعْلِهِ) (الْخَبِيرُ) بخلقه (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كماء وغيره (وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَرْجُ) يصعد (فِيهَا
مِنْ عَمَلٍ) وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الْفَقُورُ) لهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا :

وإنشاء الثناء به حادث
فتقول الله تعالى الحمد لله
اللفظ والتلفظ حادثان
دالان على معنى قدیم
وهو اتصاف الله بالجميل .
إن قلت الحمد مدح
ومدح النفس مذموم
بين الخالق فما وجه
ذلك ؟ . أجيب بأن
أوصاف الرب لا تنقاس
على أوصاف العبيد
الآثرى الانصاف بالعظمة
والكبرياء فانها نقص
في الخالق كمال في الخالق
وبهذا انهدم قول العزلة
إن كل ما حسنه العقل
يوصف به الرب وكل
ما قبحه العقل ينزه عنه

و بنسوا على ذلك أمورا فاسدة منها وجوب الصلاح والأصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقاً)
أي أن كل ما في السموات وما في الأرض مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد في الآخرة) أي في نظير النعم التي نعمة
لأهل الإيمان فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن ، وأما الكفار فليسوا من أهله (قوله كالدنيا) أشار بذلك إلى أن في
الجنة (قوله بحمده أولياؤه) المراد بهم المؤمنون (قوله إذا دخلوا الجنة) أي فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) أي فلا اعتراض عليه في فعل من الأفعال (قوله يعلم ما يلج في الأرض)
تفصيل لبعض معلوماته التي تعاقبها - الخ الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أي كالكنوز والأموال (قوله كنبات وغيره)
أي كالكنوز والأموال إذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أي كالبركات والملائكة والصواعق (قوله
وما يخرج فيها) ضمن العروج معنى الاستقرار فعداء بني دون إلى (قوله من عمل وغيره) أي كالملائكة فهو سبحانه وتعالى
محيط بجميع ذلك (قوله الفقور لهم) أي إذا عصوه أو فرطوا في بعض حقوقه ، وفي ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغناؤه
مختصان بمن يدخل الجنة وهذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فرحمته وسعت كل شيء

لَا تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ) أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لا خصوص أنفسهم وأرادوا أيضا بنفي إثباتها نفي وجودها
 حضرها مع كونها موجودة في نفس الأمر (قوله قل بلى) رد لكلامهم لأن كلامهم نفي ، فأجيب بالنفي ونفي النفي
 (قوله وربى) أتى بالقسم تأكيذا للرد وقوله - عالم الغيب - تقوية للتأكيد ، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف
 بام بشأن المقسم عليه (قوله بالجبر الخ) أى فالتقراآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد
 صيغة المبالغة (قوله لا يعزب) بضم الزاى في قراءة الجمهور وكسرها في قراءة الكسائي (قوله ولا أصغر من ذلك الخ)
 العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله إلا في كتاب مبين ، وفري بفتح الراء على أن لانا في
 س وأصغر اسمها وقوله : إلا في كتاب مبين خبرها ، والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو أن كل ما كان وما يكون
 وكائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعالى علم الله به وإثباتها في اللوح لا احتياج
 الله عنه . إن قلت أى حاجة إلى ذكر الأ أكبر بعد الأصغر إذ هو مفهوم بالأولى . أجيب بأنه لدفع توهم أن إثبات الأصغر
 ك توهم النسيان ، وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فأفاد أن كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لا احتياج (قوله
 أى الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتأنيبكم كأنه قال لتأنيبكم لأجل (٢٧٣) جزاء المؤمنين والكافرين واللام

للعاقبة والصيرورة (قوله
 حسن في الجنة) أى
 محمود العاقبة وأعظمه
 رؤية لله تعالى (قوله
 والذين سعوا) عطف
 على قوله : الذين آمنوا
 وما بينهما اعتراض سيق
 لبيان جزاء المؤمنين
 وهذا أحسن من جعله
 مبتدأ خبره أولئك لهم
 عذاب الخ (قوله في
 إبطال آياتنا) أى بالطمس
 فيها ونسبتها إلى الأكاذيب
 (قوله وفي قراءة) أى
 وهى سبعة أيضا (قوله

تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ) القيامة (قُلْ) لهم (يَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمٌ الْغَيْبِ) بالجبر صفة
 فع خبر مبتدأ ، وعلام بالجبر (لَا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْهُ مِثْقَالُ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر مثله
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)
 هو اللوح المحفوظ (لِيَجْزِيَ) فيها (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
 قُلْ كَرِيمٌ) حسن في الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إبطال (آيَاتِنَا) القرآن (مُعْجِزِينَ)
 قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين أى مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث
 عقاب (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) سَيِّئُ العذاب (أَلِيمٌ) مؤلم بالجبر والرفع صفة
 ز أو عذاب (وَيَرَى) يعلم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
 هابِه (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (هُوَ) فصل (الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى
 طَرِيقٍ) طريق (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أى الله ذى العزة المحمودة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قال
 لهم على جهة التمجيب لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ) هو محمد (يُنَبِّئُكُمْ) يخبركم أنكم

رَبِّنَا عَجْزَنَا الخ) لف ونشر مرتب ، والمعنى مؤمنين أنهم يعجزون رسولا بسبب سعيهم في إبطال القرآن (قوله أو مسابقين
 أى مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن ظانين أن مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك أن القرآن ثبت البعث والعذاب لمن
 يعريطظنون فيه ويريدون إبطاله لظنهم أن ذلك الإبطال ينفعهم فيفرون من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله
 هم أن لا بعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجبر والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) إما بالرفع بضمة مقدرة
 الاستئناف أو بالنصب على أنه معطوف على يجزى فقول المفسر يعلم يصح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذي أنزل مفعول
 وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان ، وقوله ويهdy إما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كأنه
 ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك الحق وهاديا ، أو مستأنف أحوال بتقدير وهو يهdy (قوله مؤمنو
 الكتاب) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل جميع المسلمين (قوله
 يز) أى عديم النظير والشبيه والثيل أو من عز بمعنى قهر وغاب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول أى محمود فى ذاته وصفاته
 ماله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل مع أنه عندهم أشهر من الشمس فى رابعة النهار .

(قوله إذا مزقتم) يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون ومحصرون إذا مزقتم الخ يدل عليه قوله : إنكم أنى عمل جديد ولا يصح أن يكون عامله ينبتكم لأن الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وعبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال يخبركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفى بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمته ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله إنكم أنى خلق جديد) أى تنفثون خلقا جديدا بعد تمزيق أجسامكم (قوله أفترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ ويحتمل أن يكون من كلام السامع جوابا للمقابل (قوله واستغنى بها) أى بهمة الاستفهام لأنها كافية في التوصل للنطق بالسالكين (قوله في ذلك) أى الاخبار بالبعث (قوله جنون) أى خبل في عقله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا إنشاء كلام من الله ردًا عليهم وماتقدم وإن كان كلامه إلا أنه حكاية عنهم (قوله العذاب) أى في الآخرة وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وإن كان الضلال حاصلًا لهم بالفعل لأن التساوية بحصول العذاب لهم أتم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة (٢٧٤) عليه والتقدير أعموا فلم يروا الخ (قوله ما بين أيديهم) المراد به ما ينظره

من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات ، فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والأرض) بيان لما ، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآية (قوله إن نشأ) هذا

(إذا مزقتم) قطعتم (كل ممزق) بمعنى تمزيق (إنكم أنى خلق جديد) أفترى بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) فى ذلك (أم به جنّة) جنون تخيل به ذلك . قال تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتعلة على البعث والعذاب (فى العذاب) فيها (والضلال البعيد) عن الحق فى الدنيا (أفلم يروا) ينظروا (إلى ما بين أيديهم وما خلفهم) ما فوقهم وما تحته من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء) وفى قراءات فى الأفعال الثلاثة بالياء (إن فى ذلك) المرئى (آية لكل عبد منيب) راجع إلى ربهم تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء (ولقد آتينا داود منا فضلاً) نبوة وكتاباً وقلنا (يا جبال أوبي) رجبى (معه) بالتسبيح (والطير) بالنصب عطفاً على محل الجبال : أى ودعوناها تسبح معه (والنّال له الحديد) ،

فكان تحذير للكفار كأنه قيل لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعاق مشيئتنا به (قوله نخسف بهم الأرض) أى كما خسفناها بقارون (قوله أو نسقط عليهم كسفاً) أى كما أسقطناها على أصحاب الأيكة (قوله بسكون السين وفتحها) أى فمما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فتقول المفسر قطعة المناسب قطعاً (قوله فى الأفعال الثلاثة) أى نشأ ونخسف ونسقط (قوله إن فى ذلك) المرئى (قوله والأرض) (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتاباً) أى وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله يا جبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شدوذا أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع أى ارجى وعودى معه فى التسبيح كما سبّح فكان داود إذا سبّح أجابته الجبال وعطف عليه الطير من فوقه ، وقيل كان إذا أدركه فتورأى الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفاً على محل الجبال) أى لأن محلها نصب لكونه منادى مفرداً أو فعولاً معه وقرئ بالرفع عطفاً على لفظ الجبال تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية قال ابن مالك وإن يكن مصحوب ال مانسقا ففیه وجهان ورفع ينتقى (قوله والنّال له الحديد) سبب ذلك أن الله تعالى أرسل ملكاً فى صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول فى داود ؟ فقال نعم هو لولا خصلة فيه ، فقال داود ما هى قال به به كل رطب عياله من بيت المال ، فسأل داود عايه السلام ربه أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال

ن الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح ، قيل كان يعمل كل يوم درعا ويبيعها بـ ١٠ آلاف درهم وينفق ويتصدق منها فلذا قال صلى الله عليه وسلم « كان داود لا يأكل إلا من عمل يده » (قوله فكان يده كالعجين) أى من غير نار ولا آلة (قوله دروعا كوامل) أشار بذلك إلى أن سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله في السرد) اختلاف في معنى الآية ، فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهك فيه بل اشتغل بعبادة ربك ، وقيل قدر أمير في خلق الدروع لا غلاظا ولا دقاقا ، ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ ظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لا ينفذ منها السهم في الغاظ لا تقبل كسر ولا تشغل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تتناسب حلقة) بفتحين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح كون أو بفتحين (قوله أى آل داود) تفسير للواو في اعملاوا (قوله صالحا) أى عملا صالحا ولا تتسكوا على عز أبيكم (قوله فأجاز يكم عليه) أى إن خيرا خيرا وإن شرا فشر (قوله وسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف به المفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به في قوله تعالى - وسخرنا له الريح تجري بأمره - (قوله بتقدير تسخير) أى الجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والأصل وتسخير الريح كأن سليمان حذف المضاف وأقيم مقامه إليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر ، والمعنى سيرها من (٢٧٥) الغداة إلى الزوال محصية شهر

للسار المحدة ومن الزوال للغروب مسيرة شهر ، عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقبل في اصطخر وينها مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل وينها مسيرة شهر للراكب المسرع وتقدم أن الريح كانت تحمل البساط بحوشه لأى جهة توجه إليها فالعاصف تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله

كان في يده كالعجين ، وقلنا (أن اعمل) منه (سابغات) دروعا كوامل يجرها لابسها على رضى (وقدر في السرد) أى نسج الدروع ، قيل لصانعها سراد : أى اجعله بحيث تتناسب معه (وأعملوا) أى آل داود معه (صالحا إني بما تمملون بصير) فأجاز يكم به (و) سخرنا (سليمان الريح) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غدوها) سيرها من الغدوة بمعنى صباح إلى الزوال (شهر ورواحها) سيرها من الزوال إلى الغروب (شهر) أى مسيرته (أذلنا) أذلنا (له عين القطر) أى النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء ، وعمل لس إلى اليوم مما أعطى سليمان (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن) بأمر (ربه ومن يغ) يعدل (منهم عن أمرنا) له بطاعته (نذقه من عذاب السعير) النار في الآخرة ، وقيل الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه (يملون له ما يشاء من محاريب) أبنية مرتفعة بعد إليها بدرج (وتمائيل) جمع تمثال ، وهو كل شئ مثله بشئ : أى صور من نحاس وزجاج ورخام

سئلنا له عين القطر) أى جعلنا النحاس في معدنه جاريا كالعين النابعة من الأرض وكانت تلك العين باليمن (قوله فأجريت ثلاثة) قيل مرة واحدة ، وقيل كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما أعطى سليمان : أى مع الناس النحاس وإذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين) يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) أى بطاعة سليمان (قوله بأن يضربه ملك الخ) أى فقد وكل الله ملكا بالجن سخرين لسليمان وجعل في يده سوطا من نار ، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقتة (قوله مرتفعة) أى مساجد وغيرها ، وصحبت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها ، وقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد لأقرب ما قاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبت بالمحاريب تشبيها لها بالأبنية المرتفعة لأنها رفيعة القدر ولذا خصوها بالأئمة (قوله وتمائيل) قال بعضهم ها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور في المساجد إياها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك له صلى الله عليه وسلم « إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور » أى تكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة

(قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال إن اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان . واعلم أن اتخاذ الصور
أولا كان لمقصد حسن فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهي حوض كبير
يوسمى جابية لأن الماء يجي فيه أي يجمع) (قوله آل داود) المراد سليمان وأهل بيته (قوله شكرا) مفعول لأجله أي عملوا لأجل
الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تحصى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه فالواجب
العباد خدمة الله وطاعته لداته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدتهم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك
من أنواع النعم التي لا تحصى (قوله وقليل من عبادي الشكور) أي لكون هذا المقصد عزيزا لم يوفق له إلا القليل من الناس ، وغلب
الناس عبادتهم وطاعتهم إما لأجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعاً في الجنة . [فائدة] من جملة عمل الجن لسليمان
المقدس . وذلك أن داود ابتداء بناءه في موضع فسطاط . وصي الله كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة فأوحى الله إليه لم يكن تمامه
يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان ، فلما قضى على داود واستخاف سليمان وأحب إتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال
فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح فلما فرغ منها ابتداء في
المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أما كنها ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب واللبان
من أما كنهه فأتى من ذلك بشيء كثير ثم أحضر الصنائع لنحت تلك الأحجار وإصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت والآلات
فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وجعل عمده من البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر وبسط أرضه بالعنبر فلم يكن
وجه الأرض يومئذ بيت أبي (٢٧٦) ولا أنور منه فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلم يزل على

ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته (وَجِفَانٍ) جمع جفنة (كَالْجَوَارِي) أي جمع جابية ، وحوض
كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) ثابتات لم
قوائم لا تتحرك عن أما كنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلام ، وقلنا (أَعْمَلُوا
يَا (آلَ دَاوُدَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقَلِيلٍ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ)
العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ) على سليمان (الْمَوْتَ) أي مات ، ومك
قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عاداتها لا تشعر بموته ،

البناء حتى غزاه بختنصر
لخرب المدينة وهدمه
وأخذ مائة من الذهب
والفضة وسائر أنواع
الجواهر وحمله إلى ملكه
بالعراق حين بطرت
بنو إسرائيل النعم وقتلوا
زكريا ويحيى ، وكان
ابتداء بناء بيت المقدس

في السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع
عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف نور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذي
فيه من بنائه عيداً وقام على الصخرة رافعا يديه إلى الله تعالى بالدعاء ، وقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على
هذا المسجد اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت علي وتوفني على ملكك ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللهم إني أسألك لمن د
هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولا خائف إلا أمنت له ولا سقيم إلا شفيت له ولا
إلا أغنيته والخامسة ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادا أو ظمها يارب العالمين . وروى أن سليمان
بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلا لا ثلاثا حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينفي لأحد من بعده فأ
وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لا يأتيه أحد لا ينزهه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . إذا علمت ذلك ف
المقدس ثم بناؤه وهو حي وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس
السنة والستين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم أخف على الجن
حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما في غد ثم
كفنه وتحنط ودخل المهراب وقام يصلي وانكأ على عصاه على كرسيه فمات فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه
ولا ينسكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة في إخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون
لا أعلم شاء بيت المقدس كما قيل فان الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل .

وله حتى أكلت الأرض عصاه) فلما أكلتها أصبحها الجن وشكروا لها فهم يأتونها بالماء والطين في خروقي الحشب وقالوا لها كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما (قوله مصدر أرضت الحشبة) أي أكلت ، فمعنى دابة الأرض دابة الأكل وهذا وجهين . والوجه الآخر أن المراد بالأرض المعرفة ونسبت لها لخروجها منها (قوله بالهمز) أي الساكن أو المفتوح فتكون آت ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى على ، وفي نسخة له أي لسايمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله ما لبثوا (قوله لم كونه الخ) إما بالبناء للمفعول أو مصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا رضة على العصا فأكلت في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبأ) اللام طئة لقسم محذوف أي والله لقد كان الخ واسبأ خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفي مسأ كنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) وفي عدم الصرف قراءة ثان فتح الهمزة وسكونها فالقراآت ثلاث (قوله سميت باسم جد لهم) أي وهو سبأ بن يشجب بن مضمومة ابن يعرب بن قحطان ، روى أن رجلاً قال يا رسول الله «وماسبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه ولد عشرة من العرب قيامن منهم ستة أي سكنوا اليمن وتشام منهنم (٢٧٧) أربعة أي سكنوا الشام فأما

الذين تشاءموا فأخيم
وجدام وغسان وعاملة وأما
الذين تيامنوا فالأزد
والأشعريون وحمر وكندة
ومذحج وأعمار فقال
رجل يا رسول الله وما أعمار
قال الذين منهم خنم
وبجيلة « والمقصود من
تلك القصة اتعاظ هذه
الامة المحمدية ليعتبروا
ويشكروا نعمة الله عليهم
وإلا يحل بهم ما حل بمن
قباهم (قوله في مسأ كنهم)
بالجمع كمساجد والافراد
إما بكسر الكاف أو فتحها
ففيه ثلاث قراآت سبعيات

حتى أكلت الأرض عصاه فخر ميتاً (مَادَ لَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) مصدر أرضت
لحشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرض (تَأْكُلُ مِنْ سَائِهِ) بالهمز وتركه بألف : عصاه ، لأنها ينسأ
يطرد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتاً (تَبَيَّنَتْ الْجَنُّ) انكشف لهم (أَنْ) مخففة : أي أنهم
لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ الْغَيْبَ) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)
عمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب ، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته
لأرضه من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف وعدمه قبيلة سميت
بسم جد لهم من العرب (فِي مَسَاكِينِهِمْ) باليمن (آيَةٌ) دالة على قدرة الله تعالى (جَنَّتَانِ)
بدل (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) عن يمين واديهما وشماله ، وقيل لهم (كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ) ليس فيها سبأخ
ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قل فيموت
لطيب هوائها (وَ) الله (رَبِّ غَفُورٍ . فَأَعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة ،

(قوله باليمن) أي وكان يندبها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) أي فإذا تأمل العاقل فيها استدلل على باهر
بدرته وأنه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) أي من آية التي هي اسم كان وصح إبدال المثني من المفرد لأنه في قوة المتعدد
ذلك أن الجنيتين لما كانتا متماثلتين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلها آية واحدة
نظير قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - (قوله عن يمين واديهما وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين والذهب وشماله
(قوله وقيل لهم) أي على لسان أنبيائهم لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبياً فدعواهم إلى الله وذكرهم بنعمته وهذا الأمر للأذن
والإباحة (قوله واشكروا له) أي اصرفوا نعمه في مصارفها (قوله أرض سبأ الخ) أشار بذلك إلى أن قوله بلدة طيبة خبر
محذوف فهو كلام مستأنف (قوله ليس بها سبأخ) جمع سبخة وهي الأرض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله
ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) أي القمل ومثله باقي الموام (قوله ورب غفور) أي يستر ذنوبكم (قوله فأعرضوا عن
شكره) أي عن أمره واتباع رساله ، لما روى أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبياً فدعواهم إلى الله وذكرهم بنعمته وأنذروهم عقابه
فكذبوا وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا له فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس ياقب بالحجر كان له ولد
فألف فرغ رأسه إلى السماء ففرق وكفر فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر فان أجابه وإلا قتله .

(قوله وهو ما يسك الماء من بناء وغيره) أى فكان واديهم أرضا متسعة بين جبال شامخة فبنت بلقيس سدا حول ذلك الوادي بالصخر والقار وجمعت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خاف السد من كل جهة فكان يسقون من الأعلى ثم من الأوسط ثم من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه ، فالعزم هو هذا السد ، وقيل العزم اسم للفأر الذي نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون في كهاتهم أنه يخرب سدهم فأرة ، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين ربطوا إلى جانبها هرة ، فلما جاء ما أراد الله بهم أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك المهرر فتاورتها حتى استأخرت عن الجحر ثم وثبت فدخلت في الفرجة التي عندها ونقبت السد حتى أوهنته لاسيل وهم لا يدرون ، فلما جاء السيل دخل لك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم (قوله جفتين) تسميتهما بذلك نهك بهم لما كلة الأول (قوله مفرد على الأصل) أى لأن أصلها ذوبة تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصارت ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا في ثنيتها وجهان اعتبار الأصل واعتبار العارض (٢٧٨) فالأول ذواتان والثاني ذاتان (قوله مر بشع) قيل هو شجر الأراك وقيل كل شجر له شوك (قوله بإضافة أكل) أى يضم الكاف لا غير وقوله وتركها أى يضم الكاف وسكونها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) أى على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان : نوع يؤكل ثمرة ويتفتح بورقه ، ونوع له غرض لا يؤكل أصلا ولا يتفتح بورقه وهو المسمى بالفضال ، وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزينا مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب بالتخفيف على المناقشة والتدقيق في الحساب والواخذه بكل الذنوب وإلا فطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربع آلاف وسبعمئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سير مقدرا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أى فكانوا يسرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر في أما كن لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه (قوله فقالوا ربنا) باعد بين أسفارنا أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب في المعاش نظير قول بني إسرائيل - ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض - الآية ، وكنتم في أهل مكة العذاب بقولهم - اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء - الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهو الموضع الهالك مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات وقيل من فاز إذا نجا وسلم بذلك تقالولا بالسلامة (قوله أحاديث) أى يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم في البلاد) أى لصيق عيشهم وخراب أمانهم وهم

وهو ما يسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته ، أى سبل واديهم المسوك بما ذكر فأغرق جنتهم وأموالهم (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ) ثنية ذوات مفرد على الأصل (أَكُلَ خَطِ) مر بشع بإضافة أكل بمعنى ما كول ، وتركها ويعطف عليه (وَأَثَلِ وَشَىءٌ مِنْ سِدْرٍ قَائِلٍ) (ذَلِكَ) التبديل (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ) بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور ، أى ما يناقش إلا هو (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالياء والشجر ، وهي قرى الشام التي يسرون إليها للتجارة (قُرَى ظَاهِرَةً) متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بحيث يقلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء : أى وقلنا (سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لا تخافون في ليل ولا في نهار (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ) وفي قراءة باعد (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَانَنَاهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم في ذلك (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ) فرقناهم في البلاد كل التفريق (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَايَاتٍ) عبرة (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصي (شَكُورٍ) على النعم (وَأَقْدَرٍ) صدق ،

والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب بالتخفيف على المناقشة والتدقيق في الحساب والواخذه بكل الذنوب وإلا فطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربع آلاف وسبعمئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سير مقدرا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أى فكانوا يسرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر في أما كن لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه (قوله فقالوا ربنا) باعد بين أسفارنا أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب في المعاش نظير قول بني إسرائيل - ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض - الآية ، وكنتم في أهل مكة العذاب بقولهم - اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء - الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهو الموضع الهالك مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات وقيل من فاز إذا نجا وسلم بذلك تقالولا بالسلامة (قوله أحاديث) أى يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم في البلاد) أى لصيق عيشهم وخراب أمانهم وهم

بقية في كل من بطر النعمة وظلم ، فقد أفادنا الله في تلك الآيات أنه أصابهم نعمتين وابتلاهم بشقمتين (قوله بالتخفيف
 تشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) أي وسبب ظنه إما رؤيته انهما كهم في الشهوات أو قول اللائكة أتجعل
 من يفسد فيها أو وسوسته لآدم في الجنة فأخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له وإن كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله
 بصدق بالتخفيف في ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض ، والمعنى صار فيما ظنه أولا
 بإغوائهم على يمين ، وقوله أو صدق بالتشديد الخ أي فظنه مفعول لصدق ، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقا (قوله بمعنى لكن)
 أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح أن يكون متصلا لأن بعض المؤمنين يذنب
 ببيع إبليس في بعض المعاصي ويكون قوله لإفريقا من المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلا والأقرب الأول لأن المعصومين
 قسما من حين طرده بقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين (قوله تسليط منا) أي فالشيطان سبب في الاغواء
 فالق الاغواء ، فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ، ومن أراد الله إغواءه سلط الله عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى
 قوله علم ظهور) أي فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة لالتعليل ، ومعنى الآية ما كان له عليهم إيجاد إضلال بل خالق
 الإضلال هو نحن وإمامنا بحكمنا بتسليطه ليميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الإيمان فاتباعه
 علامة على متابعه به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) أي فهو تعالى (٢٧٩) قادر على منع إبليس منهم عالم

بمأسيتع (قوله قل ادعوا)
 بكسر اللام على أصل
 التخاص وبالضم إتباعا
 قراءتان سبعيتان (قوله
 أي زعمتموه آلهة) أي
 فالمفعولان محذوفان الأول
 لطوله بصلته والثاني لقيام
 صفة أعنى قوله من دون
 الله مقامه (قوله لينفعوكم)
 متعلق بادعوا أي ادعوه
 ليكشفوا عنكم الضر الذي
 نزل بكم في سني الجوع
 ويجلبوا لكم سعة

تخفيف والتشديد (عَالِيَهُمْ) أي الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم بإغوائه يتبعونه
 فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف في ظنه ، أو صدق بالتشديد ظنه ، أي وجده صادقا (إِلَّا) بمعنى
 لكن (فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) للبيان أي وهم المؤمنون لم يتبعوه (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ)
 تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ يَمُنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ)
 مجازي كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ) رقيب (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (ادْعُوا
 إِلَهُكُمْ) أي زعمتموه آلهة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره لينفعوكم بزعمكم ، قال تعالى فيهم
 لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) وزن (ذَرَّةٍ) من خير أو شر (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ) شركة (وَمَالَهُ) تعالى (مِنْهُمْ) من الآلهة (مِنْ ظَهْرِ) معين
 وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ) تعالى ردا لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده (إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ) بفتح
 الحزة وضمها (لَهُ) فيها (حَتَّى إِذَا فُزِعَ)

بش (قوله مثقال ذرة) أي لا يملكون أمرا من الأمور في العالم وذكر السموات والأرض للتعميم عرفا (قوله معين) أي
 خلق شيء ل الله تعالى المنفرد بالإيجاد والاعدام (قوله ولا تنفع الشفاعة عنده) أي أن الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين
 من دون الله من اللائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله لللائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار ، وأما الكفار فلا شفاعة
 لهم لقوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم - (قوله ردا
 ولهم الخ) أي حيث قالوا - مانعهم باليقربونا إلى الله زافى - وإيضاحه أن الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بالأذن والرضا
 هم قد ارتكبوا ما يقتضي الغضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب وعدم الأذن في الشفاعة إن هذا
 عم باطل (قوله إلا أن أذن له) يصح وقوع من على الشافعين ، والمعنى إلا الشافع أذن له في الشفاعة ، ويصح وقوعها على المشفوع
 م ، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمشفوع إذن أن يشفع له فاللام على كل حال متعلقة بأذن والضمير عائد على الموصول وفيه
 وجهان (قوله بفتح الحزة) أي والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولا وقوله وضمها أي بالبناء للمفعول والأذن هو الله تعالى
 القراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فزع) غاية في محذوف تقديره يترصدون ويتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى إذا فزع
 بآخره ، والتضعيف لاسلب كالحمزة كما أشار له بقوله كشف عنها الفزع ، والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين
 المشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في الأذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضا .

(قوله بالبناء للفاعل) أي والفاعل ضمير يعود على الله وقوله والمفعول : أي والجار والجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيثان (قوله استبشاراً) أي لزوال الكرب والحزن عن القلوب . واختلاف هل هذا الأمر في الآخرة أو الدنيا ، فقيل في الآخرة ويؤيده ما في سورة النبأ - يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً - وعلى هذا فيكون في الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا من أذن له ففرع ما ورد على القلوب من الهابة حتى إذا ذهب الفرع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً ، وقيل في الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى إذا أراد أن يوحى بأمر وتكلم بالوحي أخذت السموات والأرض منه رجفة أو رجفة شديدة خوفاً من الله تعالى فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد ، ثم يمر جبريل بالملائكة كلها من السماء سألها ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى . وعن ابن عباس قال : كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي وكان إذا نزل الوحي سمع له صوت كأمرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على أهل السماء إلا صعقوا فإذا فرغ من قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ، ثم يقول يكون في هذا العام كذا ويكون كذا ، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة والكهنة تخبر الناس فيجدونه (٢٨٠) كذلك ، فلما بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا الشهب

فقال العرب حين لم يخبرهم الجن بذلك هلك من في السماء ، فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيراً وصاحب البقر ينحر كل بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى أضرعوا في أموالهم ، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب : أيها الناس أمسكوا على أموالكم فإنه لم يمت من في السماء أما ترون

بالبناء للفاعل والمفعول (عَنْ قُلُوبِهِمْ) كشف عنها الفرع بالإذن فيها (قَالُوا) قال بعضهم لبعض استبشاراً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) فيها (قَالُوا) القول (الْحَقُّ) أي قد أذن فيها (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ الْمَطَرِ وَالْأَرْضِ) النبات (قُلِ اللَّهُ) إن لم يقوله لأجواب غيره (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) أي أحد الفريقين (أَمْ لِي هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ، في الإيهام تطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له (قُلْ لَأَسْأَلُنَّ عَمَّا أُجِرْنَا) أذنبنا (وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لأننا بريئون منكم (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (نَمْ يَفْتَحْ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بما يحكم به (قُلْ أَرُونِي) أعلموني (الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ) في العبادة (كَلَّا) ردع لهم عن اعتقاد شركاء له ،

معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر والليل والنهار ، فقال إبليس لقد حدث في الأرض اليوم حدث فأتوني (بل من كل تربة أرض فاتوه بها ، فلما شتم تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث ، فأنصتوا فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث ، فتحصل أن الفرع على القول بأنه في الآخرة يكون من جميع الحاق وعلى القول بأنه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للأمريين والعموم أولى لأن الكفار زعموا أن آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمريين فتدبر (قوله القول الحق) أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلي الكبير) هذا من تمام كلام الشفاء اعترافاً بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبكيت للشركين وإشارة إلى أن آلهتهم لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض ، إلى قوله - فسيقولون الله - (قوله ألي هدى أوفى ضلال مبين) غار بين الحرفين إشارة إلى أن المؤمنين مستعملون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار مهربون في الضلال كالمنغمس في الظلمات الذي لا يبصر شيئاً (قوله في الإيهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله قل لانسألون عما أجرمتنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث أسند الأجرام لأنفسهم والعمل للخاطئين (قوله يوم القيامة) أي في الوقف (قوله أعلموني) أشار بذلك إلى أن أرى علمية فتتعدى إلى ثلاثة مفاعيل أولها ياء التكلم وثانيتها الموصول وثالثتها شركاء وبصح أن تكون بصرية فتتعدى إلى مفعولين الأول ياء التكلم والثاني الموصول وشركاء حال من عائد الموصول ، والقصد من ذلك تبكيتهم وإظهار خطيئتهم بعد إقامة الحجة عليهم

وله بل هو) الضمير إما عائذ على الله أو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله إلا كافة) الحصر إضافي جى به
على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه
بخبرى بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار وردّ بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها
رور وما يتعلق به وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقديمها على صاحبها وحده أجوز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا
بد أوجه في الآية ويصح جعل كافة حالاً من الكاف في أرسلناك والتاء للبالغة كهي علامة وراوية ، والمعنى إلا جامعاً للناس
التبليغ لا يخرج عن تباينك أحد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع أو مصدر كالعاقبة والعافية إما مبالغة أو على حذف
ناف أي ذا كافة للناس أو صفة لمصدر محذوف تقديره إلا رسالة كافة أي محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها أحد والأوجه
لأنه على أنه حال من الكاف وهي متقاربة فتحصل أن هذه الآية دلت على أنه مرسل لجميع الناس بشيراً ونذيراً وأما إرساله
رهم فما أخذ من آيات أخر منها - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - لكن إرساله الناس والجن إرسال تكليف ولللائكة قيل
سال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشريف (قوله لا يعلمون ذلك) أي ما ذكر من عموم
ناله وكونه بشيراً ونذيراً (قوله ويقولون) أي على سبيل (٢٨١) الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم)

الخطاب للنبي والمؤمنين
(قوله لا تستأخرون عنه)
أي إن أردتم التأخر
وقوله ولا تستقدمون أي
إن أردتم التقدم
والاستعجال كما هو مطلوبكم
إن قات أن الجواب ليس
مطابقاً للسؤال لأن السؤال
عن طاب تعيين الوقت
والجواب يقتضي أنهم
منكرون للوقت من
أصله. وأجيب بأن الجواب
مطابق بالنظر لحالهم
لا لسؤالهم لأن سؤالهم
وإن كان على صورة

بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَابِلُ عَلَى أَمْرِهِ (الْحَكِيمُ) فِي تَدْيِيرِهِ خَلَقَهُ فَلَا يَكُونُ لَهُ شَرِيكَ
مَلِكُهُ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً) حَالُ مِنَ النَّاسِ قَدْ لَمَّ لاهتمام (لِلنَّاسِ بَشِيرًا) مَبْشَرًا الْمُؤْمِنِينَ
لِلْجَنَّةِ (وَنَذِيرًا) مَنذِرًا لِلْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أَي كَفَّارِ مَكَّةَ
لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بِالْعَذَابِ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِيهِ (قُلْ
كُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أَي تَقْدِمَهُ
كَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الدَّالِّينَ عَلَى الْبَعْثِ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ (وَلَوْ تَرَى) يَا مُحَمَّدُ
إِذِ الظَّالِمُونَ (الْكَافِرُونَ) مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ
الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا (الْأَتْبَاعُ) (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) الرُّؤَسَاءُ (لَوْ لَا أَنْتُمْ) صَدَدْتُمُونَا عَنْ
لَا إِيمَانَ (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بِالنَّبِيِّ (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنْحَنُ
صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) لَا (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) فِي أَنْفُسِكُمْ

استفهام عن الوقت إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت . والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال
الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم : إن صفة محمد في كتبنا ، فلما سألوهم ووافق
أقال أهل الكتاب قال للمشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه (قوله الدالين على البعث) أي وعلى
صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أي في بيان أحوالهم في الآخرة (قوله
الوترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ، ولو ترى حال الظالمين وقت رقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع
مضمهم إلى بعض القول رأيت أمرا فظيما (قوله إذ الظالمون) إذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أي محبوسون
في الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للكانة والمظمة لا المكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون
والقول منصوب يرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع ، فالجملة لا محل لها من الإعراب (قوله ولا
أنتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر ، بقوله صددتمونا الخ ، وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال
الذين استكبروا) أي جوابا للمستضعفين (قوله أنحن صددناكم) أي منعناكم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن استفهام إنكارى

(قوله وقال الدين استضعفوا) ترك العاطف فيه سبق لأنه مر أولاً كلامهم فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عاطف ثم أتى آخر للمستضعفين معطوفاً على كلامهم الأول (قوله بل مكر الليل والنهار) رد وإبطال لكلام المستكبرين ومكر فاعل محذوف أي صدنا مكركم بنا في الليل والنهار فحذف المضاف إليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاستناد مجازي (قوله إذ تأمرنا أي مكركم وقت أمركم لنا الخ) (قوله وأصروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة (قوله أي أخفاها كل عن رفيق أي فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يعيره الآخر) (قوله وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا أي زيادة على تعذيبهم بالنار) (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسليية له صلى الله عليه وسلم (قوله إلا قال مترفوها) حال من قوله وإن كانت نسكرة لوقوعها في سياق الذي فتم فقد وجد السوغ (قوله بما أرسلتم به) متعاق بكافرون قدم للاهتمام وللواصل (قوله وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) أي فلولم يكن راضياً بما نحن عليه لما أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا وإذا كان كذلك فلا يعذبنا في الآخرة (٢٨٢) (قوله وما نحن بمعذبين) أي لأنه لما أكرمنا في الدنيا فلا يعذبنا في الآخرة على فرض وجودها (قوله قل إن ربي يبسط الرزق الخ) أي يبسط الرزق وضيقه في الدنيا ليس دليلاً على رضا الله فقد يبسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وإعماهو تابع للقسمة الأزلية . قال تعالى : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أي فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستأنف

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ، بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أي مكر فيهما بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْمَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (وَأَسْرُوا) أي الفريضة (النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) أي أخفاها كل عن رفيقه (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) في النار (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) ما (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) في الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) رؤساؤها المتنعص (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا) ممن آمن (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسع (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقة لمن يشاء (وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقَرُّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) قربى أي تقريباً (إِلَّا) لكن (مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضُّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) أي جزاء العمل الحسنة مثلاً بعشر فأكثر (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ مِنَ الْجَنَّةِ) آمِنُونَ (مِنَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ ، وَفِي قِرَاءَةِ الْغُرَّةِ) بمعنى الجمع (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالإبطال (مُجْزَيْنَ) لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسع (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقة (لَهُ) بعد البسط أو لمن يشاء ،

سبق لتقرير ماسبق وتحقيقه (قوله باقى تقر بكم) صفة للأموال والأولاد لأن جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة ويصح أن تكون التي صفة لموصوف محذوف تقديره بالأحوال (قوله قربى) أشار بذلك إلى أن زلفى مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك أن الاستثناء منقطع على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلاً والخطاب الأول عام كأنه قيل وما الأموال والأولاد تقرب أحد المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير ووربهم على الصلاح فأولئك الخ (قوله فأولئك) مبتدأ ولم تقدم وجزء مبتدأ وخبر والجملة خبر أولئك وهو استثناء لبيان جزاء أعمالهم (قوله جزاء الضعف) من إضافة الموصوف له أي الجزاء الضاعف (قوله مثلاً) أي أو الحسنة بسبعين أو بسبعمئة أو أكثر (قوله وغيره) أي من سائر المكافآت فلا شياهم ولا نبلى ثيابهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً (قوله مقدرين عجزنا) أي معتقدين أننا عاجزون فلا عليهم (قوله قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف في هذه الآية فقيل مكررة مع التي قبلها لاتان كجيد ، وقيل

ابتلاء

الأولى محمولة على أشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد بانه تبار وقتين فوق البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال في المفسر أو الأولى محمولة على الكفار ، وهذه في حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله ويقدر له أي يختبر صبر أولا (قوله وما أنفقت من شيء) أي على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) أي بالمال أو بالقناعة أي كثر لا ينقد أو بالثواب في الآخرة وفي الحديث «مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط خلفاء ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى وآتى بهذه الآية التي قبلها إشارة إلى أن الانفاق لا يضيق الرزق بل ربما كان سببا في توسعته فالخيلة في توسعة الرزق الانفاق في وجوه والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) أي أحسنهم وأجلهم لكونه خالق السبب والسبب (قوله يقال كل من الخ) أي لئله ودفع بذلك ما قيل إن الرازق في الحقيقة واحد وهو الله . فأجاب بأن الجمع باعتبار الصورة فالله خالق في والعبيد متسببون فيه . إن قلت أي مشاركة بين المفضل والمفضل عليه . أجيب بأن الرازق يطلق على الموصل للرزق لئلا يقال له والرب يوصف بالأميرين والعبد يوصف بالايصال فقط فغيرية الله من حيث إنه خالق وموصل فعلم أن العبد يقال له بهذا ولا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق) (٢٨٣) عائلته أي عياله وعياله الرجل

من يعولهم واحده عيل
جديد (قوله وإبدال
الأولى ياء) هذا سبق قلم
من المفسر إذ لم يقرأ بهذه
أحد من القراء وأما
تحقيقهما وإسقاط الأولى
فقرءان سبعيتان وبقي
ثلاث قراءات سبعيات
تحقيق الأولى وتسهيل
الثانية وعكسه وإبدال
الثانية ياء ساكنة ممدودة
مع تحقيق الأولى فتكون
الجملة خمسا (قوله كانوا
يعبدون) خطاب للملائكة
وتقرير للكفار وذلك

لأنهم كانوا يعبدون (قوله وهو يخلفه وهو خير الرازقين) يقال كل إنسان
ق عائلته : أي من رزق الله (و) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أي المشركين (ثُمَّ نَقُولُ
لَلْإِنْسِكَةِ أَهْلُ لَاءِ إِيَّاكُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها (كَانُوا يَعْبُدُونَ .
إِن سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الشريك (أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ) أي لاموالاة بيننا
بينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم
(أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم ، قال تعالى (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
لَكُمْ لِبَعْضٍ) أي بعض المعبودين لبعض العابدين (نَفْعًا) شفاعا (وَلَا ضَرًّا) تعذيبا
(نَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ . وَإِذَا تَتَلَّى
بِهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قَالُوا مَا هَذَا
أَرَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ) من الأصنام (وَقَالُوا مَا هَذَا
القرآن (إِلَّا إِفْكٌ) كذب (مُفْتَرًى) على الله ،

قوله تعالى اعيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما له بأن الملائكة وعيسى
ثون من ذلك (قوله أنت ولينا من دونهم) أي أنت الذي نواليك وتتقرب إليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا
له أي يطيعونهم) أي فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة
وقع جماعة من خزاة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله (قوله أ كثرهم
مؤمنون) إن قلت حيث أثبت أولا أنهم كانوا يعبدون الجن لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال أ كثرهم .
يب بأن قول الملائكة أ كثرهم من باب الاستيلاء تحزرا عن ادعاء الاحاطة بهم كأنهم قالوا إن الدين رأيانهم واطلعنا على
والهم كانوا يعبدون الجن وأهل في الوجرد من لم يطلع عليه من الكفار . وأجيب أيضا بأن العبادة عمل ظاهر والإيمان
الباطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فذالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أ كثرهم بهم مؤمنون لعدم
الاعتماد على ما في القلوب (قوله أي بعض المعبودين) أي وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين أي وهم الكفار (قوله ونقول)
لطف على لا يملك (قوله وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي دلائل توحيدنا (قوله إلا إفك) أي كذب غير مطابق للواقع ومع كونه
ذلك هو مفترى أي محتق من حيث نسبته إلى الله فقوله مفترى تأسيس لا تأكيد

(قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل إنكار عظيم وتعجيب بليغ (قوله قال تعالى) أى رداً عليهم (قوله وما آتيناكم من كتب يدرسونها) أى فالفنى لا عذر لهم فى عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فإن لهم كتاباً وديناً ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه وإن كان عذراً باطلاً وحجةً واهية (قوله وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناكم) قيل المعشار لغة فى العشر ، وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة فى التقليل (قوله من القوة الخ) أى ومع ذلك فلم ينفعهم شئ من ذلك فى دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلى) عطف على قوله - وكذب الذين من قبلهم - عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان تكبير) عطف على محذوف تقديره خين كذبوا رسلى جاءهم إنكارى بالتدبير فكيف كان تكبيرى لهم (قوله واقع موقعه) أى فهو فى غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل إنما أعظكم) أى آمركم وأوصيكم ، وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بصفة واحدة (قوله أن تقوموا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هى ، وليس المراد بالقيام حقيقة وهو الاتصاف على القدمين ، بل المراد صرف الهمة والاشتغال والتفكير فى أمر محمد وما جاء به لأن أول واجب على المكلف النظر المؤدى للمعرفة (قوله مثنى وفرادى) حالان من فاعل تقوموا وإما أمرهم بذلك لأن الجملة

(٢٨٤)

المكلف النظر المؤدى للمعرفة

ربما يكون فى اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكير بسبب الأغراض والتعصب ، وأما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته ، وأما الواحد فيفكر فى نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمداً ما به جنون بل علمتموه أرجح قرين من عقلا وأوزنهم حملاً

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) (مَا) (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (قَالَ تَعَالَى) (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) (أَيْنَ كَذِبُكَ) (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا) (أَى هَؤُلَاءِ) (مِيعَاشَ مَا آتَيْنَاهُمْ) (مِنْ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ) (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) (إِلَيْهِمْ) (فَكَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُ) (إِنكَارِ) (عَلَيْهِمْ) (بِالْعُقُوبَةِ) (وَالْإِهْلَاكِ) (أَى هُوَ) (وَاقِعٌ) (مَوْقِعُهُ) (قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) (هِىَ) (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ) (أَى لِأَجَلِهِ) (مَثْنَى) (اثْنَيْنِ) (وَفُرَادَى) (وَاحِدًا) (وَاحِدًا) (تَتَفَكَّرُوا) (فَتَعْلَمُوا) (مَا بِصَاحِبِكُمْ) (مُحَمَّدٌ) (مِنْ جِنَّةٍ) (جَنُونَ) (إِنْ) (مَا) (هُوَ) (إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ) (أَى قَبْلُ) (عَذَابٍ شَدِيدٍ) (فِي الْآخِرَةِ) (إِنْ عَصَيْتُمُوهُ) (قُلْ) (لَهُمْ) (مَا سَأَلْتُكُمْ) (عَلَى الْإِنذَارِ) (وَالتَّبْلِيغِ) (مِنْ أَجْرِ) (فَهُوَ لَكُمْ) (أَى لَا أَسْأَلُكُمْ) (عَلَيْهِ أَجْرًا) (إِنْ أَجْرِي) (مَا ثَوَابِي) (عَلَى اللَّهِ) (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (مَطْلَعٌ) (يَعْلَمُ) (صَدَقَ) (قُلْ) (إِنْ رَبِّي) (يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) (يَلْقِيهِ) (إِلَى أَنْبِيَائِهِ) (وَأَحَدُهُمْ) (ذَهْنًا) (وَأَرْضَاهُمْ) (رَأْيًا) (وَأَصْدَقَهُمْ) (قَوْلًا) (وَأَزْكَاهُمْ) (نَفْسًا) (وَإِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ كَمَا كُنْتُمْ) (أَنْ تَطْلُبُوا) (مِنْهُ) (آيَةً) (عَلَى) (صِدْقِهِ) (وَإِذَا جَاءَ) (بِهَا) (تَبَيَّنَ) (أَنَّهُ) (صَادِقٌ) (فِيمَا جَاءَ بِهِ) (وَإِذَا كَانَ) (كَذَلِكَ) (فَالْوَجِبُ) (اتِّبَاعُهُ) (وَتَصْدِيقُهُ) (قَوْلُهُ) (فَتَعْلَمُوا) (أَشَارَ) (بِذَلِكَ) (إِلَى) (أَنَّ) (نَتِيجَةَ) (الْفِكْرِ) (الْعَلَمِ) (وَاعْمَالِ) (التَّفَكُّرِ) (مَحْذُوفٌ ، وَالتَّقْدِيرُ) (فَتَتَفَكَّرُوا) (فِي) (أَحْوَالِ) (مُحَمَّدٍ) (فَيَنْتِجُ) (لَكُمْ) (الْعِلْمُ) (بِأَنَّ) (مَا) (بِصَاحِبِ) (جَنُونَ) (وَلَا) (نَقْصَ) (قَوْلِهِ) (مَا) (بِصَاحِبِكُمْ) (أَضَافَهُ) (لَهُمْ) (إِشَارَةً) (إِلَى) (أَنَّهُ) (كَانَ) (مَشْهُورًا) (بَيْنَهُمْ) (وَحَالَهُ) (مَعْرُوفٌ) (عِنْدَهُمْ) (فَكَانُوا) (يَدْعُونَهُ) (بِالصَّامِ) (الْأَمِينِ) (فَازَا) (تَفَكَّرُوا) (وَقَالُوا) (حَالَهُ) (بَعْدَ) (النَّبُوءَةِ) (عَلَى) (حَالِهِ) (قَبْلُهَا) (فَيَفِيدُهُمُ) (الْعِلْمُ) (بِكَمَالِ) (أَوْصَافِهِ) (قَوْلُهُ) (إِنْ) (هُوَ) (أَى) (الْمَحْدُوثُ) (عَنْهُ) (وَهُوَ) (عَلَى) (اللَّهِ) (عَلَيْهِ) (وَسَلَّمَ) (قَوْلُهُ) (بَيْنَ) (يَدَيْ) (عَذَابٍ) (شَدِيدٍ) (أَى) (هُوَ) (مُقَدِّمَةٌ) (عَذَابٍ) (لَكُمْ) (فِي) (الدُّنْيَا) (وَالْآخِرَةِ) (إِنْ) (لَمْ) (تُؤْمِنُوا) (وَتَصَدِّقُوا) (فِيمَا جَاءَ) (فَيُخَبِّرُكُمْ) (بِهِ) (قَبْلُ) (وَقَوْعِهِ) (قَوْلُهُ) (قُلْ) (مَا) (سَأَلْتُكُمْ) (مِنْ) (أَجْرِ) (يَحْتَمِلُ) (أَنَّ) (مَاشَرُطِيَّةَ) (مَفْعُولِ) (لِسَأَلَتُكُمْ) (وَمِنْ) (أَجْرِ) (بَيَانِ) (لِمَا ، وَقَوْلُهُ) (فَهُوَ) (جَوَابُ) (الشَّرْطِ) (وَيَحْتَمِلُ) (أَنَّهَا) (مَوْصُولَةٌ) (مُبْتَدَأٌ ، وَقَوْلُهُ) (فَهُوَ) (لَكُمْ) (خَبَرُهَا) (وَقَرْنَ) (الْخَبَرَ) (بِالْفَاءِ) (لِمَا) (فِي) (الْمَوْصُولِ) (مِنَ) (الْعُمُومِ) (وَعَلَى) (كُلِّ) (فَيَحْتَـمِلُ) (أَنَّ) (الْمَعْنَى) (مَا) (أَسْأَلْتُكُمْ) (أَجْرًا) (أَلْبَتَهُ) (فَيَكُونُ) (كَقَوْلِكَ) (مَنْ) (لَمْ) (يُعْطَاكَ) (شَيْئًا) (أَصْلًا) (إِنْ) (أُعْطِيتَنِي) (شَيْئًا) (فَخُذْهُ ، وَيُؤَيِّدُهُ) (قَوْلُهُ) (إِنْ) (أَجْرِي) (إِلَّا) (اللَّهُ ، وَقَوْلُ) (الْمَفْسَرِ : أَى) (لَا) (أَسْأَلُكُمْ) (عَلَيْهِ) (أَجْرًا ، وَيَحْتَمِلُ) (أَنَّ) (الْمَعْنَى) (لَمْ) (أَسْأَلُكُمْ) (شَيْئًا) (يَعُودُ) (نَفْعُهُ) (عَلَى) (فَهُوَ) (كَقَوْلِهِ) (تَعَالَى - قُلْ) (لَا) (أَسْأَلُكُمْ) (عَلَيْهِ) (أَجْرًا) (إِلَّا) (الْوَدَّةَ) (فِي) (الْقُرْبَى - وَقَوْلُهُ - قُلْ) (مَا) (أَسْأَلُكُمْ) (عَلَيْهِ) (مِنْ) (أَجْرِ) (إِلَّا) (مَنْ) (شَاءَ) (أَنْ) (يَتَّخِذَ) (إِلَى) (رَبِّهِ) (سَبِيلًا - (قَوْلُهُ) (قُلْ) (رَبِّي) (أَى) (مَا) (لَكَ) (وَسَيِّدِي) (قَوْلُهُ) (يَقْذِفُ) (بِالْحَقِّ) (مَفْعُولٌ) (يَقْذِفُ) (مَحْذُوفٌ) (تَقْدِيرُهُ) (يَقْذِفُ) (الْبَاطِلَ) (بِالْحَقِّ) (وَيُؤَيِّدُهُ) (قَوْلُهُ) (تَعَالَى - بَلْ) (نَقْلُ)

الحق على الباطل : أى يدفع الباطل بالحق ويصرفه به ويصح أن تكون الباء للملابسة والمفعول محذوف أيضا ، والتقدير قذف الوحي إلى أنبيائه ملتبسا بالحق أو ضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والأقرب الأول لأن خبر مافسره بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف (قوله ما غاب عن خلقه) أى قسمة غيبا بالنسبة للخلق وإلا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدي الباطل وما يعيد) أى لم يبق له بداية ولا إعادة : أى نهاية فهو كناية عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى - وقل جاء الحق وزهق الباطل - ن قلت إن السورة مكية والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قوية والإسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ . أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فعبر عنه بالماضى كقوله : أتى أمر الله (قوله قل إن ضللت فأنما أضل على نفسي) سبب زولها أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك فضلت ، والمعنى قل لهم يا محمد إن حصل لي ضلال كما رعمتم فان وبال ضلالي على نفسي لا يضركم غيرى وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وإن اهتديت الخ) أى لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدائه وتوفيقه (قوله فما يوحى إلى ربى) أى بسبب إيماء ربى إلى أو بسبب الذى يوحىه إلى فمصدرية أو موصولة للمعنى فهذا يهدى بفضل الله تعالى ، فحاصل المعنى أراد أنه إن كان فى

(٢٨٥)

ضلال فمن نفسي لنفسي وإن كان

هدى فمن فضل الله بالوحي إلى على حد قوله تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - (قوله إنه سميع) أى يسمع كل ما خفى وما ظهر ، وقوله قريب : أى قرب مكانة لا مكان (قوله ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت) يحتمل أن مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فرعهم ويحتمل أن إذ مفعول ترى : أى

(عَلَامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن خلقه فى السموات والأرض (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعِيدُ) أى لم يبق له أثر (قُلْ إِنْ ضَلَّاتُ) عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أى إنم ضلالى عليها (وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَى إِلَى رَبِّي) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ . وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ فَرَعُوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فَلَا فَوْتَ) لهم منا أى لا يفوتونا (وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) أى القبور (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بمحمد أو القرآن (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ) بالواو وبالهمزة بدلها ، أى تناول الإيمان (مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) عن محله إذ هم فى الآخرة ومحله الدنيا (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا (وَيَقْذِفُونَ) يرمون (بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساحر شاعر كاهن ، وفى القرآن سحر شمر كهانة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أى قبوله ،

ولو ترى وقت فرعهم وإسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه أن يسند لهم ، وقوله عند البعث أحد أقوال فى وقت الفرع ، وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة ، وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ من مكان قريب (قوله لرأيت أمرا عظيما) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) أى لا محاص ولا مهرب (قوله أى القبور) أى وهى قريبة من مساكنهم فى الدنيا أو المعنى قبضت أرواحهم فى أما كنهم فلم يمكنهم الفرار ، وقيل أخذوا من مكان قريب وهى القبور لجهنم فيخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمننا به) أى قالوا ذلك وقت حصول الفرع وهو وقت نزول العذاب بهم (قوله وأنى لهم) أى كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطاولهم وهم فى الآخرة مع أن ذلك لا يحصل ولا يكون إلا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضى بعيد إذ لا يعود والمستقبل قريب لأنه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) أى الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية : أى يستبعد تناولهم الإيمان فى الآخرة والحال أنهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالغيب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث إنهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) أى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) أى فى الآخرة (قوله أى قبوله) أى بحيث

بخلصهم في الآخرة (قوله بأشيائهم) جمع شيع وشيع جمع شيعة فالأشباع جمع الجمع وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه ، والمراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للأشباع (قوله أي قبلهم) أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لافي العذاب فان زمن عذابهم في القيامة متحد (قوله موقع في الريبة لهم) أي فهو من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التأكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو في آمنوا : أي آمنوا به في الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله .

[سورة فاطر مكية] أي ونسب سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أي تعظيما لنفسه وتعليلها لحلقه كيفية الثناء عليه فال في الحمد الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس ولا يصح أن تكون عهدية لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة ، وأما في كلام العباد فالأولى أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين في أول سورة سبأ) أي حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل . واعلم أن السور المفتحة بالحمد أربع : الأنعام والكهف وسبأ وفاطر ، وحكمة افتتحتها بذلك أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) أي وإن كان لهما مادة وهو النور المحمدي فالمنفى المثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان (٢٨٦) لفظ الجلالة وجاعل وإن كان بمعنى الضي إلا أنه للاستمرار فباعتبار ذلك

على المضي تكون إضافته محضة فيصالح لوصف المعرفة به وباعتبار دلالة على الحال والاستقبال يصلح للعمل في رسلا (قوله إلى الأنبياء) أي بالوحي وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبرة البيضاوي أوضح من هذه وأولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه

(كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاءِهِمْ) أشباههم في الكفر (مِنْ قَبْلُ) أي قبلهم (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا .

(سورة فاطر)

مكية ، وهي خمس أو ثمان وأربعون آية

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبأ (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى الأنبياء (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) في الملائكة ،

وغيرها

والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة أو بينه وبين

خاقه يوصلون إليهم آثار صنعه (قوله أولى أجنحة) يصح أن يكون صفة لرسلا وهو وإن كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيها إلا أنه يوهم أن الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكل الملائكة فالأحسن جعله صفة أوحالا من الملائكة نظرا لآل الجنسية (قوله مثنى) بدل من أجنحة مجرور بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة المقدرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) إن قلت في أي محل يكون الجناح الثالث لدى الثلاثة ؟ قلت لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما بالقوة (قوله يزيد في الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله في الملائكة) أي في صورهم ، فقد قال الزمخشري : رأيت في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان للطيران يطبرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى ، وفي الحديث « رأيت جبريل عند سدره المنتهى وله ستائة جناح يتناثر من رأسه الدر والياقوت » وروى « أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته ، فقال إنك لن تطيق ذلك ، فقال إني أحب أن تفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه ، فقال سبحان الله ما كنت أرى شيئا من الخلق هكذا ، فقال جبريل فكيف لورأيت إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحياء : أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله حتى يعود مثل

« وهو المصفور الصغير (قوله وعبرها) أى من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وتمام الأعضاء وقوة البطش من الصوت والشعر والخط وغير ذلك من السمات التى أعطاها الله لخلقها (قوله إن الله على كل شئ قدير) كالتعالي لما قبله ما يفتح الله) ما إما شرطية ويفتح فعل الشرط ، وقوله - فلا تمسك لها - جواب الشرط أو موصولة مبتدأ ويفتح صلها : فلا تمسك لها خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما فى المبتدأ من العموم ، وقوله : من رحمة بيان لما (قوله كرزق) أى دنيوى أو دى ، وعبر فى جانب الرحمة بالفتح إشارة إلى أنها شئ عزيز نفيس شأنه أن يوضع فى خزائن وآتى بها منكورة انعم كل رحمة أو أخرى (قوله فلا تمسك لها) أنت مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة (قوله وما تمسك) يصح أن يبقى على عمومته فالتذكير به له ظاهر ويصح أن يكون قد حذف من الثانى لدلالة الأول عليه والتذكير مراعاة للفظ ما ، وقد أشار المفسر لهذا الثانى بقوله ذلك : يعنى من الرحمة (قوله أى أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذكروا الله على نعمه) أى اشكروه على تلك النعم التى أسداها إليكم (قوله باسكانكم الح) أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الانعام صح أن تكون بمعنى النعم به (قوله وخالق مبتدأ) أى مرفوع بضمه (٢٨٧) مقدر على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان ، وقوله لفظاً أو محلاً لفظاً ونشر مرتب وفى بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفظاً ونشراً مشوشاً وقرئ شذوذاً بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتقرير) أى والتوبيخ (قوله أى لخالق رازق غيره) هذا حل معنى لاجل إعراب وإلا لقال لخالق غيره رازق لكم (قوله لا إله

علا ما يشاء إن الله على كل شئ قدير . ما يفتح الله للناس من رحمة) كرزق ومطر لا تمسك لها وما تمسك) من ذلك (فلا ترسل له من بعده) أى بعد إمساكه (هو العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) فى فعله (يا أيها الناس) أى أهل مكة اذكروا نعمت الله عليكم) باسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هل من خالق) زائدة وخالق مبتدأ (غير الله) بالرفع والجر نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ (يرزقكم السماء) المطر (و) من (الأرض) النبات ، والاستفهام للتقرير : أى لخالق رازق غيره (إله إلا هو فأتى تؤفكون) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق رزق (وإن يكذبوك) يا محمد فى محبتك بالشوحيد والبعث والحساب والعقاب (فقد دبت رسل من قبلك) فى ذلك فاصبر كما صبروا (وإلى الله ترجع الأمور) فى الآخرة جازى الكاذبين وينصر المرسلين (يا أيها الناس إن وعد الله) بالبعث وغيره (حق) تنفركم الحياة الدنيا) عن الإيمان بذلك (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وإمهاله (الغرور) الشيطان (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) بطاعة الله ولا تطيعوه ،

(هو) كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم (قوله فأتى تؤفكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ، ومنه قوله تعالى قالوا أجنثنا لتأفكنا عن آلهتنا - وأما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) أى كيف تعبدون غيره أنه ليس فى ذلك الغير وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله وإن يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وهذا نسبية له صلى عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، والمعنى فتأس بمن قبلك ولا تحزن (قوله فيجازى الكاذبين) أى بادخالهم النار ، وقوله : وينصر المرسلين : أى بقبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) أى كالحساب والعقاب (قوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا) المراد منهم عن الاغترار بها ، والمعنى لا تغفروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة (قوله فى حلمه) أى بسببه ، والمعنى لا تجعلوا حلمه وإمهاله سبباً فى اتباعكم الشيطان (قوله الغرور) هو بالفتح فى أداة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذاً بضمها إما جمع غار كقاعد وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله إن الشيطان لكم عدو) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم لا تأمنوا له فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً ، قال البوصيرى :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا نطع منهما خصما ولا حكما فانت تعرف كيد الخصم والحكم (قوله إنما يدعو احزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحمسه من طاعته (قوله هذا) أى قوله الذين كفروا إلى آخره ، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان إلى آخره فله المغفرة والأجر الكبير (قوله ونزل في أبي جهل وغيره) أى من مشركي مكة كالعاص بن رائل والأسود بن المطلب وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم ، ويؤيد هذا القول آيات منها - ليس عليك هداهم - ومنها - ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر - ومنها - فلعنك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وغير ذلك ، ففي هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه ، وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن في نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز - يحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون - نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم ، وقيل نزلت في اليهود والنصارى ، وقيل نزلت في الشيطان حيث زين له أنه العابد التقي وآدم العاصي يخالف ربه لا اعتقاده أنه على شيء (قوله أثمن زين له سوء عمله) أى زين له الشيطان ونفسه الأماره عمله السيء فهو من إضافة الصفة

(٢٨٨)

للوصوف (قوله بالتمويه) أى التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا ، وأما من هداه الله فتدراى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله دل عليه) أى على تقدير الخبر ، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفي هذه الآية تردد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك

(إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه في الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان ما لموافق الشيطان وما لمخالفه . ونزل في أبي جهل وغيره (أَفَنَزَّيْنُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَأَاهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا ، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على المزيّن لهم (حَمَرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ) وفي قراءة الريح (فَتُثِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أى تزججه (فَسُقْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لانبات بها (فَأَخْبَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أى أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ الْفُشُورُ) أى البعث والإحياء (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ اللَّهَ الْعِزَّةَ جَمِيعًا) أى في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ،

ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء والهاء ورفع تنس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاط أسباب ذلك وقرئ شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم إيمانهم (قوله حسرات) مفعول لأجله جمع حسرة وهى شدة التلّف على الشيء الفائت (قوله فيجازيهم عليه) أى إن خبر الخبر وإن شرافته (قوله وفي قراءة الريح) أى وهى سبعة أيضاً (قوله لحكاية الحال الماضية) أى استحضار تلك الصور العجيبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزججه) أى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى السكائنة فى قوله : والله الذى أرسل (قوله إلى بلد ميت) البلديذ كرو يؤث يطاق على القطعة من الأرض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لانبات بها) أى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودها (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك الفشور) أى كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلات الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق إليها المياه فتحياها والأجساد تساق إليها الأرواح فتحياها (قوله من كان يريد العزة والله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطعه ، وقوله فله العزة تعليل للجواب ، واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هى فقل له الله العزة جميعا ، وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لاغيره

لها يكون بطاعته والالتجاء إليه والوقوف على بابه لما ورد في الحديث « من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طاب العزة من غيره
كسى من وصفه وهو اللال » لأن وصف العبد للذو وصف الله العز فمن التجأ إلى الله كساه الله من صفته ومن التجأ إلى العبد كساه
من وصف ذلك العبد لما ورد « من استعز بقوم أورثه الله ذلهم » وقال الشاعر : وإذا تذلت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها في ذلها
يعلمه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازا ، فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الأمر إلى القاضي يعني علمه ، وعبر
بالصعود إشارة لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل ، وقيل المعنى يصعد إلى صفاته ، وقيل يحمل الكتاب
كتب فيه طاعة العبد إلى السماء (قوله ونحوها) أى من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) أى
بإتقانه والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يذكرون) بيان لحال السكام الخبيث والعمل السيئ بعد بيان حال السكام
بوالعمل الصالح (قوله المكرات) قدره إشارة إلى أن السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليذكرون لأن مكر
لا ينصب للمفعول ، والمكر الحيلة والخديعة (قوله في دار الندوة) أى وهى التى بناها قصي بن كلاب للتحديث والمشاورة
له كما ذكر في الأنفال) أى فى قوله - وإذ يكر بك الدين كفروا - الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر أولئك)
بإصم الإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتغالهم بالبنى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر
ويصح أن يكون ضمير نصل لا محل له من الإعراب وقولهم (٢٨٩) إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان

فعلا مردود بجواز ذلك
(قوله بخلق أيكم آدم
منه) ويصح أن يراد
خالقكم من تراب بواسطة
أن النطفة من الغذاء
وهو من التراب (قوله
أزواجاً) أى أصنافاً
(قوله من أنثى) من
زائدة فى الفاعل (قوله
حال) أى من أنثى (قوله
وما يعمر من معمر)
بفتح الميم فى قراءة العامة

وهو لا إله إلا الله ونحوها (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يتبله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ) المكرات
سَيِّئَاتٍ) بالنبي فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجهم كما ذكر فى الأنفال (لَهُمْ
أَبٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) يهلك (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أيكم آدم
(ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أى منى بخلق ذريته منها (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا
مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) حال أى معلومة له (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ)
ما يزداد فى عمر طويل العمر (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) أى ذلك العمر أو معمر آخر (إِلَّا
كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا
بِفِرَاتٍ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة
مِنْ كُلٍّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح ،

ابن عباس : ما يعمر من معمر إلا كتب عمره كم هو سنة وكم هو شهرا وكم هو يوما وكم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب آخر
من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذى يعمره ،
أهو الأحسن ، وقيل إن الله كتب عمر الانسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو كتاب ، وهذا مثل
عليه الصلاة والسلام « من أحب أن يبسط الله له فى رزقه وينسأ له فى أثره » أى يؤخر فى عمره « فليصل رحمه »
لأنه يكتب فى اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد فى عمره كذا سنة فبين ذلك فى موضع آخر من اللوح
فوط أنه سيصل رحمه فمن أطاع على الأول دون الثانى ظن أنه زيادة أو نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى
هم ونصفه أى فالمنى ما يزداد فى عمر شخص بأن يكون أجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيرا
فى كتاب (قوله إن ذلك) أى كتابة الأعمار والأجل (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله وما يستوى البحرين)
أى مثل للتوم والكافر وقوله شديد العذوبة أى يكسر وهج العطش وقوله سائغ أى يسهل الحرارة (قوله شربه) أى
الشراب بالشرب لأن الشراب هو المشروب فيلزم إضافة الشئ لنفسه (قوله أجاج) أى يحرق الحلق بلوحته (قوله
كل تأكلون الخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيها من المنافع والمثل قد تم بما قبله وهو الأظهر ،
ل هو من تمام التمثيل يعنى أنهما وان اشتركا فى بعض الأوصاف لا يستويان فى جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا فى بعض
[٣٧ - صاوى - ثالث] المنافع لا يستويان فى جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز أكلها .

(قوله وقيل منهما) أى ووجهه أن في البحر الملح عيوناً عذبة تخرج بالملح فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حجر تطلع من البحر كأصابع الكف ، وقيل هو صغار اللؤلؤ (قوله لتبتنوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) أى وغيره كالغزو والحج (قوله هل ذلك) أى على ما أسداه إليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل في النهار) أى فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف وقوله : ويولج النهار في الليل أى فيطول الليل حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء ، فالدار بين الليل والنهار أربع ساعات تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج وعبر بالمضارع في جانب الليل والنهار لأن إيلاج أحدهما في الآخر يتجدد كل عام وأما الشمس والقمر فتسخرهما من يوم خلقهما الله فلا تجدد فيه وإنما التجدد في آثارها فلذا عبر في جانبهما بالماضى (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية (قوله لفافة النواة) بكسر اللام وهى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة . واعلم أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة : القليل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو لفافة النواة والتفروق وهو ما بين القمع والنواة (قوله ما أجابوكم) أى بحجاب نفع ولا دفع (٢٩٥)

وقيل منهما (حَلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا) هى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلُكُ) السفن (فِيهِ) فيها (قِيلَ) قيل (مَوَآخِرَ) تمخر الماء : أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لَتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك (يُؤَلِّجُ) يدخل (اللَّهُ) (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) فيزيد (وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ) (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ) منهما (يَجْرِي) في فلكه (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يوم القيامة (ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (مَا يَمْلِكُونَ) من قطمير (لِفَافَةِ النَّوَاةِ) (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا) فرضاً (مَا اسْتَجَابُوا) (لَكُمْ) ما أجابوكم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بإشراككم إياهم مع الله : أى يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم (وَلَا يُنَبِّئُكَ) بأحوال الدارين (مِثْلُ خَبِيرٍ) عالم وهو الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) بكل حال (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) الحمود في صنعه بهم (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بذكلكم (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةً) آثمة أى لا تحمل (وَزَرَ) نفس (أُخْرَى)

ضراً (قوله بإشراككم إياهم) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل (قوله أى يتبرءون منكم) أى يقولهم ما كانوا إيانا يعبدون (قوله ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك أحد منى لآنى عالم بالآشياء وغيرى لا يعلمها وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاماً غير محص بأحد ويحتمل أن يكون خطاباً له صلى الله عليه وسلم (قوله يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) إنما خاطب الناس بذلك وإن

كان ماسوى الله فقيراً لأن الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبون له لأنفسهم ، والمعنى يا أيها الناس أنتم أشد الحق افتقاراً واحتياجاً إلى الله فى أنفسكم وعيالككم وأموالككم وفيما يعرض لكم من سائر الأمور فلا غنى لكم ، طرفة عين ولا أقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضى الله عنه : من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والضعف عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) أى فى حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مفتقر لربه فى أى حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) إنما ذكره بعد الغنى لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فأفاد أنه كما أنه غنى هو منم جواد محمود على إنعامه لكونه يعطى النوال قبل السؤال للبر والفاجر (قوله إن يشأ يذهبكم) هذا بيان لغناه المطلق يعنى أن إذهابكم ليس متوقفاً على شئ إلا على مشيئته فابقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) أى بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) أى متعسر (قوله وازرة) فاعل تزر وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله نفس ، والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى وأما غير الازرة فتحمل وزر الازرة بمعنى تشفع لها فى غفرانه لا بمعنى أنه ينتقل من الازرة لغيرها . إن قات ما الجمع بين هذه الآية وبين قول تعالى : ولا يحمان أثقالهم الآية . أجيب بأن تلك الآية محمولة على من ضلّ وتسبب فى الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لأن تسببه من فعله فلم يحمل إلا أثقال نفسه فرجع الأمر إلى أن الإنسان لا يحمل وزر غيره أصلاً بل كل نفس بما كسبت رهينة .

قوله (وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى وإن تدع نفس مثقلة بالدنوب نفسها إلى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس
لفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة (قوله لا يحمل منه شيء) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وثى نائب الفاعل
رئى شذوذا تحمل فتح التاء وكسر الميم مسندا إلى ضمير النفس المحذوفة وشبثا مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قربى) العامة
على قراءة ذا بالنصب خبر كان وأصمها ضمير يعود على المدعو كما قدره المفسر وقرئ شذوذا بالرفع على أن كان تامة ، والمعنى
أن تدع نفس مذنبه نفسا أخرى إلى حمل شيء من ذنبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية كما فيها
أيضا لما ورد فيلقى الأب والأم الابن فيقولان له يابني أحمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبى ما على (قوله في الشقين)
الحمل القهري والاختياري (قوله حكم من الله تعالى) أى وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة (قوله إنما تنذر الذين يخشون
رهم) إنما أداة حصر ، والمعنى أن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون أى يخشونه
كأنهم غائبين عنه ، فالغيبه وصف العبيد لا وصف الرب فإن وصف الرب القرب قال تعالى - ونحن أقرب إليه من حبل
اليد - ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله ، ويصح أن يكون حالا من المفعول : أى
شؤنه والحال أنه غائب عنهم أى محتجب بجلاله فلا يرونه وإلى هذا أشار (٢٩١) المفسر بقوله ومارأوه فعدم رؤية
الله تعالى إنما هو من

تخجبه بصفات الجلال ، فإذا
تجلى بالجمال رأته الأبصار
وذلك يحصل في الآخرة
لأهل الإيمان وقد حصل
في الدنيا لسيد الخلق على
الاطلاق وقد تجلى بالجمال
لأهل الحب في الدنيا فتراه
وهي الجنة المعجلة لأهل
الله المقربين (قوله لأنهم
المنتفعون بالإنذار) جواب
عما يقال كيف قصر
الإنذار على أهل الخشية
مع أنه لجميع المكلفين
فأجاب بأن وجه قصره

إِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مَثْقَلَةٌ (إِلَى حِمْلِهَا) مِنْهُ أَحَدًا لِيَحْمِلَ بَعْضُهُ (لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ)
لَوْ كَانَ (الدَّعْوَى (ذَا قُرْبَى) قَرَابَةُ كَالْأَبِ وَالْإِبْنِ ، وَعَدَمُ الْحَمْلِ فِي الشَّقِيَيْنِ حَكْمٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ (أَيْ يَخَافُونَهُ وَمَا رَأَوْهُ لِأَنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِالْإِنْذَارِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أَدَامُوهَا (وَمَنْ تَزَكَّى) تَطَهَّرَ مِنَ الشَّرْكِ وَغَيْرِهِ (فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى
نَفْسِهِ) فَصَلَاةُ مَنْ تَخْتَصُّ بِهِ (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) الْمَرْجِعُ فَيَجْزَى بِالْعَمَلِ فِي الْآخِرَةِ (وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ (وَلَا الظُّلُمَاتُ) الْكُفْرُ (وَلَا النُّورُ) الْإِيمَانُ (وَلَا الظُّلُ
لَا الْحَرُورُ) الْجَنَّةُ وَالنَّارُ (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) الْمُؤْمِنُونَ وَلَا الْكَافِرُونَ
زِيَادَةٌ لَا فِي الثَّلَاثَةِ تَأْكِيدٌ (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يُشَاءُ) هِدَايَتُهُ فَيَجِيئُهُ بِالْإِيمَانِ (وَمَا أَنْتَ
بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) أَيْ الْكَافِرَ شَبَّهَهُمُ بِالْمَوْتِ فَيَجِيئُونَ (إِنَّ) مَا (أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ)
نَذِيرُهُمْ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) بِالْهُدَى (بَشِيرًا) مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ (وَنَذِيرًا) مَنْ لَمْ
يَجِبْ إِلَيْهِ ،

ليهم انتفاعهم به فكانه قال إنما ينفع إنذارك أهل الخشية (قوله أداموها) أى واطبوا عليها بأركانها وشروطها وآدابها وفي
سخة أدوها (قوله وغيره) أى كالمعاصي (قوله فصلاحه مختص به) أى فهو قاصر عليه لا يتعداه فيجزى بالعمل في الآخرة
في الخير والشر (قوله وما يستوى الأعشى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وأفاد أولا الفرق بين ذاتيهما
ثانيا بين وصفيهما . وثالثا بين داريهما في الآخرة ، وأما قوله وما يستوى الأحياء الخ فهو مثل آخر على أبلغ وجه ، لأن
الأعشى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار أنواع الكفر فإن أنواعه
كثيرة بخلاف الإيمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هي الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم
الليل ، وقيل الحرور والسموم الليل والنهار (قوله وزيادة لا في الثلاثة) أى في الجمل الثلاث التي أولها ولا الظلمات ولا النور
ثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الأحياء ولا الأموات وإنما زبدت للتأكيد في الجميع لأن نفي المساواة معلوم
من ما النافية (قوله إن الله يسمع من يشاء) من هنا إلى قوله تكبير تسليمة له صلى الله عليه وسلم (قوله وشبههم بالموتى)
أى في عدم التأثير بدعوته (قوله إن أنت إلا نذير) أى فليس عليك إلا التبليغ والهدى بيد الله يؤتبه من يشاء (قوله بالحق)
قال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كأنه قال أرسلناك حال كونك هاديا

(قوله وإن من أمة) أى تعلمها وقوله نبي ينذرنا : أى يخوفنا من عقاب الله وتنقضى شريعته بموته فما بين الرسولين من أهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي وأمرى القيس وحاتم الطائي ، فقليل إن ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لا يعارض النص القطعي وتقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف إبراهيم) أى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون ، جملة الصحف مائة تضم لها الكتب الأربعة ، جملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهو كلام مستأنف سبق لبيان باهر قدرته تعالى وكأله حكيمته (قوله فيه التفات) أى (٢٩٢) وحكيمته أن المنة في الإخراج أبلغ من إزال الماء ، ولما في الإخراج من

(وَإِنْ) مَا (مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا) سَلَفَ (فِيهَا نَذِيرٌ) نَبِيٌّ يَنْذَرُهَا (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الْمَعْجَزَاتِ (وَالْزُّبُرِ) كَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ (وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) هُوَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بِكَذِبِهِمْ (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إِنْكَارِ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْإِهْلَاكِ أَيْ هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعُهُ (أَلَمْ تَرَ) تَعْلَمُ (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فِيهِ التَّفَاتِ عَنْ الْغَيْبَةِ (بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) كَأَخْضَرَ وَأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَغَيْرَهَا (وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ) جَمْعُ جَدَّةٍ : طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ وَغَيْرِهِ (بَيْضٌ وَحُمْرٌ) وَصَفَرٌ (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) بِالشَّدَةِ وَالضَّعْفِ (وَعَرَاءٍ يَبْسُودٌ) عَطَفَ عَلَى جَدَدٍ : أَيْ صَخُورٌ شَدِيدَةُ السَّوَادِ ، يُقَالُ كَثِيرًا أَسْوَدَ غَرِيبٌ ، وَقَلِيلًا غَرِيبٌ أَسْوَدَ (وَمِنْ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) كَاخْتِلَافِ الثَّمَارِ وَالْجِبَالِ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) بِخِلَافِ الْجَهَالِ كَكُفَارِ مَكَّةَ (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) فِي مُلْكِهِ (غَفُورٌ) لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) يَقْرَأُونَ (كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أَدَامُوهَا (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) زَكَاةً أَوْ غَيْرَهَا (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ) تَهْلِكُ (لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ) ثَوَابِ أَعْمَالِهِمُ الْمَذْكُورَةِ (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ) لِذُنُوبِهِمْ (شَكُورٌ) لِعَاطَتِهِمْ (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ،

الصنع البديع الدال على كمال القدرة الإلهية (قوله ثمرات مختلفا ألوانها) أى فى أصل اللون كالأخضر والأصفر والأحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جددة وهى الطريق وقرئ شذودا بضم الجيم والدال جمع جديدة وفتحهما (قوله مختلف ألوانها) مختلف صفة لجدد وألوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم وألوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وعرايب سود) الغريب تأكيد للأسود

كالقافى تأكيد للأحمر وإنما قدمه عليه للبالغة (قوله يقال كثيرا) أى بتقديم الموصوف من على الصفة وهذا هو الأصل ، وقوله وقابلا أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الأصل ويرسب للبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف ألوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ أى صنف مختلف ألوانه من الناس وقوله كذلك صفة مصدر محذوف أى اختلافا كذلك (قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاهم له ولذا ورد فى الحديث «أنا أخشاكم لله وأنتأكم له» وقرئ شذودا برفع الجلالة ونصب العلماء ، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويحبهم (قوله إن الله عز وجل غفور) تعليل لوجوب الخشية كأنه قيل يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى لأنه عز وجل قاهر لما سواه غفور للذنبين (قوله إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرءونه على طهارة أولا عروا طهر قلب أو فى المصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش وهو تخفيض على الاتفاق كيفما يسر (قوله يرجون تجارة) خبر إن أى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيههم أجورهم) اللام للعاقبة والضرورة (قوله شكور) أى يشيرون

على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس أو للتبعية (قوله هو الحق) هو إما ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر والجملة خبر القدي ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبوطن والظواهر) لف ونشر مرتب (قوله ثم أورثنا) أتى بتم إشارة لبعده رتبهم عن رتبة غيرهم من الأئمة (قوله أعطينا) أشار بذلك إلى أن الإراد بالتوريث الاعطاء ، ووجه تسميته ميراثا أن الميراث يحصل لأورث بلا نصب ولا نصب وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا نصب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفين (قوله وهم أمتك) أى أمة الإجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا أولا وإلا فليس المراد بإعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والافتداء به (قوله لمنهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته ، والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته ، والسابق من لا تقع منه سيئة صلا ، ولذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وقيل الظالم هو راجح السيئات والمقتصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته . والسابق هو الذى رجحت حسناته ، وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه فى ربه ولتلايه حب الطائع بعمله فيهلك وهذا على حد ما قيل فى قوله تعالى - إن الله يحب التوابين (٢٩٣) ويحب المتطهرين - (قوله باذن

الله) متعلق بقوله سابق وإما خص مع أن الكل باذن الله تنجيها على عزة هذه المرتبة فأضيفت لله (قوله يدخلون الخ) أتى بضمير جماعة المذكور فى تلك الآيات تغليباً للمذكر على المؤنث وإلا لاختصية للمذكور (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم أنه أحد قولين ، وقيل إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ (قوله

مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (هُوَ الْحَقُّ مُصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ يَعْبادِهِ خَيْرٌ بِصِيرٍ) عالم بالبوطن والظواهر (ثُمَّ أَوْرَثْنَا) أعطينا (الْكِتَابَ) القرآن (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمتك (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالتقصير فى العمل به (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يعمل به أغلب الأوقات (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (ذَلِكَ) أى إرثهم الكتاب (هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) الثلاثة بالبناء للفاعل والمفعول خبر جنات المبتدأ (يُحْمَلُونَ) خبر ثان (فِيهَا مِنْ) بعض (أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) مرصع بالذهب (وَلِبَاسُ هُمْ فِيهَا خَيْرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) جميعه (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للطاعة (الَّذِي أَحْلَاْنَا دَارَ الْمَقَامَةِ) أى الإقامة (مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا أَغُوبٌ) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها ، وذكر الثانى التابع للأول للتصريح بنفيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) يستريحون (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) طرفه عين (كَذَلِكَ) كما جزيناها (يُجْزَىٰ كُلُّ كَافِرٍ) كافر

(وقالوا) عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله جميعه) أى نخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهوومها (قوله الذى أحلنا) أى أدخلنا وأسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لأحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لا يمسنا فيها نصب) حال من ضمير أحلنا البارز (قوله تعب) أى فلانوم فى الجنة لعدم التعب بها (قوله إعياء من التعب) أى فاذا انتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويتمتع بجميع ما أعطاه الله من الحور والغرف والقصور فى أقل زمن نهل ولا يحصل له إعياء ولا مشقة ، وبالجملة فأحوال الجنة لا تقاس على أحوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ما الفائدة فى نفي الغيوب مع أن انتفاءه يعلم من انتفاء النصب لأن انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله إن الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار (قوله لا يقضى عليهم) أى لا يحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لا يقضى وهو منى أيضا لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب . إن قلت إن فى هذه الآية دليلا على أن أهل النار لا يموتون وفى آية أخرى : لا يموت فيها ولا يحيى فيقتضى أن أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لا واسطة . أجيب بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب ولا يحيون حياة طيبة (قوله ولا يخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم رمناما وبهذا يدفع ما قيل إن بعض

أهل النار يخفف عنه كآبي طالب وأبي لهب لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع في أبي طالب فنقل من ضحى من نار ينتعل بنعائين يغلى منهما دماغه ، وورد أن أبا لهب يسقى في نقرة إبهامه ماء كل ليلة اثنين لعنقه جاريته ثوبية خير بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل أن المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف في (قوله بالياء) أي الضمومة مع فتح الزاي ورفع كل وقوله والنون المفتوحة أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) أي يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله : ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه (قوله صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التوبيخ والتبكيت (قوله أولم نعمركم) الهمزة داخلية على محذوف تقديره أنعمتدرون ونقولون ربنا أخرجنا الخ ولم تؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمرا يتمكن فيه مريد التذكير والتفكير (قوله ما يتذكروا) مانكرة موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره المفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كأنه قال أفروا بأتنا عمركم وجاءكم النذير (قوله الرسول) أي رسول كان ، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) (٢٩٤) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله ، فما أجبت فاندفع ما يقال إن

ظاهر الآية ربما يوم أن إذا قتهم العذاب مرتبة على مجيئ الرسول مع أنه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والأرض) أي ما غاب عنا فيها (قوله إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله كأنه قيل إذا علم ما خفي في الصدور كان أعلم بغيرها من باب أولى وقوله بالنظر إلى حال الناس

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل (وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) منها (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فيقال لهم (أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا) وقتاً (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) الرسول فما أجبت (فَذُوقُوا) الكافرين (مِنْ نَصِيرٍ) يدفع العذاب عنهم (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَالِمُ بِلَدَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب فعله بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً (فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ) (نَعْلَيْهِ كُفْرُهُ) أي وبال كفره (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ) عند ربهم (إِلَّا مَقْتًا) غضباً (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) للآخرة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أَرُونِي) أخبروني (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) شركة مع الله (فِي) خلق (السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ) حجة (مِنْهُ) بأن لهم معي شركة

جواب عما يقال علم الله لا تدوت فيه بل جميع الأشياء مستوية في علمه لافرق بين ما خفي منها على الخلق وما ظهر لهم فأجاب بما ذكر أي أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية أن من علم الخفي يعلم الظاهر بالأولى (قوله هو الذي جعل لكم خلائف في الأرض) أي رعاة مسئولين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل إنسان خليفة في الأرض وهو راع وكل راع مسئول عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا في بعض النسخ بالتاء وفي بعض النسخ بلان والاولى أولى لأن خليفة جمعه خلفاء وأما خليفة فجمعه خلائف (قوله أي وبال كفره) أي فلا يضر إلا نفسه (قوله ولا يزيد الكافرين الخ) بيان لو بال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرايتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلا همز وبالهمز ك هنا تتعدى لمفعولين الأول قوله شركاءكم والثاني قوله ماذا خلقوا من الأرض على سبيل التنازع لأن كلا من أرايتم وأروني طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء أو من حيث إنهم شركوهم في أموالهم فأنهم كانوا يعينون شبيهاً من أموالهم لأمتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الأرض) أي أي شئ خلقوه من الأمور التي في الأرض كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك (قوله أم لهم شرك) في الوضحين منقطعة نفس بيل والهمزة (قوله أم آتيناهم) أي الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان .

(قوله لأشياء من ذلك) جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل إن يعد الظالمون) لما ذكر في الجمع
 رب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم)
 من الظالمون (قوله بقولهم) أى الرؤساء للاتباع (قوله أى يمنعهما من الزوال) أشار بذلك إلى أن الامساك بمعنى
 مع وقوله أن تزولا أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط
 له إن أمسكهما جواب الأول وحذف جواب الثانى على القاعدة المعروفة (قوله من أحد) من زائدة في الفاعل وقوله من
 من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئ من غيره (قوله إنه كان حليماً غفوراً) تعليل لقوله إن الله يمسك
 السموات والأرض : أى فامساكهما حاصل بحلمه وغفرانه وإفككتا جذيرتين بأن تزولا كما قال تعالى - نكاد السموات
 تظرن منه - الآية ، فلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد إذ لولا لما بقي شيء من العالم ، فقول العامة حلم الله يفتت الكبود
 آفة أدب (قوله أى كفار مكة) أى قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم
 وأنها من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبي ينذرهم ليعكون - (٢٩٥) أهدي من إحدى الأمم

(قوله جهنم أيمنهم)
 الجهم - بالفتح بلوغ الغاية
 في الاجتهاد وأما بالضم فهو
 الطاقة وإنما كان الحلف
 بالله غاية إيمانهم لأنهم
 كانوا يحافون بآبائهم
 وأصنامهم فاذا أرادوا
 التأكيد والتشديد حلفوا
 بالله (قوله ليكونن) هذه
 حكاية لكلامهم بالمعنى
 وإلا فلفظه لنكونن الخ
 (قوله من إحدى الأمم)
 المراد من إحدى الأمم
 الدائر فالمعنى من كل الأمم
 فقول المفسر : أى أى
 واحدة منها الأوضح أن
 يقول أى كل واحدة منها

شيء من ذلك (بَلْ إِنْ) ما (يَعِدِ الظَّالِمُونَ) الكافرون (بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا)
 لئلا بقولهم الأصنام تشفع لهم (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) أى
 معهما من الزوال (وَلَئِنْ) لام قسم (زَالَتَا إِنْ) ما (أُمْسَكُهُمَا) يمسكهما (مِنْ أَحَدٍ مِنْ
 دِيْنِهِ) أى سواء (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) في تأخير عقاب الكفار (وَأَقْسَمُوا) أى كفار
 مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) رسول (لَيَكُونُنَّ
 مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) اليهود والنصارى وغيرهم ، أى أى واحدة منها لما رأوا من
 تذيب بعضهم بعضاً إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
 على شيء (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) محمد صلى الله عليه وسلم (مَا زَادَهُمْ) مجيئه (إِلَّا تَفُورًا)
 عداء عن الهدى (أُمْتَكِبَارًا فِي الْأَرْضِ) عن الإيمان مفعول له (وَمَكْرٌ) العمل
 (بِئْسَ) من الشرك وغيره (وَلَا يَحِيقُ) يحيط (الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وهو الماكر
 وصف المكر بالسبي أصل وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من
 إضافة إلى الصفة (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) سنة الله فيهم من
 يبيهم بتكديهم رسلهم (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) ،

قوله ما زادهم إلا نفورا) جواب لما وفيه إشعار بأن فيهم أصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسماعيل (قوله
 ولله) أى لأجل الاستكبار ويصح أن يكون بدلا من نفورا أوحالا من ضمير زادهم ، أى حال كونهم مستكبرين
 له ووصف المكر بالسبي* أى في قوله ولا يحيق المكر السبي* وقوله أصل : أى جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة
 سوف (قوله وإضافته إليه قبل) أى في قوله ومكر السبي* (قوله استعمال آخر) أى جاء على خلاف الأصل حيث أضيف
 الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) أى مضاف إليه وقوله حذرا من الإضافة إلى الصفة أى من إضافة المكر الذى
 الموصوف إلى السبي* الذى هو الصفة فيجعل المكر مضافا لمخذوف والسبي* صفة لذلك المخذوف وتلك الإضافة من إضافة
 للخاص لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل فإضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينتظرون إلا سنت الأولين) أى
 ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنة الله فيهم) أشار بذلك إلى أن قوله سنت الأولين مصدر مضاف لمفعوله ،
 أى إضافته لفاعله في قوله سنت الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كأنه قيل لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم لأنك
 العاقل لن تجد الخ .

(قوله أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل إلى غير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أو لم يسيرا) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أترگوا السفر ولم يسيرا وهو استشهاد على أن سنة الله لا تبدل لها ولا تحوّل والاستفهام إنكارى بمعنى النقي ونفى النقي إثبات . والمعنى بل ساروا في الأرض وساروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي على أي حالة كانت ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسالهم فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا أشد منهم قوماً أي أطول أعماراً والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه إلخ) تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة (قوله إنه كان عليهما قديرا) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة : أي بسبب كسب أو الذي كسبوه (قوله من المعاصي) بيان لما (قوله ما ترك على ظهرها من دابة) أي من جميع ما دب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلاً فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعاً فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وغير بالظهور تشبيهاً للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها ويعبر تارة بوجه الأرض من حيث إن ظاهرها كالوجه للحيوان وغير كالبطن وهو الباطن منها فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهرها فهو من قبيل إطلاق الضدين على شيء واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو (٢٩٦) التنفس أي ذى روح (قوله فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك إلى أن حوائج الشرط محذوف وقوله فان الله إلخ تعليل له .

أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه (أو لم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوماً) فأهلكهم الله بتكذيب رسالهم (وما كان الله ليعجزه من شيء) يسبقه ويفوته (في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً) أي بالأشياء كلها (قديراً) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها) أي الأرض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيراً) فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين .

(سورة يس)

مكية ، أو إلا قوله : وإذا قيل لهم أنفقوا الآية ، أو مدنية اثنتان وثمانون آية

(بسم) «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له في تلك الليلة» ومنها «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس» ومن قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات» ومنها «إن في القرآن أسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس» في التوراة العمة قيل يا رسول الله وما العمة ؟ قال نعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية يا رسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتضى له كل حاجة» ومنها «من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه يسى» ومن قرأها في صدر ليلته أعطى يسر ليلته حق يصبح» ومنها عن أبي جعفر «من وجد في قلبه قسوة فليكتب سورة يس في أي إناء بزعفران ثم يشربه» ومنها «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له» ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف الله عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات» ومنها عن يحيى بن أبي كثير «بلغني أن من قرأ سورة يس ليلة لم يزل في فرح يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها» ومنها «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس» من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنه قرأ القرآن عشر مرات وأما مسلم قرى عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يسألون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون ويشهدون دفنه وأما مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشرب وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

« يس » لما قرئت له « وكثرة اختصار الصالحين في استعمالها التكرار كآر بع أو سبع أو أحد أو بعين أو غير ذلك شدة الحجاب والغفلة
فبالسكران نصفوا مرآته وترق طبيعته وإن كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الأحاديث (قوله يس)
السبعة على تسكين النون بادغامها في الواو بعدها أو بإظهارها وقرىء شذوذا بضم النون وفتحها وكسرهما فالأول خبر مبتدأ
رف أي هذه ومنع من الصرف للمعية والتأنيث . والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفا كآين وكيف أو مفعول به لفعل
فقدرة اتل أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف . والثالث مبنى على الكسر على أصل النحوص من التقاء
كنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة حكم وطس ونقدم أن هذا القول أسلم ، وقيل
يا إنسان وأصله يا أنيسين فاقصر على شطره لكثرة النداء به ، وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل اسم
آن (قوله والقرآن الحكيم) كلام متأنف لاجل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله إنك لمن المرسلين (قوله الحكيم)
المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) أي بالمرسلين ويصح أن يكون خبرا ثانيا لأن كأنه قيل
لن المرسلين إنك على صراط مستقيم (قوله أي طريق الأنبياء قبلك) أي وقولهم إن شرع رسول الله صلى الله عليه
ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع ، وأما الأصول فلكل مستوون فيها ولا يتعلق بها نسخ . قال تعالى : شرع لكم
الدين ما وصى به نوحا الآية ، وقال تعالى : فيهدم اقتده (قوله وغيره) أي إن واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدأ مقدر)
أحد وجهين في الآية والآخر النص على أنه مفعول محذوف أي (٢٩٧) أمدح أو مفعول مطلق لنزل والقراءتان

سبعيتان (قوله لتفذر
قوما) أي العرب وغيرهم
(قوله في زمن الفترة)
هو بالنسبة للعرب ما بين
إسماعيل ومحمد عليهما
الصلاة والسلام وبالنسبة
لغيرهم ما بين عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام
(قوله فهم غافلون) مرتب
على نفى الانذار وقوله أي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَسَ) الله أعلم بمراده (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) الحكم
حبيب النظر وبديع المعاني (إِنَّكَ) يا محمد (لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى) متعلق بما قبله (صِرَاطِ
مُسْتَقِيمٍ) أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى ، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول
كفارله : استمر صلا (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ) في ملكه (الرَّحِيمِ) بخلقه خبر مبتدأ مقدر : أي القرآن
لِتُنْذِرَ) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَا أَنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) أي لم يندروا في زمن الفترة (فَهُمْ)
القوم (غَافِلُونَ) عن الإيمان والرشد (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) وجب (عَلَى أَكْثَرِهِمْ)
مذاب (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي الأكثر (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) ،

م تفسير للضمير ويصح أن يكون الضمير راجعا للفرقتين هم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) أي وهو قوله : لأملأن جهنم
الجنة والناس أجمعين (قوله على أكثرهم) أي أكثر المكلفين في كل زمن فالأقل متحتم إيمانه والأكثر متحتم كفره
لنا في سورة الأنعام أن الأقل واحد من ألف (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ما قبله وأشار بذلك إلى أن الإيمان
يكفر بتقدير الله فمن طبعه على أحدهما فلا يستطيع التحول عنه ، وإنما الأمر بالإيمان باعتبار التكليف الظاهري والنوع
اختياري ومن هنا قول بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا وتأسيه فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل إقبلك إذا زانت وساويه إبليس لما طنى من كان إبليسه

قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) قيل نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين ، وذلك أن أبا جهل حاف لئن رأى
لدا صلى الله عليه وسلم يمشي على رأسه بحجر فلما رآه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما أوما إليه رجعت يده إلى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما
د إلى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة أنا أروض رأسه فأتاه وهو يصلي على حاله ليرميه بالحجر
فسمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرههم حتى نادوه فقال الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ
الحجر وانطلق فرجع القهقري ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقبل له ما شأنك قال شأني عظيم رأيت
رجلا فلما دنوت منه فإذا غل يخطر بذنبيه ما رأيت قط فخلا أعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني
فأنزل الله تعالى تلك الآية وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل [٣٨ - صاوي - ثالث]

والأغلال وعمى أبصارهم وفيها أيضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم في امتناعهم من الهدى والایمان بحال من غلت يده في غلظ وعمى بصره بجامع أن كلا ممنوع من الوصول إلى المقصود فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم في الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بأن تضم إليها الأيدي) جعل المفسر هذا توطئة لارجاع الضمير للأيدي في قوله فهي إلى الأذقان كأنه قال الأيدي وإن لم يتقدم لها ذكر صراحة فهي مذكورة ضمنا في قوله الأغلال لأن الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره إشارة إلى أن قوله إلى الأذقان متعلق بحذف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك أن اليد ترفع تحت الذقن ويلبس الغل في العنق فتضم اليد إليه تحت الذقن فيثبت لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) أي استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه إشارة إلى سبب النزول وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضهها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأغشيناهم) هو بالغين المعجمة في قراءة العامة أي غطينا أبصارهم وقرىء شدودا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الإبصار ليلا . والمعنى أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى (قوله تمثيل) أي استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم في سد طرق الإيمان عليهم (٢٩٨) ومنعهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع أن

بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فهي) أي الأيدي مجموعة (إلى الأذقان) جمع ذقن وهي مجتمع اللحين (فهم مغمضون) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين وضهها في الموضعين (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم (وسواء عليهم ما نذرتهم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية الثانية وتسهيلا وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أم لم نذرتهم لا يؤمنون) إنهم (نذرتهم) ينفع إنذارك (من اتبع الذكرك) القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) خافه ولم ير (فبشره بمغفرة وأجر كريم) هو الجنة (إنا نحن نحيي الموتى) للبعث (ونكتب) في اللوح المحفوظ (ما قدّموا) في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وآثارهم) ما استن بهم (وكن عسى) نصبه بفعل يفسره (أخصيناه) ضبطناه (في إمام مبین) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (واضرب) اجعل (لهم مثلا) مفعول أول ،

كلا لا يهتدى لمقصوده (قوله وسواء عليهم ما نذرتهم الخ) هذا نتيجة ما قبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء . والمعنى إنذارك وعدمه سواء في عدم إيمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف الحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق الهمزتين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالقراءات خمس لأربع كما توهمه عبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والإبدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيات

(قوله ينفع إنذارك) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هي لقوم مخصوصين وهم من اتبع الذكرك وخشى الرحمن بالغيب ويخالف قوله سابقا لتذوق ما الخ فأجاب المفسر عن ذلك بالخط الحصر الإنذار النافع فلا ينافي وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالغيب) يصح أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول ونظيره (قوله فبشره بمغفرة الخ) تفرع على ما قبله إشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله إنا نحن نحيي الموتى) أي نبعثهم في الآخرة للجازاة على أعمالهم (قوله ونكتب ما قدّموا) إن قات إن الكتابة متقدمة قبل الأحياء إذ هي في الدنيا والأحياء يكونون في الآخرة . أوجب بأنه قدم الأحياء اعتناء بشأنه إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله في اللوح المحفوظ) المناسب أن يكتب في صحف الملائكة لأن الكتابة التي تكون في حياة العباد إنما هي في صحف الملائكة ، وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل رجوع الخاق (قوله ما استن بهم) أي من خير كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو كس زنبوه أو ضلّاله أحدثوها أو غير ذلك لما في الحديث من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء (قوله نصبه بفعل يفسره الخ) أي فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خط

صل الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلاً لعلهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الأوضح أن يجعله مفعولاً
 (قوله أنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم ذات سور
 من صخر، وهي بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلاً . وحاصل تلك القصة أن عيسى عليه السلام بعث رسولين من
 ريين إلى أهل أنطاكية اسم أحدهما صادق والثاني مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنماته وهو حبيب النجار
 يسفلهما عليه، فقال الشيخ لهما من أنتم؟ فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان
 عبادة الرحمن، فقال أمعكما آية قالا نعم نشق المريض ونبري الأكمه والأبرص باذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما ومعجزة
 لما لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته، قال الشيخ إن لي ابناً مريضاً منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى بهما ففسحا
 فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحاً ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك يعبد
 باسم اسمه أنطيوخا فدعا بهما وقال من أنتم؟ فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيهم جئنا قالا ندعوك من عبادة من لا يسمع
 بصراً إلى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر
 مركبا فتبعهما الناس فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما في السجن، فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه
 م رأس الخواريين شمعون الصفي طي أثرهما ليبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسابه
 وأخبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته، فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن
 بهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلنهما وصممت قولهما، فقال حال الغضب بيني وبين ذلك؟ قال فاني أرى أيها
 أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك، فقال شمعون (٢٩٩) من أرسلكما إلى ههنا قالا الله

الذي خلق كل شيء وليس
 له شريك، فقال شمعون
 فصفاه وأوجزا قالا إنه
 يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 فقال شمعون وما آيتكما
 قالا ما تمناه فأمر الملك
 حتى جاءوا بفلام مطموس

صاحب (مفعول ثان) (القرية) أنطاكية (إذ جاءها) إلى آخره بدل اشتغال من أصحاب
 (المرسلون) أي رسل عيسى (إذ أرسلنا إليهم أنذنين فكذبوهما) إلى آخره
 من إذ الأولى (فعرزنا) بالتخفيف والتشديد: قوتنا الاثنين (بإثبات فقالوا إنا إليكم
 سلون. قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن ما أنتم
 تكذبون. قالوا ربنا يعلم)،

بين وموضع صفيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذتا بندقتين من طين فوضعهما في حدقتيه
 رتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا كان لك الشرف وآلهتك
 له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل مع
 على الصنم ويصلي ويضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت
 به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا آخرته فلم أدفنه
 يرجع أبوه وكان غائباً وقد تغير فجعل يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه صرا فقام الميت؟ وقال إني ميت منذ
 ثمانية أيام وكنت مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله، ثم قال فتحت أبواب السماء
 رت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى
 ح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن
 ك وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب
 بنة فجاء يسمى إليهم ويدكرهم ويدعوعم إلى طاعة المرسلين (قوله إلى آخره) أي آخر القصة وهو قوله إلا كانوا به يستهزئون
 له المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أي رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل إنهم رسل من الله من غير واسطة
 سي أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من إذ الأولى) أي بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي
 يا قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا إنا إليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بأن لتقدم الإنكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما
 تكذيب للثالث لاتحاد مقاتلهم (قوله قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أي فلا مزية لكم علينا .

(قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويحجب كما يحجب به القسم (قوله لزيادة الإنكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى إبراء الأكمه) أى الأعمى (قوله قالوا إنا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل ،سمى بذلك لأنهم كانوا يتفاهلون بالطير إذا أرادوا سفرا أو غيره فان ذهب ميمنة قالوا خير وإن ذهب ميسرة قالوا شر (قوله لانتقاطع المطر عنا بسببكم) قيل حس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حنثوا فيه لأن الله أهلكتهم قبل أن يفعلوا بهم ما حاثوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طأركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وإدخال ألف) أى وتركها فالفراآت أربع سببيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه إذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهو مذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه والمعنى لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظمت بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أتم قوم مسرفون) إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الأمر كذلك بل أتم قوم عادتكم الإصراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشركم) أى بعد ظهور المعجزات ، وهذا الخطاب لمن بقى على الكفر منهم (٣٠٠)

جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار فى (إنا إليكم لم رسولون وما عايننا إلا البلاغ المبين) التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة . وهى إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت (قالوا إنا تطيرنا) تشاءمنا (بكم) لانتقاطع المطر عنا بسببكم (لئن) لام قسم (لم تذهبوا لئلا تجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم مننا عذاب أليم) مؤلم (قالوا طأركم) شؤمكم (ممكم) بكفركم (أئن) همزة استفهام دخلت فى إن الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الآخر (ذكرتم) وعظم وخوكم وجواب الشرط محذوف : أى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بل أنتم قوم مسرفون) متجاوزون الحد بشركم (وجاء أقصى المدينة رجلاً) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسول ومنزله بأقصى البلد (يسقى يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسل) (قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا) تأكيداً للأول (من لا يستدلكم أجراً) على رسالته (وهم مهتدون) فليل له أنت على دينه فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرني) خلقنى : أى لا مانع لى من عبادته ،

الذين رجوا حبیب النجار وأهلكهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى أنطاكية المعبر عنها أولاً بالقرية وعبر عنها بالمدينة إشارة إلى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) أى ابن إسرائيل كان يصنع لهم الأصنام وهو من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما وفى الحقيقة كل نبي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصدق

قوله تعالى - وإذ أخذ الله ميثاق النبيين - الآية وهذا من خصوصيات صلى الله عليه وسلم ، وأما غيره من الأنبياء فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسول) أى رسل عيسى ، وسبب إيمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض وقيل إنه كان مجذوماً وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف ، فلما دعاه الرسل إلى بادة الله قال لهم هل من قالوا له تدعونا ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال إن هذا محجوب قد عبت هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفرجها يستطيع ربكم تفرجها فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شئ . فدير ، فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن (قوله يشتد عدوكم) يسرع فى مشيته حرصاً على نصحه قومه والدفع عن الرسل (قوله تأكيد الأول) أى تأكيد لفظى فلفظ اتبعوا الثانى تأكيداً لاتباعهم فى مشيته حرصاً على نصحه قومه والدفع عن الرسل (قوله من لا يستدلكم أجراً) بدل من الرسلين ، والمعنى اتبعوا الصادقين الخاصين الذين لم ينسلكوا منكم الدرس الثانى إذ لو كانوا غير خاصين لطلبوا منكم المال ونازعواكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية تعريض لهم بالاتباع أى فهدتوا أنتم تبعوا لهم (قوله أنت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله ومالى لا أعبد الذى فطرني) عاطف فى إرشادهم وفيه نوع توبيخ على ترك عبادة خالقهم ، والأحسن أن فى الآية احتياكاً لحث محذوف الأول نظير ما أثبتته فى الآخر . والأصل ومالى لا أعبد الذى فطرني وفطركم وإليه ترجعون وأرجع

قوله الوجود مقتضيا) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى الممزين منه ماتقدم) أى من القرات الأربع ونقدم
 لها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها وإبدال الثانية ألفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفى) أى وهو
 كارى (قوله من دونه) يصح أن يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذوا على أنها متعدية لاثنيين وآلهة مفعول أول مؤخر
 يصح أن يكون حالا من آلهة أو متعلقا باتخذوا على أنها متعدية لواحد (قوله لاتفن عنى شفاعتهم) أى لانفعنى شفاعتهم
 و من الغناء بالفتح وهو النفع ، ومنه قول البوصيرى : * قلن ما فى البيت عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة
 إن يردن الرحمن - الخ فهى فى محل نصب ، والأوضح أن تكون مستأنفة سبقت لتعليل النفى المذكور لأن جعلها صفة
 هم أن هناك آلهة ليست كذلك (قوله إن عبدت غير الله) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال
 بين) أى لثبوت الأدلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى بون الوقاية حذفت بعدها ياء الإضافة
 ترى شذوذا بفتحها ولاوجه له فى العربية لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ماقلته لكم
 هو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجوه فمات) أى وهو يقول : اللهم اهد قومي ، وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره
 سور أنطاكية ، وقيل نشره بالمنشار حتى خرج من بين رجله (٣٠١) فوالله ماخرجت روحه إلا فى الجنة ،

وفى رواية أنهم قتالوا معه
 الرسل الثلاثة ووضعوه
 فى بئر وهى الرس (قوله
 وقيل له عند موته)
 هذا أحد أقوال ثلاثة
 اقتصر المفسر على اثنين
 منها والثالث أن هذا
 القول كناية عن البشرى
 بأنه يدخل الجنة (قوله
 وقيل دخلها حيا) أى
 حين هموا بقتله رفعه
 الله من بينهم وأدخله
 الجنة حيا إكراما له كما
 وقع لعيسى عليه السلام
 أنه رفع إلى السماء (قوله

لوجود مقتضيا وأنتم كذلك (وَالْيَهُ زُجَعُونَ) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (ءَاتَخَذَ)
 فى الممزين منه ماتقدم فى «أنذرتهم» وهو استفهام بمعنى النفى (مِنْ دُونِهِ) أى غيره
 (آلِهَةً) أصناما (إِنْ يُرِدْنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُفْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ) التى زعمتموها (شَيْئًا
 وَلَا يَنْقُذُونِ) صفة آلهة (إِنِّي إِذَا) أى إن عبدت غير الله (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين (إِنِّي
 آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) أى اسمعوا قولى فرجوه فمات (قِيلَ) له عند موته (أَدْخُلِ
 الْجَنَّةَ) وقيل دخلها حيا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي)
 بغيرانه (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرَمِينَ . وَمَا) نافية (أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ) أى حبيب (مِنْ
 بَعْدِهِ) بعد موته (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أى ملائكة لإهلاكهم (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ)
 ملائكة لإهلاك أحد (إِنْ) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل
 (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكتون ميتون (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا
 الرسل فأهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ

قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي) أى وهم الذين نصحبهم أولا فقد نصحبهم حيا وميتا (قوله بغيرانه) أشار بذلك إلى أن ماصدرية ويصح
 أن تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح أن تكون استفهامية أى بأى شىء غفر لى أى بأمر عظيم
 وهو توحيدى وصدعى بالحق (قوله وما أنزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير شأنهم ، والمعنى لم نحتاج فى إهلاكهم إلى
 إرسال جنود من الملائكة بل نهالكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله - وما كنا منزلين - أى لم يكن شأننا وعادتنا إرسال
 جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم بل إذا أردنا إهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة أو رجفة أو غير ذلك - إن قات إن
 الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . أجيء بأن إزالهم تكرمة للنبي وأصحابه
 لا لإهلاك العالم ، وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد ، وته) أى أو بعد رفعه
 حيا على القول الآخر (قوله لإهلاك أحد) أى من الأمم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون)
 أى فشيروا بالنار الخالدة لا انقطاع النفع فى كل (قوله يا حسرته على العباد) يحتمل أن يكون من كلام الله أو الملائكة
 أو المؤمنين ، والمراد بالعباد جميع الكفار قال للجنس ، وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقائل ذلك الكفار
 والتقدير يا حسرته علينا من مخالفة العباد والأوجه الأول الذى مشى عليه المفسر .

(قوله إلا كانوا به يستهزئون) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) أى فهو استئناف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما وجه التحسر عليهم فقبل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) أى بواسطة فإن الاستهزاء سبب لإهلاكهم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) أى دلالاته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لأهلكنا مقدم وقبلهم ظرف لأهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفي (قوله معمولة لما بعدها) أى وليست معمولة لبروا لأن كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ما قبلها فيها (قوله معلقة ما قبلها عن العمل) إن قلت إن كم الخبرية لاتفاق وإنما التعليق للاستفهامية . قال ابن مالك : وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذال له انحنى

أجيب بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية في التعليق (قوله والمعنى أنا أهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل مما قبله) أى بدل اشتمال لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كأن إهلاكهم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) أى وهو قوله أنا أهلكنا الخ ، والمعنى قد علموا إهلاكنا كثيرا من القرون السابقة الشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة فينبغي أن يعتبروا بهم (قوله نافية) أى ولما بالتشديد بمعنى إلا ، وقوله أو مخففة : أى مهمة ولما (٣٠٣) بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد أغنت عن الحصر استفاد

من قراءة التشديد فتحصل أن من شدد لما جعلها بمعنى إلا وإن نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالبصريون على أن إن مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى إلا وإن نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله أى مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من

إلا كانوا به يستهزئون) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة (ألم يروا) أى أهل مكة القائلون للنبي لست مرسلًا والاستفهام للتقرير أى علموا (كم) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل ، والمعنى أنا (أهلكنا قبلهم) كثيرا (من القرون) الأمم (أنهم) أى المهلكين (إليهم) أى المكين (لا يرجعون) أفلا يعتبرون بهم ؟ وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وإن) نافية أو مخففة (كل) أى كل الخلائق مبتدأ (لما) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جميع) خبر المبتدأ أى مجموعون (لدينا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (محضرون) لا حساب خبر ثان (وآية لهم) على البعث ، خبر مقدم (الأرض الميعة) بالتشديد والتخفيف (أحييناهما) بالماء مبتدأ (وأخرجنهما منها حبًا) كالحنطة (فلهن يأكولن . وجعلنا فيهما جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) أى بعضها (ليأكلوا من ثمره) بفتحين وبضمين أى ثمر المذكور من النخيل وغيره (وما عملته أيديهم) أى لم تعمل الثمر

ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بأن كل أشير بها لاستغراق الأفراد (أفلا) وجميع أشير بها لاجتماع الكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) أى علامة ظاهرة ودالة على الأحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله أحييناهما إشارة إلى أنه صفة للأرض والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد (قوله وجعلنا) عطف على أحييناهما (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنثه عند أهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلا خلاف إذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب وغيره (قوله وجفرا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرئ شذوذًا بالتخفيف (قوله أى بعضها) أشار بذلك إلى أن من تبعية و يصح أن تكون زائدة (قوله بفتحين و بضمين) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال إن الضمير عائد على شيتين لانه التثنية فأجاب بأنه أفرد باعتبار ما ذكر (قوله أى لم تعمل الثمر) أشار بذلك إلى أن ما نافية ، والمعنى أنه ليس لهم إيجاد شيء بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الأخرى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها و يصح أن تكون موصولة : أى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية : أى ومن عمل أيديهم وإثبات العمل الأبدى من حيث السكسب

قوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) الحمزة داخلة على محذوف ، والتقدير أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها : أى بحيث لا يحرفونها
مصارفها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحانه الذى خلق الأزواج) أى تنزهه فى ذاته وصفاته
فعاله عما لا يليق به (قوله الأصناف كلها) أى فكل زوج صنف لأنه مختلف فى الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر
ختلافها هو ازدواجها (قوله مما تئبت الأرض) بيان للأزواج وكذا ما بعده فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لا يخرج عنها شئ
من أصناف المخلوقات (قوله الغربية) أى كائى فى السموات والى تحت الأرضين وكل مالم يكن مشاهدا لنا عادة (قوله وآية لهم
يل نساخ منه النهار) ذكر الله تعالى فى هذه الآية ما يتضمن علم الميقات الذى تجب معرفته ، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير
ضى الله عنه مقدمة لطيفة فى هذا الشأن كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى . وحاصلها بحروفها فائدة : أسماء الشهور
قبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمها برموده بشنس بؤونه أيب مسرى ، أسماء البروج : ميزان عقرب قوس
بدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبله ، ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة
مد مسرى وتسمى أيام النسيء ، وفصول السنة أربعة : فصل الحريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف ، وأول
فصل الحريف انتقال الشمس إلى برج الميزان وذلك فى نصف توت ، وفى تلك الليلة يستوى الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل
نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة إلى نصف بابه تنتقل الشمس إلى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلث درجة إلى
نصف هاتور تنتقل الشمس إلى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة
عد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة فيصل الفجر على ثلث عشرة ساعة
تست درج ، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة وذلك فى آخر يوم من فصل الحريف منتصف كيهك ، ثم تنتقل
شمس إلى برج الجدى وهو أول فصل الشتاء فيأخذ الليل فى النقص والنهار (٣٠٣) فى الزيادة فيزيد النهار كل

يوم سدس درجة ثلاثين
يوما بخمس درج إلى
نصف طوبه فتنتقل
الشمس إلى برج الدلو
فيزيد النهار كل يوم ثلث

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ) أنعمه تعالى عليهم ؟ (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا)
مِمَّا تَنْتَبِتُ الْأَرْضُ) من الحبوب وغيرها (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) من الذكور والإناث
(وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) من المخلوقات المعجبية الغربية (وَأَيَّةٌ لَهُمْ) على القدرة العظيمة (الَّيْلُ)

درجة بعشرة إلى نصف أمشير فتنتقل إلى برج الحوت فتقسمها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس
عشرة درجة إلى نصف برمها فتنتقل الشمس إلى برج الحمل ويسمى العامة بالشمس الكبيرة وهو أول فصل الربيع وفيه
الاعتدال الربيعي يستوى الليل فى تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما فى برج الحوت الذى قبله إلى منتصف برموده
فتنتقل الشمس إلى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار
كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤونه فتنتقل إلى برج السرطان وهو أول فصل الصيف وبه ينتهى طول النهار فيكون
النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهى قصر الليل ، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة
وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة
ثم ينقص النهار ويأخذ الليل فى الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أيب ، فتنتقل الشمس إلى برج
الأسد فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى ، فتنتقل إلى السنبله فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول
السنة ، فقد علمت أن الدرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وأن الاعتدال يكون
فى السنة مرتين مرة فى نصف توت الذى هو أول السنة القبطية وهو أول فصل الحريف والمرة الثانية فى نصف برمها أول
فصل الربيع ، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالأسداس ثم ثلاثين بالآثلاث ثم ثلاثين
بالأنصاف لأول فصل الربيع فيحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالأنصاف أيضا إلى نصف برموده ودخول الشمس فى الثور ، فمدة زيادة
الأنصاف ستون من نصف أمشير ودخول الشمس فى الحوت إلى نصف برموده ثم ثلاثين بالآثلاث إلى نصف بشنس ودخول
الشمس فى الجوزاء ، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤونه ودخول الشمس فى السرطان فيأخذ الليل فى الزيادة بالأسداس
ثلاثين ليلة إلى نصف أبهب ودخولها فى الأسد ثم ثلاثين بالآثلاث إلى نصف مسرى ثم بالأنصاف إلى نصف توت ثم بالأنصاف

أيضا إلى صف بابه ، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور ، ثم بالأسداس إلى نصف كيهك ، ثم يعدو النهار على الليل فسيبحر الله المقدر
للأمور القادر على كل شيء العليم الحكيم اه (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كأن تقدم نظيره (قوله نساخ الخ) بيان
لكيفية كونه آية (قوله فصل منه النهار) أي نزله عنه لكونه كالسائر له فإذا زال السائر ظهر الأصل فالليل أصل متقدم في
الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله - فاذا هم مظهرون - وهذا لا ينافي ما يأتي في قوله - ولا الليل سابق النهار - لأن معناه
لا يأتي الليل قبل وقته المقدر له بأن يأتي في وقت الظهر مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل أن معنى الساخ الفصل والإزالة وليس المراد
به الكشف والإزالة فاذا هم مبصرون لأنه يصير المعنى وآية لهم الليل تكشف ونظهر منه النهار (قوله داخلون في الظلام) أي فيقول
أظلم التوهم إذا دخلوا في الظلام وأصبحوا إذا دخلوا في الصباح (قوله من جملة الآية) أي فهو عطف مفردات على قوله : الأرض
وقوله أو آية أخرى : أي فيكون عطف جمل (قوله لمستقر لها) أي مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل
ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها في أن تطلع من مظلمها ، فاذا كان آخر الزمان
لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من المغرب ، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة
ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس «أندري أين ذهبت الشمس ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال فأنها
تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وبوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي
من حيث جئت فتطلع من (٣٠٤) مغربها ، فذلك قوله تعالى - والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

نسخ (فصل) منه النهار فاذا هم مظهرون داخلون في الظلام (والشمس تجري)
إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لمستقر لها) أي إليه لا تتجاوز
(ذلك) أي جريها (تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه (والقمر) بالرفع والنصب
وهو منصوب بفعل يفعله ما بعده (قدرناه) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين
منزلا في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستقر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما ، وليلة إن
كان تسعة وعشرين يوما (حتى عاد) في آخر منازلها في رأي العين (كالمرجون القديم)
أي كعود الشماريح إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصغر (لا الشمس ينبغي) يسهل ويصح
(لها أن تدرك القمر) فتجتمع معه في الليل ،

العليم وقيل إن الشمس
في الليل تسير وتشرق على
عالم آخر من أهل الأرض
وإن كمالا يعرفه ، وهذا
قول الحكماء ويؤيده
ما قاله الفقهاء إن الأوقات
الخمس تختلف باختلاف
الجهات والنواحي فقد
يكون المغرب عندنا عصرًا
عند آخرين وقد يكون
الليل عندهم ساعة فقط ،

واختلاف في العشاء حينئذ ، فقالت الحنفية بسقوطها ، وقالت الشافعية
ووافقهم المالكية يقدر لهم بأقرب البلاد إليهم ويصاونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى أداء ولا حرمة عليهم في ذلك
وعلى ما قاله الحكماء ، فاختلاف في مستقر الشمس ، فقل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة ، وقيل مستقرها هو سيرها في منازلها
حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لا تتجاوز ثم ترجع إلى أول منازلها ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء (قوله والقمر) اختلاف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر ، فقال الرملي من أئمة
الشافعية : إن لكل شهر قمر جديد ، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث أنه متحد (قوله بالرفع) أي على
أنه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب يفسره ما بعده) أي فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك إلى أن قوله
منازل ظرف لقوله قدرناه ، والتقدير قدرنا سيره في منازل ويصح جملة حالا على حذف مضاف والتقدير ذات منازل (قوله أي
كمود الشماريح) جمع شمراخ وهو عيدان العنقود الذي عليه الرطب (قوله إذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فأنه يرق
ويتقوس ويصغر) أي فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي بحيث تأتي
في وسط الليل لأن ذلك يخل بتأوين النبات ونفع الحيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لأن
سير القمر أسرع لأنه يقطع ذلك في شهر والشمس لا تقطع فلسها إلا في سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك
الشمس في سيرها ولكن لاسلطنة له .

له ولا الليل سابق النهار) أى لا يأتى الليل فى أثناء النهار قبل أن ينقضى كأن يأتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلكه
بحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة الغزل (قوله والنجوم) أى المدلول عاينها بذكر الشمس والقمر (قوله
امتزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع المذكور ، والذي سوغ ذلك وصفهم بالسباحة التى هى من أوصاف العقلاء
له وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أى حملنا ذريتهم فى ذلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله
قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى آباءهم الأصول) أشار بذلك إلى أن انظر الدرية كما يطلق على الفروع يطلق على
ول لأنه من الدر وهو الخلق فاندفع ما يقال إن الذى حمل فى سفينة نوح أصول أهل مكة لأفروعهم وهذا أوضح ما قررت
هذه الآية (قوله المملوء) أى لأن نوحا جعله ثلاث طبقات : السفلى وضع فيها السباع والهوام ، والوسطى وضع فيها
واب والأنعام ، والعليا وضع فيها آدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله ،
على جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق ، وعلمناهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا
(قوله من مثله) من إما زائدة أو تبعية ، وعلى كل فمدخولها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ماعملوه)
أحد أقوال ثلاثة فى تفسير المثل ، والثانى أنه خصوص الابل ، والثالث (٣٠٥) أنه مطلق الدواب التى تركب

(قوله بتعليم الله) دفع
بهذا ما يقال عادة الله
تعالى إضافة صفة العبيد
لأنفسهم وإن كان هو
الخالق لها حقيقة فلم أضافه
لنفسه. فأجاب بأن التعليم
والمداينة لما كانتا منه
ضاف الخالق له لأن سفينة
نوح التى هى أصل السفن
كانت بتعليم الله
والهامه له (قوله مع إيجاد
السفن) أى ومع ركبهم
لها (قوله فلا صريح لهم)
الصريح بمعنى الصارخ
يطلق على المستغيث وعلى

لا الأيل سابق النهار) فلا يأتى قبل انقضائه (وكل) تنوينه عوض عن المضاف إليه من
شمس والقمر والنجوم (فى فلك) مستدير (يسبحون) يسرون، نزلوا منزلة العقلاء (وآية لهم)
قدرتنا (أنا حملنا ذريتهم) وفى قراءة ذريتهم: أى آباءهم الأصول (فى الفلك) أى سفينة
ح (المشحون) المملوء (وخلقنا لهم من مثله) أى مثل فلك نوح وهو ماعملوه على شكله من
سفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (ما يركبون) فيه (وإن نشأ نغرقهم) مع إيجاد السفن
فلا صريح) مغيث (لهم ولا هم ينجون) (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين)
لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا
آيات ربكم) من عذاب الدنيا كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم
تتحزون) أعرضوا (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) وإذا قيل
لهم اتقوا (لهم أنفقوا) علينا (مما رزقكم الله) من الأموال (قال الذين كفروا
الذين آمنوا) استهزاء بهم (أنطعمهم من لؤى شاء الله أنطعمه) فى معتقكم هذا (إن) ما (أنتم)

يثق فهو من تسمية لأضداد والمراد الثانى (قوله إلا رحمة منا) إلا أداة استثناء ورحمة مفعول لأجله وهو استثناء مفرغ
من عموم الأحوال ، والمعنى لا ننجيهم لشيء من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتعهم الأمد الذى سبق فى علمنا (قوله كغيركم)
الذين آمنوا (قوله من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أن لفظ الخاف كما يطلق على ماضى يطلق على ما يأتى فهو من
سعية الأضداد وسعى ما يأتى خلفا لغيته عنا (قوله أعرضوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما
تنبهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعية (قوله إلا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله وإذا
لهم أنفقوا الخ) أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق ، وهذه الآية زلت حكاية عن بعض
جبابرة مكة كالعاص بن وائل السهمى وغيره كان إذا سأله المسكين قال له : اذهب إلى ربك فهو أولى منى بك قد منعك الله
فأطعمك أنا ؟ وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون : لا نعطى من حرمه الله ، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون
اد الأغنياء للآخرة ، ولولا الفقراء ما انتفع الغنى بغناه (قوله قال الذين كفروا) أى بالصانع : أى ينكرون وجوده ، وهم
رقة من جبابرة مكة (قوله من لؤى شاء الله أنطعمه) مفعول أنطعم وقوله أطعمه جواب لو (قوله فى معتقكم) أى أيها
الفقراء المؤمنون لا فى معتقد الكفار الأغنياء فانهم ينكرون الصانع كما علمت .

(قوله في قولكم لنا ذلك) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار المؤمنين ويؤيده ما روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يظم مساكين الساميين ، فلقبه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أترغم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ؟ قال نعم ، قال فما باله لا يطعمهم ؟ قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى ، وأمر الفقراء بالصوم والأغنياء بالاعطاء فقال أبو جهل والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال أترغم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت . وقيل إنه من كلام المؤمنين للكفار . وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) أي وهو التبكيت والتقبيح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى (قوله أي ما ينتظرون) هذا مجازاة لأول كلامهم لأن شأن من يسأل عن الشيء أن يكون معترفا بوجوده وإلا فهم جازمون بعدمها (قوله الأولى) أي وهي التي يموت عندها من كان موجودا على وجه الأرض (قوله نقات حركة التاء إلى الخاء) أي بتماءها أو بعضها فهما قراءتان (قوله وأدغمت) أي بعد قلبها صادًا وحذفت همزة الوصل (١) للاستغناء عنها بتحريك الخاء بقوله وفي قراءة الخ تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث وبقى رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالنقت ساكنة مع الخاء فحركات الخاء بالكسر على أصل التلخيص من التقاء الساكنين وكل تلك القراءات سبعة (قوله أي وهم في غفلة عنها) أشار بهذا (٣٠٦) إلى أن المراد من الاختصاص لازمه وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصاص وغيره

في قولكم لنا ذلك مع معتقكم هذا (إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يَبَيِّنُ ، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالبعث (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (مَا يَنْظُرُونَ) أي ما ينتظرون (إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً) هي نفخة إسرائيل الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك . وفي قراءة يختصمون كيضربون أي يختصم بعضهم بعضاً (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أي أن يوصوا (وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) من أسواقهم ، وأشغالهم بل يموتون فيها (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فَإِذَا هُمْ) أي المقبورون (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (إِلَى رَبِّهِمْ يَنْدَسِلُونَ) يخرجون بسرعة (قَالُوا) أي الكفار منهم (يَا) للتنبيه (وَبَلَدْنَا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) ،

وفي الحديث «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يقبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بين لقاحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يابسط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري (قوله أي يختصم بعضهم بعضاً) بيان لحاصل المعنى

والفعل محذوف على القراءة الأخيرة (قوله أن يوصوا) أي على أولادهم وأموالهم (قوله ولا إلى أهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح ، وقيل أربعون يوماً ، وقيل غير ذلك (قوله أي المقبورون) أي من شأنه أن يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من أكلته السباع ونحوه (قوله من الأجداث) جمع جدت كفرس وأفراس وقرى شذوذاً الأجداث بالفاء وهي لغة في الأجداث (قوله يخرجون بسرعة) أي يسرعون في مشيهم قهراً لا اختياراً (قوله أي الكفار) أي لا كل الخلائق إذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك ما يقال إن النداء مختص بالعقلاء ، فكيف ينادى الويل وهو لا يعقل فأجاب بأن يا للتنبيه ، والمعنى نذروا فإن الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة بإضافته إلى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تأنيث وقرى شذوذاً بويلتنا بتاء التأنيث ويأوي يأتى بإبدال الياء ألفاً وعلى قراءة الأفراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لافعل له من لفظه) أي بل من معناه وهو هلاك (قوله من بعثنا) قرأ العامة بفتح ميم من على أنها استفهامية مبتدأ ووجه بعثنا خبره وقرى شذوذاً بكسر الهم على أنها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعاقب بويلنا وقوله من مرقدنا متعاقب بالبعث والرقد يصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان أي من رقادنا أو من مكان رقادنا

(١) (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا إنما هو في الماضي الذي هو اختصم راجع حاشية العلامة الجمل .

لأنهم كانوا بين النفتين نائمين) أى حين يرفع الله عنهم العذاب فيرقدون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النوم فإذا
نوا وعابثوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ما وعد الرحمن الخ) مفعول وعد وصدق محذوف ، والتقدير ما وعدنا به
رحمن وصدقوا فيه المرسلون (قوله أقرؤا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة من كلام الكفار فهي في محل نصب مقول
بول كأنهم لما سألوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وإنما
دلوا عن جواب سؤالهم لأن الباعث لهم معلوم وإنما لهم السؤال عن البعث (قوله إن كانت) أى النفخة الثانية (قوله إلا
بعدة واحدة) أى وهى قول لإسرافيل أيها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن
تجتمعن لفضل القضاء (قوله فإذا هم جميع لدينا محضرون) أى مجموعون في موقف الحساب (قوله فاليوم لا نظلم نفس شيئا)
دا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله إن أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه إذا ذكر أحوال
ل النار أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله في شغل) أبهمه ونكره إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه ، والمراد به ما هم فيه
من أنواع اللذات التي تلهيهم عما عداها بالكافة كالتفكير بالأكل والشرب والسمع وضرب الأوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام
تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون الغين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (٣٠٧) (قوله كافتضاض الأبقار)

أى لما روى «أن أهل
الجنة كلما أرادوا القرب
من نسائهم وجدوهن
أبقارا فيفتضونهن من
غير قدر ولا ألم» (قوله
فأكهون) من الفكاهة
بفتح الفاء وهى التمتع
واللذذ (قوله هم وأزواجهم)
هذا بيان لكيفية شغائهم
وتفككهم (قوله جمع ظلة)
أى كقباب جمع قبة وزنا
ومعنى (قوله أو ظل) أى
كشعاب جمع شعب (قوله
أى لا تصيبهم الشمس)

لأنهم كانوا بين النفتين نائمين لم يعذبوا (هذا) أى البعث (ما) أى الذى (وعد)
(الرحمن وصدق) فيه (المرسلون) أقرؤا حين لا ينفعهم الإقرار ، وقيل يقال لهم ذلك
إن) ما (كانت إلا صبيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا) عندنا (محضرون) فاليوم
لا نظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا) جزاء (ما كنتم تعملون) إن أصحاب الجنة
يَوْمَ في شغل) بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبقار
لا شغل يتعبون فيه لأن الجنة لا نصب فيها (فأكهون) ناعمون خبر ثان لأن الأول في شغل
هم) مبتدأ (وأزواجهم في ظلال) جمع ظلة أو ظل خبر أى لا تصيبهم الشمس (على
الأرائك) جمع أريكة ، وهو السرير في الحجرة ، أو الفرش فيها (متكئون) خبر ثان متعلق على
(لهم فيها فاكهة ولهم) فيها (ما يدعون) يتمنون (سلام) مبتدأ (قولا) أى بالقول
خبره (من رب رحيم) بهم ، أى يقول لهم سلام عليكم ،

أى لعدم وجودها (قوله في الحجرة) بفتح الحاء أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما وهى قبة تعاق على السرير وتزين
العروس (قوله أو الفرش فيها) أى في الحجرة فالأريكة فيها قولان : قيل هى السرير الكائن في الحجرة أو الفرش الكائن
بها (قوله متعلق على) أى قوله على الأرائك (تتصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه وفي ظلال خبر أول ومتكئون
خبر ثان وعلى الأرائك متعلق بمتكئون قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه
لامقطوع ولا ممنوع قال تعالى - وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة - (قوله ولهم ما يدعون) أصله يدعون بوزن
بفتح الميم استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فالتقى سا كنان حذفت الياء لالتقاءهما ثم أبدلت التاء دالا وأدغمت
في الدال ، والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يمتنون ويستشهونه حالا من غير بطاء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الأعراب
وقيل إنه بدل من قوله ما يدعون أو صفة لما أر خبر لمبتدأ محذوف (قوله أى بالقول) أشار بذلك أن قولا منصوب بنزع
الخافض ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر (قوله أى يقول لهم سلام
عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معموله محذوف ، والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرهم السلام لما في الحديث
«بينما أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور فزعموا ربه وصهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل
الجنة ، فذلك قوله تعالى - سلام قولا من رب رحيم - فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون

إليه حق محتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (قوله ويقول امتازوا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولها
 المحذوف أيضا (قوله عند اختلاطهم بهم) أي حين يسار بهم إلى الجنة لما ورد في الحديث مامعناه : إذا كان يوم القيامة ينادى
 مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن عرش
 ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في نقرة إبهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست
 ربنا ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك است ربنا ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فربنا
 المنافقون أن يسجدوا فيصير ظهريهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال : وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم أعهد
 إليكم) الاستفهام للتوبيخ والتذريع ، والمراد بالعهد ما كفهم الله به على السنة رساله من الأوامر والنواهي (قوله آمركم)
 أي وأنها كم ففيه اكتفاء (قوله أن لاتعبدوا الشيطان) أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل
 مجزوم بها (قوله إنه لكم عدو) (٣٠٨) مبين (قوله ولقد أضل منكم) تأكيد للتعليل

(و) يقول (أَمْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم
 (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) آمركم (يَا بَنِي آدَمَ) على لسان رسل (أ) ن (لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)
 لانطيموه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (وَأَنْ أَعْبُدُونِي) وحدوني وأطيعوني
 (هَذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبُلًا (خلقا جمع جبيل كقديم
 وفي قراءة بضم الباء) كثيرا أفلم تكونوا تعقون (عداوته وإضلاله أو ما حل بهم من العذاب
 فتؤمنون ، ويقال لهم في الآخرة (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها (أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ
 بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ (أي الكفار لقولهم : والله ربنا ما كنا
 مشركين) وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وغيرها (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فكل
 عضو ينطق بما صدر منه (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) لأعميناها طمسا (فَأَسْتَبَقُوا)
 ابتدروا (الصِّرَاطَ) الطريق ذاهبين كما دتهم (فَأَنَّى) فكيف (يُبْصِرُونَ) حينئذ ، أي
 لا يبصرون (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) قردة وخنازير أو حجارة (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) وفي قراءة
 مكاناتهم ، جمع مكانة بمعنى مكان ، أي في منازلهم (فَأَسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ)
 أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء (وَمَنْ نَعْمَرُهُ) بإطالة أجله (نَفْكَسُهُ) ،

(قوله جبلا) بضم الجيم
 وسكون الباء وتخفيف
 اللام (قوله وفي قراءة
 بضم الباء) أي مع ضم
 الجيم وبقي قراءة ثالثة
 سبعة أيضا وهي بكسر
 الجيم والباء وتشديد
 اللام كسجل (قوله هذه
 جهنم) هذا خطاب لهم
 وهم على شفيرة جهنم ،
 والقصود منه زيادة
 التبكيت والتقريع (قوله
 اصلوها) أي ذوقوا
 حرارتها (قوله بما كنتم
 تكفرون) أي بسبب
 كفركم (قوله اليوم
 نختم على أفواههم) أي
 ختمنا بمنعها عن الكلام

التام فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى : يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وهذا مرتبط بقوله : اصلوها اليوم . وفي
 روى أنهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم
 فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون لا نجيز علينا شاهدا إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم ويقال لأركانهم انطقوا
 فتنطق بما صدر منهم ، وحكمة إسناد الختم لنفسه والشهادة للأيدي والأرجل دفع توهم أن نطقها جبر والحجور غير مقبول
 الشهادة فأفادك أن نطقها اختياري (قوله ولونشاء لطمسنا على أعينهم الخ) مفعول الشيئة محذوف أي لونشاء طمسوا لفظه
 وقوله : فاستبقوا الصراط أي أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله
 فأنى يبصرون استفهام إنكارى مراتب على ما قبله أي فلا يبصرونه (قوله ولونشاء لمسحناهم الخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها
 والمسح تغيير الصور وعلى بمعنى في ، والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتوضيح الكفار وإعلامهم :
 الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى ، فإنا إن بمعنى قوله تعالى :
 أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية (قوله ومن نعمه) أي من يكون في سابق علمنا طه يل العمر

(قوله وفي قراءة بالتشديد) أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناها واحد ، والمعنى نقله فلا يزال يتزايد ضعفه وتضعف قواه عكس ما كان عليه أول الأمر (قوله أي خلقه) أي خالق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهما مقابل وشباهه فهو لقب وضر مرتب ، وهذا في غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما هم فلا يعتبرهم الضعف في العقل والبدن وإن طال عمرهم جدا ، واستعاذته صلى الله عليه وسلم من الرد لأرذل العمر تعليم لأمته ، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف ، والتقدير أتركوا التفكير فلا يعقلون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله وما علمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من التهم فيما أوحاه الله إليه إذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر) أي وحيد فيصير المعنى ليس القرآن بشعر لأن الشعر كلام مزخرف وزون مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن العزيز الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبئله) أي لا يصح ولا يليق منه لأن الشعر شأنه الأكاذيب وهي عليه مستحيلة ، ولذا قيل : أعذبه أكذبه ، فتحصل أن النبي لا ينبئ له الشعر ولا يليق منه . إن قلت إنه تمثل بقول طرفة : سبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٣٠٩) وأنشأ من نفسه قوله :

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطالب
وقوله :

هل أنت إلا أصبع دمية
وفي سبيل الله مالقيت
قلت أحسن ما أجيب به
أن إنشاده بيت طرفة
وإنشاء البيتين المتقدمين
لم يكن عن قصد وإنما
وافق وزن الشعر كما في
بعض الآيات القرآنية
ليس كل من قال قولا
موزونا لا يقصد به الشعر
شاعرا وإنما وافق وزن
الشعر (قوله لينذر)

وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (في الخلق) أي خلقه فيكون بعد قوته وشباهه ضعيفا وهما
(أَفَلَا يَعْتَلُونَ) أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفي قراءة بالتاء
(وَمَا عَلَّمَاهُ) أي النبي (الشعر) رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (وَمَا يَنْبَغِي)
يسهل (له) الشعر (إن هو) ليس الذي أتى به (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) مظهر
للأحكام وغيرها (لِيُنْذِرَ) بالياء والتاء به (مَنْ كَانَ حَيًّا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون
(وَنَحِيقَ الْقَوْلِ) بالعذاب (عَلَى الْكَافِرِينَ) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أَوَلَمْ
يَرَوْا) يعلوها والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ) في جملة الناس
(مِمَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا) أي علمناه بلا شريك ولا معين (أَنْعَامًا) هي الإبل والبقر والغنم
(فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) ضابطون (وَذَلَّلْنَاهَا) سخرناها (لَهُمْ فِيهَا رِجَالٌ مُّكُوفُونَ) مركوبهم
(وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كأصوافها وأوبارها وأشعارها (وَمَشَارِبٌ) من لبنها
جمع مشرب بمعنى شرب ، أو موضعه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) النعم عليهم بها فيؤمنون ،

متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم يؤمنون) أي وخصوا بالذكر
لأنهم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من القابلة في قوله : من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل
المخاطب على الإقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية
وهما أن الهمزة إما مقدمة من تأخير لأن لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم - ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون -
أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله أنا خلقنا لهم) اللام للحكمة أي حكمة خلقنا
ذلك انتفاعهم (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم ولغيرهم (قوله مما عملت
أيدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى ، وهذا كقول الإنسان كتبته بيدي مثلا بمعنى أنني انفردت به ولم
يشاركني فيه غيره فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأن منافعتها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) أي
قاهرون مذللون ، والأحسن أن يفسر قوله : مالكون بالملك الشرعي أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية
يكون قوله : وذلك ما لهم تأسيسا لنعمة أخرى لانتميا لما قبله (قوله كأصوافها) أي وجلودها ونسائها وغير ذلك (قوله
أو موضعه) أي وهو الضروع

(قوله أي ما فعلوا ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وأن قوله واتخذوا الخ عطف على محذوف (قوله يعبدونها) تفصيلاً
 للاتخاذ (قوله لعلمهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصر منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أي لمشاكلة عباد
 فعبر عنهم بصيغته جمع المذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدأ وجند خبر أول ولهم متعلق بجند ومحضرون خبر ثان (قوله
 أي آلهتهم من الأصنام) هذا أحد وجهين والآخر أنه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهم
 لا يستطيعون أن تنصرهم (قوله محضرون في النار) أي ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم
 والمعنى لا تحزن من قولهم بل اتركه ولا تلتفت له (قوله إنا نعلم الخ) تعليل للأنهى قبله (قوله فنجازيهم عليه) أي على ما صدق
 منهم سرا وعلانية خبراً أو شراً (قوله أولم ير الإنسان) في الحمزة التقريران السابقان وهما كونها مقدمة من تأخير أو عاطفة
 محذوف والتقدير أعشى ولم ير (قوله وهو العاصي بن وائل) وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي ولكن العبرة بعموم اللفظ
 لا بخصوص السبب (قوله أنا) (٣١٠) خلقناه من نطفة) أي قدرة خسيصة والمقصود التعجب من جهله حيث تصدق

أي ما فعلوا ذلك (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (آلِهَةً) أصناماً يعبدونها (لَعَلَّهُمْ
 يُنْصَرُونَ) ينعون من عذاب الله تعالى بشفاعَةِ آلهتهم بزعمهم (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أي آلهتهم
 نزلوا منزلة العقلاء (نَصَرَهُمْ وَهُمْ) أي آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُذُودٌ) بزعمهم نصرهم (مُحْضَرُونَ)
 في النار معهم (فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ) لك لست مرسلًا وغير ذلك (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ) يعلم وهو العاصي
 ابن وائل (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) منى إلى أن صيرناه شديداً قوياً (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ)
 شديد الخصومة لنا (مُبِينٌ) بينها في نفي البعث (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) في ذلك (وَنَسِيَ)
 خَلْقَهُ) من المنى رهو أغرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أي بالية ولم يقل
 بالتاء لأنه اسم لصفة، وروى أنه أخذ عظماً رمياً ففقتته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أترى
 يحيي الله هذا بعد ما بلى ورم؟ فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار (قُلْ يُحْيِيهِمُ)
 الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) مجعلاً ومفصلاً قبل خلقه وبعد خلقه
 (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) في جملة الناس (مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) المَرْخ والعَفَار أو كل شجر
 إِلَّا الْعِنَابَ (نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فإنه
 جمع فيه بين الماء والنار،

لخصمة العزيز الجبار ولم
 يتفكر في بدء خلقه وأنه
 من نطفة (قوله فإذا هو
 خصيم مبين) عطف على
 جملة النفي (قوله في نفي
 البعث) متعلق بخصيم
 (قوله وضرب لنا مثلاً)
 أي أورد كلاماً عجيباً
 في الفرابية كالمثل حيث
 قاس قدرتنا على قدرة
 الخلق (قوله ونسى خلقه)
 أي ذهل عنه وهذا
 عطف على ضرب داخل
 في حيز الإنكار وإضافة
 خاق للضمير من إضافة
 المصدر لمفعوله: أي خاق
 الله إياه (قوله قال من
 يحيي العظام الخ) بيان

الضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) أشار بذلك إلى سؤال حاصله أن فعلاً بمعنى فاعل يفرق فيه
 بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة أن يقال رميمة فأجاب المفسر بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسمية فإذا صار
 بالغة لما بلى من العظام فلا تاحقه التاء في مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا أنه مقطوع
 بكفره وخاوده في النار وزيادة ذلك في الجواب لأنه متعنت لامتفهم وجزاء المنعت المنكر أن يحجب بما يكره وبضد ما يترقب
 ويسمى عنه علماء البلاغة الأسلوب الحكيم (قوله الذي أنشأها) أي أوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) أي بكيفية
 خاقها وبأجزاء الأشخاص تفصيلاً (قوله الذي جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن
 ليس مخصوصاً بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المَرْخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالحاء المعجمة شجر سريع القدح وقوله العَفَار
 بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فأف فراء وكيفية إيقاد النار منهما أن يجعل العفار كالزند يضرب به على المَرْخ، وقيل
 يؤخذ منهما غصنان خضراوان ويسحق المَرْخ على العفار فتخرج منهما النار بأذن الله تعالى (قوله أو كل شجر) أي وقد شوهد
 بعضه كالبرسيم إذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فإنه يحرق نفسه وما حوله (قوله إلا العناب) أي ولذلك تؤخذ منه مطارق القصر

قوله والحشب (بفتحين أو ضمين أو ضم فسكون) قوله أوليس الذي) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه
 يره أوليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذي خلق السموات والأرض
 در (قوله أي الأناسي) تفسير للضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفي وهو صادر منه تعالى إشارة إلى تعيينه قالوه أولا
 قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله أن يقول له كن) في الكلام
 تعارة تمثيلية وتقريرها أن يقال شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريد به أمر المطاع للطبيع في حصول الأمور به من
 امتناع ولا توقف وحينئذ فمضى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله فسبحان الذي الخ) أي تنزيهه
 لا يليق به (قوله وإليه ترجعون) قرأ العامة بينائه للمفعول ، وقرئ شدوذا بينائه للفاعل .

[تمة] تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن ووجه ذلك أنها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمن بذلك
 لقي بالقلب لذلك سميت قلبا ومن هنا أمر بقراءتها عند المحتضر وعلى (٣١١) الميت ليكون القلب قد أقبل

على الله تعالى ورجع
 عما سواه فيقرأ عنده
 ما يزداد به قوة ويقينا .
 [سورة والصفات مكية]
 أي بالاجماع وسميت باسم
 ول كلمة منها من باب تسمية
 الشيء باسم بعضه على حكم
 عادته سبحانه وتعالى في كتابه
 (قوله والصفات الخ) الواو
 حرف قسم وجرو الصفات
 مقسم به مجرور وما بعده
 عطف عليه وقوله - إن
 إلهكم لواحد - جواب
 القسم وهو المقسم عليه
 والمعنى وحق الصفات وحق
 الزاجرات وحق التاليات
 وإعنا خص ما ذكر اعظم
 قدرها عنده ولا يعكر

الخشب فلا الماء يطفى النار ولا النار تحرق الخشب (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 الْأَرْضَ) مع عظمهما (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ) أي الأناسي في الصفر ؟ (بَلَى)
 هو القادر على ذلك أجاب نفسه (وَهُوَ الْخَلَّاقُ) الكثير الخلق (الْعَلِيمُ) بكل شيء
 إِنَّمَا أَمْرُهُ) شأنه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) أي خلق شيء (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)
 فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك
 يدت الواو والتاء المبالغة : أي القدرة على (كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون في الآخرة .

(سورة والصفات)

مكية، مائة واثنان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالصَّافَّاتِ صَفًا) الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو
 جنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) الملائكة تزجر السحاب أي
 وقفه (فَالتَّالِيَاتِ) أي قرأ القرآن يتلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات ،

ليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله لأن النهي للمخلوق حذرا من تعظيم غير الله وأما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته
 تعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم . وغير ذلك (قوله الملائكة تصف نفوسها الخ) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف . إن قلت
 التاء في الصفات وما بعدها للتأنيث والملائكة منزهون عن الانصاف بالتأنيث كالكورة . أجيب بأنها للتأنيث اللفظي والمنزهون
 التاليات المعنوي وقوله الملائكة هو أحد أقوال في تفسير الصفات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون أو الطير تصف أجنتها
 قوله في العبادة أي في مقاماتها المعلومة (قوله أو أجنتها في الهواء) أي ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ما تؤمر به) أي من
 عود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجي لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف ، ثم يعقبه زجر
 نفس ، ثم يعقبه التلاوة وهكذا ، ويحتمل أنها للترتيب في المزايا ثم هو إما باعتبار الترقى فالصفات ذوات فضل فالزاجرات أفضل
 التاليات أكثر فضلا ، أو باعتبار التدرج فالصفات أعلى ثم الزاجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله الملائكة تزجر السحاب) وقيل
 يراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح أن يكون مفعولا للتاليات والمراد بالذكور القرآن
 خبره من تسبيح وتحميد والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم .

(قوله إن إلهكم واحد) إن قلت ماحكمة ذكر القسم هذا لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لأنهم مصدقون ولو من غير قسم ، وإن كان المقصود الكفار فلا حاجة له أيضا لأنهم غير مصدقين على كل حال . أجيِب بأن المقصود منه تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويزداد الكافر طردا وبعدا (قوله رب السموات والأرض) إما بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمحدوف (قوله أي والمغرب) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد سراييل تقييم الحر وإمّا اقتصر على المشرق لأن نفعه أعم من الغروب . إن قلت إنه تعالى جمع المشرق هنا وحذف مقابله وجمعهما في حال وثماهما في الرحمن وأفردهما في الزمّل فما وجه الجمع بين هذه الآيات . أجيِب بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغرب والتفتية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والأفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربيها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها (قوله السماء الدنيا) أي القربى من الأرض (قوله بزينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب في سماء الدنيا أو نوات (٣١٢) في العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لأن السموات شفافة لا تحجب

ماوراءها (قوله بضوئها) أي نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله أو بها أي إن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فإن الانسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق وجدّها في غاية الزينة (قوله البينة بالكواكب) أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفًا عليها

(إِنْ إلهَكُمْ) يَأْهْل مَكَّة (لَوْ أَحَدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ) أي والمغرب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ) أي بضوئها أو بها ، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة البينة بالكواكب (وَحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر ، أي حفظناها بالشهب (مِنْ كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ مَّارِدٍ) عاتٍ خارج عن الطاعة (لَا يَسْمَعُونَ) أي الشياطين مستأنف وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه (إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) الملائكة في السماء ، وعدى السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون أدغمت التاء في السين (وَيُقَذَّفُونَ) أي الشياطين بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء (دُحُورًا) مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو مفعول له (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضى (ثَاقِبٌ) ،

وبقي قراءة ثالثة سبعية وهي تنوين زينة ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحدوف

تقديره أعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) أي معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) وكانوا لا يحبون عذابات السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فلما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري (قوله مستأنف) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعترهم من العذاب (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أدغمت التاء في السين) أي بعد قلبها سينا وإسكانها (قوله من آفاق السماء) أي نواحيها وجهاتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أي ومن في محل رفع بدل من الوار أو في محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ، ويجوز أن تكون من شرط وجوبها فأتبعه أو موصولة مبتدأ وخبرها فأتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكذا (قوله فأتبعه شهاب ثاقب) إن قلت تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين أنها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك . أجيِب بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجون بذات الكواكب بل تنفصل ما

بب نزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها . إن قلت إن الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون . أجيب بأن قوى يحرق الأضف كالحديد يقطع بعضه . إن قلت إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة رى . أجيب بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فإنه يشاهد الفرق المرة بعد المرة و يعود طمعا في السلامة (قوله بثقبه) أى بحيث يموت من ثقبه ، وقوله أو يحرقه أو يموت أيضا وأو في كلام المفسر للتشويبع وهو لا ينافي وصف الشهاب ثاب لأن معنى الثاقب المضى أى الذى يشق الظلام خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أو يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون ليله ويطاق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكري البعث حيث عوا أنه مستحيل . وحاصل الرد أن يقال لهم إن استحالة التى تدعونها إما لعدم المادة وهو مردود بأن غاية الأمر نصير جزءا ترابا وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خاق أباهم آدم من طين أو لعدم القدرة وهو مردود بأن قادر على هذه الأشياء العظام من السموات والأرض وغيرها قادر على إعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه الآية نظير قوله إلى أئتم أشد خاقا أم السماء بذاتها الخ (قوله أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقة أو أصعب أو أشق إيجادا (قوله أم من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أى أشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلصق باليد أى إنه لضعفه لاقوام له بنفسه (قوله المعنى أن خلقهم الخ) التفت المفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذى منه إنكار البعث (قوله بل عجب) إضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال

ثقبه أو يحرقه أو يخبله (فاستفتهم) استخبر كفار مكة تقريرا أو توبيخا (أهم أشد خلقا) من خلقنا من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما ، وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء (إنا خلقناهم) أى أصلهم آدم (من طين لازب) لازم يلصق باليد ، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدى إلى هلاكهم اليسير (بل) للانتقال من فرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم (عجب) نفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم (و) هم (يسخرون) من تعجبك (وإذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لا يذكرون) لا يمتظون (وإذا رأوا آية) كأنشق القمر (يستسخرون) يستهزئون بها (وقالوا) فيها (إن) ما (هذا إلا سحر مبين) بين ، وقالوا منكرين للبعث (وإذا متنا وكنا ترابا وعظاما) إنا كمبعوثون (فى الممزين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أو آباءنا الأولون) بسكون الواو عطفًا بأو ، وفتحها والهمزة للاستفهام والمطف بالواو ، والمطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير فى لمبعوثون ،

تستفتهم فانهم جاهلون معاندون لامنفعة فى استفتائهم بل انظر إلى حالك وحالهم والمقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فتفتح التاء) أى وضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمؤاخذه على حد ومكروا وعكر الله . والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما فى الحديث « عجب ربك من شاب ليس له صبوة » (قوله وهم يسخرون من تعجبك) أى أو من تعجبي أى غضبي عليهم ومجازاى لهم على كفرهم (قوله لا يمتظون) أى لقيام الغفلة بهم (قوله أنذا متنا الخ) أصل الكلام أنبعث إذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقدموا الظرف وكرروا الهمزة وأخروا العامل وعدلوا به إلى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار إشعارا بأنهم مبالغون فى الإنكار (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع فى كل موضع وبقى قراءتان سبعيتان أيضا الأولى بألفين والثانية بواحدة والعكس وبسط تلك القراءات يعلم من كتبها (قوله وفتحها) أى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الأعراف أو أمن أهل القرى (قوله للاستفهام) أى الإنكارى (قوله أو الضمير فى لمبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون لمبعوثون عاملا فيه أيضا . إن قلت إن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبلها فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباءنا يبعثون أجيب بأنها مؤكدة للأولى .

لامتصودة بالاستقبال فاعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد (قوله والفاصل) أى بين العطف عليه وهو ضمير الرفع المستتر وبين العطف وهو آباؤنا فتحصل أنه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل إن واسمها لا غير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه ويجوز كونه معطوفاً على الضمير المستتر في لمبعوثون ويكفي الفصل بهمزة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى نعم كأنه قيل تبعثون والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم (قوله فأنما هي زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر أو تعليل لنهى مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فأنما هي الخ أو لا تستصعبوه فأنما هي الخ (قوله أى صيحة واحدة) أى وهى النفخة الثانية (قوله فإذا هم ينظرون) أى ينتظرون (قوله لأفعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلاك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله : يا ويلنا وما بعده كلام مستقل وهذا أحد احتمالات ، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض ، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى نبيكيتهم ، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) أى من مقامهم إلى الوقف أو من الوقف إلى النار (قوله قرناءهم من الشياطين) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بأزواجهم نسائهم اللاتي على دينهم (٣١٤)

والفاصل همزة الاستفهام (قُلْ نَعَمْ) تبعثون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون (فَإِنَّمَا هِيَ) ضمير مبهم يفسره (زَجْرَةٌ) أى صيحة (وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ) أى الخلائق أحياء (يَنْظُرُونَ) ما يفعل بهم (وَقَالُوا) أى الكفار (يَا) للتنبيه (وَيَلْنَا) هلاكنا وهو مصدر لأفعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى الحساب والجزاء (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين الخلائق (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ويقال للملائكة (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالشرك (وَأَزْوَاجَهُمْ) قرناءهم من الشياطين (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غير من الأوثان (فَهَدُوهُمْ) دلوهم وسوقوهم (إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ) طريق النار (وَقِفُوهُمْ) احبسوهم عند الصراط (إِنَّهُمْ مَشْغُولُونَ) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ، ويقال لهم توبيخاً (مَالَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) لا ينصرون بعضهم بعضاً كلكم فى الدنيا ، ويقال عنهم (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُشْغَلُونَ) منقادون أذلاء (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يتلاومون ويتخاضعون (قَالُوا) أى الأتباع منهم المتبوعين (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) عن الجهة التى كنتم تأمنكم منها لحلفكم إنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضللتُمونا (قَالُوا) أى المتبوعون لهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين ،

وقيل أشباههم وأخلاقهم من الانس لأن زوج الشيء يطاق على مقاربه ومجانسه فيقال لمجموع فردى الحقة زوج وإلحادها زوج (قوله من الأوثان) أى كالأصنام والشمس والقمر (قوله إنهم مشغولون) بكسر الهمزة فى قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التعليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة ، والمعنى قفوهم لأجل سؤال الله إياهم (قوله عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أى لما فى الحديث « لا تزول قد

ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به » (قوله ويقال لهم) أى والقائل خزنة جهنم (قوله كالحكم فى الدين تشبيه فى النقي (قوله ويقال عنهم) أى فى شأنهم على سبيل التوبيخ (قوله وأقبل بعضهم) أى بعض الكفار يوم القيامة ، وهو معنى ما تقدم فى سورة صبا فى قوله - ولوترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول - (قوله يتلاومون ويتخاضعون) أى يلوم بعضهم بعضاً ويخاصم بعضهم بعضاً كما قال تعالى فى شأنهم - كما دخلت أمة لعنت أختها - بخلاف تساقط المؤمنين فى الجنة فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الخاف والجارحة العلومة والقوة والدين والجملة والآية محتملة لذلك المعنى والفسر اختار الأول وعليه فمن معنى من ، والمعنى كنتم تأتوننا من الجهة التى كننا تأمنكم منها فتأمنهم من جهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم أضللتُمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لاعلى ما فى الفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا بأجوبة خمسة آخرها : فأغويانا كم إنا كنا غاوين ، والمعنى أننا لم نصدقوا بالإيمان فى حال من الأحوال (قوله أن لو كنتم مؤمنين) أى أن لو انصقتم بالإيمان

قوله فرجعتم عن الإيمان إلينا) أى باضلالنا وإغوائنا كأنهم قالوا لهم إن من آمن لا يطيعنا لثبات الإيمان في قلبه فلو حصل لكم الإيمان لما أطعتمونا (قوله قول ربنا) أى وعيده ومفعول القول محذوف قدره بقوله : لأملأن جهنم الخ (قوله إنا نقول) إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بأذاقة العذاب (قوله فأغوينناكم) أى تسببنا لكم في الغواية من غير إكراه ينافي ما قبله (قوله إنا كنا غاوين) أى فأحببنا لكم مقام بأنفسنا لأن من كان متصفا بصفة شنيعة يحب أن يتصف بها غيره ون الصيبة عليه (قوله يوم القيامة) أى حين التحاور والتخاصم (قوله كما يفعل هؤلاء) أى عبدة الأصنام ، وقوله غير هؤلاء : أى كالتصارى واليهود (قوله إنهم كانوا الخ) أى عبدة الأصنام ، وسبب ذلك «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على طالب عند موته وقریش مجتمعون عنده فقال : قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فأبوا وأنفوا ذلك وقالوا : أثنا لتاركوا آلهتنا الخ» (قوله يستكبرون) أى شكرون (٣١٥) عن قولها وعلى من يدعوهم

إليها (قوله في همزتيه مانتقدم) أى من التحقيق فيهما وتسهيل الثانية بألف ودونها فاقرا آت أربع (قوله لتاركوا آلهتنا) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله أى لتارك كون آلهتنا والمعنى لتارك كون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) أى من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ عليهم (قوله إلا ما كنتم تعملون) أى فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف خير جزاؤه بأضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) أى من الواو

رجعتم عن الإيمان إلينا (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قوة وقدرة نفهركم على تابعتنا (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ) ضالين مثلنا (فَحَقُّ) وجب (عَلَيْنَا) جميعاً (قَوْلُ بَنَّا) بالعذاب أى قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (إِنَّا) جميعاً (لَذَانِقُونَ) مذاب بذلك القول ، ونشأ عنه قولهم (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) الماعل بقولهم (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) ل تعالى (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أى لاشتراكهم في الغواية (إِنَّا كَذَلِكَ) كما نفعل هؤلاء (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) غير هؤلاء أى نعذبهم التابع منهم لمتبوع (إِنَّهُمْ) أى هؤلاء بقرينة ما بعده (كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) يقولون أئنا) في همزتيه ما تقدم (لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا إِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) أى لأجل قول محمد ل تعالى (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله (إِنَّكُمْ) به التفات (لَذَانِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ) وَمَا نَجْزُونَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) لَا عِبَادَ لِلَّهِ إِلَّا الْخَالِصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى ذكر جزاؤهم في قوله (أُولَئِكَ) الخ (لَهُمْ) في الجنة (رِزْقٌ مَقْلُومٌ) بكرة وعشياً (فَوَاكِهُ) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذاً لالحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغفون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد (وَهُمْ سَكَرُونَ) بشواب الله سبحانه وتعالى (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) لا يرى بعضهم قفا بعض (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) على كل منهم (بِكَاسٍ) هو الإناء بشرابه (مِنْ مَعِينٍ) من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ،

يزنون (قوله أولئك) أى عباد الله المخلصين (قوله إلى آخره) أى وهو قوله : كأنهم بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) أى أوقاته صفاته فلا ينافي آية - برزقون فيها بغير حساب - فإن المراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) أى كل من كل لأن جميع ما يؤكل في الجنة ما هو على سبيل التلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لالحفظ بنية) (قوله بخلق أجسادهم للأبد) أى فهم بدوهم بدوام الله لا يفنون أبداً (قوله وهم مكرمون) أى معظمون مبعجاون بالتحية والكلام اللين (قوله في جنات النعيم) ما يتعلق بمكرمون أو خبر ثان أحوال (قوله على سرر) قال ابن عباس : على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين منعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى إيليا (قوله متقابلين) أى تواصلوا وتحابوا ، وقيل الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد (قوله يطوف عليهم) أى والطائف الولدان كافي آية - يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس - (قوله هو الإناء بشرابه) أى فان لم يكن فيه شراب فانه يسمى قدحا و يطلق الكأس على الخمر نفسه من باب تسمية الشيء باسم محله (قوله من معين) أى ظاهر معين أو خارج من العيون فعلى الأول اسم مفعول كجميع وعلى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى لبيع وصف به خمر الجنة لأنه يجري كالماء

(قوله بيضاء) إما صفة لكأس أو للخمر (قوله لذة) إما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصدر فالوصف بها مبالغة أو على حذف مضاف أى ذات لذة (قوله ما يغتال عقولهم) أى يفسدها وقيل الغول صداع فى الرأس وعليه فيكون ما بعده تأسيساً (قوله ولا هم عنها ينزفون) عن سببية أى ولا هم ينزفون بسببها (قوله بفتح الزاى) أى مع ضم الياء فهو مبنى للفعول وقوله وكسرها : أى مع ضم الياء أيضاً فهو مبنى للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من زف الشارب الخ) أى فهو مأخوذ من الثلاثى أو الرابعى والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرابعى فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهى الواسعة العين انشاعاً غير مفرط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهن بيض مكنون) شبهن هنا ببيض النعام ، وفى سورة الواقعة بالاولو المكنون لصفائه وكونه بياضه مشوباً ببعض صفرة مع لمعان لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة (٣١٦) (قوله هم فى الدنيا) أى من الفضائل والعارف وما عملوه فى الدنيا

(بَيَضَاءُ) أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ (لَذَّةٌ) لَذِيذَةٌ (لِلشَّارِبِينَ) بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا كَرِيهَةٌ عِنْدَ الشَّرْبِ (لَا فِيهَا غَوْلٌ) مَا يَغْتَالُ عَقُولَهُمْ (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) بِفَتْحِ الزَّايِ وَكُسْرُهَا مِنْ زَرْفِ الشَّارِبِ وَأَتْرَفَ ، أَيْ يَسْكُرُونَ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حَاسِبَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ لِحُسْنِهِمْ عِنْدَهُنَّ (عَيْنٌ) ضَخَامُ الْأَعْيُنِ حَسَانُهَا (كَأَنَّهُنَّ) فِي اللَّوْنِ (بَيَاضٌ) لِلنَّعَامِ (مَكْنُونٌ) مُسْتَوْرٌ بِرِيشِهِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ غِبَارٌ وَلَوْنُهُ وَهُوَ الْبَيَاضُ فِي صَفَرَةٍ أَحْسَنَ أَلْوَانِ النِّسَاءِ (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) بَعْضُ أَهْلِ الْجَنَّةِ (عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عَمَّا مَرَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) صَاحِبٌ يَنْكُرُ الْبَعْثَ (يَقُولُ) لِي تَبْكِيَتَا (أَأُنْفِكَ لِمَنْ الْمُتَّحِقِينَ) بِالْبَعْثِ (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا) فِي الْهَمَزَيْنِ فِي الثَّلَاثَةِ مَوَاضِعٍ مَا تَقْدُمُ (لَمَدِينُونَ) مُجْزِئُونَ وَمَحَاسِبُونَ ؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْ (قَالَ) ذَلِكَ الْقَائِلُ لِإِخْوَانِهِ (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) مَعَى إِلَى النَّارِ لِنَنْظَرِ حَالَهُ ؟ فَيَقُولُونَ لَا (فَاطْلَعِ) ذَلِكَ الْقَائِلُ مِنْ بَعْضِ كَوَى الْجَنَّةِ (فَرَأَاهُ) أَيْ رَأَى قَرِينَهُ (فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ) أَيْ وَسْطِ النَّارِ (قَالَ) لَهُ تَشْمِيَتًا (تَاللَّهِ إِنَّ) مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ (كَدَّتْ) قَارَبَتْ (لَتُردِينَ) لَتَهْلِكُنِي بِإِغْوَانِكَ (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي) عَلَى الْإِيمَانِ (لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ) مَعْلُومٌ فِي الْفَارِ ، وَتَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ) إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى (أَيِ التَّى فِي الدُّنْيَا) (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هُوَ اسْتِفْهَامٌ تَلْذِذٌ وَتَحَدُّثٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَأْيِيدِ الْحَيَاةِ وَعَدَمِ التَّعْذِيبِ (إِنَّ هَذَا) الَّذِي ذَكَرَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لِمَثَلِ هَذَا ،

(قوله قال قائل منهم) أى من أهل الجنة لاخوانه فى الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيتا) أى توبيخا على عدم إنكار البعث (قوله ما تقدم) أى من القراءات الأربع وهى تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه (قوله مجزيون) أى فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أى الجزاء والحساب وقوله أيضا أى كما أنكر البعث (قوله لاخوانه) أى من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف وضمها أى طبقاتها (قوله تشميتا) أى فرحا بصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهى جواز القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله إلا موتنا الأولى) إلا أداة حصر وموتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله ميتين ويكون استثناء مفرغاً عن معنى قوله تعالى - لا يدعون فيها الموت إلا الموت الأولى - (قوله هو استفهام تلذذ) أى فهو من كلام بعضهم لبعض ، وقيل كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (قوله من تأييد الخ الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذى ذكر لأهل الجنة) أى من قوله : أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أى لا للحظ الدنياوية الفانية التى تزول ولا تبقى .

فليعمل
وضمها أى طبقاتها (قوله تشميتا) أى فرحا بصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهى جواز القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله إلا موتنا الأولى) إلا أداة حصر وموتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله ميتتين ويكون استثناء مفرغاً عن معنى قوله تعالى - لا يدعون فيها الموت إلا الموت الأولى - (قوله هو استفهام تلذذ) أى فهو من كلام بعضهم لبعض ، وقيل كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (قوله من تأييد الخ الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذى ذكر لأهل الجنة) أى من قوله : أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أى لا للحظ الدنياوية الفانية التى تزول ولا تبقى .

قوله فليعمل العاملون) أى ليعتد المجتهدون فى الأعمال الصالحة ، فان جزاءها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
بشر فاذا كان كذلك فلو ألقى الإنسان عمره فى خدمة ربه ولم يشغل بشئ سواها لكان ذلك قليلاً بالنسبة لما يلقاه من
عظيم الدائم ، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) أى ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل
يقولونه : أى يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون ، فان العمل والترغيب فيه إنما يكون فى
نيل الأول أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيباً للسكاكين فى عمل الطاعات (قوله أذلك) معمول لمخدوف تقديره قل
قد أتوكم على سبيل التوبيخ والتبكيت أذلك خبر الخ (قوله المذكور لهم) أى لأهل الجنة من قوله أذلك لهم رزق
لهم الخ (قوله زلاً) تمييز لخبر وقوله أم شجرة الزقوم أم حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الإشارة وهو مبتدأ
ف خبره لدلالة ما قبله عليه والتقدير أم شجرة الزقوم خير زلاً والتعبير بخير وزلاً تمكيد بهم وإشراكه (قوله من ضيف وغيره)
ضيف من يأتى بدعوة وغيره من يأتى زاراً للصحة والأناة وربما كان أعز من الضيف (قوله أم شجرة الزقوم) من الزقوم
هو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة ، سميت بذلك لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها ، وهى شجرة مسمومة ، تى
تجد أحد نورم فوات ، وهى خبيثة مرة كريهة الطعم (قوله وهى من أخبث الشجر) أى وهى صغيرة الورق مثقنة
قوله إنما هنا بذلك) أى بسبب إخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة) (لظالمين) أى امتحاناً واختباراً هل
يصدقون أم لا (قوله إذ
قالوا النار تحرق الشجر
فكيف تنبت) أى ولم
يعلموا أن القادر لا يعجزه
شئ (قوله تخرج فى أصل
الجحيم) أى تنبت فى
أسفلها (قوله إلى دركانها)
أى منازلها وذلك نظير
شجرة طوبى لأهل الجنة
فإن أصلها فى عليين وما
من بيت فى الجنة إلا
وفيه غصن منها (قوله
طلعها) الطلع فى الأصل

لِيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ) قيل يقال لهم ذلك ، وقيل هم يقولونه (أذلك) المذكور لهم (خير زلاً)
هو ما بعد للنازل من ضيف وغيره (أم شجرة الزقوم) المدة لأهل النار وهى من أخبث
شجر المر بنهاية ينبت الله فى الجحيم كما سيأتى (إنا جعلناها) بذلك (فتنة لظالمين)
أى الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت (إنها شجرة تخرج
أصل الجحيم) أى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركانها (طلعها) المشبه بطلع النخل
كأنه رؤوس الشياطين) أى الحيات القبيحة المنظر (فإنهم) أى الكفار (لا يكون
نهاراً) مع قبحها لشدة جوعهم (فقالون منها البطون) ثم إنهم علموا أنها أشوأ من
الجحيم) أى ماء حار يشربونه فيختلط بالما كول منها فيصير شوباً له (ثم إن مرجعهم إلى
الجحيم) يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها (إنهم ألقوا) وجدوا (آباءهم
صالحين) فهم على آثارهم ،

سم لتمر النخل أول بروزه فتسميته طاعاً تمكيد بهم (قوله أى الحياة القبيحة المنظر) أى ووجه الشبه الشناعة والسم فى كل وما
شئ عليه للفسر أحد أقوال ثلاثة ، وقيل شبه طاعها برؤوس الشياطين حقيقة ، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل
سكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين ، وأجيب بأن الشيطان وإن كان غير معلوم فى الخارج فهو معروف فى الأذهان
والخيالات كالقول فانه مرسوم فى خيال كل أحد بصورة قبيحة . وقيل الشياطين شجر فى البادية معروف للمخاطبين (قوله
لشدة جوعهم) أى واقهرهم على الأكل منها زيادة فى عذابهم (قوله ثم إن لهم عليها) أى على ما يأكلونه منها إذا شبعوا
غلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين فى قراءة العامة مصدر على أصله وقرئ شذوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله
يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحد قولين والآخر هو قول الجمهور أنهم لا يخرجون أصلاً لقوله تعالى - وما هم بخارجين منها -
وحينئذ قلنا أى أنه ينتزع عذابهم وهم فى النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الحميم وتارة بالزهرير وغير ذلك
من أنواع العذاب ، فإذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرضوا منه يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره والحال أنهم فى النار
لا يخرجون منها ، ويمكن التوفيق بين القولين بأن يحمل القول بأنه خارجها على أنه فى محل خارج عن المحل الذى يعذبون
فيه ، وإسناد الراد أنه خارج النار بالكناية لمعارضته صريح النص فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثم يردون إلى
محل العذاب الذى كانوا فيه أولاً (قوله إنهم ألقوا آباءهم) هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب ، والمعنى أن سبب استحقاقهم للعذاب

تقليد آبائهم في الضلال من غير شيء، تمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) أي من غير تأمل ولا تدبر (قوله ولقد ضل قبائهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف وكل من الجماعين سيق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي أو لكل من يتأني منه النظر (قوله إلا عباد الله) استثناء منقطع لأن ما قبله وعيد وهم لم يدخلوا فيه (قوله لا يخلصهم في العادة) أي على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل ما أجمله في قوله - ولقد أرسلنا فيهم منذرين - وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة الذبيح وقصة موسى وهرون وقصة إلياس وقصة لوط وقصة يونس، وذلك تسلياً له صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كفر من أمته (قوله رب إني مغلوب) أي مقهور وقوله فانتصر: أي انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) الوار للتعظيم وقوله نحن هو المخصوص بالمدح (قوله وأهله) أي من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالتاس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد، وقيل كان لغبر ولد نوح أيضاً نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجبة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم على (٣١٨) قبيلة (قوله والخزر) بفتح الخاء والزاي بعدها راء مهملة هكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب وفي بعض النسخ الخزرج وهو تحريف فاحش لأن الخزرج من جملة العرب والخزر صنف من الترك صغار الأعين يعرفون الآن بالتر (قوله وما هنالك) أي وهم قوم عنديا جوج وما جوج إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فإذا زالت عنهم خرجوا إلى عايشهم وحروهم وقيل هم قوم عرافة يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالآخرى (قوله ثناء

يُزَعْرُونَ) يرجون إلى أتباعهم فيسرعون إليه (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) من الأمم الماضية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ) من الرسل مخوفين (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) الكافرين أي عاقبتهم العذاب (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أولأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) بقوله: رب إني مغلوب فانتصر (فَلَنَعِمَ الْمُجِيبُونَ) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي الغرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) فالتاس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر وبأجوج وما جوج وما هنالك (وَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ) ثناء حسناً (فِي الْآخِرِينَ) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سَلَامٌ) منا (عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) إنا كذلك (كما جزيناهم) نجزي المحسنين. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) كفار قومه (وَأَن مِنْ شَيْعَتِهِ) أي ممن تبعه في أصل الدين (لِإِبْرَاهِيمَ) وإن طال الزمان بينهما، وهو ألقان وستائة وأربعون سنة،

حسنًا) قدره إشارة إلى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح كلام مستقل لإنشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالأول ثناء الخالق والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يمشي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» (قوله العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين اللائكة والنقلان (قوله إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة في إجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجليل وتسليم الله عليه في العالمين: أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من انصف بالاحسان كنوح (قوله إنه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسناً وفيه إجلال لشأن الإيمان وإظهار لفضله وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجينا وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقيين فتدبر (قوله وإن من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أي ممن تبعه الخ) أي فالشيعه الأنباغ والخزب (قوله في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع شرائعها فالاتباع في أصول الدين وهو التوحيد لا في الفروع كالصلاة مثلاً (قوله وإن طال الزمان الخ) الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال أن الزمان طال بينهما فطول الدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألقان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنين وأربعين سنة

وكان

حسنًا) قدره إشارة إلى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح

كلام مستقل لإنشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالأول ثناء الخالق والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يمشي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» (قوله العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين اللائكة والنقلان (قوله إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة في إجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجليل وتسليم الله عليه في العالمين: أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من انصف بالاحسان كنوح (قوله إنه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسناً وفيه إجلال لشأن الإيمان وإظهار لفضله وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجينا وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقيين فتدبر (قوله وإن من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أي ممن تبعه الخ) أي فالشيعه الأنباغ والخزب (قوله في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع شرائعها فالاتباع في أصول الدين وهو التوحيد لا في الفروع كالصلاة مثلاً (قوله وإن طال الزمان الخ) الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال أن الزمان طال بينهما فطول الدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألقان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنين وأربعين سنة

قوله وكان بينهما هود وصالح) أي وكان قبل نوح ثلاثة إدريس وشيث وادم فجعله من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة (قوله جاء ربه الخ) معنى مجيئه توجهه بقلبه محاسن ربه وفي الكلام استعارة تبعية تقريرها أن نقول: شبه إقباله على ربه محاسن قلبه بمجيئه بتحفه جميلة والجامع بينهما طلب النور بالرضا واشتق من المجيئ جاء بمعنى أقبل بقلبه (قوله أي تابعه وقت مجيئه) تارة بذلك إلى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته ويصح جعله متعلقا بشيعته لما فيها من معنى المشايعة لكن به أنه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله بأجنبي، وهو قوله لإبراهيم وأيضا يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها أوجب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها (قوله من الشك وغيره) أي من الآفات والعلائق التي تشغل القلب عن شهود الرب (قوله لأبيه وقومه) تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه وإنما عبر بالأب لأن العم أب، والمراد بقومه الخروذ وجماعته (قوله في همزيه ما تقدم) أي وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها (قوله وإفكا مفعول له) أي وقدم على مفعول به لأجل التقييد عليهم بأنهم على إلك وباطل (قوله أي اتعبدون غير الله) كان عليه أن يزيد قوله لأجل الإلك وفي المفعول لأجله (قوله إذ عبدتم غيره) أي وقت عبادتكم غيره (قوله أنه يترككم بلا عقاب) معمول للظن، والمعنى سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره (٣١٩) وأشار بقوله لا إلى أن الاستفهام

نكاري بمعنى النفي أي ليس لكم سبب ولا عذر بحملكم على الظن المذكور وإذا اتفق السبب اتفق المسبب بالأولى (قوله وكانوا نجامين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى: فنظر نظرة في النجوم (قوله فخرجوا إلى عيديم) أي وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمرز (قوله زعموا التبرك عايه) أي أنها نزل عايه البركة (قوله فنظر

كل بينهما هود وصالح (إذ جاء) أي تابعه وقت مجيئه (رَبَّهُ بِقَابٍ سَلِيمٍ) من الشك وغيره (إذ قال) في هذه الحالة المستمرة له (لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) موجئا (مَاذَا) ما الذي (تَعْبُدُونَ) تَفْكَارًا في همزيه ما تقدم (آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكا مفعول له وآلهة مفعول به تريدون، والإفك أسوأ الكذب، أي اتعبدون غير الله (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيديم وتركوا طعامهم عند أصنامهم فزعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) أي عيديم (مُذَرِّينَ . فَرَاغَ) مال في خفية (إِلَى آلِهِتِهِمْ) وهي الأصنام وعندها الطعام (فَقَالَ) استهزاء (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا، فقال (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) فلم تجب (فَرَاغَ عَائِيهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) أي يسرعون المشي فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها (قَالَ) لهم،

نظره في النجوم) أي في علم النجوم متفكرا في أمر يعذرونه بسببه فيتركونه (قوله أي سأسقم) جواب عما يقال كيف قال في سقيم والحال أنه لم يكن سقيما. وأجيب أيضا بأن المعنى سقيم القلب من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع وقد أشار بقوله إني أسقم إلى سقم مخصوص وهو الطاعون، وكان الطاعون أغلب الأسيام عايهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن إبراهيم خوفا منها فهربوا إلى عيديم وتركوه في بيت الأصنام (قوله وهي الأصنام) أي وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من حجر وبعضها من خشب وبعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من نحاس وبعضها من حديد وبعضها من رصاص، وكان كبيرها من ذهب مكلا بالجواهر وكان في عينيها ياقوتتان تتقدان نورا (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) إن قات أي فائدة في خطاب ما لا يعقل؟ أجيب بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم (قوله فراغ عايهم) أي مال في خفية من قولهم راغ الثعلب روغانا: تردد وأخذ الشيء خفية (قوله بالقوة) أي القدرة (قوله فأقبلوا إليه) سرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) بكسر الزاي مع فتح الياء أوضمها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا له نحن نعبدها الخ) أي بعد أن سألوه وأجابه، فلما حقة قوا أنه هو الذي كسرها قالوا نحن نعبدها الخ وقد تقدم بسط ذلك في سورة الأنبياء.

(قوله . وبنحأ) أى على ما وقع منهم حيث يأتون للخشب مثلاً فيصنعون منه صورة ويتخذونها إلهاً مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضر ولا تنفع (قوله وما مصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه وبقي اثنان كونها استغفامية ، والمعنى وأى شئ تعملونه وكونها نافية ، والمعنى ليس العمل في الحقيقة لكم وإنما هو لله تعالى (قوله بنينا) قيل بنوالة حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا في كيفية رميه فعلمهم إبليس المنجنيق فصنعوه ووضعوه فيه وردهه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله وأضرموه بالنار) أى أوقدوه بها (قوله النار الشديدة) أى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيا من الجحمة وهى شدة التأجج (قوله القهورين) أى بإبطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال إني ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ ، والمعنى أنه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه أحد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام ، وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة لله وقوله : إلى ربى أى إلى عبادة ربى وطاعته (قوله سيهدين) أى إلى مافيه صلاح دينى وبلوغ مطالبى (قوله إلى حيث أمرنى ربى) أى إلى مكان أمرنى الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب ويهدين (قوله فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله : رب هب لى الخ (٣٢٠) (قوله من الصالحين) أى بعض الصالحين يكون خليفة لى ويرث حاله

موبخاً (أتعبدون ما تدرجون) من الحجارة وغيرها أصناماً (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من تحتكم ومنحتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قَالُوا) بينهم (أَبْنُوا لَهُ بُنْيَانًا) فاملئوه حطباً وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ) النار الشديدة (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإلقائه في النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ) القهورين فخرج من النار سالماً (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) مهاجر إليه من دار الكفر (سَيَهْدِينِ) إلى حيث أمرنى ربى بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال (رَبِّ هَبْ لى ولداً) (مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) أى ذى حلم كثير (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أى أن يسعى معه ويعينه ، قيل بلغ سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى (أَرَى) أى رأيت (فِي الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ) ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى (فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) من الرأى ،

(قوله بئسناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة للدين جاءوا له في صورة أضياف فبشروه بالسلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين إلى قرية لوط وهى سدوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك في سورة هود ويأتى في الذاريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر إلى أن قوله معه ظرف

متعلق بالسعى وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر الأول من أن والفعل عليه وهو لا يجوز . وأجيب بأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها ويصح جعله متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كان قائلاً قال مع من بلغ السعى فقبل بلغ معه ولا يصح جعله متعلقا ببلغ ولاحالا من ضميره لأنه يومهم اقترانها في باوغ السعى لأن المصاحبة تقتضى المشاركة مع أن المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يا بنى) جواب لما ، والحكمة في ذلك أن إبراهيم عليه السلام اتخذ الله تعالى خليلاً ، والحالة هى صفاء المودة ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سأل ربه أن يهب له ولده فلهذا جعله له نعمة من قلبه بمحبته فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قاب الخليل فأمر بذيح المحبوب ليظهر صفاء الخلة وعلا الشاركة فيها حيث امتثل أمر ربه وقدم محبته على محبة ولده (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل روى أنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له إن الله يأمرك بذيح ابنك ، فلما أصبح فكر في نفسه أنه من الله ، فلما أسمى رأى مثل ذلك في الليلة الثانية ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بذهره فقال له يا بنى الخ ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعر والذبح لأنه في اليوم الأول تروى وفي الثانى عر وفي الثالث نحر (قوله إني أذبحك) أى أفعل الذبح أو أومر به احتمالاً ويشير للأول قوله : قد صدقت الرؤيا والثانى قوله : أفعل ما تؤمر (قوله ماذا ترى) يصح أن تكون ماذا مركبة وحينئذ فهم منصوبة بتروى وما بعدها في محل نصب بالنظر لأنها معاقلة له ، يصح أن تكون ما استغفامية وذاموصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبر

قوله : رى فتنين من الرأى ، وفى قراءة سبعة رى بالصم والكسر والمعوولان محذوفان أى ترى إياه من صبرك
احتمالك وقرى شذوذا بضم فتح أى ما يحيل لك (قوله شاوره لياس الخ) أى وليعلم صبره وعزمته على طاعة الله
قوله قال يأتى أى بفتح التاء وكسرهما قراءتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الإضافة) أى فهى فى محل جر كما كانت
ياء فى محل جر (قوله الفصل ماؤمر) قال ابن إسحق وغيره : لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يابى خذ هذا الحبل والمدينة
افطلق بنا إلى هذا الشعب لنخطب ، فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال يا أبت أفل ماؤمر (قوله إن شاء الله)
فى ما تبركا وإشارة إلى أنه لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بمعونة الله (قوله لما أسما) أى الوالد والولد
قوله وتله للجبين) أى صرعه ورماء على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع . قال ابن عباس : لما فعل ذلك قال الابن
أنت أشد رباطى كى لا اضطرب واكف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شئ فيذنب أجرى وتراه أمى فتحزن واستحزن
فمرتك وأسرع بها على خلق ليكون أهون على وإذا أتيت أمى فاقرا عليها السلام منى وإن رأيت أن ترد قيصى عليها
أفعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عفى فقال إبراهيم نعم العون أنت يابى على أمر الله ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل
عليه وهو يبكى والابن يبكى ، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئا فاشتد بها الحجر مرين أو ثلاثا ، كل ذلك لاستطيع
ن تقطع شيئا فتمت بقدره الله تعالى ، وقيل ضرب الله صفحة (٣٢١) من نحاس على حلقه والأول أبلغ
فى القدرة الإلهية وهو منع

الحديد عن اللحم فعند
ذلك قال الابن يا أبت
كنى لوجهى على جبنى
فانك إذا نظرت فى
وجهى رحمتى فأدركتك
رأفة تحول بينك وبين
أمر الله وأنا أنظر إلى
الشفرة فأجزع منها ففعل
ذلك إبراهيم ثم وضع
السكين على قناه فأنقبت
فنودى بإبراهيم قد

شاوره لياس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (أَفْعَلْ)
مَا تَأْمُرُ) به (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك (فَلَمَّا أَشْلَسَا) خضعا
وانقادا لأمر الله تعالى (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجهة وكان
ذلك بمنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمنع من القدرة الإلهية (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ
يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح ، أى يكفيك ذلك :
جمله نادينا جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)
لأنهم بامثال الأمر بإفراج الشدة عنهم (إِنَّ هَذَا) الذبح المأمور به (لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ)
أى الاختبار الظاهر (وَفَدَيْنَاهُ) أى المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان (بِذَبْحٍ)
يكبش (عَظِيمٍ) من الجنة وهو الذى قرب به هابيل جاء به جبريل عليه السلام ،

صدق لرؤيا الخ (قوله بنى) يذكر ويؤث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقة (قوله وأمر السكين) هذا
أحد قوانين مشهورين وهو ما تقدم عن ابن عباس والآخر أنه لم يمر السكين بل لما أضجعه وأراد أن يمر السكين جاءه الداء
وبالأول استدلت أهل السنة على أن الأمور العادية لا تؤثر شيئا لانفسها ولا بقوة أودعها الله فيها وإنما المؤثر هو الله تعالى
فتخلف القطع فى ولد إبراهيم وتخلف الاحراق فى إبراهيم (قوله جملته نادينا جواب لما الخ) هذا أحد أوجه ثلاثة والثانى
أنه محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما الأجر والثالث أن قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بإفراج الشاة) المناسب
أن يقول بتفريج الشدة أو بفرجها لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فصدره إما التفريج أو الفرج (قوله وفديناه)
عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) أى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل أكبر أو إسحق فمن قال بالأول قال
إن الذبيح اسمعيل ومن قال بالثانى قال إن الذبيح إسحق . واعلم أن كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين
لكن القول بأن الذبيح إسحق أقوى فى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير
أرى إبراهيم ذبح إسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بنى ، فلما صرف الله عنه الذبح أمره
أن يذبح به الكبش فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال وبقي قول ثالث وهو
الوقف عن الحزم بأحد التولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى (قوله كبش عظيم) وقيل إنه كان تبسا جبليا أهبط عليه
من نيب (قوله وهو الذى قرب به هابيل) أى ووصفه بالعظم لكونه ثقبيل مرين . [٤١ - صاوى - ثالث]

(قوله فذبحه السيد إبراهيم) أى وبقى قرناه معلقين على السكبة إلى أن احترق البيت فى زمن ابن الزبير ومابقى من الكباش
أكلته السباع والطيور لأن النار لا تؤثر فيما هو من الجنة (قوله مكبرا) روى أنه لما ذبحه قال جبريل : الله أكبر الله أكبر
الله أكبر ، فقال الديبج لاله إلا الله والله أكبر ، فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد فصار سنة (قوله استدلى بذلك الخ) أى وهو
مذهب الشافعى ، وقال مالك وأبو حنيفة : لادليل فيها لأن إسحاق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته ، فعنى
قوله - و بشرناه بإسحاق نبيا - بشرناه بنبوته إسحاق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) إمّا صفة لنبيا أو حال من ضمه
(قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم ، وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه إشارة إلى أن النسب لا مدخل له فى الهدى ولا فى الضلال
(قوله ولقد منّا) معطوف على ما قبله عطف قصة على قصة واللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ
وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم ، وقوله بالنبوّة : أى الصاحبة للرسالة لأنهما كانا رسولين ولا مفهوم
للنبوّة بل أعطاهما الله تعالى نعمًا حمة دينية ودنيوية وإعماخها لأنها أشرف النعم (قوله بنى إسرائيل) أى أولاد يعقوب (قوله
أى استعباد فرعون إياهم) (٣٢٢) وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين

فذبحه السيد إبراهيم مكبرا (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَرْنَاهُ إِسْحَاقَ) استدلى بذلك على أن الديبج غيره (نَبِيًّا) حال مقدرة أى
يوجد مقدرا نبوته (مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ) بتكثير ذريته (وَعَلَى إِسْحَاقَ) ولله
بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَوَظَّالِمٌ لِّنَفْسِهِ) كافر (مُبِينٌ)
بين الكفر (وَلَقَدْ مَنَّمْنَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) بالنبوّة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل
(مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى استعباد فرعون إياهم (وَنَصَّرْنَاهُم) على القبط (فَكَانُوا هُمُ
الْفَائِزِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام
وغيرها وهو التوراة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ) الطريق (الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِمَا
فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناهما
(نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمز أوله وتركه (لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ) قيل هو ابن أخى هرون أخى موسى ، وقيل غيره أرسل إلى قوم ببعليك ونواحيها
(إِذْ) منصوب باذكر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ ،

كان ملكا فاستمروا بها
لما ظهر فرعون وتكبر
استعبد ذريتهم وجعلهم
خدما للقبط (قوله
ونصرناهم) الضمير عائدا
على موسى وهرون
وقومهما (قوله فكانوا
هم الفالين) يصح أن
يكون هم ضمير فصل أو
بدلا من الواو فى كانوا
والأول أظهر (قوله
وغيرها) أى كائنات
والواعتظ (قوله وهديناها
الصراط المستقيم) أى
وصلناهم للدين الحق (قوله
سلام) مبتدأ خبره

ألا

محذوف قدره بقوله منا ، وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والسوغ

للإبتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها فى الجار والمجرور بعدها (قوله كما جزيناها) أى بما تقدم من الانجاء والنصر وإيتاء
الكتاب وإبقاء الثناء (قوله نجزي المحسنين) فى مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين وإشعار بأن كل مؤمن قابل لكل خير وصالح
له (قوله إنهما من عبادنا المؤمنين) أى الكاملين فى الإيمان البالغين الغاية فيه (قوله وإن إلياس) معطوف على ما قبله عطف
قصة على قصة (قوله بالهمز أوله وتركه) أى بناء على أنها همزة قطع أو وصل قراءتان سبعيتان وسبب جواز الأمرين أنه اسم
أعجمي استعماله العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبر إن (قوله قيل هو ابن أخى هرون الخ)
الصحيح أنه من ذرية هرون لقول محمد بن إسحاق هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وإلياس
ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك أنه قيل هو إدريس وقيل هو اليسع (قوله أرسل إلى قوم ببعليك) حاصل قصته
كما قال محمد بن إسحاق وعلماء السيرة والأخبار : لما قبض الله عز وجل حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث
فى بنى إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم نبيا وكانت
الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى إسرائيل تجديد ما نسوا من أحكام التوراة ، وكان يوشع لما فتح

شام قسمها على بني إسرائيل وأن سبطاً منهم حصل في قسمته بعابك ونواحها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعلمهم يومئذ ملك
 به أرحب ، وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة وجوه
 كان اسمه إملا وكانوا قد فتشوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلواهم أبناءه ، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل
 ينسكا بشرية الضلال والسدنة بحفظونها عنه ويلقونها الناس وهم أهل بعابك ، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز
 وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمن به وصدقته ، فكان إلياس يقوم بأمره ويستدده ويرشده
 إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس وقال يا إلياس ما أرى ما تدعوننا إليه إلا باطلاً وهم يتعذب إلياس وقتله ، فلما أحس
 إلياس بالشر رفضه وخرج عنه هارباً ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق إلياس بشواهد الجبال فكان يأوي إلى الشعاب
 والكهوف ، فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مستخفياً يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه
 ويون والله يستتره منهم ، فلما طال الأمر على إلياس وسئم السكون في الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعاً دعا ربه
 وزوجل أن يريجه منهم ، فقبل انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فاجاءك من شيء فاركبه ولا تهيبه ، فخرج إلياس
 معه البع حقيقاً إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من نار ، وقبل لونه كالنار حتى وقف بين يدي إلياس فوثب عليه
 فطلق به الفرس فتداه البع يا إلياس ما تأمرني ؟ فتدفع إليه إلياس بكسائه من الجوق الأعلى ، فكان ذلك علامة استخفافه
 به على بني إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشرب وكساه الريش
 مار إنسيا ملكياً أرضياً صماوياً ، ونبأ الله تعالى البع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده فتأملت به
 وبني إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى بهم قائم إلى أن فارقه البع (٣٢٣) وقد أعطى الله إلياس معجزات

حجة منها تسخير الجبال له
 والأسود وغيرها وأعطاه
 الله قوة سبعين نبياً وكان
 على صفة موسى في الغضب
 والثقة . روى أن إلياس
 والحضر يصومان رمضان
 كل عام ببيت المقدس

لَا تَتَّبِعُوا (أَتَدْعُونَ بَعْلًا) اسْمِ صَنَمٍ لَهُمْ مِنْ ذَهَبٍ ، وَبِهِ سَمِيَ الْبَلَدُ أَيْضًا مضافاً إلى بك
 ي أتعبونه (وَتَذَرُونَ) تتركون (أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلا تعبدونه (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 بَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) برفع الثلاثة على إضمار هو ، وبنصبها على البدل من أحسن (فَكَذَّبُوهُ
 فَأَنَّهُمْ كَاخْضَرُونَ) في النار (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها
 (وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسناً (سَلَامًا) منا (عَلَى الْيَاسِينَ) ،

يحضران موسم الحج كل عام ويفترقان عن أربع كلمات : بسم الله ماشاء الله لايسوق الخبر إلا الله ، بسم الله ماشاء الله
 يصرف السوء إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، بسم الله ماشاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله ، وقيل في الرواية
 غير ذلك ، وإلياس موكل بالفيافي والقفار والحضر موكل بالبهار والاعمونان إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن ، وعن أنس قال
 غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا عند فج الناقة سمعت صوتاً يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة
 فغور لها الاستجاب لها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بيض
 بيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رأيته قال : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت نعم ،
 قال فارجع إليه فأقرته السلام . قال له هذا أخوك إلياس يريد أن يلقاك ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته
 بما قال ، فقال : أنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثنا طويلاً فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة
 فدعوانى فأكلت معهما وإذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرسف ، فلما أكلت قلت فتبجيت فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر
 في بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء . انتهى (قوله ألا تتقون الله) أي تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه (قوله وبه سمي
 البلد) أي ثانياً وأما أولاً فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعابك (قوله مضافاً إلى بك) أي مضموماً إليه وإلا فالتركيب
 زجى لإضافي (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل في حيز الانكار (قوله أحسن الخالقين) أي المصورين لأنه
 سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح وغيره تصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة إلخ) أي والقراءتان سبعيتان
 (قوله فأنهم كاخضرون) أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو في المحضرون كأنه قال فكذبوه فأنهم المحضرون إلا الذين تبوا
 ن تكذيبهم وأخلصوا فأنهم غير محضرين .

(قوله قيل هو إلياس المتقدم) أى وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعامة والعجمة وهى لغة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أى وعليه فهو مجرور بالباء لكونه جمع مذكر سالماً (قوله المراد به إلياس أيضاً) أى فأطاق الأول وأراد به ما شمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن فى الآية ثلاث عبارات إلياس فى أولها والياسين وآل ياسين فى آخرها وكلها سبعية (قوله وإن لوطاً لمن المرسلين) عطف على ما قبله أيضاً عطف قصة على قصة (قوله اذكر إذ نجينا الخ) قدر المفسر اذكر إشارة إلى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقاً بقوله المرسلين لأنه يوم أنه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه قبل رسول النجاة وبعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله إلا عجوزاً) هى امرأته (قوله أى وقت الصباح) بيان لمعناه فى الأصل وقوله يعنى بالنهار بيان للمراد منه وقوله وبالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أن شاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وإن يونس صبي يرضع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانس ولا تدخر عنه كرامة تقدر فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونس صبي يرضع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانس ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، ثم إن إلياس أذن له (٣٣٤) فى السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المرأة فخرجت فى أثر إلياس

نطوف وراءه فى الجبال حتى وجدته فسأله أن يدعو الله لها لعله يحيى لها ولدها فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام (قوله إذ أبق) ظرف لمحذوف تقديره اذكر كما تقدم نظيره وقوله أبق أباه فتح والابق فى الأصل الحرب من

قيل هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليباً كقولهم المهلب وقومه المهاجرون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أى أهله المراد به إلياس أيضاً (إنا كذلك) كما جزيناه (نجزي المؤمنين) إنه من عبادنا المؤمنين . وإن لوطاً لمن المرسلين (اذكر) إذ نجينا وأهله أجمعين . إلا عجوزاً فى الفأرين (أى الباقين فى العذاب) ثم دمرنا أهلكتنا (الآخرين) كفار قومه (وإنكم لتمرؤون عاينهم) على آثارهم ومنازلهم فى أسفاركم (مصبحين) أى وقت الصباح يعنى بالنهار (وبالليل أفلا تعقلون) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق) هرب (إلى الفلك المشحون) السفينة المملوءة حين غاصب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى وعدم به فركب السفينة فوقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة (فسأهم) قارع أهل السفينة (فكان من المذخزين) المغلوبين بالقرعة فآلقوه فى البحر (قالت قمه الموت) ابتلعه (وهو ملهم) أى آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (فقلوا أنه كان من المسيحين) الذاكرين بقوله كثيراً فى بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (لآبث فى بطنه إلى يوم يُبعثون) لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة

(فنبتناه)

السيد وإطلاقه على هرب يونس استعارة تصريحية

شبه خروجه بغير إذن ربه بأبق العبد من سيده (قوله حين غاصب قومه) المفاعلة على بابها لأنهم غاصبوه بعدم الانقياد له والإيمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) أى باجتهاد منه لظنه أنه إن بقى بينهم قتالوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لا صغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه فى بطن الحوت على مخالفته الأولى فإن الأولى له انتظار الأذن من الله تعالى هذا هو الصواب فى تحقيق المقام ، وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر فى العقيدة والعياذ بالله تعالى (قوله فوقفت) أى من غير سبب وقوله فى لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) أى وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) أى غالبهم قيل مرة واحدة ، وقيل ثلاثاً (قوله فآلقوه فى البحر) قدره إشارة إلى أن قوله فآلقوه الحوت مرتب على محذوف (قوله أى آت بما يلام عليه) أى أو المعنى وهو ملهم نفسه (قوله بقوله كثيراً) استفيدت الكثرة من جعله من المسيحين (قوله قبراً له) أى بأن يموت فيبقى فى بطنه ميتاً وقيل بأن يبقى على حياته .

(قوله فنبذناه) أى أمرنا الحوت بنبذه فنبذه (قوله بالعراء) أى الأرض المتسعة التى لا نبات بها (قوله من يومه) أى
تقمه ضحى ونبذه عشية وما ذكره المفسر خمسة أقوال : الأول للشعبى والثانى لمقاتل والثالث لعطاء والرابع للضحك
الخامس للسدى (قوله المميط) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة أيضا :
المنتوف الشعر (قوله وهى القرع) خص بذلك لأنه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعاوه الدباب وما ذكره المفسر
عند أقوال فى تفسير اليعقطين ، وقيل كانت شجرة التين ، وقيل شجرة الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على
لاره (قوله وعلة) إما بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هى الغزالة (قوله كقبله) جواب عما يؤم أنه قبل
روجه لم يكن مرسل (قوله ببنوى) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله
يزيدون) جعل المفسر أو للضرب بمعنى بل ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين أى إن الرأى يشك عند رؤيتهم
للإيهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم أو الإباحة والتخيير بمعنى أن الناظر يباح له أو يخبر بن أن يحذرهم بكذا أو كذا (قوله
عند معانة العذاب) أى عند حضور أمارته ولذا نفهم إيمانهم وأما مثل فرعون (٣٢٥) فلم يؤمن إلا بعد حصول

العذاب بالفعل وأيضا قوم
يونس أخلصوا فى إيمانهم
وفرعون لم يخلص وإنما
إيمانه عند الفرغرة لدفع
الشدة: ولو رددوا لعادوا
(قوله بما لهم) بفتح
اللام أى بالذى ثبت لهم
من النعم وتقدم بسط
قصة يونس فى سورة
يونس فراجعها إن شئت
(قوله فاستفتهم) الفاء
واقعة فى جواب شرط
مقدر تقديره إذا علمت
ما تقدم للائيم من شركهم
ومخالفتهم لأنبيائهم
فاستفتهم: أى اطلب من

فنبذناه) القيناه من بطن الحوت (بالعراء) بوجه الأرض: أى بالساحل من يومه أو بعد
ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما (وهو سقيم) عليل كالفرخ المميط (وأنبتنا
عليه شجرة من يعطين) وهى القرع تظله بساق على خلاف العادة فى القرع معجزة له
وكانت تأتیه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوى (وأرسلناه) بعد ذلك كقبله
إلى قوم ببنوى من أرض الموصل (إلى مائة ألف أو) بل (يزيدون) عشرين أو ثلاثين
أوسبعمين ألفا (فآمنوا) عند معانة العذاب الموعودين به (فآمنواهم) أبتيناهم ممتعين
عالمهم (إلى حين) تنقضى آجالهم فيه (فاستفتهم) استخبر كفار مكة تو بيخا لهم (أربك
البنات) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (ولهم البنون) فيختصون بالأسنى (أم خلقنا الملائكة
إنا نأوهم شاهدون) خلقنا فيقولون ذلك (ألا إنهم من إفكهم) كذبهم (ليقولون) ولد
الله (يقولهم الملائكة بنات الله (وإنهم لكاذبون) فيه (أصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام
واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أى اختار (البنات على البنين) مآلكم كيف
تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلاتنكرون) بادغام التاء فى الذال أنه سبحانه وتعالى منزله عن الولد

هل مكة الخبر لا جل تو بيخهم وإقامة الحجية عليهم (قوله تو بيخا لهم) أى فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو
على سبيل التقرير والتوبيخ لهم (قوله أربك البنات ولهم البنون) أى ألهذه القسمة الجائرة وجه فانهم كفروا من وجهين
الأول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو الثانى كونه خصوص الأئى فانهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم بل إما أن
يسألوها على الهوان أو يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنين (قوله فيختصون بالأسنى) أى
الأشرف وهو الذكور ، وفى نسخة بالأبناء (قوله أم خلقنا الملائكة إنا) أم منقطة نفسر ببل والهمزة فهو إضراب عما
رغموا ورد عليهم ، وهذا بمعنى قوله تعالى - وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنا أنا أشهدوا خلقهم - الآية (قوله
وهم شاهدون) الجملة حالية : أى والحال أنهم معاينون لخلقهم (قوله ألا إنهم من إفكهم) استئناف لبيان إبطال ما هم
عليه كأنه قيل ليس لهم مستند إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وإنهم لكاذبون فيه) أى فى قولهم الملائكة
بنات الله (قوله واستغنى بها) أى بهمزة الاستفهام فى التوصل للنطق بالسالك والاستفهام للتوبيخ والتقرير (قوله
مآلكم كيف تحكمون) أى أى شئ ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين فى زعمكم
لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء فى الذال) أى أو بناء واحدة من غير إدغام قراءتان سبعيتان .

(قوله أم لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لا وجود له ولا يقدرُونَ على إثباته (قوله التوراة) الصواب إسقاطه لأن الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للغبية إشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله وليسوا أهلاً لخطابه (قوله لاجتنانهم عن الأبصار) أى استتارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة الخ) هذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم وما يتول إليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأبيد (قوله سبحانه الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه الله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحانه الله عما يصفون به لكن عباد الله الخ الذين نحن من جماعتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وما تعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن إغوائهم (قوله استثناء منقطع) أى من الواو في يصفون وهو في قوة الاستدراك رفع به ما توهم ثبوته أو نفيه كأنه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى ، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكلمات (قوله أى على معبودكم) أشار بذلك إلى أن (٣٣٦) الضمير في عليه عائذ على ما وعلى هذا فالواو للمعية وما مفعول مع

سادة ، سد خبر إن (قوله فأتين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أحدا والمعنى أنكم مع معبودكم لستم بتفسدين أحدا إلا من سبقت له الشقاوة في علم الله (قوله إلا من هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمه مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاص (قوله في علم الله تعالى) أى من علم الله أنه من أهل الجحيم فانه يميل إلى الكفر وأهله (قوله وما منا إلا له مقام معلوم)

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) حجة واضحة أن الله ولداً (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) التوراة فأرونى ذلك فيه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم ذلك (وَجَعَلُوا) أى المشركون (بَيْنَهُ) تعالى (وَبَيْنَ الْجَنَّةِ) أى الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار (نَسَبًا) بقولهم إنها بنات الله (وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ) أى قائل ذلك (لَمُخْضَرُونَ) للنار يعذبون فيها (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيهاً له (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن الله ولداً (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى فانهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَاتِنِينَ) أى أحداً (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وَمَا مِنَّا) معشر الملائكة أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) فى السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزها (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) أقدامنا فى الصلاة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله عما لا يليق به (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كَانُوا) أى كفار مكة (لَيَقُولُنَّ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا) كتاباً (مِنَ الْآوَلِينَ) أى من كتب الأمم الماضية (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) العبادة له قال تعالى (فَكْفَرُوا بِهِ) أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة كفرهم

هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بأعبودية رداً على عبدتهم . والمعنى ليس منا أحد إلا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتنال ما يأمركمنا الله تعالى به . قال ابن عباس : ما فى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلى ويسبح قيل إن هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند صدره المنتهى فتأخر جبريل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أهنا تفارقنى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم من مكانى هذا وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة ومنا إلا له مقام معلوم الآيات ، وفى الحديث « ما فى السموات موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » (قوله أحد) قدره إشارة إلى أن فى الآية حذف الموصوف وإبقاء صفته وهو مبتدأ والخبر جملة قوله إلا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا إلا له مقام معلوم (قوله أقدامنا فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة . والمعنى أن قريشا كانت تقول قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو أن لنا كتاباً مثل كتاب الأولين لأخلصنا العبادة لله تعالى . وهذا نظير قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ما قبل (قوله فسوف يعلمون) أى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلاً سوف ترى ما توعد به وأنت

ع فيه فسوف للوعيد لا للتباعد (قوله ولقد سبقت كلمتنا الخ) هذا السلية له صلى الله عليه وسلم وإما صدرت هذه الجملة بالقسم كيد الاعتناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) إنما سمى الوعد بالنصر كلمة مع أنه كلمات لكون معنى الكل واحدا وهي لأغلبنا أنا ورسلي أي فيكون قوله إنهم لهم المنصورون جملة مستأنفة وقوله أو هي قوله إنهم الخ أي وعليه فيكون من كلمتنا أو تفسيرها (قوله وإن جندنا) الجند في الأصل الأنصار والأعوان، والمراد منه أنصار دين الله وهم المؤمنون قال المفسر (قوله وإن لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا ما يقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين في بعض الأزمان بأن النصر إما في الآخرة للجميع أو في الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال . وأجيب أيضا بأن الأنبياء الذين لهم في القتال لا بد لهم من النصر في الدنيا ولا تقع لهم هزيمة أبدا ، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة كما في أحد فهو لهم عزيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن الله الآية وأما غيرهم فتارة ينصرون في الدنيا وتارة لا وإنما ينصرون في الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) أي فكان ما مورا بالتبليغ والصبر ، ثم لما كان في السنة الثانية من الهجرة (٣٢٧) أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد

وغزواته سبع وعشرون غزوة قاتل في ثمان منها بنفسه : بدر وأحمد والمصطلق والحنديق وقرية وخيبر وحنين والطائف (قوله وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب) أي من القتل والأسر والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك قريب كأنه واقع مشاهد (قوله عاقبة كفرهم) أي من نزول العذاب بساحتهم (قوله تهديد لهم) أي فليس الاستفهام على حقيقته بل المقصود تهديدهم (قوله

لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) وهي : لأغلبنا أنا ورسلي ، أو هي قوله : نَهُم كَلِمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنْ جُنَدُنَا) أي المؤمنين (لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الكفار بالحجة والنصرة بهم في الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا في الآخرة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أي أعرض عن كفار مكة (حَتَّى حِينٍ) تؤمر فيه بقتالهم (وَأَبْصِرْهُمْ) إذا نزل بهم العذاب (فَسَوْفَ يَصِرُونَ) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزل هذا العذاب ؟ قال تعالى تهديدا لهم (أَفَبِمَا نُنْزِلُكَ فَتَمْتَدِّجُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم قال الفراء : العرب تكتفي بذكر الساحة عن نوم (فَسَاءَ) بئس صباحا (صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمرة (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) كرر تأكيذا تهديدا وتسلية له صلى الله عليه وسلم (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولدا (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك لكافرين .

تكتفي بذكر الساحة) أي تستغنى على سبيل الكفاية فالمراد نزل بهم العذاب فشيبه العذاب بجيش هجم عليهم فأنسخ بفنائهم تارة وهم في ديارهم في ضمير العذاب استعارة بالكناية والنزول تخييل (قوله بئس صباحا) أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير التمييز محذوف والمذكور مخصوص والأوضح ما قاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمخصوص محذوف وعليه فالتقدير بئس صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه إقامة الظاهر مقام المضمرة) أي في التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم قوله سبحانه ربك الخ) الغرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا ينفكوا عنه لما روى عن علي كرم الله وجهه قال : من أحب أن يكتال بالمسكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن أبي سعيد الخدري قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (قوله رب العزة) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة ، وقيل المراد العزة الخالقة الكائنة بين خلقه ويترتب على كل من القواين مسألة اليمين فعلى الأول ينعقد بها اليمين لأنها من صفات الله تعالى ، وعلى الثاني لا ينعقد لأنها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم .

[سورة ص] أى ويقال لها سورة داود (قوله مكة) أى كلها (قوله أو ثمان) أو لحكاية الخلاف (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأن تفويض الأمر التشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب . واعلم أن في لفظ ص قرآن خمسة السبعة على السكون لا غير والباقي شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على أنه محذوف على أنه اسم للسورة : أى هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والفتح إما على أنه مفعول محذوف تقديره اقرأ ونحوه أو مبنى على الفتح كآين وكيف والأول أقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر إلى اللفظ (قوله أى البيان) أى لما يحتاج إليه في أمر الدين ، وقوله أو الشرف : أى أن من آمن به كان شريفاً في الدنيا والآخرة . قال تعالى - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم - أى شرفكم وأيضاً القرآن شرف في ذاته من حيث اشتماله على المواعظ والأحكام وغيرها فهو شريف في نفسه مشرف لغيره ، وقيل المراد بالذكركم أسماء الله تعالى وتمجده ، وقيل المراد به الموعظة ، وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا أحد أقوال وهو أحسن وقيل تقديره إنك لمن المرسلين (٣٢٨) كما في يس ، وقيل هو قوله كم أهلكنا وفيه حذف اللام والأصل لكم

أهلكنا وإنما حذف
لطول الكلام نظير حذفها
في قوله - قد أفلح من
زكاه - بعد قوله والشمس
وقيل غير ذلك (قوله بل
الذين كفروا) إضراب
وانتقال من قصة إلى قصة
(قوله من أهل مكة)
خصمهم بالذكركم لأنهم سبب
النزول وإلا فالمراد كل
كافر (قوله أى كثيراً)
أشار بذلك إلى أن كم
خبرية بمعنى كثيراً مفعول
أهلكنا ومن قرن تمييز
لها (قوله ولات حين)
اختلفت الصاحف في رسم
التاء فبعضهم رسمها مفصولة

(سورة ص)

مكة ست أو ثمان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ص) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) (البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف : أى ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآيات) (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزَّةٍ) حمية وتكبر عن الإيمان (وَشِقَاقٍ) خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم (كَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قُرُونٍ) أى أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوْا) حين نزول العذاب بهم (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) ليس الحين حين فرار وثناء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أى استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) وضع الظاهر موضع المضمرة (هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ،

و بعضهم رسمها متصلة بحين و ينبغي على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء وبعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلفوا ، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجزورة إتباعاً لمرسوم الخط الشريف والألف منهم يقف بالهاء ، وهذا الوقف للاختبار لأنه من جملة الأوقاف الجائزة (قوله مناص) المناس يطلق على المنجى والمفر والتف والتأخر وكل هنا يناسب المقام (قوله أى ليس الحين الخ) أشار بذلك إلى مذهب الحائل وسببويه في لات من حيث إنها تعمله ليس وإن اسمها محذوف وهو خبرها لفظ الحين ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وما للات في سوى حين عمل وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

(قوله والثناء زائدة) أى لتأكيد النفي (قوله من فاعل نادوا) أى وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) أى جعلوا عجب رسول من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتمتع منه (قوله من أنفسهم) أى جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة في التقييد عليهم وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) أى يظهره من الخوارق كذاب : أى فيما يسنده إلى الله من الإرسال ، الإنزال .

قوله أحمل الآلهة الخ الاستفهام تعجبى : أى كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد ، وسبب هذا التعجب
 منهم القديم على الحادث ولم يعلموا أنه واحد لا من قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد نزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب)
 بذلك إلى أن عجب مباينة في عجيب (قوله عند أبي طالب) روى « أنه لما أسلم عمرشق ذلك على قر يش فاجتمع خمسة
 شرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وحشناك لتقضى بيننا وبين
 أخيك ، فأحضره وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تل كل الميل على قومك ، فقال النبي
 الله عليه وسلم ماذا تسألونى ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكرا آلهتنا وتدعك وإهلك ، فقال أرايتكم إن أعطيتكم ما سألتكم
 مطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم ؟ فقالوا نعم وعشر أمثالها ، فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا
 أطلقوا قائلين : امشوا واصبروا على آلهتكم (قوله أى يقول بعضهم الخ) أشار بذلك إلى أن تفسيره وضابطها موجود
 وتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) أى استمروا على عبادتها (قوله إن هذا) تعليل
 أمر بالصبر (قوله يراد منا) أى يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه (قوله ما سمعنا بهذا الخ) أى

ولما سمعنا فيها التثليث
 (قوله بتحقيق الهمزتين)
 أى فالفراآت أربع
 سبعيات (قوله أى لم ينزل
 عليه) أشار بذلك إلى أن
 الاستفهام إنكارى بمعنى
 النفي (قوله بل هم في شك)
 إضراب عن مقدر تقديره
 إنكارهم للذكر ليس عن
 علم بل هم في شك منه
 (قوله بل لما يذوقوا عذاب)
 إضراب انتقالى لبيان
 سبب الشك والمعنى سببه
 أنهم لم يذوقوا العذاب إلى
 الآن ولو ذاقوه لأيقروا
 بالقرآن وآمنوا به (قوله لم
 يذوقوا) أشار بذلك إلى

بجَلَّ الآلهة إلهًا واحدًا) حيث قال لهم قولوا : لا إله إلا الله أى كيف يسع الخلق كلهم
 واحد (إن هذا لشيء عجيب) أى عجيب (وأنطلق الملائكة منهم) من مجلس اجتماعهم
 عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا : لا إله إلا الله (أن أمشوا)
 أى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) اثبتوا على عبادتها (إن هذا)
 المذكور من التوحيد (لشيء يراد) منا (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) أى ملة عيسى
 (إن) ما (هذا إلا اختلاق) كذب (أأنزل) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال
 ألف بينهما على الوجهين وتركه (عليه) على محمد (الذكر) القرآن (من بيننا) وليس
 أكبرنا ولا أشرفنا ؟ أى لم ينزل عليه ، قال تعالى (بل هم في شك من ذكرى) وحى
 فى القرآن حيث كذبوا الجاني به (بل لكنا) لم (يذوقوا عذاب) ولو ذاقوه لصدقوا النبي
 صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك
 لتزير) الغالب (الوهاب) من النبوة وغيرها فيعطونها من شاءوا (أم لهم ملك السموات
 والأرض وما بينهما) إن زعموا ذلك (فلا يرتقوا في الأسباب) الموصلة إلى السماء فيأتوا
 بالوحي فيخصوا به من شاءوا ، وأم فى الموضعين بمعنى همزة الإنكار (جند ما) أى هم جند
 حقير (هنالك) أى فى تكذيبهم لك (مهزوم)

ن لما معنى لم ، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم
 (قوله حينئذ) أى حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء
 أن عباده فلا مانع له (قوله الغالب) أى الذى لا يغلبه شيء بل هو الغالب لكل شيء (قوله الوهاب) أى الذى يهب ما يشاء
 من يشاء (قوله أم لهم ملك السموات والأرض) المعنى ليس لهم تصرف فى العالم الذى هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم
 التصرف فيها (قوله فلا يرتقوا في الأسباب) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر قدره بقوله : إن زعموا ذلك : أى المذكور من
 العندية والملكية ، والمعنى فليصعدوا فى العارج إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي
 على من يختارون (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى وبعضهم قدرها ببل والهمزة (قوله أى هم جند) أشار بذلك إلى أن جند
 خبر المحذوف والتنوين للتقليل والتحقيق ومالثا كيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند أولهزوم (قوله مهزوم) أى مهزور ومغلوب ،
 والمعنى أن قرىشا جند حقير قليل من الكفار التحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تكثر بهم وتسل عنهم

(قوله صفة جند أيضا) أى فقد وصف جند بصفات ثلاث : الأولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الأحزاب (قوله وأولئك) أى الأحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب (قوله باعتبار المعنى) أى وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أى يدق ويفرز والأوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الأفتح (قوله يشد إليها يديه الخ) أى ويضعه مستلقيا على ظهره (قوله ويعذبه) قيل يتركه حتى يموت ، وقيل يرسل عليه العقارب والحيات ، وقيل معنى ذو الأوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفى الأوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وهو لا يثبت إلا بأوتاد (قوله أى الفيضة) أى الأشجار الملتفة المجتمعة ، وتقدم أنهم أهلكوا بالظالة (قوله أولئك الأحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله إن كل الخ استئناف جى به تقريراً لتكذيبهم وبياناً لكيفيته وتهيدا لما يعقبه وإن نافية لأعمل لها لا تتقاضى النفي بإلا (قوله لأنهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال إن كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شذوع فى بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب (قوله وهى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله مالها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيغة ومن مزيدة فى المبتدأ (قوله بفتح الفاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (٣٣٠) وهو الزمان الذى بين حلبى الحالب ورضع الراضع ، والمعنى مالها من توقف

قدر فواق ناقة ، وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فأما من أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصبتنا وحظنا وأصله من قط الشيء أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) مى قطا لأنه مقطوع أى مقطوع لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من خبرها (قوله

صفة جند (من الأحزاب) صفة جند أيضا : أى كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء (كذبت قبلهم قوم نوح الخ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كان يتد لكل من يفض عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه (وتمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أى الفيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أولئك الأحزاب) (إن) ما (كل) من الأحزاب (إلا كذب الرسل) لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فحق) وجب (عتاب) وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) أى كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهى نفخة القيامة تحمل بهم العذاب (مالها من فواق) بفتح الفاء وضمها : رجوع (وقالوا) لما نزل : فأما من أوتى كتابه بيمينه الخ (ربنا عجل لنا قطننا) أى كتاب أعمالنا (قبل يوم الحساب) قالوا ذلك استهزاء ، قال تعالى (أصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أى القوة فى العبادة ، كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه

قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله اصبر على ما يقولون) فيه تهديد

للكفار وتسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المتصود من ذكر تلك القصص إظهار فضل المتقدمين وتسليية صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والإضافة فى عبدنا لتشريف الضاف (قوله ذا الأيد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد إذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما ويفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود لأن النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطلقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ، ولا شك أنه جهاد عظيم (قوله ويقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبي والبيضاوى وأبى السعود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحيانا هكذا وأحيانا هكذا .

قوله إنه أواب) تعليل لكونه ذا قوة في الدين (قوله إلى مرضاة الله) الرضا بمعنى الرضا (قوله إنا سخرنا الجبال) تعاليل
 لقوته في الدين (قوله يسبحن) أي بلسان المقال ويسرن معه في السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت
 صلاة العشاء) ظاهره أن المراد بها العشاء الأخيرة ، والذي يفهم من كلام غيره أنها المغرب حيث قال : فكان داود يسبح إثر
 غروب الشمس وعند غروبها (قوله وينتهي ضوءها) أي وهو ربيع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب
 قرادة العامة معطوف على الجبال وقرى مشدودا بالرفع مبتدأ وخبر (قوله كل له أواب) أشار المفسر إلى أن الضمير في له عائد
 لداود ، وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطير مطيع لداود في تسبيحه إن رفع رفعوا وإن خفض خفضوا وهو أحد قواين
 أخر أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتح الحاء اسم جمع لحرس
 يضم الحاء وفتح الراء للشدة جمع حارس (قوله ثلاثون ألف رجل) في رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفا (قوله النبوة
 إصابة في الأمور) هذا أحد أقوال في تفسير الحكمة ، وقيل هي العلم بكتاب الله تعالى ، وقيل العلم والفقه ، وقيل السنة
 قوله البيان الشافي) أي لظاهر النبوة للمخاطب من غير التباس ، وهو (٣٣١) أحد أقوال في تفسير فصل

الحطاب ، وقيل الفصل
 في القضاء ، وقيل هو
 البيئة على المدعى واليمين
 على من أنكر ، وقيل
 هو أما بعد ، وقيل غير
 ذلك (قوله التعجيب) أي
 حمل المخاطب على التعجب
 أو إيقاعه في العجب
 (قوله إلى استماع ما بعده)
 أي لكونه أمرا غريبا
 كقولك لجليتك : هل
 تعلم ما وقع اليوم تريد أن
 يستمع لكلامك ثم تذكر
 له ما وقع (قوله إذ
 نسوروا) ظرف لمضاف
 محذوف تقديره نبأخصام

إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى مرضاة الله (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ) بتسبيحه (بِالْمَشِيِّ)
 صلاة العشاء (وَالْإِثْرَاقِ) وقت صلاة الضحى ، وهو أن تشرق الشمس وينتهي ضوءها
 سخرنا (الطَّيْرَ مُحْشُورَةً) مجموعة إليه تسبح معه (كُلُّ) من الجبال والطير (لَهُ)
 أَوَّابٌ) رجاع إلى طاعته بالتسبيح (وَشَدَّ ذَنَاهُ مُلْكَهُ) قوَّيناه بالحرس والجنود وكان يحرس
 إياه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النبوة والإصابة في الأمور (وَفَصَّلَ
 طَابِ) البيان الشافي في كل قصد (وَهَلْ) معنى الاستفهام. هذا التعجيب والتشويق إلى
 ما بعده (أَتَاكَ) يا محمد (نَبَأًا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) محراب داود أي مسجده
 منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أي خبرهم ونصتهم (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ
 مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ) نحن (خَصْمَانِ) قيل فريقان ليطلق ما قبله من ضمير الجمع
 لاثنتان والضمير بمعناها ، والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا في صورة خصمين
 لهما ما ذكر على سبيل العرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه ، وكان له تسع
 معونات امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها ،

مع ولا يصح أن يكون ظرفا لأنك لأن إتيان النبأ كائن في عهد رسول الله لافي عهد داود ولا لنبأ لأن النبأ واقع
 عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أي مسجده) أي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة
 له حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أي لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول
 من الباب (قوله ففرع منهم) أي لأنهم نزلوا من أعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لا تخف) جواب
 لـ مقدر كأنه قيل : ماذا قالوا لما شاهدوا فرعه ؟ فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبنى على أن الداخل عليه
 أزيد من اثنين ، فكان المتخاصمين والشاهدين المزيكين (قوله وقيل اثنان) أي شخصان وهو مبنى على أن الداخل
 اعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) أي لأنه في الأصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله
 سبيل العرض) بالعين المهملة : أي التعريض وهو جواب عما يقال إن الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البنى
 الكذب ، فأجاب بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا بنى فيه ولا كذب (قوله لتنبيه داود) أي إيقاظه على
 سر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره أوريا بن حان لسر عظيم
 كما قيل إنها أم سليمان عليه السلام .

(قوله وتزوجها ودخل بها) مثنى المفسر على أن داود سأل أور يا طلاق زوجته ثم بعد وفاء عدتها تزوجها داود ودخل بها وهو أحد أقوال ثلاثة . والثاني أن داود لما تعلق بها قلبه أمر أور يا ليذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل ، فلما قتل في الجهاد تزوجها داود . والثالث أن أور يا لم يكن متزوجا بها وإنما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها ، وكان ذلك كله جائزا في شرعه وإنما عاتبه الله لرفعة قدره ، وللسيد أن يعاتب عبده على ما يقع منه وإن كان جائزا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضمّ التاء من أشطط إذا تجاوز الحد وقرئ شذوذا تشطط بفتح التاء وضمّ الطاء وتشط من أشط رباعيا إلا أنه أدغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله إن هذا أخي الخ) مراتب على مقدر تقديره فقال لهما داود نكحوا فقال أحدهما إن هذا أخي الخ (قوله أي على ديني) أي فليس المراد أخوة النسب ، لأن الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) أي يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها ، وقد يكنى عنها بالبقرة والثاقة (قوله أي اجعلني كافلها) هذا هو معناه الأصلي ، والمراد هنا ملكيتها وانزل لي عنها (قوله وعزّني في الخطاب) أي فهو أنصح مني في الكلام فالغلبة له على لضعفي (قوله وأقرّه الآخر) أي المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيئا من المدعى عليه ؟ فأجيب بأنه سمع منه الاقرار والاعتراف (قوله بسؤال نعتك) من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أي بأن سألك نعتك (٣٣٢) (قوله ليضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الإضافة والضم

(قوله من الخطاء الشركاء) أي الذين خلطوا أموالهم وفيه إشارة إلى أن داود سائر ظاهر دعواهم (قوله إلا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) أي علم أنهما يريدانه بهذا التعريض (قوله إنما فتناء) مازائدة ، والمعنى وطن داود أنا فتناء فتنبه ولاحظ ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) أي

وتزوجها ودخل بها (بغى بعضنا على بعض فآخكم بيدنا بالحق ولا تشطط) (وأهدنا) أرشدنا (إلى صواء الصراط) وسط الطريق الصواب (إن هذا أخي) أي على ديني (له تسع وتسعون نعمة) يعبر بها عن المرأة (ولي نعمة واحدة فتمال أ كفلنيها) أي اجعلني كافلها (وعزّني) غلبني (في الخطاب) أي الجدل وأقرّه الآخر على ذلك (قال لقد ظلمك بسؤال نعتك) ليضمها (إلى نعاجه وإن كثيرا من الخطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) مالتا كبد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود ، قال تعالى (وظن) أي أيقن (داود أنما فتناء) أو قضاها في فتنة : أي بامية بمحبته تلك المرأة (فأستغفر ربه وخر راكعا) أي ساجدا (وأتاب) ففقرنا له ذلك وإن له عذرا (لرؤني) أي زيادة خير في الدنيا (وحسن مآب) مرجع في الآخرة ،

(باداوة) طاب منه المغفرة ، وتقدم أنه ليس بذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله أي ساجدا) عبر بالركوع عنه لأن كلا منهما فيه انحناء (قوله وأتاب) أي رجع مولاه . قال المفسرون : سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا الحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا إلى تمام الأربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة ، وكان من دعائه في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يتلى الخالق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الخائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهي خلقت بيني وبين عدوي إيايس فلم أقم لفنته إذ نزلت بي سبحان خالق النور ، إلهي أنت خلقتني وكان في سابق عاين ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطي سبحان خالق النور ، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور ، إلهي بأي قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم نزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور ، إلهي من أين يطاب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهي أنا لا أطيق حرّ شمسك فكيف أطيق حرّ نارك سبحان خالق النور ، إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه سبحان خالق النور ، إلهي كذا يستقر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور ، إلهي قد تعلم سرّي وعلائي فأقبل معذرتي

ان خالق النور ، الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور ، الهى أعوذ بوجهك
 ورجم من ذنوبى التى أوقتنى سبحان خالق النور ، الهى فررت إليك بذنوبى واهترفت بخطيئتي فلا تجعلنى من القاطنين
 فزنى يوم الدين سبحان خالق النور . قيل مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت الرعى من دموع عيفيه حتى
 ل رأسه ، فتودى باداود أجانع أنت فتطم أظمان أنت فتسقى أمظاوم أنت فتنصر فأجيب فى غير ماطلب ولم يجبه فى ذكر
 لئنه بشىء فزنى حتى هاج ماحوله . من المشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمعفرة بقوله : فغفرنا له
 وإن له عندنا لذنى وحسن مآب . وقد ورد أنه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلاً ولا نهاراً
 سنة . إذ ذاك سبعين سنة فقسم لدهر على أربعة أيام : يوم للقضاء ويوم للنساء ويوم يسبح فى الجبال والفيافي والسياحات
 يوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فإذا كان يوم سياحته خرج إلى
 فى ورفع صوته بالبكاء فبكى معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجىء إلى
 حل ويرفع صوته بالبكاء فبكى معه دواب البحر وطير الماء فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح
 على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحارب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف
 يس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب فيجلسون فى تلك المحارب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه
 زال يبكى حتى يفرق الفراش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله . وقد ورد أيضاً
 لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لأنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة ، فوسم
 خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها (٣٣٣) ومقام خطيئتها فى الناس إلا وبسط
 راحتها فاستقبل بها

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ (تدبر أمر الناس) فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
 لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ (أى هوى النفس) (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الدلائل الدالة
 على توحيده (إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 تَنَسَّوْا) بنسيانهم (يَوْمَ الْحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب
 لمنوا فى الدنيا (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أى عبثاً ،

خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان إذا ذكر عتاب الله تعالى نخعت أوصاله وإذا ذكر رحمة الله
 اجعت اه ماخصاً (قوله يا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) يحتمل أنه كلام مستأنف بيان للزنى فى قوله : وإن له
 عندنا لذنى ، ويحتمل أنه مقول لقول محذوف معطوف على قوله - فغفرنا له - كأنه قيل فغفرنا له وقلنا يا داود الخ وفى هذه
 الآية دليل على أن خلافة التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر أمر الناس) أى لكونك ملكاً
 سلطاناً عليهم ، فقد جمع لداود عليه السلام بين النبوة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر
 يحكم السلطان بما يأمر به النبي (قوله بالحق) أى العدل لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به صاحت الخلق واستقام
 نظامهم بخلاف إذا كانت موافقة لهوى النفس فإن ذلك يؤدى إلى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدى للهلاك وهو
 فى قولهم : العدل إن دام عمر والظلم إن دام دمر (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه إعلام أمته بأنه معصوم
 لتتبعه فيما أمر به لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى
 هو أولى من جعله مجزوما عطفاً على النهى وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله أى عن الدلائل الدالة على توحيده)
 فما قسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى ليوافق قوله : لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم)
 شار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب إما ظرف لقوله : لهم عذاب شديد أو مفعول لنسوا (قوله
 المرتب عليه الخ) أى فالسبب الحقيقى فى حصول العذاب لهم هو ترك الإيمان ونسيان يوم الحساب سبب فى ترك الإيمان
 كتنى بذكر السبب (قوله وما خلقنا السماء والأرض الخ) استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب (قوله باطلاً) نعمت
 مصدر محذوف أى خلق باطلاً أو حال من ضمير الخلق .

(قوله ذلك ظن الذين كفروا) أي مظنونهم (قوله فويل) هو في الأصل معناه الهلاك أي هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظاهر تقييها عليهم وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم (قوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) أم منقطعة تنصير بيل والهمزة وهو إضراب انتقالي من أمر البعث والحساب إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب وهو نظير قوله تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله أم نجعل المتقين الخ) تنويع آخر في الإضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الإنكار) أي مع بل التي للإضراب (قوله خبر مبتدأ محذوف) أي وأنزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ محذوف أو خبر ثان لصفة ثانية للكتاب لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفي خلاف (قوله ينظروا في معانيها) أي يتأملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فإن التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرءونه مرتلا مجودا مراعى بعض (٣٣٤) معانيه على حسب الطاقة ، والخاصة يقرءونه ملاحظين أنهم في حضرة الله

تعالى يقرءون كلامه عليه ، وخاصة الخاصة يقرءون فاني عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا بهم (قوله أولوا الأبواب) خصهم بالذكر لأنهم المتفهمون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أي من الرأفة التي أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أي سليمان) تفسير للخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض الخ المعنى اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال)

(ذَلِكَ) أي خلق ما ذكر لا شيء (ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) وَايَ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار (كِتَابٌ) خبر مبتدأ محذوف أي هذا (أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال (آيَاتِهِ) ينظروا في معانيها فيؤمنوا (وَلِيَتَذَكَّرَ) يتعظ (أُولُوا الْأَبْوَابِ) أصحاب العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعَمَ الْعَبْدِ) أي سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الْجِيَادُ) جمع جواد وهو السابق ، المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أي أردت (حُبَّ الْخَيْرِ) أي الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) أي صلاة العصر (حَتَّى تَوَارَتْ) أي الشمس (بِالْحِجَابِ) أي استتارت بما يحجبها عن الأبصار (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) أي الخيل المعروضة فردوها (فَطَفِقَ مَسْحًا) بالسيف (بِالسُّوقِ) جمع ساق (وَالْأَعْنَاقِ) ،

أي إلى الغروب (قوله وهي القائمة) أي الواقعة على ثلاث قوائم (قوله على طرف الحافر) أي من رجل أويدي (قوله وهو من صفن) أي مأخوذ منه والشافن من الآدميين الذي يصف قدميه ويفرق بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطاق على كل من الذكر والأنثى مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق ، والمعنى طويلة العنق لفراحتها (قوله المعنى) أي معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت ألف فرس) روى أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس ، وقيل أصابها أبو بكر من العمالة فوضع يده عليها لبيت المال ، وقيل خرجت له من البحر ولها أجنحة (قوله لإرادة الجهاد) أي ليختبرها (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أي على وجه الاعتذار عما صدر منه وندما عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعدها بمن (قوله أي الخيل) إنما سماها خيرا لتعلق الخير بها لما في الحديث «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة» (قوله بالحجاب) أي وهو جبل دون جبل قاف بمسيرة سنة تغرب من ورائه (قوله رُدُّوْهَا عَلَيَّ) الخطاب لأنباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التي شغلته وهي التسعمائة ، وأما المائة الأخرى فلم يذب عنها ، وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة .

أى ذبحها وقطع أرجلها) أى وكان مباحا له ولدا لم يعاتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، وليل
 في قوله ردها عائد على الشمس والخطاب لللائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر في وقتها ، وقال الفخر الرازي
 بوله فطفق مسحاً بالسوق والأعناق أنه مسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها لكونه كان أعلم بأحوال الخيل
 إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يباشر الأمور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولا عقرو ولم تقوت عليه صلاة ، ومعنى إني أحبيت
 لمخير عن ذكر ربى : أى لأجل طاعة ربى لالهوى نفسى ، ومعنى توارت بالحجاب : أى الخيل غابت عن بصره حين أمر
 بها ليختبرها للفزو فقال ردها على فردوها فصار يمسح في أعناقها وسوقها كما تقدم وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح
 ثرولا فوات صلاة اه بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) أجل المفسر في القصة . وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن
 قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل
 في البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ماسكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ في بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح فخرج
 من المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بمجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبي مافيها وأصاب فيما أصاب
 لك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً ولا جماً فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة
 حبها حبا لم يحب مثله أحدا من نساؤه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان ،
 لما ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ ، قالت إن أبى أذكره وأذكر ماسكه وما كان فيه وما أصابه
 في ذلك ، فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكننى إذا ذكرته أصابنى
 من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب
 بزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجعد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين ، فقال مثلوا لها صورة أيها

(٣٣٥)

فى دارها حتى لا تنكر
 منه شيئا فمثلوه لها حتى
 نظرت إلى أيها بعينه
 إلا أنه لا روح فيه فعمدت

بجها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها
 لله الله تعالى خيراً منها وأسرع ، وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ)
 اه بسبب ملكه وذلك ،

ين صنعوه فلبسته ثياباً مثل ثيابه التى كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها نفدوا إليه فى ولائها : أى
 بها ففسجده ويسجدن له كما كانت تصنع فى ملكه : أى أيها وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من
 ربهين صباحاً وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شئ
 بوته دخل سواء كان سليمان حاضراً أو غائبا فأتاه وقال يا بنى الله إن غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحاً فى هوى
 فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وإنا إليه راجعون ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك
 وولائها ثم أمر بتياب الظهيرة فأتى بها وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبقار ولا ينسجها إلا الأبقار ولا يغسلها إلا الأبقار لم تفسها
 أة قدرأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى جالس على ذلك
 وتمعك به فى ثيابه تذلاً إلى الله تعالى وتضرعاً إليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى
 ، ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمانة كان إذا دخل الحلاء أو أراد إصابة امرأة من نساؤه وضع خاتمه
 فى حق يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوماً عندها ، ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان
 بحر المارد بن عمير فى صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال هات خاتمى يا أمانة فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى
 على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى الأمانة وقد تغيرت حالته وهيئته عند
 من رآه فقال يا أمانة خاتمى قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على
 ماسكه فعرف سليمان أن خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل ويقول أنا سليمان ابن داود
 إن عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المخنون يزعم أنه سليمان ، فلما رأى ذلك عمده إلى البحر فكان ينقل الحيطان
 إلى السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الأخرى فيأكلها فكث على ذلك أربعين
 عدة ما كان يعبد الوثنيين فى داره ثم إن آصف وعظماء بنى إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف

أبعثر بن إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيتم فقالوا نعم ، فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجاسه ، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه . فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان إحداها بأرغفة و بقر بطن الأخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده وخر لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف أن الذي دخل عليه من أجل ماحدث في داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر فهو باق فيها إلى النفخة ، وسيأتي رد تلك القصة وأنها من موضوعات الأخبار بين (قوله لتزوجه بامرأة) أي واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هواها بمعنى أحبها من باب صدى وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط ، وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) أي وهو صورة أبيها ومدد ذلك أربعون يوما (قوله وكان ملكه في خاتمه) أي كان ملكه مرتبا على لبسه إياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها وإذا نزع زال عنه ذلك ، وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة وقد نظمها بعضهم بقوله :

وآدم معه أزل العود والعصا لموصى من الآس النبات المكرم

وأوراق تين واليمين بمكة وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود المراد به عود البخور (٣٣٦) وقوله واليمين بمكة المراد به الحجر الأسود وورد في الحديث «أن نقش خاتم

لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فنزع مرة عند إرادة الخلاء ووضعها عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته ، فجاءها جنى في صورة سليمان فأخذه منها (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّه جَسَداً) هو ذلك الجنى ، وهو صخر أو غيره جلس على كرمى سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أن سليمان فأنكروه (ثم أناب) رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم قلبه وجلس على كرسيه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ،

سليمان لا إله إلا الله محمد رسول الله) (قوله ووضعها عند امرأته) في عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمينة (قوله هو ذلك الجنى) أي وسمى جسدا لأنه ليس فيه روح سليمان وإن كان فيه روحه هو لأن الجسد

هو الجسم الذي لا روح فيه (قوله وهو صخر) أي ابن عمير المارد (قوله في غير هيئته) أي المعتادة التي كانوا يعرفونه بها (قوله رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله وألقينا على كرسيه جسدا وقوله غيره إنه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى إنابته رجوعه إلى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أي أربعين قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وإلّا الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة» وفي رواية «على مائة امرأة كلهن يأتني بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وإيم الله الذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون» قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه وفتنته من نسيان المشيئة فامتحن بها فتاب ورجع وقيل إن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم ننفض من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فجعله فكان ربيبه في السحاب خوفا من الشياطين فيبيناهم مشتغل في بعض مهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعائبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه في ذلك فتعابه واستنابه ربه ، إذا علمت ذلك فالمناسب أن يعرج على ما في الصحيحين وتترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لي) إنما قال ذلك تواضعا وإظهارا للخضوع للولي عز وجل والافهول لم يحصل منه ذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين

قوله وهب لي ملكا الخ) قدم طلب المغفرة اهتماما بأمر الدين (قوله لا ينبغي لأحد من بعدى) أى ليكون معجزة لي فليس طامه
مفاخرة بأمور الدنيا وإنما كان هو من بيت النبوة والملك وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطاب ما يكون معجزة
قومة ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره (قوله إنك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبه (قوله فسخرنا له الريح) أى
عندنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه ، وهذا على مامشى عليه المفسر وعلى ما مشى عليه المحققون فيقال
دعنا تسخيرها (قوله تجري بأمره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينه) أى غير عاصفة وهذا في أثناء
سيرها وأما في أوله فهي عاصفة فكانت العاصفة تقلع الساط والرخاء تسيره (قوله بأمره) أى إياها فالمصدر مضاف لفاعله (قوله
على بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء ، وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة استخدمهم
في الأعمال الشاقة من البناء والنوص ونحو ذلك وإلى مقرنين في السلاسل كالمردة والعنة (قوله القيود) من العاوم أن القيود
يكون في الرجل فلا يلتزم مع قوله : يجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى لأنها تطلق عليها كما تطلق على القيود
قوله وقتلنا له هذا) أى هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بعطاؤنا : أى أعطيناك بغير
حساب و بغير حصر . الثاني أنه حال من عطاؤنا : أى في حال كون عطاؤنا (٣٣٧) غير محاسب عليه . والثالث

أنه متعلق بامن أو أمسك
والعنى أعط من شئت
وامنع من شئت لا حساب
عليك في إعطاء ولا منع .
قال الحسن : ما أنعم الله
نعمة على أحد إلا عليه
فيها تبعه إلا سليمان فإنه إن
أعطى أجر وإن لم يعط لم
يكن عليه تبعه (قوله
وإن له عندنا الزاقي وحسن
مآب) أى زيادة خير
في الدنيا والآخرة (قوله
واذ كر عبدنا أيوب)
عطف على قوله واذا كر
عبدنا داود عطف قصة

هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِلُنِي) لَا يَكُونُ (لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أَيْ سِوَايْ نَحْوُ : فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ
بَعْدِ اللَّهِ أَيْ سِوَى اللَّهِ (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً (لِينَةً
(حَيْثُ أَصَابَ) أَرَادَ (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ) بَيْنِي الْأَنْبِيَاءِ الْعَجِيبَةِ (وَعَوَّاصٍ) فِي الْبَحْرِ
يَسْتَخْرِجُ التُّوَلُّو (وَأَخْرَيْنَ) مِنْهُمْ (مُقَرَّرِينَ) مُشْدُودِينَ (فِي الْأَصْفَادِ) الْقِيُودِ يَجْمَعُ أَيْدِيَهُمْ إِلَى
أَعْنَاقِهِمْ وَقَتْلَنَا لَهُ (هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمْنٌ) أَعْطَيْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ (أَوْ أَمْسَكْ) عَنْ الْإِعْطَاءِ
(بِغَيْرِ حِسَابٍ) أَيْ لَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا أَزْلَفًا وَحُسْنَ مَآبٍ) تَقْدِمُ
مِثْلَهُ (وَإِذْ كَرَّ عَبْدُنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي) أَيْ بَانِي (مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ) ضَرَبَ
(وَعَذَابٍ) أَلَمٍ ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مِنْ اللَّهِ تَأْدِيبًا مَعَهُ تَعَالَى ،
وَقِيلَ لَهُ (أَزْكُفْ) اضْرِبْ (بِرِجْلِكَ) الْأَرْضَ فَضَرَبَ فَتَبِعَتْ عَيْنُ مَاءٍ فَقِيلَ (هَذَا مُغْتَسَلٌ)
مَاءً تَغْتَسِلُ بِهِ (بَارِدٌ وَشَرَابٌ) تَشْرَبُ مِنْهُ فَاغْتَسَلَ وَشَرِبَ فَذَهَبَ عَنْهُ كُلُّ دَاءٍ كَانَ يَبَاطِنُهُ
وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أَيْ أَحْيَا اللَّهُ لَهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أَوْلَادِهِ وَرَزَقَهُ مِثْلَهُمْ ،

على قصة وليس معطوفا على قصة سليمان لأنه اكتمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدر في قصته بقوله : واذا كر عبدنا سليمان مثلا
لأنها قصة واحدة ، وتقدم لنا في الأنبياء أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه
السلام ، وقيل إنه ابن عيص بن إسحق ، وقيل هو ابن أموص بن راعيل بن عيص بن إسحق وتقدمت قصته مفصلة في سورة
الأنبياء (قوله إذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله أنى مسنى الشيطان) أى حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق
جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته وكانت مدة ثلاث سنين ، وقيل سبعة ، وقيل عشرة (قوله بنصب)
ضم فسكون التعب والمشقة ، وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تأديبا معه تعالى) أى لأن الشيطان هو السبب في ذلك لأنه
ففع في أنفه فمرض جسده ظاهرا وباطنا لإلقابه ولسانه (قوله وقيل له) أى حين رجا وقت شغائه (قوله فتبع عيني ماء) ظاهره أنها
عيني واحدة وهو أحد قولين ، وقيل كانتا عيني بأرض الشام في أرض الجابية فاغتسل من إحداها فأذهب الله تعالى ظاهر دائه
فشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه وكانت إحدى العينين حارة والأخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى (قوله
وهبنا له أهله) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاغتسل الخ (قوله من مات من أولاده) أى وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث
إناث ، وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) أى من زوجته وزيد في شبابها [٤٣ - صارى - ثالث]

واسمها قيل رحمة بنت أفراتيم بن يوسف ، وقيل لبانت يعقوب (قوله رحمة الخ) ، فعول لأجله : أى لأجل رحمتنا إياه ولتذكر بحاله أولوا الأبواب (قوله وخذ بيدك ضعفا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) أى ملء الكف (قوله لإبطائها عليه يوما) واختلف في سبب بطنها التسبب عنه حافه ، فقيل إن الشيطان تمثل في طريقه في صورة حكيم يداوى المرضى فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه ، فقالت له عندى سر بضع ، فقال أداويه على أنه إذا برى قال أنت شفيتنى لأريد جزاء سواه . قالت نعم ، فأشارت على أيوب بذلك خلف ليضر بنها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل لأنها باعت ذواتها برغيفين حين لم تجد شيئا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعاقب بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضر بنها ، وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنث) أى لا تنقض فى يمينك بحيث تلزمك كفارته وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته وأما فى شرعنا فلا يبر إلا بضرب المائة وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله إنا وجدناه صابرا) أى علمناه ، والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للخصوص بالمدح (قوله واذا كر عبادنا إبراهيم الخ) أى اذ كر صبرهم على ما امتحنوا به (قوله أولى الأبدى) العامة على ثبوت الياء وهو جمع بدو كنى بذلك عن الأعمال

(رَحْمَةً) نعمة (مِنَّا وَذِكْرَى) عظة (لِأُولَى الْأَبْوَابِ) لأصحاب العتول (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَأُضْرِبُ بِهِ) زوجتك وكان قد حلف ليضر بنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما (وَلَا تَحْنَثْ) بترك ضربها فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى الله تعالى (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي) أصحاب القوى فى العبادة (وَالْأَبْصَارِ) البصائر فى الدين ، وفى قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) هى (ذِكْرَى الدَّارِ) الآخرة أى ذكرها والعمل لها وفى قراءة بالإضافة وهى للبيان (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ) المختارين (الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد (وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) هو نبي واللام زائدة (وَذَا السَّكَلِ) اختلف فى نبوته قيل كفل مائة نبي فرأوا إليه من القتل (وَكَرَّ) أى كلمهم (مِنَ الْأَخْيَارِ) جمع خير بالثقل (هَذَا ذِكْرٌ) لهم بالثناء الجميل هنا (وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (الْحُسْنِ مَابِ) مرجع فى الآخرة (جَنَّاتِ عَدْنٍ) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ) منها (مُتَّكِنِينَ فِيهَا) على الأرائك ،

لأن أكثر الأعمال إزاء يزاول بها ، وقيل المراد بالأيدى النعم وفسرها المفسر بالقوة فى العبادة وكلها معان متقاربة وقرئ شدوا بحذف الياء تخفيفا (قوله إنا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلا الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره خالصة خالصة (قوله هى ذكرى الدار) جعلها المفسر خبرا لمحذوف (قوله وفى قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان

سبعيتان فعلى القراءة الأولى يكون ذ كرى ، رفوعا على إظهار مبتدأ وعلى الثانى يكون مجرورا بالإضافة وعلامة جرّه كسرة مقدرة على الألف المحذوفة والإضافة بيانية كما قال المفسر (قوله واذا كر إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر إسماعيل وأخيه للإشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بذكر مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن أخ أيوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى إسرائيل ثم نبأه الله عليهم كما تقدم (قوله اختلف فى نبوته) روى الحاكم عن وهب : أن الله بعث بعد أيوب ابنه يسرا وسماه ذا السكفل فهو يسر بن أيوب اختلف فى نبوته ولقبه والصحيح أنه نبي ، وسى ذا السكفل إما لما قاله المفسر أو لأن تسكفل بصام النهار وقيام الليل وأن يقضى بين الناس ولا ينضب فوقى بما التزم وتقدمت قصته فى الأنبياء (قوله أى كلمهم) أى المتقدمين من داود إلى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدأ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فهى للاتصال من غرض إلى آخره بها تخص من قصة إلى قصة وكذا يقال فى قوله هذا وإن للطاغين الخ (قوله وإن للمتقين الخ) شروع فى بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل (قوله الشاملين لهم) أى للمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فى مافى المتقين من معنى الفعل والأبواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء فى له والاقصار على دعاء الفاكهة للإيدان بأن مطامعهم لحض النفس والتفرد دون التغذى لأنه لا جوع فيها .

(قوله حاسبات الأعين) أى لا ينظر إلى غيرهم نظر شهوة وميل (قوله أسنانهن واحدة) أى فقد استوين فى السن والجمال ، وقيل معنى أتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتفايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لأجله) أى لأجل وقوعه فيه فوقوعه وإنجازته فيه علة للوعد به فى الدنيا (قوله إن هذا الرزقنا) من كلام الله تعالى ، والمعنى أن هذا أى ما ذكر من الجنات وأوصافها رزقنا أى هو الرزق الذى تنفضل به على عبادنا ماله من نفاذ أى انقطاع أبداً (قوله أى دائماً الخ) أف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدأ حذف خبره قدره بقوله المذكور وهو نخاص من مال المتقين لمال المجرمين فهو بمنزلة أمابيد (قوله وإن للطاغين) أى الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله فى حق المتقين لحسن مآب (قوله يصلونها) أى يكونون بها على سبيل التأييد وهو لازم للدخول (قوله الفراش) أى الغطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة أولى لآخر وأزواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين المبتدأ والخبر ، وهذا أحسن ما يقال (قوله محرق) أى للأمعاء لقوله فى الآية الأخرى: وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان

(قوله من صديد الخ) بيان لما كأنه قال وهو صديد أهل النار الذى يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى مثل المذكور) أى فى كونه حاراً يقطع الأمعاء (قوله من أنواع مختلفة) أى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزهر يرو غير ذلك من أنواع العذاب ، أجازنا الله منه (قوله ويقال لهم) أى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام اللقاء فى الشئ بشدة فاتهم يضربون بقامع من حديد حتى

(يَدْعُونَ فِيهَا بِقَاءِ كَيْفَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حاسبات الأعين على أزواجهن (أتراب) أسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة ، جمع ترب (هذا) المذكور (ماتوا عدون) بالغية وبالخطاب التفاتاً (ليوم الحساب) أى لأجله (إن هذا رزقنا ماله من نفاذ) أى انقطاع الجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لأن أى دائماً أو دائماً (هذا) المذكور للمؤمنين (وإن للطاغين) مستأنف (أشر مآب) جهنم يصلونها يدخلونها (فبئس المهاد) الفراش (هذا) أى العذاب المفهوم مما بعده (فليذوقوه حميم) أى ماء حار محرق (وغساق) بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار (وأخر) بالجمع والافراد (من شكله) أى مثل المذكور من الحميم والغساق (أزواج) أصناف أى عذابهم من أنواع مختلفة ، ويقال لهم عند دخولهم النار بأنبياءهم (هذا فوج) جمع (مقتحم) داخل (معكم) النار بشدة ، فيقول المتبوعون (لأمرحبا بهم) أى لاسعة عليهم (إنهم صالوا النار) قالوا أى الأتباع (بل أنتم لأمرحبا بكم أنتم قد متموه) أى الكفر (لنا فبئس الفراش) لنا ولكم النار (قالوا) أيضاً (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً) أى مثل عذابه على كفره (في النار) وقالوا أى كفار مكة وهم فى النار (مالنا لا نرى رجلاً كنّا نعدهم) فى الدنيا (من الأشرار) اتخذناهم سُخْرِيًا ،

يقحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع (قوله فيقول المتبوعون) أى جواباً للخزنة كأنهم يقولون أحسد على كثرة أتباعنا مع كوننا وإياهم فى النار (قوله لأمرحبا بهم) مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتهم مرحباً أى مكاناً واسعاً (قوله إنهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء أى إنهم صالوا النار كما صليناها (قوله قالوا) أى الأتباع أى جواباً للرؤساء (قوله بل أنتم لأمرحبا بكم) أى أنتم أحق بما قاتم لنا فدايتهم أنه كلما دخلت أمة لغت أختها (قوله أنتم قد متموه لنا) أى دلتهمونا عليه بتزيين الأعمال السبئية لنا وإغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالدم (قوله قالوا أيضاً) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع (قوله أى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فإن الدال على الشر كفعله (قوله أى كفار مكة) أى كآبى جهل وأبى بن خلف وغيرها (قوله وهم فى النار) الجملة حالية (قوله مالنا لا نرى رجلاً) أى أى شئ ثبت لنا لا نبصر رجلاً الخ (قوله من الأشرار) إنهم سمعواهم أشراراً لأنهم خالفوا دينهم (قوله اتخذناهم) إمابوصل الهمزة مكسورة أو قطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعل الأولى تكون الجملة صفة لرجالا أى رجلاً موصوفين بكوننا عدداً منهم من الأشرار و بكوننا فسحراً بهم

في الدنيا وعلى الثانية فالجمله استفهامية حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها . والمعنى مالتا لا ترى رجالا موصوفين
بكوننا عددناهم من الأشرار اتخذناهم سخرى فهم مفقودون من النار أم زأغت عنهم الأبصار أى هم معنا في النار لكن زأغت
أبصارنا عنهم فلم نرمهم (قوله بضم السين وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى كنا نسخر بهم) راجع لقراءة
الوصل (قوله والياء للنسب) أى على كل من القراءتين (قوله أم زأغت) على قراءة الوصل تكون أم بمعنى بل وعلى قراءة القطع
تكون معادلة للهمزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب إسقاطه لأن الكلام في أهل
مكة وهو إنما أسلم في المدينة (قوله إن ذلك) أى المحكى عنهم من أقوالهم وأحوالهم (قوله وهو تخصم) أشار بذلك إلى
أن تخصم خبر لمحذوف والجمله بيان لاسم الإشارة (قوله إنما أنا منذر) أى لاساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الإنذار
لأن كلامه مع الكفار وهم إنما يناسبهم الإنذار فقط وإن كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) أى المعلوم الشيل في ذاته وصفاته
وأفعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية (قوله رب السموات والأرض) أى مالكما
(قوله قل هو نبي أعظم) كرر الأمر (٣٤٠) إشارة إلى الاهتمام به (قوله أى القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم)

بضم السين وكسرهما أى كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب ، أى أمفقودون هم (أم زأغت)
مالت (عنهم الأبصار) فلم نرمهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (إن
ذلك لحق) واجب وقوعه وهو (تخصم أهل النار) كما تقدم (قل) يا محمد لكفار مكة
(إنما أنا منذر) مخوف بالنار (وما من إله إلا الله الواحد القهار) خلقه (رب
السموات والأرض وما بينهما العزيز) الغالب على أمره (القهار) لأوليائه (قل) لهم
(هو نبي أعظم) أنتم عنه معرضون أى القرآن الذى أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم
إلا بوحي وهو قوله (ما كان لى من علم بالملا الأعلى) أى للملائكة (إذ يختصمون)
في شأن آدم حين قال الله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة الخ (إن) ما (بوحي إلى)
أنما أنا (أى أنى) نذير مبين (بين الإنذار . إذ قال ربك الملائكة إني خالق
بشرا من طين) هو آدم (فإذا سويته) أتممته (ونفخت) أجريت (فيه من روى)
فصار حيا ، وإضافة الروح إليه تشرىف لآدم ، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوده فيه
(فتعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء ،

أى من القصص والأخبار
وغيرها (قوله وهو) أى
ملا يعلم إلا بوحي وفيه
أن ملا يعلم إلا بوحي هو
قوله إذ قال ربك
للملائكة الخ لا قوله
ما كان لى من علم الخ
إلا أن يقال إنه ذكر
نوطنة وتهيدا لما لا يعلم
إلا بالوحي (قوله أى
الملائكة) أى وإبليس
(قوله إذ يختصمون)
منسوب إما بعلم
أو بمحذوف والتقدير
ما كان لى من علم بالملا
الأعلى وقت اختصاصهم

(سجد)

أوما كان لى من علم تكلام الا الأعلى وقت اختصاصهم

(قوله إلا أنما أنا نذير مبين) إلا أداة حصر وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل بوحي والتقدير ما بوحي
إلى إلا كونى نذيرا مبينا والحصر فيه وفي قوله إنما أنا منذر إضافي . والمعنى لاساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله إذ قال
ربك) ظرف معمول لمحذوف قدره الفسر بقوله إذ كر ويصح أن يكون بدلا من قوله إذ يختصمون إن حمل الاختصاص على
ما حصل في شأن آدم تعالى وأما إن جعل عاما فلا يصح جعله بدلا منه بل ظرف لمحذوف (قوله إني خالق بشرا) أى إنسانا ظاهر
البشرة أى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله أجريت فيه من روى) أشار بذلك
إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقة لاستحائه على الله تعالى ، وإنما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة
لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح ، وقيل إن الروح عرض وهى الحياة
التي صار الجسم بها حيا ، وقيل إنها ليست بجسم ولا عرض ، بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعاق بالبدن للتدبير
والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفوده فيه) أى سريانه فيه كسر يان الماء في العود
الأخضر (قوله فتعوا له ساجدين) جواب عما يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى وتقدم

ول بأنه كان سجدوا حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز مالم تأمر به المولى تعالى ،
يقال إن السجود لله تعالى وآدم جعل كالقيلة (قوله فسجد الملائكة الخ) قيل أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل
ثم هزرائيل ثم للملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة
قوله فيه تأكيدي (أي فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر ، وقيل إن كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فافاد أنهم سجدوا عن
خرم وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع
هو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله في علم الله) أي أن الله تعالى علم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال وكان مسامحا عابدا طاف بالبيت
اربعة عشر ألف عام وعبد الله ثمانين ألف عام (قوله أي توليت خلقه) أي بذاتي من غير واسطة أب وأم وثنية اليد إظهار
كمال الاعتناء بخلق الله عليه السلام (قوله استكبرت الآن الخ) أشار المفسر إلى جواب سؤال وارد وهو أن قوله من العالين
من المتكبرين فيلزم عليه التكرار . فأجاب بأن المعنى أركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر
قوله قل أنا خير منه) هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود لكونه خيرا منه
بين ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين والنار أشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من الأرض وهي
لامدانية والنوراني أشرف من الظلاني ، وهذه شبهته وقد أخطأ فيها لأن مال النار إلى الرماد الذي لا يندفع به والطين أصل
كل نام نابت كالانسان والشجرة ، ومن المعلوم أن الانسان والشجرة خير (٣٤١) من الرماد وزيادة على ذلك

أن النوع الانساني تشرف
بأمور : الأول من جهة
الفاعل المشار إليه بقوله
لما خلقت بيدي والثاني
من جهة الصورة المشار
إليها بقوله ونفخت فيه
من روحي ومن جهة الغاية
المشار إليها بقوله وإدقلنا
للملائكة اسجدوا لآدم
ولم يحصل ذلك لغير النوع
الانساني فدل على أفضليته

(مَسْجِدًا لِلْمَلَائِكَةِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدي (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة
(استكبر وكان من الكافرين) في علم الله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي) أي توليت خلقه ، وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه
(استكبرت) الآن عن السجود ، استفهام توبيخ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) المتكبرين
فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ . قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا) أي من الجنة ، وقيل من السموات (فإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَأِنْ
عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أي الناس
(قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى ،

(قوله أي من لجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله فتوله
أي من الجنة مبنى على الأول وقوله أو من السموات مبنى على الثاني ، وقيل المعنى أخرج من الحلقة التي كنت عليها أولا لما
ورد أن إبليس كان يفتخر بخالقه فغير الله خلقته فأسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا ،
وروي أن إبليس كان رئيسا على اثني عشر ألف ملك وكان له جناحان من زمرد أخضر ، فلما طرد غبرت صورته وجعله الله
معكوسا على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ أعور وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعينه مشقوقتان
في طول وجهه وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير ورأسه كراس البعير و صدره كسنام الجمل الكبير وشفته كشفق الثور ومنخره
مفتوحان مثل كوز الحجام (قوله فانك رجيما الخ) فان قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار . أجيب
بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو أبلغ (قوله وإن عليك لعنتي) ذكرها هنا بالاضافة وفي
غيرها بالتعريف نفثنا (قوله إلى يوم الدين) فان قلت كلمة إلى لانتها الفاية فتقتضي انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين مع
أنها لا تنقطع . أجيب بأن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخاوده في العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفي يوم الدين تحقق
الوعيد والمطالب (قوله قال رب فأنظرنني) أي أمهاني وأخبرني والفاء متعلقة بمحذوف تقديره إذا جعلتني رجيا فأمهاني
ولا تمنني إلى يوم يبعثون : أي آدم وذريته وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم وبأخذ منهم ثأره وينجوا من الموت بالكلية إذ
لاموت بعد البعث فأجاب تعالى بالامهال مدة الدنيا لأجل الاغواء لا بالنجاة من الموت .

(قوله قال فبعضتك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى - قال فيها أغويته - فان إغواء الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الأول الخ) أي فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أي المذكور في بعض الأعراب المتقدمة أو المحذوف (قوله أجمعين) توكيد للضمير في منك وما عطف عليه (قوله دون الملائكة) أي أخرجهم من العالمين وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله إن هو إلا ذكر والذكر معناه الموعظة والتخويف وهو لا يناسب إلا الانس والجن (قوله خبر صدقه) أي من ذكر الوعد والوعيد (قوله أي يوم القيامة) تفسير لبعدين ، والحين مدح الدنيا ، وقال ابن عباس بعد الموت ، وقيل إن علم على بابها فنصب مفعولين والثاني قوله بعد حين .

[سورة الزمر] صحت بذلك (٣٤٢) لذكر لفظ الزمر فيها في قوله - وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا - وسيأتي أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة ، وتسمى أيضا سورة الغفران لذكر الغفر فيها قال تعالى - لهم غرف من فوقها غرف مبنية - وروى «من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغفر» ، وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وفي إسرائيل (قوله إلا قل يا عبادي الخ) أي فأنها نزلت في وحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فأنه أسلم بالمدينة وظهره أنها آية واحدة ، وقيل إن الذي نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها ، وقيل إنهما

(سورة الزمر)

مكية ، إلا قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية ، وهي خمس وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن متبداً (مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) في ملكه (الْحَكِيمِ) في صنعه (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) من الشرك : أي موحداً له ،

آيتان هذه الآية وقوله تعالى - الله نزل أحسن الحديث - الآية فتحصل أن

فيها ثلاثة أقوال : قيل مكية إلا آية ، وقيل إلا آيتان ، وقيل إلا سبعاً (قوله وهي خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) أي إنزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره نزل رداً لقول المشركين إنما يعلمه بشر والقوله إن به جنة (قوله إنا أنزلناه الخ) شروع في بيان تشريف المنزل عليه إثر بيان شأن النزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الأول لأن العرفة إذا أعيدت معرفة كانت عيناً (قوله متعلق بأنزل) أي والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذي أنت عليه وإثباته وإظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله إنا أنزلناه إليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخاصاً) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله أي موحداً له) أي مفرداً بالعبادة والا-لاص بأن لا تقصد بعملك وليتلك غير ربك

(قوله ألا لله الدين الخ) ألا أداة استفتاح والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالاخلاص (قوله والدين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله قالوا وقوله ما نعبدكم الخ مقول لذلك القول وقوله إن الله يحكم بينهم الخ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الأحسن ، وقيل إن خبر المبتدأ هو قوله إن الله يحكم الخ وقوله ما نعبدكم حال من فاعل اتخذوا على تقدير القول : أي قائلين ما نعبدكم الخ (قوله الأصنام) قدره إشارة إلى أن اتخذوا تنصب مفعولين الأول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للموصول (قوله قالوا ما نعبدكم الخ) أي مكانوا إذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون الله ، فيقال لهم وما معنى عبادكم الأصنام فيقولون لتقر بنا إلى الله زاني وتشفع لنا عنده (قوله مصدر) أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زاني أوليقر بونا قري (قوله وبين المسلمين) أشار بذلك إلى أن القابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله إن الله لا يهدي) أي لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار أو مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى (قوله في نسبة الولد إليه) أشار بذلك إلى أن قوله إن الله لا يهدي الخ توطئة لقوله لو أراد الله الخ ويصح أن يكون من تمة ما قبله وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الألوهية لغيره تعالى (قوله (٣٤٣) لو أراد الله أن يتخذ ولدا) أي

أي لو تعلق إرادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية إشارة إلى قياس استثنائي حذفت صفراء ونتيجته ، وتقريره أن يقال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء لكنه لم يصطف من خلقه شيئا فلم يرد أن يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) أي غير المخلوق الذي قالوا في شأنه إنه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) أي لأنه ممنوع عقلا ونقلا أما عقلا فلا يلزم

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ) (أَوْلِيَاءَ) (وَهُمْ كُفَّارٌ مَكَّةَ) (قَالُوا) : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (قَرَّبَى) (مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَقْرِيْبًا) (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) (وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ) (فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (مِنْ أَمْرِ الدِّينِ) (فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ) (وَالْكَافِرِينَ النَّارَ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) (فِي نَسَبِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ) (كَفَّارٌ) (بِعِبَادَتِهِ) (غَيْرَ اللَّهِ) (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) (كَأَقَالُوا) (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) (لَأُصْطَفَى) (مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (وَاتَّخَذَهُ) (وَلَدًا) (غَيْرَ مَنْ قَالَوا) (الْمَلَائِكَةُ) (بَنَاتُ اللَّهِ) (وَعَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ) (وَالْمَسِيحُ) (ابْنُ اللَّهِ) (سُبْحَانَهُ) (تَنْزِيْهًا) (لَهُ) (عَنْ اتَّخَاذِ الْوَلَدِ) (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) (مَتعلق بخلق) (يُكْوِّرُ) (يَدْخُلُ) (الَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ) (فَيَزِيدُ) (وَيُكْوِّرُ) (النَّهَارَ) (يَدْخُلُهُ) (عَلَى اللَّيْلِ) (فَيَزِيدُ) (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي فِي فَلَكِهِ) (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ) (الْغَالِبُ) (عَلَى أَمْرِ الْمُنتَقِمِ) (مِنْ أَعْدَائِهِ) (الْغَفَّارُ) (لَأَوْلِيَانِهِ) (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (أَيَّ آدَمَ ،

أن يكون لولد من جنس خالقه وكونه جنسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل ، وأما نقلا فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية على أن الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزيهه في الصفات إثر بيان تنزيهه في الذات لأن الوحدة تنافي للمائلة فضلا عن الولد والقهارية تنافي قبول الزواج الخوج إلى الولد وإلا لكان قهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خلق السموات والأرض) تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية وانصافه بالصفات الجارية (قوله يكور الليل) من التكوير وهو في الأصل اللف واللى يقال كور العمامة على رأسه : أي لفها ولواها ثم استعمل في الإدخال والاضشاء فكان الليل يغشى النهار والنهار يغشى الليل (قوله فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة أربع ساعات تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله ليوم القيامة) أي ثم ينقطع جريانها لانتقال العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر إنما كان في الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز الغفار) إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بضمونها كأنه قال : تفهوا يا عبادي فاني الغالب على أمرى الستار للذنوب خلقى فلا تشركوا بي شيئا وأخلصوا عبادتكم لى (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر وجميع صفات الألوهية .

(قوله ثم جعل منها زوجها) إن قلت إن ثم للترتيب فيقتضي أن خلق اللرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف المشاهد وأجيب بثلاثة أجوبة . الأول أن ثم مجرد الاخبار لا للترتيب الإيجادي . الثاني أن العطوف متعاقب بمعنى واحدة وشم عاطفة على كأنه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شفت بزواج . الثالث أن معنى خلقكم من نفس واحدة أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لأن الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالنمر ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وأنزل لكم من الأنعام الخ) إنما عبر عنها بالنزول لأنها تكونت بالنبات وهو غذاء لها والنبات بالماء النزل فهو يسمى عندهم بالتدرج ومنه قوله تعالى : قد أنزلنا عليكم لباسا الآية ، وقيل إن النزول حقيقة لما روى « أن الله خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها في الأرض » كما قيل في قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم لما أهبط إلى الأرض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج مأمعه آخر من جنسه ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر (قوله كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله : ثمانية أزواج من الضأن اثنتين الآيات (قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم) هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقتكم) مصدر ليخلقكم وقوله : من بعد خلق صفة لحائنا (قوله أي نطفها الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الإيجاد فالمناسب أن يقول أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظم عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (قوله في ظلمات) بدل اشتغال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضمن الفصل بين البذل والمبدل منه (٣٤٤) بالمصدر لأنه من تمة العامل فليس بأجنبي (قوله وظلمة المشيمة) أي نهي

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) عن عبادته إلى عبادة غيره (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وإن أراد من بعضهم (وَإِنْ تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (يَرْضَاهُ) بسكون الهاء وضما مع إشباع ودونه أي الشكر (لَكُمْ وَلَا تَزِرُ) نفس (وَأَزِيرَةُ وَزَرَ) نفس (أُخْرَى) أي لا تحمله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (قوله لا إله إلا هو)

داخل الرحم وهو داخل البطن والمشيمة بوزن كريمة وأصلها مشيمة يسكون الشين وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها ، وهي غشاء ولد الانسان ويقال لها الغلاف والكيس ويقال لها من غير ولد الانسان السلا (قوله ذلکم) مبتدأ والله

ربكم خبران وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا إله إلا هو) جملة مستأنفة نتيجة ما قبله (قوله فأنى تصرفون) أي تمنعون (قوله فإن الله غني عنكم) أي له النفي المطلق فلا يفتقر إلى ما سواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) أي لا يفعل فعل الراضى بأن يشب فاعله و يمدحه يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وإن أراد من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وإنما التلازم بين الأمر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والإرادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ، ومن هنا قال العلماء : إن الأمور أربعة تارة يأمر ويريد وهو الإيمان من المؤمنين وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر من الكفار . وحكي أن رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلي سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السني سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فقال المعتزلي أريد بك أن بعضي فقال السني أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلي أريأت أم معنى الهدى وحكم على بالردى أحسن إلى أم أساء فقال إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء فبهت المعتزلي (قوله يرضاه لكم) أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لاتفادعه به تعالى الله عن ذلك (قوله يسكون الهاء الخ) أي فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وزرا أخرى) أي لا يحمل شخص ثم كفر شخص آخر ، وما ورد من أن الدل على الله كفاعله فعنه أن عليه ثم فعله وإتم دلالة ولا شك أن دلالة من فعله قال الأمر إلى أن عقابه على فعله لا على فعل غيره

قوله والزررة أى وأما غير الزررة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجيا وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره فينتفع الشفوع بذلك الشفاعة إن كان مسلما ، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله إنه عليم بذات الصدور) علة لقوله: فينبئكم بما كنتم تعملون: أى يخبركم بأعمالكم لأنه عليم بما في القلوب فضلا عن غيرها (قوله أى الكافر) أشار بهذا إلى أن آل الإنسان لا يهد (قوله ضر) المراد به جميع المكروه كانت في نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا إليه) أى تاركا عبادة الأصنام لعله بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به (قوله أعطاه إنعاما) أى أعطاه على سبيل الإنعام والإحسان فأنعاما مفعول لأجله أن التحويل هو إعطاء النعم على سبيل التفضل والإحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) أشار بذلك إلى أن ما موصولة معنى الذى مراد بها الله تعالى ويصح أن يراد بها الضر ، والمعنى نسي الضر الذى كان يدعو لكشفه ويصح أن تكون ما صدرية ، والمعنى نسي كونه داعيا من قبل تحويل النعمة والأظهر ما قاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصبورية (قوله فتح الياء وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الأمر للتهديد وفيه إشعار بقنوطه من التمتع في الآخرة قوله بقية أجلك) أشار بذلك إلى أن قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله إنك من أصحاب النار) أى ملازمها معدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام (٣٤٥) المسامور بقوله وحينئذ فالمعنى

قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) أى والمهمزة للاستفهام الإنكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناه الليل) جمع إني بالكسر والقصر كمي وأمعاء (قوله ساعاته) أى أوله وأوسطه وآخره وفي الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار لما في الحديث «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب (وَلِإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) أى الكافر (ضُرُّ دَعَا رَبَّهُ) تضرع (مُنِيبًا) راجعاً (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاما (مِنْهُ نَسِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُو) يتضرع (إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) وهو الله فما في موضع من (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) شركاء (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضما (عَنْ سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) بقية أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) بتخفيف الميم (هُوَ قَانِتٌ) قائم بوظائف الطاعات (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِمًا) في الصلاة (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أى يخاف عذابها (وَيَرْجُو رَحْمَةً) جنة (رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره وفي قراءة أم من فأم بمعنى بل والمهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى لا يستويان كما لا يستوى العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا) بالطاعة (حَسَنَةً) هى الجنة (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) ،

أن خيار أمي لا ينامون» وقال ابن عباس «من أحب أن يروى الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل» (قوله وفي قراءة أمن) أى بالتشديد وعليها فأم داخلة على من الموصولة فأدغمت الميم في الميم وترسم على هذه القراءة ميا واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير وقوله بمعنى بل أى التى للاضراب الاتقالي وقوله والمهمزة أى التى الاستفهام الإنكارى والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أى وهم المؤمنون العارفون بربهم وقوله والذين لا يعلمون أى وهم الكفار (قوله أى لا يستويان) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله إنما يتذكر أولوا الألباب) أى أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكير (قوله قل يا عبادي الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأوامر لنفسه ولأمرته زيادة في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والأوهام (قوله بأن تطيعوه) أى تمثالوا أوامره وتجنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التى هى جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفي هذه الدنيا متعلق بأحسنوا وحسنة مبتدأ مؤخر (قوله هى الجنة) أى بجميع ما فيها من النعيم المقيم فهى بمعنى قوله تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله وأرض الله واسعة) جملة من مبتدأ وخبر وهى حالية [٤٤ - صاوى - ثالث]

لذا أحد أقوال في تفسيره ، وقيل هو الشيطان ، وقيل كل ماعبد من دون الله تعالى ، وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة)
 على السنة الرسل أو على السنة الملائكة عند حضور الموت ، وفي الحقيقة البشرية تحصل لهم في الدنيا بالثناء عليهم بإصلاح أعمالهم
 عند الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط في كل موقف من
 هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادي) أي الموصوفين باجتناب الأوثان والانابة إلى الله تعالى
 بالإضافة لتشريف المضاف إليه (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبائح فيتحدثون بالحسن
 يكمون عن القبائح ، وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، وقيل يسمعون القرآن ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة
 يعملون به ويتركون المشابه ويفوضون علمه لله تعالى ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة
 كل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أي الموصوفون بتلك الأوصاف (قوله أفمن حقّ عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل
 أن من شرطية وجوابها قوله : أفأنت تنقذ من في النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار وإطوال الكلام
 وأقيم الظاهر مقام المضمرة : أي أفأنت تنقذه ، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أفأنت لا تنفعه فجعله قوله : أفأنت
 تنقذ من في النار مستقلة مؤكدة لما قبلها ، وهذه الآية نزات في حق

(٣٤٧)

أبي لهب وولده ومن تخاف من

عشيرة النبي صلى الله عليه
 وسلم عن الإيمان وقد كان
 حريصا على إيمانهم (قوله
 والهمزة) أي الأولى
 والثانية تؤكد لها (قوله
 للإنكار) أي الاستفهام
 الإنكارى (قوله والمعنى
 لا تقدر على هدايته الخ)
 أشار بهذه إلى أن قوله
 أفأنت تنقذ من في النار
 مجاز مرسل حيث أطلق
 المسبب وأراد السبب لأن
 الإدخال في النار مسبب
 عن الضلال وترك الهدى
 كأنه قال أنت تهدي من

(أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنَابُوا) أَقْبِلُوا (إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى) بِالْجَنَّةِ (فَبَشِّرْ عِبَادِي . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
 الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وَهُوَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ
 أُولُوا الْأَلْبَابِ) أَصْحَابُ الْعُقُولِ (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أَيْ لِأَمْلَأَنَ جَهَنَّمَ الْآيَةُ
 (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ) تَخْرُجُ (مَنْ فِي النَّارِ) جَوَابُ الشَّرْطِ وَأَقِيم فِيهِ الظَّاهِرَ مَقَامَ الْمَضْمُورِ وَالْهَمْزَةُ
 لِلانْكَارِ ، وَالْمَعْنَى لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِ فَتُنْقِذُهُ مِنَ النَّارِ (لَسَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَحْمَةً) بِأَن أَطَاعُوهُ
 (لَهُمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَيْ مِنْ تَحْتِ الْغُرْفِ
 الْقَوَائِمُ وَالْمَبْنِيَّةُ (وَعَدَ اللَّهُ) مَنْصُوبٌ بِفَعْلِهِ الْقَدَرِ (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) وَعَدَهُ (أَلَمْ تَرَ)
 تَعْلَمُ (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ) أَدْخَلَهُ أَمَكْنَةً نَبْعَ (فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْمِجُ) يَبْسُ (فَتَرِيَهُ) بَعْدَ الْخُضْرَةِ مِثْلًا (مُضْفَرًا
 ثُمَّ يَجْمَعُ لَهُ حُطَامًا) فُتَاتًا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى) تَذَكِيرًا (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يَتَذَكَّرُونَ
 بِهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فَاهْتَدَى ،

أضله الله وجعله النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندي في حواشي رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول
 في النار على طريق المسكنية في المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الانقاذ وفيه
 إشكال انظر بسطه في حاشيتنا على رسالة البيان لأستاذنا الشيخ الدرديري (قوله لسن الذين اتقوا) أي وهم الموصوفون بالصفات
 الجميلة السابقة المخاطبون بقوله - يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الآية ولكن ليست الاستدراك وإنما هي للاضراب عن
 قصة إلى قصة مخالفة للأولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله في حق أهل النار لهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال
 (قوله بفعله المقدر) أي وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل
 الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاعتراض بها (قوله أدخله أمكنة
 نسج) أي فمراده بالينابيع الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الأرض ونطاق
 الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زراعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة
 واستمرارها (قوله مختلفا ألوانه) أي من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض واختلاف تلك الألوان إما في ثماره أو في عوده ومراده
 بالزرع كل ما يستنبت (قوله فتاتا) أي متفتتا ومنتزعا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء

عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام إنكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله : كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله : إنما يتذكر أولوا الألباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء ، وفي الحديث « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، فقل ماعلامه ذلك ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله » (قوله دل على هذا) أى المقدر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تفيد العذاب للمخاطب بها (قوله أى عن قبول القرآن) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن وفي الكلام مضاف محذوف ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل : أى قست قلوبهم من أجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسرانها ، ومن المعلوم للشاهد أن الأطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ، ومن هنا قول بعض العارفين : ألبذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل أحسن الحديث الخ) سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل ، فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثاً حسناً فنزلت (قوله في النظم) أى اللفظ ، وقوله وغيره : أى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع قال البوصيرى رضى الله عنه في هذا المعنى :

ردت بلاغتها دعوى معارضها رقة الفيور يد الجانى عن الحرم

فانصد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسأم

واعلم أنه في هذه الآية أثبت (٣٤٨) أن القرآن متشابه ، وفي آية أخرى أثبت أنه محكم ، وفي آية أخرى أن بعضه

(فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْقَاسِيَةِ) قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (أى عن قبول القرآن) (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أى قرآنًا (مُتَشَابِهًا) أى يشبه بعضه بعضاً في النظم وغيره (مَثَانِي) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرها (تَقْشَرُ مِنْهُ) ترتعد عند ذكر وعيده (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ) تطمئن (جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أى عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أى الكتاب (هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ أَفَنْ يَتَّبِقِ) يلقى (بِوَجْهِهِ سُوءَ الْمَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى أشده بأن يلقى في النار مغולה يدها إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أى كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أى جزاءه .

محكم وبعضه متشابه ، ووجه الجمع بينهما أن المراد بالمتشابه في آية الاختصار عليه ما أشبه بعضه بعضاً في اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب وبالحكم في آية الاختصار عليه ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالتشابه في آية الجمع ما خفى معناه وبالحكم بظاهر معناه وتقدم هذا

الجمع (قوله مثنى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ثنى وتكرر نظير قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرها) أى كالتقصص والأحكام (قوله تقشع منه) أى تنقبض وتنجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند (قوله تطمئن) أى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فالتضمن في الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعدها بإلى والمفسر قد جمع بينهما . والحاصل أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن ، فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر ، وفي حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فينسع صدره وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان للعبد كجناحي الطائر إن عدم أحدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى الوصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب في الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفن يتقى) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغولة يدها) أى وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتشعل النار فيها وهى في عنقه فخرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التى في يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الأوضح أن يقول : أى الكفار من هذه الأمة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

قوله كذب الدين من قبلهم) بيان لحال المكذبين قبلهم وما حصل لهم في الدنيا من العذاب (قوله لا تخبطر بياهم) المراد بالجهة سبب أي أنهم العذاب بسبب لا تخبطر بياهم كاللواط في قوم لوط مثلاً (قوله لو كانوا يعلمون) أي يصدقون ويوقنون وقوله لا كذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطئة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أي لفظ لآنا وكما نسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها كأنقول جاء زيد رجلاً صالحاً (قوله غير ذي عوج) مع لقرآنا أو حال أخرى (قوله أي ابس واختلاف) أي فمعناه صحيح لابس ولا تناقض فيه (قوله لعلمهم يتقون) علة لقوله لعلمهم يتدكرون (قوله ضرب الله مثلاً الخ) المعنى اضرب يا محمد لقومك هذا المثل واذكره لهم لعلمهم يؤمنون (قوله متشاكسون) تشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاكس بخاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلاً صالحاً) بألف بعد السين مع كسر اللام وركها مع فتح السين واللام قراءتان سبعيتان فالأولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة قرئ شذوذاً بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) (قوله هل يستويان) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله

تميز) أي محول عن الفاعل والمعنى لا يستوى مثلها وما وصفتهما (قوله أي لا يستوى العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذي يعبد غير الله فقوله لجماعة أي سيئة أخلاقهم وقوله والعبد لوأحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذي يعبد الله وحده وقوله فان الأول الخ تقرير للمثل الأول ولم يتعرض للثاني لوضوحه (قوله الحمد لله) أي على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أي مع بيان ظهوره وهو إضراب انتقالي من بيان

(كَذَبَ الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم في إتيان العذاب (فَأَنذَرْتَهُمْ أَلْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لا تخبطر بياهم (فَأَذَاتَهُمُ اللَّهُ الْخَزَى) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا) أي المكذبون (يَعْلَمُونَ) عذابها ما كذبوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة (غَيْرِ ذِي عِوَجٍ) أي لبس واختلاف (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللَّهُ) للمشرك والموحد (مَثَلًا رَجُلًا) بدل من مثلاً (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) متنازعون سيئة أخلاقهم (وَرَجُلًا سَالِمًا) خالصاً (لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) تميز: أي لا يستوى العبد لجماعة والعبد لوأحد فان الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم ، وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أي أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (إِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (مَيِّتٌ وَمَيِّتٌ مَيِّتُونَ) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت ، نزلت لما استبطثوا موته صلى الله عليه وآله وسلم (تُمْ إِنَّكُمْ) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فمن أي لا أحد (أَظَلِمَ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ) بالقرآن

عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك (قوله إنك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقت الروح بالفعل (قوله فلا شماتة بالموت) الشماتة الفرح ببلية العدو (قوله نزلت لما استبطثوا موته الخ) أي وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته فأخبر الله تعالى بأن الموت بهم فلا معنى لشماتة الفاني بالفاني (قوله أيها الناس) أي مؤمنكم وكافركم ، وقوله تختصمون أي يخاصم بعضكم بعضاً فيقتص للمظالم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتدرون من المفلس؟» قالوا المفلس فينا من لادرهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ممن كذب على الله) أي ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بأن يقول مثلاً قال رسول الله كذا أو هذا شرعه ، والحال أنه لم يكن

قاله ولم يكن شرعه (قوله إذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق . والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى . والمعنى في جهنم مثوى للكافرين لأن بلى يجاب بها النفي ويصيره إثباتا كما تقدم (قوله فالذى بمعنى الذين) أى بالنسبة للصلة الثانية ولذا روى معناه فجمع فى قوله أولئك هم المتقون وروى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم ما يشاءون) أى كل ما يشتهون من وقت حضور الموت كالأمن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف إلى غير ذلك (قوله لأنفسهم) متعلق بالمحسنين وفيه إشارة إلى أن إحسان الإنسان لنفسه وثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضرر مسيء تعالى الله عنه ، والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء إليه وبذلك المعروف بالحق محبة فى الخالق وبهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * وبضدها تميز الأشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف أى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والضرورة وهو تفصيل لقوله لهم ما يشاءون (قوله بمعنى السي والحسن) أى فافعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط ويجازون على الأحسن فقط ولا يكفر عنهم السي * (قوله عبده) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٥٠) ولا يجازون على الحسن

وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الأتم ويؤيده قراءة عبادة بالجمع وهى سبعة ، أيضا والمعنى أن من أخاص لله فى عبادته كعاد ما أهمه فى دينه ودنياه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح أن تكون الجملة حالية والمعنى أن الله كافيك فى كل حال حق فى حال يخوفهم لك ويصح أن تكون مستأنفة (قوله أو تخبله) أى تفسد أعضائه وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى يفتقم من أعدائه لأوليائه وتأخير

(إِذْ جَاءَهُ الْيَسْ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) بلى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وَصَدَّقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بإيمانهم (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السي والحسن (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أى النبي بلى (وَيُخَوِّفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ (غَالِبٍ عَلَى أَمْرِهِ) ذِي أَنْتِقَامٍ (مِنْ أَعْدَائِهِ) بلى (وَالَّذِينَ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي) لا (أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي) لا ؛ وفى قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يثق الواقفون (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعولة العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم هو عذاب النار وقد أجزاهم الله بيد (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) ،

متعلق

قوله بلى الإشارة إلى أنه راجع لقوله

ذى انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والايجاد (قوله قل أفرايتم الخ) رأى متعدية لمفعولين : الأول قوله ما تدعون . والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ ، وقوله إن أَرَادَنِيَ الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له نيره (قوله إن أَرَادَنِيَ الله بضرة) قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام (قوله هل هن) عمنها بضرة الإناث تحقيرا لها ولائهم كانوا يسمونها بالإناث كالكالات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالإضافة) أى وهو سبعة أيضا (قوله قل حسبي الله) أى كافى فلا ألقت لغيره (قوله يثق الواقفون) أى يعتمد المعتمدون (قوله قل يا قوم اعملوا الخ) هذا الأمر للتهديد (قوله حالتكم) أى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمسكان بجامع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) أى لائها بمعنى عرف فتنصب مفعولا واحدا (قوله يخزىه) أى يهينه ويذله (قوله للناس) أى لصالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

(قوله متعلق بأنزل) ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال إما من فاعل أنزل أو من مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا نسبية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى ليس هدام بيدك ولا في ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وإنما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها) أى يقبض الأرواح عند حضور آجالها فالنفس والروح شئ واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطناً بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة (قوله ويتوفى التى لم تمت فى منامها) أشار بذلك إلى أن الموصول معطوف على الأنفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الأرواح التى لم تحضر آجالها عند نومها ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والاحساس لا باطناً فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك وأما فى حالة اليقظة فالروح سارية فى الجسد ظاهراً وباطناً لأنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها ، وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فأصلها فى وسطه وتورها سار فى جميع أجزائه (قوله فيمسك التى قضى عليها الموت) أى لا يرددها (٣٥١) إلى جسدها وتحيا حياة

دنيوية (قوله أى وقت موتها) ظاهره أن قوله إلى أجل مسمى راجع لقوله ويرسل الأخرى فقط ويصح رجوعه له وللذى قبله ويراد بالأجل المسمى فى المسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التمييز) أى والاحساس (قوله نفس الحياة) أى والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) أى فتى ذهبت نفس الحياة لانبثق نفس التمييز والاحساس . واعلم أنه اختاف هل فى الإنسان روح واحدة

متعلق بأنزل (فَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) اهتداؤه (وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتجبرهم على الهدى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ) يتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أى يتوفاها وقت النوم (فِيْمُوتُكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ) دلالات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا فى ذلك (أَمْ) بل (أَتُخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام آلهة (شُفَعَاءَ) عند الله بزعمهم (قُلْ) لهم (أ) يشفعون (وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) من الشفاعة وغيرها (وَلَا يَعْقِلُونَ) أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك ؟ لا (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أى دون آلهتهم (اشْتَأَزَتْ) نفرت وانقبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ) بمعنى ،

والتمدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق أو روحان إحدهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان الإنسان متيقظاً فاذا خرجت منه نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات والأخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان حياً فاذا فارقت مات فاذا رجعت إليه حيى وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) أى من التوفى والامساك والارسال (قوله وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله أم اتخذوا إضراباً انتقالياً (قوله أى الأصنام) بيان للفعول الأول (قوله أيشفعون) أشار بهذا إلى أن الهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله أى هو مختص بها) جواب عما يقال مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد جاء فى الأخبار أن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله وشفاعات هؤلاء بإذن الله ورضاه . قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - (قوله ثم إليه ترجعون) أى تردون فيجازيكم بأعمالكم (قوله وإذا ذكر الله وحده) إذا معموله لقوله اشتأزت (قوله إذا هم يستبشرون) أى لفسيانهم حق الله تعالى وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أى التجئ إلى ربك بالدعاء والتضرع فإنه القادر على كل شئ .

(قوله أي يا الله) أي حذفت ياء النداء وعوض عنها الهم وشددت لتكون على حرفين كالعوض عنه (قوله اهتدي) هذا هو المقصود بالدعاء وتتمام تلك الدعوة النبوية على ماورد اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (قوله ولو أن للذين ظلموا الحق) بيان لغاية شدة ماينزل بهم (قوله لاقتدوا به) أي بالمدكور من الأمرين (قوله يوم القيامة) ظرف لاقتدوا (قوله وبدا لهم الحق) كلام مستأنف أو معطوف على قوله ولو أن للذين ظلموا الحق (قوله سيئات ما كسبوا) أي الأعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم (قوله الجنس) أي فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادها (قوله إنعاما) أي تفضلا وإحسانا (قوله على علم من الله الحق) أي أومنى بوجوده كسبه أو أنى أعطيته بسبب محبة الله لي وفلاحي (قوله أي القولة) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى أن النعمة فتنة أي امتحان واختبار هل يشكرها أم يكفرها (قوله إن التحويل) أي إعطاء النعم تفضلا وإحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل وإنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيئات ما كسبوا) أي جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله ففحطوا سبع سنين) أي أوائل سني الهجرة حتى (قوله أولم يعلموا) أي

يا الله (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شهود (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يظنون (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أعطيناه (نِعْمَةً) إنعاما (مِنْهَا قَالَ إِنَّهَا أُورِثَتْهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله بأنى له أهل (بَلْ هِيَ) أي القولة (فِتْنَةٌ) بلية يتلى بها العبد (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن التحويل استدراج وامتحان (قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كفارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فأصابهم سيئات ما كسبوا (أي جزاؤها) (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) أي قريش (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين عذابنا ففحطوا سبع سنين، ثم وسع عليهم (أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحان (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (قُلْ يَا عِبَادِيَ

القائلون إنما أورثته على علم عندى (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) أي وإن كان لاحياله ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أي لمن يشاء وإن كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدينوى ولا لقبضه مدخل في محبة الله ولا بغضه بل بحكمته تعالى (قوله إن في ذلك) أي المذكور (قوله قل يا عبادي الدين أصفوا الحق) سبب نزولها «أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعث إلى وحشى قاتل حمزة يدعو إلى الاسلام فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم الدين أنه من قتل أو أشرك أوزنى بلق أنا ما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فأنزل الله إلامن تاب وآمن وهمل عملا صالحا فقد وحشى هذا ثم بط شديد لعل لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال وحشى أرانى بعد في شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لأرى شرطا فأسلم وهذه الآية عامة لكل كمال وعاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل إنها أرجح آية في كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعاني والبيانات أمور أحسان منها إقباله تعالى على خلقه ونداؤه إياهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الغنى في قوله من رحمة الله ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه الجامع لجميع الأسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعتبرة الطرفين التوكيدة بأن وضمير الفصل في قوله إنه هو الغفور الرحيم للإشارة إلى أنه تعالى لا وصف له مع عباده إلا الغفر والرحمة، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم في قوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف

(قوله الذين أترفوا على أنفسهم) أي رطوا في الأهمال الصالحة وارتكبوا سيئ الأهمال وأكثروا منه (قوله لا تقنطوا من رحمة الله) إن قلت إن في هذا إغراء بالمعاصي والركاكة على غفرانه تعالى وهو لا يليق. أجيب بأن المقصود تنبيه العاصي على أنه ينبغي له أن يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك إغراء بالمعاصي بل هو تنظيم للعصاة ورغيب لهم في الإقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أي من باب جاس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أي من باب دخل وهي شاذة (قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا) أي إثمرا كما أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لأن بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما في الحديث «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وأما من مات مسلما ولم يقب من ذنوبه فأمره مفوض لربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخله الجنة ، وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى - إن الله لا يغفر أن يشرك به - ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لأن دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهي لمن عدا ذلك (قوله إن تاب من الشرك) إنما خص الشرك لأن التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى - قل للذين كفروا إن يذنبوا يغفر لهم ما قد ساف - بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق أن تعذيب العاصي تطهير وتعذيب الكافر غضب فآل العاصي للجنة وإن طالت مدته في النار لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله إنه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنذروا إلى ربكم) أي بهذه الآية عقب التي قبلها لئلا يتكلم العاصي على الغفران (٣٥٣) ويترك التوبة والرجوع إلى الله فأفاد أن الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله إن لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل أن يأتيكم العذاب (قوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أي على أسان أحسن نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنذروا

الذين أترفوا على أنفسهم لا تقنطوا) بكسر النون وفتحها ، وقرئ بضمها تياسوا (من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب من الشرك (إنه هو الغفور الرحيم) وأنذروا) ارجعوا (إلى ربكم وأسلخوا) اخلصوا العمل (له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) بمنه إن لم تتوبوا (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) هو القرآن (من قبل أن يأتيكم العذاب بئمة وأنتم لا تشعرون) قبل إتيانه بوقته فبادروا قبل (أن تقول نفس يا حسرتي) أصله يا حسرتي : أي ندامتي (على ما فرطت في جنب الله) أي طاعته (وإن) مخففة من الثقيلة أي وإني (كنت لمن الساخرين) بدينه وكتابه (أو تقول لو أن الله هداني) ،

والمنى ارجعوا إلى ربكم والزمو أو امر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيته وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة ولكن من أدركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بأن كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لو فرض أنه أدركه ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأمرهم أنه إن ظهر محمد وأحدهم حتى يلزمه اتباعه وفي الحديث «لو أدركني موسى ماوسعه إلا اتباعي» وحينئذ فالمعنى اتبعوا يا عبادي من أول الزمان إلى آخره أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم فالمكاف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكاف به لولا مانع الموت ولذا كاف به من بقي حيا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لأحسن فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة وأحسنها القرآن وهذا كله على ما فهم المفسر ، وقيل معنى أحسن ما أنزل إليكم الخ أي من القرآن وهو أو امره دون نواهيته أو عزائمه دون رخصه أو ناسخه دون منسوخه أو ما هو أعم والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر (قوله أن تقول نفس) معمول لمخدوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل أن تقول الخ وقدره غيره كراهة أو مخالفة أن تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لأجله وهو أسهل مما قدره المفسر ، والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله يا حسرتي) أي فقلت الياء ألفا فهي في محل جر ونداؤها مجاز : أي هذا أوانك فاحضري (قوله أي طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالجنب الطاعة مجازا لأن الجنب في الأصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل صاحبه لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وإن كنت لمن الساخرين) الجملة حالية ، والمعنى فرطت في جنب الله وأنا ساخر (قوله أو تقول الخ) [٤٥ - صاوي - ثالث]

أولتنويع في مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفي نسخة بالطافه أى إسعافه ولو قال بآياته لكان أظهر (قوله فأكون من المحسنين) إما معطوف على كره فيكون من جملة التمنى والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخاص نظير قول الشاعر :
لولا توقع معتر فأرضيه ما كنت أوتر أربا على رب
ويكون إضمار أن جائزا لا واجبا ، قال ابن مالك :

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه إن ثابتا أو من حذف

أو منصوب في جواب التمنى ويكون مرتبا على التمنى والفاء للسببية وإضمار أن واجب (قوله فيقال له الخ) أى جوابا لمقالته الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودى فان الكافر أولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا . إن قلت إن بلى يجب بها النفي ولا نفي في الآية . أجيب بأن الآية متضمنة للنفي لأن معنى قوله لو أن الله هدانى لم يهدنى (قوله وهى سبب الهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل وأما إن أريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدى للكفر وإفطاهر الآية (٣٥٤) يع كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب

على الله تعالى كالافتاء بغير الشرع ورواية الحديث بالكذب (قوله وجوهمهم مسودة) الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية أو مفعول ثان إن جعلت عامية (قوله أليس في جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوهمهم (قوله اتقوا الشرك) أى جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصى وتقوى خواص الخواص عدم

بالطاعة أى فاهتديت (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) عذابه (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّ لِي كَرَّةٌ) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بلى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي) القرآن وهو سبب الهداية (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) تكبرت عن الإيمان بها (وَكَفُتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَذْمُومٌ) مأوى (لِلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الإيمان ؟ بلى (وَيُنَجِّى اللَّهُ) من جهنم (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (بِمَقَارَتِهِمْ) أى بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) متصرف فيه كيف يشاء (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرها (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قُلْ أَفَفَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين

بإدغام خطور الغير ببالهم (قوله بمقارنتهم) الباء سببية متعلقة بينجى وفي قراءة سببية أيضا بمقارنتهم جمعا باعتبار الأشخاص (قوله أى بمكان فوزهم) أى بمكان ظفرهم بمقصودهم ، والمعنى ينجى الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمقارنتهم فلا محل لها من الاعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شىء) هذا دليل لما قبله ودخل في الشىء الجنة وما فيها والنار وما فيها وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه (قوله له مقاليد السموات والأرض) المقاليد جمع مقلاذ أو مقلبيد والكلام كناية عن شدة التحكم والتصرف في كل شىء في السموات والأرض . وروى عن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال : تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والأرض من تكلم بها فتحت له (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله وينجى) أى فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتأمروني) أى والأصل أناأمرونى بأن أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمرونى العامل فى عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أى مخففة مع فتح الباء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للناسبة واستغنى بها عن نون الوقاية

(قوله من الحور الخ) أى فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بعض الفشى والدهش موسى عليه السلام فإنه لا يفشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لأنه صعق في الدنيا في قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرهما) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون بالنفخة الأولى وإنما يموتون بين النفختين لما روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا : ونفخ في الصور الآية فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى ؟ قال هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فيقول الله ملك الموت يا ملك الموت من بقى من خلقى وهو أعلم فيقول يارب بقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول ميت يا ملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفانى فيقول الله تعالى يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أى بعد أربعين سنة على الصحيح ، وقرب نفخة القيام تأتي سحابة من تحت العرش فتُمْطَرُ ماء خائرا كالمنى فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم وكل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فتركب عليه أجزاءه فاذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ثم قام خالقا سويا ، وفي النفخة الثانية يقول : أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله المصور الخالق يا صركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى : يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشرة (٣٥٦) الآية ، فاذا خرجوا من قبورهم تتأق المؤمنون بمرآك من رحمة الله

كما قال تعالى : يوم نحشر
التقين إلى الرحمن وفدا ،
ويعشى المجرمون على
أفدا . هم حام بن أوزارهم
كما قال تعالى : ونسوق
المجرمين إلى جهنم وردا ،
وفي الآية الأخرى :
يحملون أوزارهم على
ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع في قراءة العامة خبر عن الصمير وقضى شهودا بالاصب على الحال
وخبر الصمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أى من الحساب والروى على الصراط وإدخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الأرض
بنور ربها) المراد بالأرض الأرض الجديدة المدلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أى حين يكشف الحجاب عن الخلائق
يرينه حقا لما في الحديث « سترون ركم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو » وهذا النور يخلقه الله تعالى
تصير به الأرض رابص من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب
أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه يحينه أو شأنا) (قوله وجىء بالنبیین والشهداء) أى وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق
لأولين وآخرين في صعيد واحد ثم يقول لسكفار الأمم : ألم يأتكم نذير ؟ فيسكرون ويقولون ما جاء من نذير فيسأل الله تعالى
لأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد باغتناهم فيسألهم الله الجنة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيوتى بأمة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإني كانوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون
أرسل إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه ببليغ أرسل وأنت صادق فيما أخبرت ، ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
يسأله الله تعالى عن أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين ، وأما المؤمنون فيحكمهم
بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس
بأية إذ لا مشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج إلى شاهد) أى لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها وإنما الشهود وكتا
الأعمال لحكم عظيمة منها إقامة الحجة على من عاند ، وقد أشار صاحب الجوهرية لهذا بقوله :
والعرش والكرسى ثم القلم والكتائب والروح كل حكم لا احتياج وبها الإيمان بحسب عليك أيا الإنسان

من الحور والولدان وغيرهما (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام) أى جميع الخلائق للموتى (قيام ينظرون) ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربها) حين يتجلى لفصل القضاء (ووضع الكتاب) كتاب الأعمال للحساب (وجىء بالنبیین والشهداء) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون للرسول بالبلاغ (وقضى بينهم بالحق) أى العدل (وهم لا يظلمون) شيئا (ووفيت كل نفس ما عملت) أى جزاءه (وهو أعلم) أى عالم (بما يفتكرون) فلا يحتاج إلى شاهد ،

(وسبق)
ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع في قراءة العامة خبر عن الصمير وقضى شهودا بالاصب على الحال
وخبر الصمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أى من الحساب والروى على الصراط وإدخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الأرض
بنور ربها) المراد بالأرض الأرض الجديدة المدلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أى حين يكشف الحجاب عن الخلائق
يرينه حقا لما في الحديث « سترون ركم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو » وهذا النور يخلقه الله تعالى
تصير به الأرض رابص من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب
أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه يحينه أو شأنا) (قوله وجىء بالنبیین والشهداء) أى وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق
لأولين وآخرين في صعيد واحد ثم يقول لسكفار الأمم : ألم يأتكم نذير ؟ فيسكرون ويقولون ما جاء من نذير فيسأل الله تعالى
لأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد باغتناهم فيسألهم الله الجنة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيوتى بأمة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإني كانوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون
أرسل إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه ببليغ أرسل وأنت صادق فيما أخبرت ، ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
يسأله الله تعالى عن أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين ، وأما المؤمنون فيحكمهم
بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس
بأية إذ لا مشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج إلى شاهد) أى لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها وإنما الشهود وكتا
الأعمال لحكم عظيمة منها إقامة الحجة على من عاند ، وقد أشار صاحب الجوهرية لهذا بقوله :
والعرش والكرسى ثم القلم والكتائب والروح كل حكم لا احتياج وبها الإيمان بحسب عليك أيا الإنسان

(قوله وسيق الذين كفروا إلخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله - ووفيت كل نفس ما عملت - (قوله بعنف) أى شدة لأنهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال (قوله إلى جهنم) أراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت ، معوا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) أى جماعات فوجا كما فى آية - كلما ألقى فيها فوج - والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية بتبدأ بعدها الجمل (قوله فتحت أبوابها) أى لتلقون حرارتها بأنفسهم (قوله جواب إذا) أى باتفاق (قوله رسل منكم) أى من جنسكم (قوله القرآن) أى بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله وغيره : أى بالنسبة لبقية الأمم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم ، وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الأشخاص ، فيكون نعيما وصرورا للمؤمنين وشدة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) إقرار بما وقع منهم وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعا فى النجاة فلما قامت الحجج عليهم ونحتم الأمر بهذا بهم رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقرّوا ، وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة يقرّون ، وتارة يقرّون وتارة يقرّون بألذّهم (قوله على الكافرين) أظهر فى محل الإضمار إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله متدبرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله : خالدين حال متدرة وذلك لأنهم

(٣٥٧)

عند الدخول ليسوا خالدين وإنما هم منتظرون ومقدرون الخلود (قوله فبئس مثوى المتكبرين) أظهر فى محل الإضمار إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب ، وقوله جهنم هو المخصوص بالدم (قوله وسيق الذين اتقوا ربهم) وسيق الذين اتقوا ربهم أخروعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله باطف) أشار بذلك إلى أن السوق

(وسيق الذين كفروا) بعنف (إلى جهنم زمرا) جماعات متفرقة (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) جواب إذا (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يقولون عليكم آيات ربكم) القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أى لأملان جهنم الآية (على الكافرين) قيل أدخلوا أبواب جهنم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى) ماوى (المتكبرين) جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم) بلطف (إلى الجنة زمرا) حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها (الواو فيه للحال بتقدير قد) (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم) حال (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها ، وجواب إذا مقدر : أى دخلوها ، وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريما لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليمبق حرها إليهم إهانة لهم (وقالوا) عطف على دخلوها المقدر (الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالجنة ،

فى الموضعين مختلف سوق الكفار سوق إهانة وانتقام وسوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام ، وفى المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لأنهم يذهبون راكبين فيسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان فستان ما بين السوقين ، وهذا من بدیع الكلام وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على المصانف فى حق جماعة وعلى العز والرضوان فى حق آخرين (قوله زمرا) أى جماعات على حسب قربهم وصرانهم (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله : جاءوها (قوله سلام عليكم) أى سلمتم من كل مكروه ، وقوله : طيبتم : أى طهرتم من دنس المعاصى لما ورد «أنه على باب الجنة شجرة يابس من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداها فتطهر أجوافهم ، وذلك قوله تعالى - وسقاهم ربه شرابا طهورا - ثم يغسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها - سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين» (قوله وجواب إذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة ، وقيل إن جوابها قوله وفتحت والواو زائدة ، وقيل هو قوله - وقال لهم خزنتها - والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتكرمة خبره وكذا ما بعده (قوله وقالوا) أى بعد استقرارهم فى الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) أى حقه لنا فى قوله - تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا -

(قوله وأورثنا الأرض) أى ملكها لنا تتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فأخذها أولاده إرثاً لها منه ، وقيل المراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا ، والأقرب أن المراد ملكنا إياها كالميراث فإنه ملك بلائع ولا شبهة لأحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لا يختار فيها مكان على مكان) أى بل يرضى كل إنسان بمكانه الذى أعده بحث لو أطلق له الاختيار (٣٥٨) لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب ، وهذا جواب عما قيل كيف ذلك

(وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) أى أرض الجنة (نَتَّبِعُوا) فنزل (مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الجنة (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ) حال (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملاسین للحمد ، أى يقولون : سبحان الله وبحمده (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أى العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع

وأوله :

سورة غافر

مع أن كل إنسان له محل معه لا سبيل له إلى غيره . وأجيب أيضاً بأن المعنى يختار من منازل ما يشاء لما ورد « أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسناً فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يخطر بباله غيرها » (قوله فنعمة أجر العاملين) هذا من كلام الله تعالى زيادة في سرور أهل الجنة ، وقوله الجنة هو الخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة في السرور لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم لاتحاد روحانيتهم مع الإنس وأما في الدنيا فمفزع لأن النوع الإنساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقر بين (قوله حافين) أى محيطين مصطفىين بحافته وجوانبه (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى تلهذا لأن منتهى درجاتهم

الاستغراق في تسبيحه تعالى وتنديسه (قوله ختم استقرار

فهرس

الفريقين الخ) أى كما ابتداء ذكر الخافى بالحمد في قوله : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبنى حمده في مبدأ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) أى بل ومن جميع الخلق فان جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويحمدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم ، والله أعلم .

فهرس الجزء الثالث

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

صفحة	صفحة
٥٨	٢ سورة الكهف
الكلام على موسى الرسول وموسى السامرى	ثناء الله على نفسه على إزاله القرآن خاليا من الاختلاف والتناقض
٦٢	٣ تخويف القرآن للكافرين وتبشيرهم للمؤمنين
قصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه اللعنة	نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن على عدم إيمان الكافرين بالقرآن
٦٦	٤ قصة أصحاب الكهف وبيان أن قصتهم ليست عجيبة دون باقى الآيات
سورة الأنبياء عليهم السلام ، وفيها ذكر قصص لبعض المرسلين وإذابة قومهم لهم تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاكجته لهم على عبادتهم الأوثان وإيقادهم له النار ليحرقوه وملاحظة الله له بلطفه وردّه كيد الساكرين به	٨ أسماء أصحاب الكهف وأسماء كاهنهم وفائدة كتابتها
٧٤	٩ المدة التى لبثها أهل الكهف فيه موتى ثم أحياءهم الله القادر بعد هذه المدة ليدل بباهر قدرته على بعث الخلق أجمعين .
٨٠	١٠ أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم
تسخير الله سبحانه وتعالى الريح لسلیمان تجرى بأمره حيث أراد وما أعطاه الله له من الملك	١٢ مثل الكافرين ومثل المؤمنين
٨٧	١٤ مثل الدنيا وأنه لا ينفع شيء منها إلا ما كسبه الانسان من العمل الصالح
سورة الحج ، وما اشتملت عليه من أحوال القيامة ومن بناء إبراهيم عليه السلام البيت إلى غير ذلك	١٥ ذكر شيء من أحوال يوم القيامة
٩٩	١٧ قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام وفيها من العلوم الباطنية ما تتعجب فيه الألباب .
الكلام على قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - الآية وتأويلها الصحيح	٢٣ قصة الاسكندر ذى القرنين وبيان أنه ليس نبيا بل هو ولى من أولياء الله : الى
١٠١	٢٩ سورة مريم عليها السلام ، وفيها من قصص المرسلين ما يبهز العقول
الآيات الواضحات على وحدانية الله تعالى وباهر قدرته	٤٩ سورة طه وما فيها من القصص
١٠٥	
تفسير سورة المؤمنون وما اشتملت عليه من بيان صفات المؤمنين حقا ومن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ومن ذكر قصص بعض المرسلين	
١١٢	
ما هم الذين يخافون ربهم وما جزاؤهم	

صحيفة

صحيفة

- ١٩٧ ندم الكافرين عند موتهم وذكري
من أهوال يوم القيامة وبيان حال
الكافرين وحال المؤمنين
- ١١٩ تفسير سورة النور وفيها من الآداب
الربانية مالو تمسك به المسلمون لكانوا
من الفائزين
- ١٢١ الكلام على براءة السيدة عائشة عما
رماها به المنافقون وبعض المؤمنين
- ١٣٠ الكلام على قوله تعالى - الله نور
السموات والأرض - الآية
- ١٣٦ الآداب التي أمر الله بها عباده
- ١٤١ تفسير سورة الفرقان
- ١٥٥ ما هم عباد الرحمن وما صفاتهم ؟
- ١٥٧ تفسير سورة الشعراء وفيها من قصص
المرسلين ما يبهر العقول
- ١٧٤ سورة النمل
- ١٧٧ بيان نعيم الله تعالى سليمان عليه السلام
منطق الطير الذي من جملة النمل ،
وقصته معها ومع الهدهد ومع بلقيس
- ١٨٨ ذكر أدلة على وحدانية الله تعالى وأنه
المستحق للعبادة دون ما سواه
- ١٩٢ الكلام على الدابة التي تكلم الناس ،
وهي من علامات القيامة
- ١٩٥ تفسير سورة القصص وفيها من الأخبار
العجيبة ما ننشر له الصدور وتطمئن به
القلوب
- ٢١١ الكلام على فارون وما آتاه الله من
الكنوز وبيان أن ذلك لم يجده شيئاً
وإنما ينفع العبد يوم القيامة العمل
الصالح

- ٢١٥ تفسير سورة العنكبوت وفيها ذكر
قصص بعض المرسلين تسلياً للنبي
صلى الله عليه وسلم
- ٢٢٣ النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بما
هي أحسن
- ٢٢٧ تفسير سورة الروم وبيان صدق النبي
صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من الغيبات
- ٢٣٠ الآيات الدالة على قدرة الله تعالى
- ٢٣٧ تفسير سورة لقمان وما فيها من الموعظ
والحكم والبراهين الدالة على وحدانية
الله تعالى وقدرته
- ٢٤٤ تفسير سورة السجدة
- ٢٤٧ ما هم الذين إذا ذكروا بآيات ربهم ،
وما جزأؤهم
- ٢٤٩ تفسير سورة الأحزاب ، وما فيها من
الأحكام وغزوة الخندق والآداب
الربانية التي جعلها الله علامة للفوز بدار
النعيم لمن تمسك بها
- ٢٧٢ تفسير سورة سبأ
- ٢٨٦ » » فاطر
- ٢٩٦ » » يس
- ٣١١ » » الصفات ، وفيها قصص
بعض المرسلين
- ٣٢٨ » » ص ، وفيها أيضاً قصص
بعض المرسلين ومن بينها قصة سيدنا
داود مع أوريا بالنسبة لزوجته وأصح
ما قيل في هذه القصة مما يناسب
مقام المرسلين
- ٣٤٢ تفسير سورة الزمر وختمها بحال
الكافرين وحال المؤمنين يوم القيامة

